تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية

فى العصر الإسلامى

(٩٥ - ٤٩٥ هـ / ٧١٤ - ١١٠٢م)

دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى .

دكتور

كمال السيد أبو مصطفى

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية التربية - جامعة الإسكندرية



مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٢٦٥٠٨١ - إسكندرية

تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية
فى العصر الإسلامى

(٩٥ - ٤٩٥ هـ / ٧١٤ - ١١٠٢م)

دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى

دكتور

كمال السيد أبو مصطفى

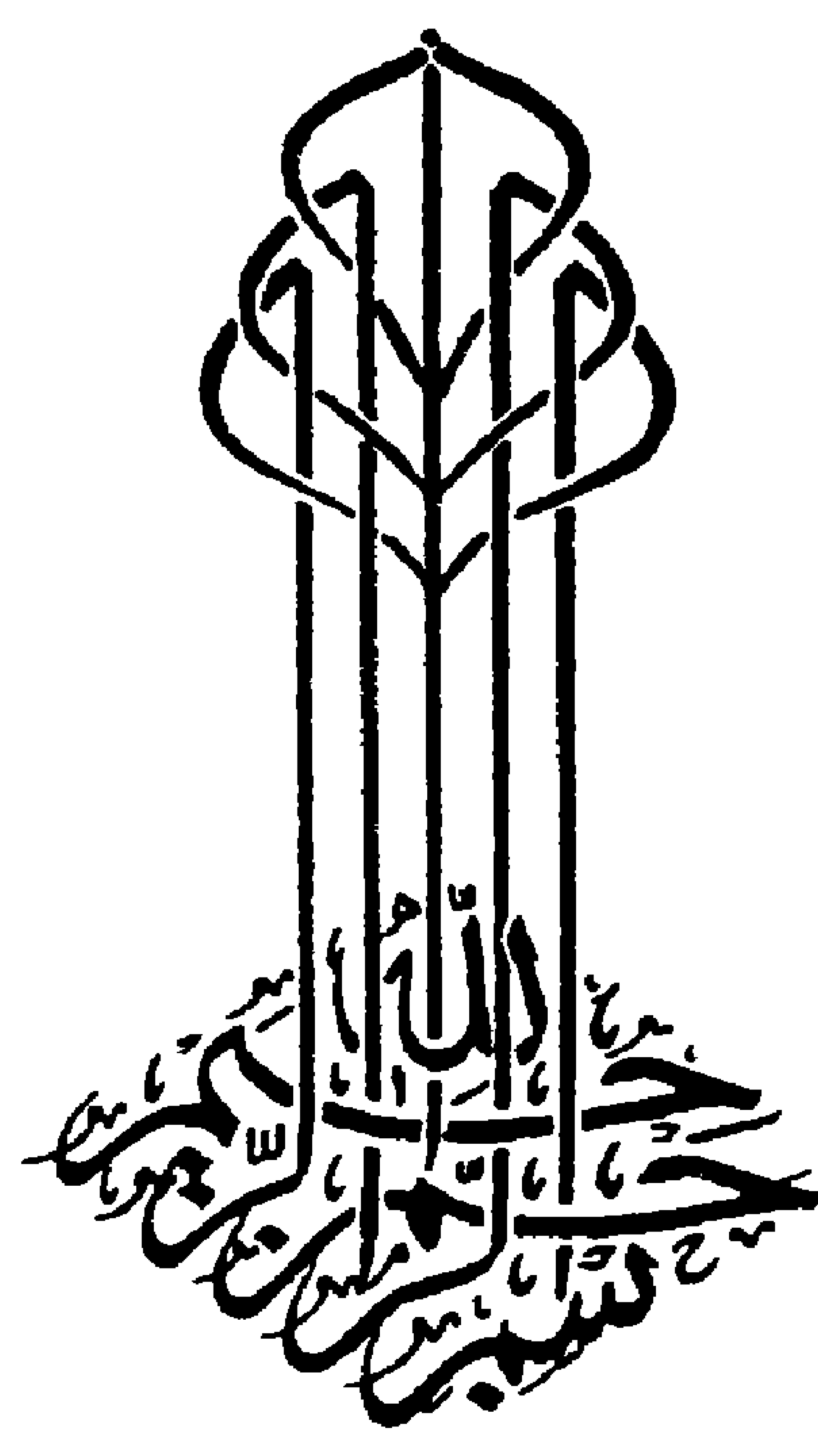
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٢٦٥٠٨١ - إسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

أولاً : عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة

ثانياً : عرض لأهم المصادر والمراجع

أولاً : عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة :

يتناول موضوع البحث دراسة سياسية وحضارية لمدينة بلنسية ، إحدى مدن الأندلس الكبرى ، وذلك فى الفترة من الفتح الاسلامى (٩٥هـ /٧١٤م) حتى تبعيتها للمرابطين فى سنة ٤٩٥هـ (١١٠٢م) .

ومما لاشك فيه أن دراسة تاريخ المدن فى أى فترة من الفترات ليست بالدراسة الهينة ، لأن الباحث فى هذا المجال يجد لزاماً عليه أن ينقب فى المصادر وبطون كتب التراجم ليظفر بمجرد إشارة تتعلق بالمدنية موضوع البحث من قريب أو بعيد ، لا سيما إذا كان المؤرخون العرب لم يتناولوا هذه المدينة بالدراسة أو يولوها جانبا من اهتمامهم وشعورهم بالعصبية الإقليمية التى كان لها الفضل الأعظم فى تزويدها بمصنفات تركزت كلها على التاريخ لبعض المدن ، مثل غرناطة [١] وقرطبة [٢] وبلنسية [٣] ومالقة [٤] فى الأندلس ، وتاريخ فاس [٥] وتونس [٦] فى المغرب .

ومن المعروف أن الكتابة فى تاريخ المدن عند المؤرخون العرب وليدة الشعور بالقومية [٧] ، أما إذا كان الأمر متعلقا بمدينة ما لم يفرد لها مؤرخو العرب تأريخا محلياً ، فالقضية تصبح عسيرة على الباحث ، إذ يضطر إلى التنقيب والبحث عن مادة تاريخية فى كافة المصادر العربية والأسبانية خاصة كتب التراجم والأدب التى كثيراً ما تتضمن إشارات هامة قد تبدو قليلة القيمة ، ولكنها قد تكون بالغة الأهمية ، تسلط

---

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة (تحقيق عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٧٣م) .

(٢) الخشنى ، تاريخ قضاة قرطبة (طبعة القاهرة ، ١٩٦٦م) .

(٣) ابن علقمة ، تاريخ بلنسية المسمى البيان الواضح عن العلم الفادح (لم يصل إلينا) .

(٤) ابن عسكر ، تاريخ مالقة (لم يصل إلينا) .

(٥) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، (المطبعة الفاسية ، ١٣٠٥ هـ) .

(٦) ابن أبى دينار ، المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس (طبعة تونس ، ١٣٥٠ هـ) .

(٧) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٧م ، ص ١٠٤ .

أضواء على كثير من الموضوعات التى يحوطها الغموض .

ومن حسن الحظ أن مؤرخى أسبانيا المحدثين أولوا الكتابة فى تاريخ المدن جانبا كبيرا من عنايتهم بدافع من عصبيتهم الإقليمية التى ورثوها عن العرب ، فكتبوا فى تاريخ مدنهم أبحاثاً ومصنفات ذات قيمة كبيرة للباحثين ، من ذلك تاريخ دانية لشاباس [1] (Chábas) وتاريخ مرسية لجسبار ريميرو [2] .

(Gaspar Remiro) وتاريخ مالقة لجيين روبلس [3] (G. Robles) وتاريخ بلنسية لاويثى ميراندا [4] (H. Miranda) .

وقد كتب بعض مؤرخى العرب المحدثين فى تاريخ المدن الاسلامية ، وأبرز من سلك فى هذا الاتجاه الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، الذى اهتم بدراسة تاريخ المرية وقرطبة والاسكندرية وطرابلس الشام وصيدا [5] من قبيل التخصص لا العصبية ، والدكتور أحمد مختار العبادى الذى كتب فى تاريخ غرناطة [6] ، والدكتور عفيف ترك الذى دوّن تاريخ سرقسطة [7] ، وإن كان هناك من استهدف النزعة الاقليمية كالدكتور جمال الدين الشيال فى بحثه عن دمياط [8] .

---

(١) Chábas, Historia de la ciudad de Denia (Denia, 1874) .

(٢) Gaspar Remiro, Historia de Murcia Musulmana . (Zaragoza) .

(٣) Guillen Robles, Malaga musulmana (Malaga, 1957) .

(٤) Huici Miranda , Historia musulmana de Valencia Y su region . (Valencia , 1969 - 1970) .

(٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية (طبعة بيروت ١٩٦٦) ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس (بيروت ، ١٩٧١م) ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى (دار المعارف ، ١٩٦١م) ، طرابلس الشام (الاسكندرية ، ١٩٦٧) دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى (بيروت ، ١٩٧٠م) .

• (٦) A. Mujtae - al - Abbady, El reino de Granada en la época de Muhammad v. (Madrid, 1973)

(٧) Afif Turk, El Reino de Zaragoza en el Siglo XI (V, H) Madrid, 1978 .

(٨) جمال الدين الشيال ، المجمل فى تاريخ دمياط (الاسكندرية ١٩٤٩ م) .

وتابعت هذا الاتجاه فى دراسة المدن الأندلسية ، واخترت مدينة بلنسية موضوعا لرسالتى مدفوعا فى ذلك بالدور المهم والخطير الذى لعبته تلك المدنية فى حوادث أسبانيا الاسلامية بوجه عام وشرق الأندلس بصفة خاصة فى عصر ملوك الطوائف — فقد كانت هذه المدنية هى محور الصراعات التى دارت رحاها بين دويلات الطوائف فى شرق الأندلس ، كما قامت بدور هام إبان الصراع القائم بين الإسلام والنصرانية بالأندلس ، ذلك أن سقوطها فى يد السيد القنبيطور أدى إلى نشوب العديد من المعارك بين المسلمين فى الأندلس وأعنى بهم المرابطين وبين أسبانيا المسيحية . بالاضافة إلى دورها السياسى والحربى البارز فى تاريخ أسبانيا الاسلامية والمسيحية على السواء ، فقد شاركت مشاركة فعالة فى البناء الحضارى الأندلسى خاصة فى عصر دويلات الطوائف ، وهى الفترة التاريخية التى بلغت فيها ذروة إزدهارها الحضارى ، وساعدها على ذلك ما تمتعت به من استقرار وأمن وطمأنينة فى النصف الأول من هذا العصر .

وأيا ما كان الأمر فإن بلنسية كانت موضع اهتمام المؤرخين الأسبان ، فوضعوا فيها منذ طليعة القرن السابع عشر عددا من التواليف أقدمها مصنف من تأليف بوتر [(١)] وآخر صدر فى بداية هذا القرن لاسكلانو [(٢)] ، ثم ظهرت فى القرن العشرين بعض المؤلفات منها كتاب الباحث ايبارس وعنوانه « بلنسية العربية » [(٣)] وأهمها فى اعتقادى البحث القيم الطويل الذى ألفه المؤرخ البلنسى الأسبانى الشهير إويثى ميراندا وعنوانه « تاريخ بلنسية الاسلامية وإقليمها » ويعتبر أكمل بحث صدر عن تاريخ بلنسية حتى يومنا هذا ، وقد اعتمدت عليه كثيرا لاعتبارين ، الأول أن كاتبه بلنسى الأصل ، وكان على إلمام كاف بالمصادر العربية المتخصصة والمصادر الأسبانية ، والثانى أنه استوفى فيه كل دقائق تاريخ مملكة بلنسية فى العصر الاسلامى .

---

(١) Anton Beuter, Crónica general de todo España Y especialmente del reino valencia (Valencia, 1604) .

(٢) Escolano, Historia de la ciuded Y reino de valencia (Valencia (Valencia, 1910) .

(٣) Piles Ibárs, Valencia arabe (Valencia, 1901) .

أما الأبحاث التى صدرت بالعربية عن مدينة بلنسية فلا تكاد تذكر ، لندرتها من جهة ، ولأنها موجزة مبتسرة إتخذت شكل مقالات أهمها بحث قدمه الدكتور السيد عبد العزيز سالم [(١)] ، وهو - رغم اختصاره - عظيم الفائدة ، إذ يفتح المجال لكثير من النقاط التى تستحق البحث ، ثم الدراسة الهامة القيمة عن أحوال بلنسية السياسية فى عصر دويلات الطوائف التى ضمنها الأستاذ محمد عبد الله عنان كتابه عن دويلات الطوائف [(٢)] .

وعلى الرغم من كثرة ما صدر عن بلنسية الاسلامية من أبحاث ، فإن ما كتب عنها بالعربية فى الفترة موضوع البحث لا يتناسب مع دورها المهم الذى لعبته المدينة فى المجالين السياسى والحضارى ، وكان ذلك من العوامل التى دفعتنى إلى اختيار تاريخ بلنسية فى هذه الفترة بالذات موضوعا لرسالتى عساى أوفيه حقه من الدراسة العلمية الدقيقة .

وجدير بالذكر أن الزيارة التى قمت بها لأسبانيا فى صيف ١٩٧٨م ، وطفت بها أنحاء المدينة دارساً ومنقباً قد يسرت علىّ إلى حد كبير أن أعيش فى تاريخ هذه المدينة ، كما يسرت لى معرفتى باللغة الأسبانية الاطلاع على المصادر الأسبانية القديمة والمراجع الأسبانية المتخصصة التى لاغنى عنها لأى باحث فى تاريخ بلنسية ، كما مكنتنى من التعرف عن كثب على بعض المعالم الاسلامية التى لا تزال قائمة إلى اليوم وتحمل نفس الأسماء العربية ، مما أعاننى على وضع خريطة لأهم المعالم الطبوغرافية لهذه المدينة فى العصر موضوع الدراسة أى فى الفترة من الفتح الاسلامى لبلنسية حتى سقوطها فى أيدى المرابطين (٩٥هـ/٧١٤م - ٤٩٥هـ/١١٠٢م)

وتبدو هذه الفترة التى خصصتها للبحث فى تاريخ بلنسية طويلة نوعا ما ، ولكن الغموض الذى يكتنف الفترة الأولى التى لحقت الفتح الاسلامى وعصر الدولة الأموية يبرر طول التحديد الزمنى لموضوع الرسالة ، فقد كانت بلنسية آنذاك مجرد مدينة تابعة

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، دائرة معارف الشعب (مادة بلنسية) العدد ٦١ ، ١٩٥٩م .

(٢) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

للحكومة المركزية بقرطبة حتى قيام عصر الطوائف فى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ولهذا فإن الأضواء لم تكن تسلط عليها إلا فى أحوال نادرة ، ومع ذلك فقد كنت حريصا على أن أتناول تاريخ المدنية منذ الفتح الاسلامى مستهدفا إبراز أهم أحداثها خلال الفترة السابقة على قيام أول إمارة مستقلة بها فى بداية عصر الطوائف ، حيث بدأت المدنية تحظى بنصيب وافر من اهتمام المؤرخين ، وتلعب دوراً فعالاً فى حوادث شرق الأندلس بصفة خاصة .

وعلى أية حال فقد خصصت الباب الأول لدراسة التاريخ السياسى ، ومهدت له بمقدمة جغرافية ، ويتألف الباب من ثلاثة فصول :

يتناول الفصل الأول تاريخ مدينة بلنسية منذ الفتح الاسلامى حتى قيام دويلات الطوائف ، بدأته بمقدمة تاريخية موجزة عن مدينة بلنسية قبل الفتح الاسلامى ثم تعرضت للفتح والآراء العديدة فى هذا الصدد ، وانتقلت إلى الحديث عن بلنسية فى عصر الولاة (٩١هـ/٧١١م ـ ١٣٨هـ/٧٥٦م) وهى فترة تكاد تكون غامضة تماما فى المصادر العربية ، فى حين وصلتنا أخبار عنها فى المراجع الأسبانية تبرز الدور السياسى الذى قامت به بلنسية خلالها ، وإن كانت لم تزودنا بالمصادر الاسبانية التى استقت منها مادتها . ثم انتقلت إلى الحديث عن بلنسية فى عهد الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل (١٣٨هـ/٧٥٦م ـ ١٧٢هـ/٧٨٨م) ، وبينت كيف تحولت إلى كورة واسعة ، وألمحت من خلال ذلك إلى أهم تقسيماتها الادارية ، فذكرت قاعدة الكورة وهى مدينة بلنسية وأهم أعمالها من المدن والأقاليم والأجزاء والقرى والحصون . ثم أوضحت أهم الثورات والفتن التى كان لبلنسية دور فيها خلال عصر الامارة الأموية .، وأهمها ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهرى (الصقلبى) بشرق الأندلس ، وثورة الأمير الأموى عبد الله البلنسى ، التى تم إخمادها فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ/٨٢٢م ـ ٢٣٨هـ/٨٥٢م) واستقرار الأمور بعد ذلك فى بلنسية بتعيين عامل جديد عليها يدعى ابن ميمون خلفا للأمير عبد الله البلنسى . ثم تناولت بالبحث أحوال بلنسية فى عصر الخلافة الأموية ، مشيرا إلى أهم

ولايتها فى تلك الفترة ، والثورات التى شهدتها المدينة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ/٩١٢م ـ ٣٥٠هـ/٩٦١م) كما ألمحت إلىّ الدور السياسى الذى لعبته بعض الأسر البلنسية خلال عصر الخلافة الأموية مثل أسرة بنى جحاف وأسرة المصحفى وبنى شهيد ، وأخيرا أوضحت موقف شرق الأندلس عامة من الفتنة القرطبية التى عمت جنوب الأندلس بعد مقتل عبد الرحمن شنجول سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م وما ترتب على ذلك من انهيار الخلافة وسقوطها وقيام عصر دويلات الطوائف .

ويتناول الفصل الثانى أحوال بلنسية فى عصر دويلات الطوائف . وقد ابتدأت الحديث بذكر أهم دويلات الطوائف بالأندلس مركزا على العنصر الصقلبى الذى تغلب على شرق الأندلس ، ثم أوضحت أحوال بلنسية فى ظل الفتيين الصقلبيين مبارك ومظفر (٤٠١ ـ ٤٠٨هـ/١٠١٠ ـ ١٠١٧م) وأبرز أعمالهما السياسية والعسكرية والعمرانية ، ثم ركزت حديثى بعد ذلك على عهد الأمير المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبى عامر (٤١٢ ـ ٤٥٢هـ/١٠٢١ ـ ١٠٦١م) والصعاب التى واجهته فى بداية أمره خاصة من جهة خيران العامرى (الصقلبى) صاحب المرية ومرسية ، موضحا سياسة المنصور عبد العزيز الداخلية وأهم أعماله العمرانية ، دون أن أغفل ملامح سياسته الخارجية ، فعرضت لعلاقاته مع القاسم بن حمود بقرطبة ، وابن عباد باشبيلية ، ومجاهد العامرى بدانية ، ومع أمراء الممالك النصرانية فى أسبانيا ، ثم تحدثت عن أحوال بلنسية فى عهد ابنه المظفر عبد الملك (٤٥٢ ـ ٤٥٧هـ/١٠٦١ ـ ١٠٦٥م) الذى كان على عكس أبيه مثالا للضعف والتردد ميالا للهو والملذات ، مما أدى إلى سيطرة وزيره ابن رويش على أمور الحكم، وأوضحت أهم حوادث عصره وأهمها موقعة بطرنة سنة ٤٥٥ هـ/١٠٦٣م التى لقى بها هذا الأمير هزيمة قاسية على يد فرناندو الأول ملك قشتالة ، وكانت سببا فى نهاية حكمه ، واستيلاء صهره المأمون بن ذى النون صاحب طليطلةعلى إمارة بلنسية فى سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م ، حيث أناب عنه بها الوزير البلنسى أبا بكر أحمد بن عبد العزيز ، الذى انتهز فرصة وفاة المأمون واستقل بحكم بلنسية فى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م . وكان أبو بكر بن عبد العزيز هذا مثلا حيا للأمير الكفء الذى

يستهدف اقصاء بلده عن مشكلات الصراع القائم بين دويلات الطوائف ، كما كان يستهدف البناء والاصلاح . وقد نعمت بلنسية فى فترة حكمه بعهد من الاستقرار والأمان . وكسب أبو بكر بن عبد العزيز تقدير ملك قشتالة الذى كان يقول فى مناسبات مختلفة ، رجال الأندلس ثلاثة : أبو بكر بن عبد العزيز وأبو بكر بن عمار ، وششناندو . هذا وقد تناولت بالدراسة علاقة بلنسية فى عهده بغيرها من دويلات الطوائف الأخرى مثل مرسية زمن ابن عمار ، وسرقسطة فى عهد بنى هود ، ولم أغفل الحديث عن علاقته بالسيد القنبيطور (El Cid Campeador) متعمداً فى ذلك على المصادر الأسبانية ، واختتمت عصره بإبراز أهم ملامح شخصيته ، ثم وفاته وتولية إبنه أبى عمرو عثمان (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) وكان لا يزال فتى حدثا ، ولم يمكث فى الحكم إلا شهوراً معدودة ، إذ تمكن القادر بن ذى النون من السيطرة على بلنسية بفضل حلفائه القشتاليين ، وكان من الطبيعى أن أعرض لحدث يقترن بذلك من قريب أثر تأثيراً عميقاً على مستقبل الاسلام فى الأندلس وأعنى به سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) . ثم أوضحت أحوال بلنسية السيئة فى عهد القادر بن ذى النون ، مشيراً إلى حالة الضعف والتفكك التى كانت تعانيها أسبانيا الاسلامية ، واتفاق ملوك الطوئف على الاستعانة بالمرابطين فى المغرب لانقاذ دولة الاسلام فى الأندلس من الأخطار المحيطة به ، وهذا ما دفعنى للاشارة إلى موقعة الزلاقة (٤٧٩هـ/١٠٨٧م) ونتائجها للأندلس عامة وبلنسية بوجه خاص . ثم ألمحت إلى الخطر الذى تعرضت له بلنسية ويتمثل فى محاولة الحاجب المنذر بن هود صاحب لاردة وطرطوشة الاستيلاء عليها ، واستنجاد صاحبها القادر بالمستعين بن هود صاحب سرقسطة وحليفة السيد القنبيطور ، واختتمت هذا الفصل بعرض ما تلا من أحداث تتعلق بحضور المستعين وحليفه القنبيطور وانسحاب المنذر إلى بلاده ، وبداية ظهور القنبيطور على مسرح الحوادث فى منطقة شرق الأندلس .

أما الفصل الثالث فيتناول أحوال بلنسية منذ اختيار الجماعة فى بلنسية للقاضى ابن جحاف رئيسا لها حتى سقوطها فى أيدى المرابطين وأوضحت فى بداية هذا الفصل انفراد السيد القنبيطور بالعمل للسيطرة على بلنسية منذ أن حضر صحبة

المستعين بالله بن هود ، نجده للقادر بالله بن ذى النون صاحب بلنسية ، الذى تحالف مع القنبيطور وخضع لنفوذه وقام بدفع الجزية له مقابل حمايته ، وألمحت هنا إلى العداء القائم بين القنبيطور وسيده الملك ألفونسو السادس ، ومحاولة الأخير الاستيلاء على بلنسية وفشله فى ذلك ، ثم عودته إلى سياسة اللين تجاه القنبيطور لمواجهة ازدياد الخطر المرابطى على الأندلس . وأعقبت ذلك بالحديث عن ثورة القاضى ابن جحاف بالمدينة ومقتل القادر (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وموقف القنبيطور من تولى ابن جحاف الحكم ، وحصاره للمدينة ، وأوضحت أحوالها خلال الحصار الأول الذى فرضه القنبيطور عليها ، ومحاولة المرابطين فك الحصار وفشلهم فى ذلك ، ثم أشرت إلى الحصار الثانى للمدينة ، الذى انتهى بتسليمها للقنبيطور (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وبداية عهد السيادة القشتالية ، وهنا تعرضت لحالة المدينة فى بداية عهد القنبيطور ، وتنكره للوعود ، ومدى التعذيب والعسف الذى أنزله بالبلنسيين ، ومحاولة المرابطين انقاذ المدنية من براثن ذلك الطاغية وفشلهم فى ذلك للمرة الثانية . وتحدثت بالتفصيل عن مأساة القاضى ابن جحاف وحرقه حيا على يد القنبيطور . والآراء العديدة التى أثيرت حول هذا الموضوع ، ثم ألمحت إلى بعض المعارك التى تشبت بين المرابطين والقنبيطور ، ولم يرد لها ذكر فى معظم المصادر العربية ، وعرضت أخيرا للهزائم المتوالية التى منى بها جيش القنبيطور وجيوش القشتاليين على أيدى المرابطين فى أواخر عهد القنبيطور ، وحزنه على مقتل ابنه الوحيد دييجو (Diego) فى تلك المعارك ، مما أدى إلى مرضه ووفاته ، وتولى زوجته دونيا خيمينا (Doña Jimena) الحكم فى بلنسية سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ، إلى أن تمكن المرابطون بقيادة الأمير مزدلى من استعادة المدنية مرة أخرى وإعادتها إلى المسلمين سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م ، موضحا اثار ذلك على سير معركة الجهاد فى شرق الأندلس .

وتجدر الاشارة إلى أننى حرصت فى هذا الفصل على إيضاح وجهتى النظر الاسلامية والمسيحية بخصوص الحوادث المهمة والمعارك التى نشبت بين المسلمين والنصارى ، كما قارنت بين النصوص العربية المختلفة بغية التوصل إلى حقائق تاريخية مقبولة ، كذلك كان لزاما علىّ أن أستعين بالمصادر الأسبانية الخاصة بعصر القنبيطور

مثال المدونة العامة الأولى لتاريخ أسبانيا (Primera Cronica general de España) والمدونة الخاصة بالسيد القنبيطور (Crónica Particular del cid) أستكمالاً للثغرات التى نلمسها فى الروايات العربية ، ورغبة فى استيفاء بعض التفاصيل التى وردت مبتسرة فى المصادر العربية .

أما الباب الثانى فقد خصصته لدراسة أهم المظاهر الحضارية بمدينة بلنسية وقسمته بدوره إلى أربعة فصول :

تناولت فى الفصل الأول تخطيط المدينة وأهم مظاهرها العمرانية ، ممهدا لذلك بعرض سريع لأبرز خصائص المدينة الاسلامية . وعلى الرغم من قلة ما زودتنا به المصادر العربية ، وغلبة الطابع الحديث على المدينة ، فقد قمت بدارسة تخطيطها فى العصر الاسلامى مشيرا إلى السور وأبوابه ، ثم أوضحت أهم الشوراع والميادين والأحياء والأرباض بالاضافة إلى الإشارة إلى عدد من المعالم الطبوغرافية مثل القنطرة والولجة ، واعتمدت فى هذه الدراسة على البحوث القيمة التى أصدرها العالم الاسبانى فى الآثار الاسلامية الأستاذ توريس بالباس (Torres Balbas) ثم خصصت قسما من دراستى فى هذا الفصل لدراسة المنشآت الدينية مركزاً على المسجد الجامع الذى يكتنفه الغموض ، فلم تزودنا المصادر العربية بشىء عن موقعة وتاريخ إنشائه أو أهم عناصره . كذلك ذكرت أسماء المساجد الأخرى بالمدنية مبينا أن بعض هذه المساجد أنشىء بعد عصر الطوائف أى فى الفترة التى لا تدخل ضمن نطاق البحث . وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن العمارة المدنية ، فبدأت الحديث بقصر الامارة ، وأهم القصور والدور ومدى الاهتمام بها خاصة فى عصر الطوائف ، كما ألمحت إلى القيسارية والأسواق والفنادق (الخانات) وأسهبت فى الحديث عن الحمامات وآثارها الباقية لاسيما الحمام الواقع بالقرب من الكتدرائية (La Catedral) ، ثم تعرضت للحديث عن مظاهر المدينة بما فى ذلك المقابر والمنيات (المتنزهات) .

وخصصت الفصل الثانى لدراسة الحياة الاجتماعية . وبدأت بعرض موجز لأهم عناصر السكان وطبقات المجتمع ببلنسية ، ثم أوضحت بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ،

مركزاً على الأسرة ومظاهر الاحتفالات بالأعياد ، وتألق بعض الفنون الاجتماعية كفن الغناء والطرب ، وإقبال الناس على عقد مجالس الأنس والشراب ، والولوع بالصيد والقنص ، والميل إلى البناء والتشييد .

وتناولت فى الفصل الثالث الحياة الاقتصادية ، فأوضحت شهرة بلنسية بالزراعة والعوامل التى ساعدت على ذلك ، وأهم الحاصلات الزراعية بكورة بلنسية . ثم تحدثت عن الصناعات وعوامل قيامها ببلنسية ، وأهم الفنون والصناعات القائمة بها مثل صناعة النسيج ، وصناعة التحف الخزفية ، وصناعة الورق ، وصناعة السفن وصناعة العطور ، واختتمت هذا الفصل بالحديث عن التجارة ، فعرضت للتجارة الداخلية وتميز إقليم بلنسية بكثرة الأسواق وبوجود القيسارية بها ، كما ألمحت إلى نظام الاشراف على الأسواق ، وأشرت بعد ذلك إلى أهم وسائل النقل التى استخدمت فى التجارة الداخلية ثم ألمحت إلى التجارة الخارجية مشيراً إلى أهم الصادرات والواردات ، واختتمت هذا الفصل بالاشارة إلى النظام المالى ، فألمحت إلى الأسعار ونظام السكة والموارد المالية وأهم المكاييل والموازين .

أما الفصل الرابع فقد أفردته لدارسة الحياة العلمية فى بلنسية . ومهدت لذلك بالاشارة إلى ظاهرة الاتصال العلمى بين بلنسية والمدن الاسلامية الأخرى سواء فى المغرب والأندلس أو المشرق الاسلامى . وتحدثت عن أهم مجالس العلم ، والأسرات التى اشتهرت بالعلم فى بلنسية ، واختتمت هذا الفصل بعرض سريع لمظاهر التقدم فى العلوم والآداب ، مع الاهتمام بذكر أهم الأسماء التى لمعت فى سماء العلوم ببلنسية .

وذيلت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال تلك الدراسة ، كما ذيلتها بملحق للتعريف بالسيد القنبيطور ، وبعض الخرائط والأشكال ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

ولا يسعنى بهذه المناسبة إلا أن أتقدم بعظيم شكرى وتقديرى لأستاذى الجليل الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، أستاذ التاريخ الاسلامى وحضارته بكلية الآداب جامعة الاسكندرية ، لما أولانى به من رعاية وتوجيه وتشجيع طوال مدة اشتغالى بجمع مادة البحث ، وما قدمه لى من عون عند زيارتى لمدريد وقت أن كان سيادته يعمل مستشاراً ثقافياً للمعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، فقد فتح لى باب مكتبة المعهد على مصراعيه لأطالع ما أشاء من مصادر البحث ومراجعه المتخصصة ، كما ذلل لى ما أعترضنى من صعاب أثناء إقامتى القصيرة بأسبانيا ، كذلك أتقدم بخالص الشكر لأستاذى الدكتور أحمد مختار العبادى ، الذى تولى الإشراف علىّ منذ أن قيدت موضوع الرسالة إلى أن تعاقد مع جامعة الكويت ، فجزاهما الله عنى وعن العلم خير الجزاء ، كذلك أشكر الأستاذ خوسيه رامون نافارو (J . Ramón Navarro) مدير المركز الثقافى الأسبانى بالأسكندرية ، الذى تعلمت على يديه اللغة الأسبانية ، وسهل لى الحصول على الكتب من مكتبة المركز الثقافى .

عرض
لأهم المصادر والمراجع

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر العربية والأسبانية والمراجع الحديثة المتخصصة ، وفيما يلي عرض سريع لها أو ما يمكن أن أسميه تعريفاً بأهم مصادر ومراجع البحث .

أولاً : كتب التراجم :

١ ـ ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن موسى) ت ٥٧٨/١١٨٣م ، كتاب « الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم » [(١)] .

وقد إعتمد مصنفه في تراجمه على مصادر أساسية ، منها الرواية المتواترة ، والسماع عن شيوخه الذين أخذ عنهم ، والمكاتبات التي كانت بينه وبين غيره من العلماء ، والنقل من المصادر التي سبقته أمثال كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) وجذوة المقتبس للحميدى (ت ٤٨٨ هـ) [(٢)] .

ولم يكن ابن بشكوال يكتفي بعرض الجانب العلم من شخصية المترجم له فحسب ، بل إنه كان في كثير من الأحيان يلمس الجوانب الخاصة ، زد على ذلك أنه ضمن تراجمه إشارات هامة تفيد الباحث في دراسة المظاهر العمرانية والطبوغرافية بوجه عام ، إذ نستدل من هذه الاشارات على مواضع تعين الباحث على إعادة تصور المدينة أو المركز العمراني المراد دراسته أو تحديد اسم الموضع وموقعه على وجه التقريب من خريطة البلدة التي ينتسب إليها صاحب الترجمة .

---

(١) ابن بشكوال ، الصلة ، (مجموعة تراثنا) نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
ويتألف كتاب الصلة من جزئين ، وواضح من اسمه أنه صلة أو تكملة لكتاب ابن الفرضي « تاريخ علماء الأندلس » . وقد ضمن ابن بشكوال كتابه هذا سير طائفة من الأئمة والمحدثين والفقهاء وأهل الأدب الأندلسيين . وسار في كتابه على نهج ابن الفرضي في طريقة تأليفه ، بمعنى أنه رتبه على حروف المعجم .
أنظر (مقدمة كتاب الصلة ، ص ١ ـ ٢ ، أحمد مختار العبادى ، في تاريخ المغرب والأندلس ، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٣٥٣) .

(٢) جنثالث بلنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

ومما لاشك فيه أن الصلة من المصادر الهامة التى اعتمدت عليها فى رسالتى خاصة فيما يتعلق بالحياة العلمية ، إذ أن صاحب الصلة ضمن مصنفه تراجم لعدد كبير من علماء بلنسية وأدبائها ، وأوضح لنا دورهم فى تنشيط الحركة العلمية والأدبية كما أورد إشارات مهمة تتعلق بعمران المدنية وأهم معالمها التاريخية كإشارته مثلاً لمسجد البلنسي ، الذى لم يرد ذكره في معظم المصادر الاسلامية .

٢ ـ ابن الأبار البلنسي (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى) ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠ م .

أ ـ كتاب « الحلة السيراء »(١)

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التراجم المتصلة إتصالاً وثيقاً بتاريخ بلنسية إذ يحوى تراجم لعدد من أمراء الطوائف الذين تولوا بلنسية أو لعبوا دوراً مهما فى تاريخها السياسى خلال عصر الطوائف . ولا يخفى أهمية الكتاب وقيمته التى يستمدها من كون مؤلفه بلنسيا على دراية تامة بأهل بلده وأحداثه ، كما أن المادة التى يوردها تتسم بالغزارة والدقة ، وخير مثال على ذلك ترجمته للوزير ابن عبد العزيز المعروف بابن رويش وابنه أبي بكر ، وكلاهما تقلد أمور بلنسية لسنوات طويلة ، كذلك المادة القيمة التى زودنا بها عن ثورة القاضى ابن جحاف ومأساته من خلال ترجمته للوزير الأديب المرسى الشهير ابن طاهر .

---

(١) ابن الأبار البلنسى ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، نشر الشركة العربية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

ويتألف الكتاب من جزئين ، وهو يعتبر أفضل ما كتبه ، وأعظم مصنفاته فائدة ، كما أنه من المصادر الأساسية التى لا يستغنى عنها من يؤرخ له ، أو يكتب فى أى جانب من جوانب الحضارة فى الأندلس . والكتاب كله تراجم فى غاية الأهمية لعدد كبير من الشخصيات التاريخية فى المغرب والأندلس من القرن الأول حتى منصف القرن السابع الهجرى ، تصحبها مادة تاريخية طيبة عن أعلام مشارقة من أهل القرن الأول كان لهم نصيب فى فتوح المغرب والأندلس . أنظر (مقدمة المحقق لكتاب الحلة السيراء ، ص ٥١ ـ ٥٣) .

ب ـ ولابن الأبار مصنف آخر لا يقل أهمية عن كتاب الحلة السيراء وأعني به « التكملة لكتاب الصلة [(١)] » ، ويتضمن تراجم لعلماء الأندلس ، حرص المؤلف على ذكر كل ما يتعلق بحياتهم وسيرتهم وذكر شيوخهم والمساجد التي يسمعون فيها كل في بلده ، والمقابر التي دفنوا فيها ، وكثيراً ما أورد ابن الأبار أسماء مواضع مهمة من بلنسية ، تعتبر معالم طبوغرافية أعانتني كثيراً على تحديد مواقعها إلى حد ما على خريطة بلنسية الاسلامية ، وأفادتني إلى حد كبير في تتبع الطبوغرافية التاريخية لهذه المدينة . ومما هو جدير بالذكر أن المؤلف بلنسي الأصل كما سبقت الاشارة ومن هنا نستطيع أن ندرك القيمة الكبرى لاشاراته الجغرافية والطبوغرافية بالنسبة للعمران البلنسي .

ثانياً : المصادر التاريخية :

١ ـ ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٦م ، كتاب « المقتبس في أخبار الأندلس » [(٢)] .

---

(١) يقع هذا الكتاب في جزئين ، وأول طبعة له نشرها المستشرق الأسباني كوديرا (Codera) سنة ١٨٨٧م ، وقد رجعت إلى طبعة الأستاذ السيد عزت الحسيني (القاهرة ١٩٥٦م) .

(٢) يتناول هذا الكتاب تاريخ الأندلس منذ الفتح العربي (٩١هـ/٧١١م) حتى أواخر القرن الرابع الهجري (أي قبيل عصر المؤلف) ولذا نجد أن ابن حيان قد اضطر إلى إقتباس مادته من مؤلفات من سبقه من المؤرخين ومنهم أحمد بن موسى الرازي وابنه عيسى ، ومنهم أيضا ابن وضاح وابن النظام وابن عبد البر وعريب بن سعد ويعتبر ابن حيان من أعظم مؤرخي أسبانيا الاسلامية في العصور الوسطى ، وتمتاز رواياته بالدقة والعمق والنظرة التحليلية الصائبة وهو في منهجه يبدأ بعرض للحوادث بتولي الأمير الحكم عرضا مفصلاً ثم يعقبه بأحكام عامة على شخصيته وسيرته وأخلاقه وقيمة عمله ، وبعد ذلك تأتي فصول طويلة يترجم فيها لرجال الدولة في عصر هذا الأمير من حجاب ووزراء وقواد وعلماء ، ويورد في سياق ذلك أخباراً وطرائف تخفف بعض الشيء من جفاف حوادث التاريخ ، وهذه الأخبار في حد ذاتها تزودنا بمادة قيمة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية للبلاد . ويختتم هذه المقدمات بقصص ونوادر مختلفة حول الحوادث الكبرى في عصر الأمير . وبعد هذه المقدمات يفصل الكلام عن الحوادث مرتبة على حسب السنين وفقا للمنهج الحولي المعروف . راجع (مقدمة د . محمود علي مكي لكتاب المقتبس ، قطعة خاصة بجزء من عصر عبد الرحمن الأوسط ومعظم عهد ابنه محمد نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٣م ، ص ٨٦ ـ ٨٧) .

وصلت إلينا من هذا الكتاب أربع قطع منفصلة : القطعة الأولى تؤرخ للسنوات الأخيرة من إمارة عبد الرحمن الأوسط ومعظم عهد الأمير محمدُ بن عبد الرحمن (حوالى من ٢٣٢هـ حتى ٢٦٧ هـ) وهي تحوى إشارات تتعلق ببعض عمال بلنسية من قبل الحكومة المركزية بقرطبة ، كما تعرضت بإيجاز إلى ثورة الأمير عبد الله البلنسي والقطعة الثانية [١] تتناول عصر الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ ـ ٣٠٠ هـ) وهى لا تتضمن أية حوادث جرت ببلنسية خلال تلك الفترة ، مع أنها تؤرخ لكثير من الثورات والفتن التي نشبت في مدن الأندلس الأخرى ، مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن بلنسية تمتعت بهدوء نسبي خلال هذا العهد . والقطعة الثالثة [٢] تتناول معظم عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ) وهى تحوى أسماء ولاة بلنسية فى عهده ، وإشارات قيمة للثورات والفتن التى نشبت خلال عصره والتى كان لبلنسية دور فيها . أما القطعة الرابعة [٣] فتؤرخ لبضع سنوات من عهد الخليفة الحكم المستنصر ، وقد أورد فيها ابن حيان معلومات موجزة عن بعض الشخصيات البلنسية التى حظيت بنفوذ كبير فى بلاط الخليفة ، كما ذكر اسم عامل بلنسية فى عهده .

٢ ـ مذكرات الأمير عبد الله الزيرى المسماه بكتاب التبيان :

تعتبر تلك المذكرات الشخصية للأمير عبد الله [٤] أقيم مجموعة وثائق شخصية

---

(١) قام بنشر هذه القطعة الراهب الأسبانى ملشور أنطونيا Melchor Antuña (باريس ١٩٣٧م) .

(٢) اكتشفت هذه القطعة حديثا فى خزانة القصر الملكى بالرباط ، ونشرها الباحث الأسبانى بدرو شالميتا Pedro Chalmeta (مدريد ١٩٧٩م) .

(٣) قام د. عبد الرحمن الحجى بنشر هذه القطعة ، بيروت ١٩٦٥م .

(٤) الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيرى الصنهاجي . هو الملك الثالث والأخير لامارة غرناطة التى أسسها فرع منحدر من أسرة بنى زيرى البربرية الصنهاجية ، وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ، وقد خلع هذا الأمير عن عرشه على يد المرابطين سنة ٤٨٣ هـ/١٠٨٠م ونفى إلى مدينة أغمات بالمغرب الأقصى حيث قام هناك لكتابة تلك المذكرات .

أنظر (مذكرات الأمير عبد الله الزيرى المسماه بكتاب التبيان ، تحقيق ليفى بروفنسال ، نشر دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ، مقدمة المحقق ، ص ٧ ـ ٩) .

وصلت إلينا فى العصر الاسلامى ، إذ تسلط الأضواء على فترة غامضة من تاريخ الأندلس فى عصر الطوائف بحقائقه كاملة دون تحوير أو تغيير ، يرويها ملك من ملوك الطوائف يقر فيها بمخازى عصره ، ويبرر تدخل المرابطين لخلع ملوك للطوائف . وعلى الرغم من الاستطرادات الطويلة المملة التى يحاول فيها المؤلف تبرير موقفه السياسى أمام الأخطار التى كانت تتهدد إمارته ، فإن كتاب التبيان يزود الباحث بتفاصيل دقيقة مفيدة لجميع الحوادث التى انتهت باستيلاء الفونسو السادس على طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م وما تبع ذلك من حوادث مثل تدخل المرابطين فى الأندلس فى السنة التالية . كما أن المذكرات تعتبر وثيقة نفسية من الطراز الأول ، تعين الباحث على أن يصدر حكماً واقعياً على حالة الانحلال الاجتماعى والسياسى التى أصابت كيان الأندلس قبل وقوع معركة الزلاقة وبعد ذلك بسنوات [١] .

ومما لاشك فيه أن مذكرات الأمير عبد الله تتضمن حقائق تاريخية على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لموضوع البحث ، ففيها إشارات مفيدة عن محاولة المقتدر بن هود صاحب سرقسطة الاستيلاء على بلنسية ، كما تعرضت المذكرات للاتفاق القائم بين الفونسو السادس والقادر بن ذى النون على مساعدة الأول للثانى للاستيلاء على بلنسية وبالإضافة إلى ذلك تشير بإيجاز شديد إلى محاولة السيد القنبيطور الاستيلاء على المدنية ، غير أن صاحب المذكرات لم يستوف هذا الموضوع لوفاته سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م .

٣ ـ تاريخ الأندلس لابن الكردبوس [٢] (أبو مروان عبد الملك) عاش فى أواخر القرن السادس الهجرى (١٢م) .

---

(١) مذكرات الأمير عبد الله ، مقدمة المحقق ، ص ٧ ـ ٩ .

(٢) يتناول ابن الكردبوس فى هذه القطعة تاريخ الأندلس ، وهى جزء من كتاب فى أخبار الخلفاء . وينقسم هذا الكتاب ـ الذى ما يزال مخطوطاً ـ إلى قسمين : الأول يتناول تاريخ الدولة العربية منذ عهد الرسولﷺ وينتهى بالكلام عن بنى أمية فى الأندلس ، وفيه يزودنا المؤلف بتاريخ مختصر للأندلس منذ الفتح الاسلامى حتى بداية عصر الموحدين . أما القسم الثانى من الكتاب فيتناول تاريخ الخلفاء العباسيين حتى بداية عصر الخليفة المسترشد العباسى (٥١٢ ـ ٥١٦ هـ) راجع (مقدمة المحقق : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان ، تحقيق د. أحمد مختار العبادى ، نشر معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٧١م) .

استقى ابن الكردبوس قسما كبيرا من معلوماته فى هذه القطعة حول السيد القنبيطور وحوادث بلنسية ـ وقتذاك ـ من كتاب « البيآن الواضح » لابن علقمة (ت سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م) وهو مؤرخ بلنسي عاصر الحوادث . وقد أمدنا ابن الكردبوس بمعلومات جديدة وافية لا تتوفر فى المصادر التاريخية الأخرى ، ومن هذه المعلومات القيمة عرضه لأخبار وقعة كنشرة أو قنسوجره (Consuegra) التى انتصرت فيها جيوش المرابطين على قوات الفونسو السادس سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م ، كما تعرض لذكر بعض المعارك الأخرى التى حدثت بين المرابطين والنصارى من أجل استرداد بلنسية من يد القنبيطور . ومن ناحية أخرى لا يخلو نص ابن الكردبوس من بعض الاشارات التى تتعلق بالطبوغرافية التاريخية لبلنسية مثل إشارته إلى تهدم برج القنطرة بها نتيجة السيول .

٤ ـ **ابن عذارى المراكشي** (أبو العباس أحمد) ،كان حيا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، كتاب « **البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب** » [1].

يقع هذا الكتاب فى عدة أجزء ، ولكننى إعتمدت اعتماداً خاصاً على الجزء الثالث ، وإن كنت قد رجعت كذلك إلى الجزء الثانى الذى يتضمن إشارات مهمة عن بعض الثورات التى قامت فى منطقة شرق الأندلس مثل ثورة ابن حبيب الفهرى المعروف بالصقلبي، وثورة الأمير عبد الله البلنسى . والواقع أن الجزء الثالث الذى نشره

---

(١) هذا الكتاب تاريخ عام للمغرب والأندلس منذ الفتح العربى حتى بداية عصر بنى مرين فى أوائل القرن السابع الهجرى ، ويقع كما ذكرنا ـ فى عدة أجزاء : الجزء الأول والثانى يتناولان تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ، نشرهما المستشرق دوزى سنة ١٨٥٠م ، ثم أعاد المستشرق ليفي بروفنسال نشرهما بالاشتراك مع كولان فى سنة ١٩٤٨م ، وأصدر جزءاً ثالثاً تضمن عصر الطوائف ، ثم نشر المستشرق الأسبانى أويثى ميراندا وإبراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت جزءاً رابعاً عن تاريخ الموحدين وبداية عصر بنى مرين . وأخيراً نشر ميراندا فى مجلة هسبرس (Hesperis) سنة ١٩٦١م قطعة من البيان المغرب تتعلق بتاريخ المرابطين ، أعاد نشرهما إحسان عباس (بيروت ١٩٦٧م) أنظر (العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٥٥ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، جـ ٢ ، نشر الدار القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٦م ، ص ١٠١) .

ليفي بروفنسال (سنة ١٩٣٠) هو تتمة للجزء الثانى ، لأنه يتعلق بدويلات الطوائف ، أورد فيه ابن عذارى مجموعة من الروايات عن هذه الدويلات ، وفى جملتها أخبار مفصلة عن أحوال بلنسية السياسية فى عصر الطوائف . أما القطعة التى نشرها د. إحسان عباس وتتعلق بتاريخ المرابطين فتحوى أخباراً على جانب كبير من الأهمية عن حوادث القنبيطور فى بلنسية ، معظمها منقول عن كتاب البيان الواضح لابن علقمة ، تعرض فيها المؤلف لبعض المعارك التى نشبت بين المرابطين والقنبيطور ، وهى ميزة إنفرد بها ابن عذارى دون غيره من مؤرخى المغرب والأندلس. ومن ناحية أخرى أورد المؤلف بعض المعلومات التى تسلط الضوء على الحياة الاجتماعية فى بلنسية أثناء حصار القنبيطور للمدينة ، كما ذكر أسعار بعض السلع آنذاك ، مما يفيدنا فى دراسة الحياة الاقتصادية للمدينة .

٥ ـ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٩٧٤م) كتاب « أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام » (١)

يهمنا من هذا المصدر القسم الثانى الذى يختص بتاريخ أسبانيا الاسلامية (٢)، ويتضمن معلومات وافية لها قيمتها فيما يتعلق بقيام دويلات الطوائف بالأندلس

---

(١) يتناول القسم الأول من هذا الكتاب تاريخ المشرق الاسلامى من السيرة النبوية حتى عصر المماليك ، وهو لا يزال مخطوطاً لم ينشر بعد ، أما القسم الثانى فهو عبارة عن تاريخ عام للأندلس منذ الفتح العربى حتى عصر المؤلف أى حتى القرن الثامن الهجرى ، وقد أضاف إليه ابن الخطيب مختصراً لتاريخ الممالك المسيحية الأسبانية مثل قشتالة وأرغون والبرتغال ، ولذا فهو أول تاريخ شامل لأسبانيا . وقد نشره المستشرق ليفى بروفنسال سنة ١٩٣٤م ثم أعيد طبعه فى بيروت سنة ١٩٥٦م ، والقسم الثالث يتناول تاريخ المغرب العربى حتى بداية عصر الموحدين ونشره د. أحمد مختار العبادى والاستاذ ابراهيم الكتانى سنة ١٩٦٤م . أنظر (سالم ، المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ . العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٦٨) .

(٢) ابن الخطيب ، تاريخ أسبانيا الاسلامية أو كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٦م .

والأحوال السياسية لبلنسية وقتذاك ، ويلاحظ في هذا الصدد أن ابن الخطيب هو المؤرخ الوحيد الذى تعرض لذكر المعركة التى نشبت بين مبارك الصقلبي صاحب بلنسية ومنذر التجيبي صاحب سرقسطة ، بالاضافة إلى إشارته عن ثورة القاضي ابن جحاف واستيلاء القنبيطور على المدينة وتصويره بإسهاب لمأساة ابن جحاف وإقدام القنبيطور على حرقه حيا .

وينقل ابن الخطيب في هذا المصنف عن ابن علقمه وغيره أخباراً تتعلق بالحياة الاجتماعية في بلنسية في عصر الطوائف ، مثل وصفه لحياة الترف الذى عمت به المدنية في بداية عصر الطوائف وحتى حصار القنبيطور للمدنية .

ثالثاً : المصادر الأدبية :

أ ـ كتب الأدب

١ ـ ابن خاقان (أبو نصر الفتح) ت ٥٣٥هـ /١١٤٠م ، كتاب « قلائد العقيان » [١].

يتضمن هذا الكتاب الأدبي تراجم لبعض ملوك الطوائف ووزرائهم وكتابهم وشعرائهم ومن بينهم بعض أدباء بلنسية في عصر الطوائف . وفي تراجمه لهذه الشخصيات إشارات مهمة لمواضع ومعالم طبوغرافية في بلنسية في الفترة موضوع الدراسة ، كإشارته إلى قصور معينة ورياض ومنيات أسماها بأسمائها ، وقد أورد في كثير من الأحيان أوصافاً لهذه المنيات ومجالس الأنس التى كانت تعقد داخل القصور أو في البساتين المحيطة بها . ومما يضفي على هذا الوصف قيمة أن ابن خاقان قام بزيارة بلنسية ، حيث التقى بابن طاهر أمير مرسيه المخلوع ، وأورد ترجمة مسهبة له وبعض

---

(١) قسم ابن خاقان كتابه إلى أربعة فصول أو أقسام : الأول في محاسن الرؤساء وأبنائهم ، والثاني في غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب البلغاء ، والثالث في لمع أعيان القضاة ولمح أعلام العلماء والسراة ، والرابع في بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء .
أنظر (بلنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨) .

نماذج من نشاطه الأدبى بمدنية بلنسية . والملاحظ أن المؤلف ينقل كثيراً عن ابن بسام ، غير أنه لم يشر إلى ذلك فى كتابه .

ولابن خاقان كتاب آخر هو « **مطمع الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس** »[1].

ويورد فيه تراجم لمشاهير الأندلس فى كل طبقة لم يذكرها فى قلائد العقيان ويتضمن الكتاب معلومات مهمة تتصل بالتاريخ السياسى والحضارى لبلنسية وذلك من خلال تراجمه لبعض الوزراء والأدباء البلنسيين ، مثل ترجمته الوزير البلنسى أبى عبد الله محمد بن عبد العزيز وابنه أبى بكر . كذلك ذكر المؤلف إشارات قيمة ، أفادتنى فى دراسة عمران مدينة بلنسية ، كإشارته إلى منية الوزير أبى بكر بن عبد العزيز الواقعة فى ظاهر المدينة .

٦ ـ ابن بسام (أبو الحسن علي) ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، كتاب « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة »[2].

ترجع أهمية هذا المصدر الأدبى إلى كون مؤلفه معاصراً للطوائف ، وإن نقل

---

(١) ابن خاقان ، مطمع الأنفس ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٥ هـ .

(٢) ينقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام : الأول لأهل حضرة قرطبة ووسط الأندلس والثانى لأهل غرب الأندلس واشبيلية ، والثالث لأهل شرق الأندلس ، والرابع أفرده لمن طرأ على الجزيرة فى المدة المؤرخة من أديب وشاعر وكاتب . ويحوى هذا الكتاب قدراً عظيماً من المعلومات المهمة عن تاريخ الحضارة الأندلسية . ونلحظ أن ابن بسام قد نقل من كتاب المتين ـ المفقود ـ لابن حيان حوادث الأندلس منذ الفتنة البربرية سنة ٣٩٩هـ/١١٠٨م حتى حوالى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، أى أنه يتناول تأريخ نحو أربع وستين سنة من حياة الأندلس المعاصرة لابن حيان ، وهى معظم العصر الذى يعرف بعصر الطوائف .

أنظر (مقدمة د. طه حسين لكتاب الذخيرة ، القسم الأول ـ المجلد الأول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٩ ، بلنثيا ، نفسه ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٦ . محمود مكى ، مقدمة كتاب المقتبس ، ص ٦٩ . لطفى عبد البديع ، الاسلام فى أسبانيا ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٧٦) .

أخبار بلنسية على وجه الخصوص عن ابن علقمه الذى كان معاينا الحوادث .

ويهمنا من هذا الكتاب « القسم الثالث »[1] الذى يتعلق ببلنسية وشرق الأندلس ، وكان مخطوطاً إلى وقت قريب . ويحتوى على معلومات قيمة وإن كانت موجزة عن أحوال بلنسية السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى عصر ملوك الطوائف . وقد تعرض ابن بسام بالتفصيل لثورة القاضى ابن جحاف ووقوع بلنسية تحت سيطرة السيد القنبيطور . كذلك ترجم لعدد من شعراء وأدباء بلنسية فى عصر الطوائف ، وذكر نماذج من أشعارهم ، وقد اعتمدت على هذه التراجم عند تأريخى للحركة العلمية والأدبية بالمدينة .

٣ ـ ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى) ت ٦٨٥هـ /١٢٨٦م، كتاب « المغرب فى حلى المغرب » .

يبدأ ابن سعيد[2] كتابه بالحديث عن الأندلس وخصائصها وفضائلها ، ثم ينتقل إلى ذكر كور الأندلس ويتحدث عنها كورة بعد كورة . وقد سمى هذا القسم

---

(١) ابن بسام الشنترينى ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث المخطوط ، نسخة مصورة بمكتبة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد تحت رقم ٦٢ ، عن نسخة جاينجوس بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد . وتجدر الاشارة هنا إلى أنه قد نشر د. إحسان عباس كتاب الذخيرة كله فى بيروت .

(٢) ينتمى ابن سعيد إلى أسرة من المؤرخين هى أسرة بنى سعيد أصحاب قلعة يحصب (من أعمال غرناطة) فى القرنين السادس والسابع الهجرى . وقد تضافر أفراد هذه الأسرة على كتابة تاريخ شامل للأندلس فى مدة استغرقت مائة وخمسة عشر عاماً . وكان أبو الحسن على بن موسى بن سعيد آخر أفراد هذه الأسرة ، الذى أكمل هذا الكتاب وأخرجه فى صورته النهائية ، وللأسف ضاع معظم هذا الكتاب ، ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة فى الأندلس من العصر الأموى حتى نهاية عصر الموحدين ، ونشره د. شوقى ضيف فى جزئين (طبعة دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥م) .

أنظر (عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٣٥ ـ ٣٥٦) .

كله الخاص بالأندلس » وشى الطرس فى حلى جزيرة الأندلس » ثم رجع وقسم الأندلس إلى غرب وموسطة وشرق وأفرد لكل قسم كتابا .

ويهمنا من كتاب ابن سعيد الجزء الثانى الذى يتناول منطقة شرق الأندلس ، وفيه يخصص المؤلف فصلا عن بلنسية أطلق عليه عنوان « كتاب الروضة النرجسية فى حلبى المملكة البلنسية » . ويبدأ فيه بذكر جغرافية المدينة وأوصاف الشعراء لها ، ثم يشير بإيجاز إلى حكامها وأهم الوزراء والكتاب والعلماء والأعيان فيها . ويذكر بعد ذلك الشعراء والأدباء وأهم انتاجهم الأدبى ، كما يورد أخباراً تتعلق بالأحوال الاقتصادية ، كإشارته لابن سابق صاحب أحكام السوق ببلنسية .

وخلاصة القول أن الكتاب يتضمن معلومات قيمة عن جوانب متعددة تاريخية وجغرافية وأدبية ، وهو ينقل ــ غالبا عن الحجارى صاحب كتاب « المسهب فى غرائب المغرب » كما يعتمد على ابن حيان خاصة فيما يتعلق بالمعلومات التاريخية ، كما ينقل عن ابن الفرضى وابن بسام وابن خاقان وغيرهم ، عند ترجمته للعلماء والأدباء بكور الأندلس المختلفة [(١)] .

٤ ــ المقرى (أبو العباس أحمد) ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م ، كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » [(٢)].

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن صاحبه أورد فيه مقتطفات مهمة فى تاريخ الأندلس من مصادر ضاعت ولم تصل إلينا ، غير أنه يؤخذ عليه أنه غير منظم فى سرد

---

(١) أنظر : ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف جـ ١ ، نشر دار المعارف بمصر ١٩٥٥م ، مقدمة المحقق ، ص ٧ ــ ٩ .

(٢) طبع هذا الكتاب عدة مرات ، منها طبعة الشيخ محى الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٤٩ م) فى عشرة أجزاء وهى التى رجعت إليها . ويتناول المقرى فى كتابه تاريخ ابن الخطيب وحياته وإنتاجه العلمى والأدبى ، ومهد له بتاريخ علم للأندلس ، وعلى هذا فالكتاب عبارة عن موسوعة كبيرة عن الأندلس ، نصفها الأول يتضمن التعريف بالأندلس ، والنصف الثانى التعريف بابن الخطيب .
أنظر (المقرى ، نفح الطيب ، طبعة الشيخ محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩م ، مقدمة المحقق ، جـ ١ ، ص ١٢ ــ ١٣ ، بلنثيا ، نفسه ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣) .

معلوماته، ويكثر فيه التكرار وذكر الشيء الواحد في مواضع متعددة ، كما يكثر فيه الاستطراد والخروج عن الموضوع الذى عقد الكلام أول الأمر له لأدنى مناسبة [1].

ومهما يكن من أمر فإن الكتاب يعتبر مصدراً أساسياً لجميع الباحثين فى تاريخ المغرب والأندلس ، فهو موسوعة شاملة لحضارة الأندلس ، إذ يتضمن معلومات جغرافية وتاريخية مهمة ، وقد اعتمد عليه فى كثير من مواضع الرسالة لاسيما نقوله عن ابن سعيد فيما يتعلق بجغرافية بلنسية وما أورده من الأشعار فى وصفها ، وأهم أعمال كورتها وتقسماتها الادارية ، بالاضافة إلى التفاصيل التى أوردها عن الوقائع والحوادث التاريخية التى تتعلق ببلنسية فى عصر الطوائف مثل وقعة بطرنة ، واستيلاء القنبيطور على المدينة ومأساة ابن جحاف ، هذا إلى جانب ترجمته لبعض علماء وأدباء المدينة ، وإشاراته المتعددة لنواحى العمران والجوانب الاقتصادية والاجتماعية فى بلنسية الاسلامية .

ب ـ دواوين الشعر

الشعر مصدر له أهمية لدراسة مظاهر الحضارة الانسانية ، لأنه مرآة للحياة الاجتماعية والسياسية للعصر موضوع الدراسة ، وهو صورة صادقة للمجتمع المراد البحث فيه . فالشعر من المصادر التى قد تعين الباحث فى التاريخ على تصور ما كانت عليه الآثار المختلفة من قصور ومنتزهات ومنيات [2]. وفيما يتعلق بموضوع البحث الذى نحن بصدده هناك ديوانان إعتمدت عليهما فى مواضع كثيرة :

١ ـ ديوان ابن دراج القسطلى [3] (أبو عمر أحمد) ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م .

زار ابن دراج بلنسية فى جملة الحواضر الأندلسية التى تنقل بينها وامتدح حكامها ، وشعره يعبر تعبيراً صادقاً عن أحوال الأندلس فى عهد الدولة العامرية وبداية عصر دويلات الطوائف .

---

(١) نفح الطيب ، جـ ١ ، مقدمة المحقق ، ص ١٢ ـ ١٣ .

(٢) سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٢٣٦ .

(٣) ديوان ابن دراج القسطلى ، تحقيق د. محمود على مكى ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٨٩ هـ .

وكان ابن دراج قد بدأ بزيارة المرية ، ومدح صاحبها خيران العامرى ، ثم غادرها إلى بلنسية حيث كان يحكمها مبارك ومظفر وهما من الصقالبة الخصيان ، فمدحهما بقصيدة رائعة ، ولعله أمل لديهما ما كان المتنبى قد أمله فى كافور الاخشيدى حين قصده بعد مفارقته سيف الدولة الحمدانى [1].

٢ ـ ديوان ابن خفاجه [2] (ت ٥٣٣ هـ/١١٣٨م) .

تعرضت للحديث عن ابن خفاجه البلنسى فى الفصل الثالث الذى أفردته لدراسة الحياة العلمية ، ويهمنا من شعره وصفه لطبيعة مدينته الساحرة وإشاراته إلى أحوالها السياسية فى عصر الطوائف ، وتصويره لمأساة بلدة بلنسية على يد الطاغية القنبيطور ، وقيام المرابطين باستردادها سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م .

رابعاً : كتب الجغرافية

١ ـ العذرى (أحمد بن عمر أنسى المعروف بالدلائى) ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

كتاب « **توضيح الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك** » [3].

يعتبر هذا الكتاب مصدراً جغرافياً وتاريخيا فى آن واحد كالشأن فى كتب

---

(١) أنظر ديوان ابن دراج ، مقدمة المحقق ، ص ٧٠ .

(٢) ديوان ابن خفاجه ، تحقيق د. السيد مصطفى غازى ، طبعة الاسكندرية ١٩٦٠م .

(٣) هذا الكتاب لم يصلنا كاملاً ، وقد قام د. عبد العزيز الأهوانى بنشر وتحقيق بعض النصوص منه تتعلق بالأندلس . وهذا الجزء الذى وصل إلينا لا يتجاوز عشر الكتاب ، ومع ذلك فليس من شك أنه خير الأجزاء وأكثرها نفعا ، لأنه يدور كله حول الأندلس ، وهو وطن المؤلف . وهذه النصوص تضيف إلى ما نعلمه عن الأندلس قدرا صالحاً ، وتسد بعض الثغرات فى جغرافية الأندلس وتاريخها . ويبدأ العذرى كتابه بالكلام عن مكان الكورة وموقعها ، ويذكر المسافة من قاعدة الكورة السابقة إلى قاعدة الكورة التى يتحدث عنها ، ثم يلى ذلك الكلام على مركز الكورة أو حاضرتها والمدن التابعة لها . راجع (العذرى ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، مقدمة المحقق ، ص أ ، حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون من البداية إلى الحجارى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد ٧ ـ ٨ سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١) .

الجغرافية الأندلسية كالروض المعطار للحميرى ونزهة المشتاق للادريسى وجغرافية الأندلس للرازى ، فإلى جانب التفاصيل الجغرافية يورد لنا العذرى أخباراً مفصلة عن المدن التى يتعرض لدراستها يعتمد فيها على تاريخ أحمد الرازى وابنه عيسى [1] . ويقسم العذرى كتابه إلى ما يشبه الفصول كل فصل يدور حول كورة من كور الأندلس [2] .

ويبدو من حديث العذرى عن بلنسية أنه عاينها وعرف مواضعها وأحياءها بالفعل ، فوصفه لها وصف رجل يعرفها كل المعرفة ، ومعلوماته التى أوردها عن بلنسية لها قيمتها لدراستنا عن تاريخها ، ففيها تفاصيل عن جغرافية المدينة وتخطيطها وعمرانها ، كما يتضمن أخباراً مهمة عن تاريخها السياسى . فبينما يصف العذرى جغرافية بلنسية بإيجاز شديد ، نجده يتعرض لذكر سورها وأبوابها بشىء من التفصيل ، وهو يكاد يكون الجغرافى الأندلسى الوحيد الذى يزودنا ببيانات هامة عن أبواب المدينة هذا إلى جانب تلميحاته القيمة عن بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فى بلنسية فى عصر الطوائف . ولا يغفل العذرى من ذلك كله الجانب الادارى لكورة بلنسية . فقد أمدنا بمادة كافية عن قاعدة الكورة وأهم أعمالها من المدن والأقاليم والقرى والحصون .

٢ ـ ابن غالب الأندلسى (محمد بن أيوب) عاش فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) كتاب « فرحة الأنفس »

قام الدكتور لطفى عبد البديع بنشر قطعة من هذا الكتاب ، وهى رغم إيجازها تصور كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة . وتكمن قيمة النص فى أنه يعين على تصور التوزيع الادارى للأقاليم وما يضمنه كل إقليم ، كما أنه يأتى ضوءاً جديداً على جغرافية أسبانيا الاسلامية ، وتقسيمها الادارى إلى كور ، يذكر فى كل منها ما تضمه من مدن وحصون وقرى ، وما تتميز به من خصائص ، والمسافة بينها ، وما إشتهرت به المدن من صناعة وزراعة . ونلحظ أن ابن غالب قد نقل عن الرازى ما ورد فى

---

(١) العذرى ، نفسه ، مقدمة المحقق ، ص ع .

(٢) مؤنس ، نفسه ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

تاريخه من وصف أسبانيا الاسلامية ، والذى ضاع أصله العربى [1] .

وقد تعرض ابن غالب فى كتابه لذكر كورة بلنسية ، فأشار إلى موقعها الجغرافى وأهمية ما تضمه من مدن ، وبعض ما تشتهر به من محاصيل زراعية .

٣ ـ الادريسى (أبو عبد الله محمد بن إدريس المعروف بالشريف الادريسى) ت ٥٤٨هـ/١١٥٤م ، كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » [2]

لا يختلف اثنان فى أن الادريسى أعظم جغرافى أنجبته الأندلس ، وأن مصنفه المذكور أجل دراسة قدمها جغرافى جوّال عن جغرافية الأندلس الوصفية والطبيعية والاقتصادية والسياسية فى آن واحد . ومادة دراسته من العمق وتصويره للمدن التى يقدم على وصفها من الدقة إلى حد أنه يمكن مقارنته بكبار الجغرافيين المعاصرين ، ولهذا فلا غنى لباحث فى تاريخ الحضارة الاسلامية فى الأندلس عن الاعتماد عليه .

وقد تعرض الادريسى فى هذا القسم المنشور من نزهة المشتاق إلى ذكر بلنسية فأشار إلى طبوغرافية المدينة وأهم غلاتها ومعادنها ، ومادته فى هذا المجال فريدة فى نوعها وتتسم بالجدة لأنه استقاها من مشاهداته ورحلاته وأسفاره ومن مصادر أخرى مما يضفى عليها قيمة كبرى [3] .

٤ ـ الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت ٨٦٦ هـ/ ١٤٦١ م ، « صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار » .

نشر المستشرق ليفى بروفنسال (Levi - Provencal) القسم الخاص

(١) ابن غالب الأندلسى ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، نشر د. لطفى عبد البديع مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥م ، ص ٢٧٧ ـ ٢٨٠ .

(٢) الشريف الادريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، نشر دوزى ودى غويه ، طبعة ليدن ١٨٩٤م .

(٣) بلنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٣١٢ ـ ٣١٤ ، سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٢٠٦ .

بالأندلس بعنوان « صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار » ومادة هذا القسم الأندلسى مرتبة ترتيباً أبجدياً ، وهو لذلك يعتبر من أهم المعاجم الجغرافية التى وصلتنا ، رغم أن معظم مادته منقول عن جغرافيين متقدمين (الادريسى والبكرى) يغفل ذكر اسميهما وهو عيب من أبرز العيوب التى تؤخذ عليه [1] .

وقد انتهج الحميرى فى مادته عن المدن منهجا يجمع بين الدراستين الجغرافية والتاريخية ، فبينما يهتم بوصف المدينة ويذكر موقعها وأهم ما تتميز به من معالم طبوغرافية نجده مهتماً بالأخبار والوقائع المتصلة بها ، ولا يغفل فى كثير من الأحيان الحوادث البارزة التى اقترنت بها ، وإن كانت كتابته مجرد نقول من كتابات غيره من الجغرافيين والمؤرخين [2] . ويعتمد الحميرى فى كتابته ـ غالبا ـ على الايجاز كما يبعد عن الاستطراد ، فحديثه عن جغرافية بلنسية مقتضب مبتسر ولكنه مرصع بالوقائع والأخبار التاريخية المتعلقة بها ، ولا تخلو مادته عن بلنسية من إشارات إقتصادية وعمرانية لها قيمتها بالنسبة لموضوع البحث .

أهم المصادر المسيحية

١ ـ المدونة العامة الأولى لتاريخ أسبانيا [3] .

Primera Crónica General de España

تنسب تلك المدونة هو الملك الفونسو العاشر (العالم) ملك قشتالة ، صنفها فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) .

(١) مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون (معاصرو الادريسى) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مجلد ١١ ـ ١٢ سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٣ ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(٢) أنظر : مقدمة الحميرى لكتابه صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار ، نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ، سالم ، نفسه ، ص ١٩٧ .

(٣) Alfonso El sabio, Primera Crónica general de España, Publicade Por : Menédez Pibal, Madrid, 1955 .

وتعتبر تلك المدونة من أهم المصادر المسيحية الاسبانية [1] التي اعتمدت عليها في دارستي عن بعض الوقائع السياسية والحربية ، إذ أنها تتضمن ما يقرب من تسعة وأربعين فصلاً خصصت لوقائع السيد القنبيطور في بلنسية . وقد أثبت المستشرق دوزى (Dozy) أن معظم الفصول التى تتحدث عن القنبيطور وأعماله في بلنسية وإقليمها إنما هي ترجمة للكتاب المفقود الموسوم « البيان الواضح عن الملم الفادح » الذى ألفه ابن علقمه [2] مؤرخ بلنسية المسلم ولم تصل إلينا منه سوى شذرات قليلة واردة في كتب متأخرة بعض الشيء كالذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي كذلك عثر المستشرق بروفنسال (Provencal)على قطعة من « البيان المغرب » أورد مؤلفها فقرات كاملة منقولة من كتاب ابن علقمة سالف الذكر ، وقد قابلها بروفنسال بترجمتها الاسبانية في المدونة العامة الأولى وانتهى إلى إثبات صحة نظرية دوزى التي أقرها أيضا الباحث الأسباني الشهير منندث بيدال (Menéndez Pidal) [3]، غير أن الدكتور مؤنس يرى أن بعض الفصول الواردة في المدونة الأولى لا يمكن أن تصدر من مؤرخ مسلم مبغض للسيد حامل عليه كما هو حال ابن علقمة ، وإنما تطريه وتعجب به ، وهو أمر لا يتفق وقوعه إلا لشخص مصادق للسيد أو مرافق له ، كما أن هناك فقرات أخرى تتحدث عن دخائل السيد وتفاصيل إدارته وأوصاف معسكره على

---

(١) راجع البحث القيم للدكتور العبادى حول المدونة العامة الأولى في :

Islamic and Arab contribution to the European renaissance, general Egyptian book organization, cairo, 1977, PP. 287 - 289 .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الخلف بن إسماعيل الصدفي (ت سنة ٥٠٩ هـ/١١١٥م) . عن ابن علقمة أنظر : (محمد بن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، بقية السفر الرابع ، تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٢٧ ترجمة رقم ٣٨٩. حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، جـ ١ ، الطبعة الأولى ، ١٣١٠هـ ، ص ٢٢٢ .

(٣) حسين مؤنس ، عود إلى المراجع العربية لتاريخ السيد ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثاني ، العدد ١ جـ ٢ ، ١٩٥٤ م ، ص ٣٠٧ ، ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٠٣ ــ ٢١٥) .

نحو لا يمكن أن يتأتى لابن علقمة ، وهذه الفصول تتسم بغلبة الطابع العربى مما يؤكد أن مصدرها عربى ، الأمر الذى يحمل على الظن بأن هناك كتابا عربياً آخر عن السيد استوعبه مؤلفو المدونة ، فالملاحظ أن مصنفى المدونة يذكرون أنهم يروون عن مؤرخ عربى يكتبون اسمه مصحفا فى صور مختلفة مثل ابن الفنخ وابن الفخ وابن تاشى وما إلى ذلك وأن كنا نرجح أن يكون المقصود به هو ابن الفرج ، استناداً إلى أن بعض الباحثين الأسبان القدامى قد أشاروا إلى أن رجلا من رجال السيد يسمى بابن الفرج كتب تاريخا للسيد بعد وفاته [1] .

وهكذا يرجع الفضل فيما وصل إلينا من كتابات ابن علقمة إلى المدونة العامة الأولى التى احتفظت لنا منه بمقتطفات كثيرة ، لها أهمية عظمى لاسيما وأن ابن علقمة كان معاصراً لوقائع بلنسية شاهدا لحوادثها ، وعانى من حصار القنبيطور لمدينته ، ولذا نجده يصور بدقة وإسهاب أحوال بلنسية السياسية والاجتماعية والاقتصادية خلال فترة حصار القنبيطور لها ، ولهذا السبب فإن كتاباته رغم وصوله إلينا مترجمة فى المدونة الأولى تعتبر أهم المصادر المعاصرة للسيد القنبيطور إذ أنها أرخت لأحوال المدينة فى أواخر عصر الطوائف ، وبالتحديد منذ ثورة القاضى ابن جحاف سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م حتى استرداد المرابطين بلنسية فى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م .

وعلى أية حال فقد استفدت كثيراً من المدونة العامة الأولى خاصة فى الفصل الثالث من البحث الذى يعالج وقائع السيد فى بلنسية وخضوع القادر بن ذى النون صاحب بلنسية للسيد وقيام القاضى ابن جحاف بثورته فى المدينة ومقتل القادر وموقف السيد من ذلك . كما أفاضت المدونة فى ذكر أحوال المدينة خلال حصار السيد لها ومدى معاناة أهل بلنسية نتيجة لذلك ، وألحت المدونة إلى نصوص الاتفاقيات التى عقدت بين السيد وابن جحاف ، وهى اتفاقات لم تشر إليها المصادر العربية ، ومن ناحية أخرى تحدثت المدونة بالتفصيل عن المعارك التى قامت بين القنبيطور والمرابطين ، والتى أغفلت المصادر الاسلامية بعضها . وعلى هذا فإن المدونة قد ساعدتنى كثيراً على

(١) أنظر ، عود إلى المراجع العربية لتاريخ السيد ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩ ، الطاهر مكى ، ملحمة السيد ، الطبعة الأولى ، نشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠م ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

إبراز وجهتى النظر المسيحية والاسلامية معا بخصوص حوادث السيد فى بلنسية ، وأوردت لنا معلومات تفصيلية قيمة لا يمكن لأى باحث فى تلك الفترة أن يتجاهلها .

٢ ـ المدونة الخاصة بالسيد [1] المعروفة فى الأسبانية باسم

(Crónica Particular del Cid)

تعتبر تلك المدونة من المصادر الأسبانية الأساسية لأى باحث يتناول بالدراسة عصر السيد القنبيطور ووقائعه ببلنسية ، فهى تتعرض بإسهاب لحياة السيد وبداية نبوغه الحربى منذ أن إلتحق بخدمة بنى هود أصحاب سرقسطة بعد أن خرج من قشتالة منفياً ، وظهوره على مسرح الحوادث بمنطقة شرق الأندلس حتى وفاته سنة ١٠٩٩م (٤٩٢هـ) .

ويهمنا من المدونة ما أوردته عن توسيع نفوذ السيد ببلنسية والمناطق المجاورة لها ، وتحالفه مع صاحبها القادر ، وفشل محاولة الكونت برنجير صاحب برشلونة فى الاستيلاء عليها ثم محاولة الفونسو السادس الاستيلاء على بلنسية وإخفاقه فى ذلك . كما تسلط المدونة الضوء على ثورة القاضى ابن جحاف ، وتشير إلى مصرع القادر وموقف القنبيطور من ذلك ، وحصاره للمدينة ، والاتفاقيات التى عقدت بينه وبين القاضى وانتهت بتسليم المدينة له ، والمعارك التى نشبت بين السيد والمرابطين ، وفيها مبالغات لا تخلو من تعصب واضح للقنبيطور.

ويؤخذ على تلك المدونة أنها تخلط كثيراً بين الأسماء ، وتخطىء أيضا فى تأريخ المعارك بين المرابطين والقنبيطور ، كما أنها تصور تلك المعارك بشكل قصصى أقرب إلى الأسطورة الشعبية منه إلى الحقيقة التاريخية .

---

(١) تجدر الاشارة هنا إلى أننى رجعت للترجمة الانجليزية لتلك المدونة وهى بعنوان Chronicle of The cid From the Spanish by Robert Southey, London, 1883 . ونلحظ أن تلك المدونة نقلت قطعا كثيرة من المدونة العامة الأولى ، فقد قام راهب القديس بدور فى كاردينيا بنقل تلك القطع وأدخلها مدونته التى نشرها خوان فيلو رادو وجعلها ضمن كتابه المسمى Crónical) (del Cid (أو ما يسمى الآن باسم المدونة الخاصة بالسيد (Crónica Particular del Cid) أنظر (قائمة المصادر التى أوردها د. حسين مؤنس فى نهاية مقالته : السيد القنبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، العددالأول ، المجلد الثالث ، القاهرة مايو ١٩٥٠) .

المراجع الأجنبية والعربية

١ ـ « تاريخ بلنسية الإسلامية وإقليمها » [١] للباحث الأسبانى إويثى ميرندا :

أعظم ما كتب حديثا عن بلنسية الاسلامية ، وأبرز المراجع الحديثة المتخصصة على الاطلاق لتفرده بالبحث عن هذه المدينة موضوع الرسالة .

ويهمنا من الكتاب الجزء الأول والثانى ، وقد اعتمدت عليهما اعتماداً خاصا لاسيما أن هذا الكتاب يتميز بالاسباب والتفصيل لدرجة أنه قام بدراسة الأحوال السياسية لبعض المدن الأخرى التابعة لبلنسية أو التى تدخل ضمن إقليمها مثل شاطبة ودانية .

ويتصف المؤلف بالتزام الحيدة التامة والانصاف ، ويتمثل ذلك فى موقفه من خلال بحثه لموضوع القاضى ابن جحاف وحرقه على يد القنبيطور ، فهو هنا يظهر محايداً أو منصفاً لابن جحاف على عكس المؤرخ الأسبانى مننديث بيدال (M. Pidal) الذى يتعصب كثيراً للقنبيطور ويتحيز له ، مما يقلل من أهمية كتابه [٢] .

ونلاحظ أن إويثى ميرندا يهتم أساساً بدراسة الأحوال السياسية للمدينة ويهمل إلى حد ما دراسة الجوانب العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، ومن ناحية أخرى يقع الباحث فى بعض الأخطاء التاريخية خاصة فيما يتصل بأسماء بعض الأمراء

---

(١) A. Huici Miranda, Historia musulmana de Valencia Y su region .
ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء : الأول خصصه المؤلف لتاريخ بلنسية الاسلامية منذ الفتح حتى عبور المرابطين إلى الأندلس وانتصارهم على الفونسو السادس فى موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م . والجزء الثانى يتناول ظهور السيد على مسرح الحوادث بشرق الأندلس وسيطرته على بلنسية إلى أن استردها المرابطين سن ٤٩٥هـ/١١٠٢م أما الجزء الثالث والأخير فيتعلق بدراسة أحوال بلنسية فى عصر المرابطين والموحدين حتى سقطوا النهائى فى يد خايمى الأول ملك أرغون سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م .

(٢) R. Menédez Pidal, La España del Cid . (Madrid, 1947) .

وأنسابهم ، وقد أشرت إلى ذلك فى حينه بالحواشى .

ومما يزيد من أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه على المام باللغة العربية ، ولذا تمكن من مقابلة النصوص الاسلامية بالروايات المسيحية ، مما سهل عليه التوصل إلى الحقائق التاريخية ، كما أمدنا ببعض نصوص المدونات الأسبانية التى صعب على الحصول عليها .

٢ ـ « بلنسية العربية » (١) للباحث أندريه إيبارس :

بحث له أهمية فى تاريخ بلنسية فى العصر الاسلامى اعتمد فيه صاحبه كلية على المصادر المسيحية بينما أغفل تماما المصادر العربية التى تعتبر أساسية لموضوع مثل بلنسية فى العصر الاسلامى ، كما أن الفترة التى كتب فيها هذا المؤلف بحثه لم تتح له فرصة الاطلاع على ما صدر أخيراً من مطبوعات عن تاريخ الأندلس تتضمن حقائق جديدة حول تاريخ بلنسية كالقسم الثالث من كتاب الذخيرة لابن بسام ، الذى يدور معظمه حول تاريخ بلنسية فى عصر الطوائف .

وعلى هذا يمكن القول بأن ما كتبه إيبارس عن بلنسية الإسلامية إعتمد فيه على وجهة النظر المسيحية فقط ، ويعتبر مشوها ومضطرباً وناقصا إلى حد كبير ، كما يعيبه التعصب وعدم الانصاف . رغم هذا كله فقد اعتمدت عليه خاصة فيما يتعلق بذكر الآراء التى قيلت فى فتح بلنسية ، والاشارات التى أوردها نقلا عن مصادر أو مراجع أسبانية لم يذكرها بالحواشى حول حكام بلنسية فى عصر الولاة ، وبعض الحوادث السياسية التى شاركوا فيها .

٣ ـ الاسلام فى المغرب والأندلس (٢) للمستشرق ليفى بروفنسال :

يحوى هذا الكتاب عدة بحوث هامة وقيمة فى تاريخ المغرب والأندلس . منها بحث حول السيد القنبيطور فى التاريخ ، رسم فيه المستشرق بروفنسال صورة واضحة للسيد توخى فيها الدقة والانصاف والبعد عن المبالغة ، وذلك بما تهيأ له من وثائق

---

(١) A . Piles Ibárs, Valencia Arabe .

(٢) ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالك والأستاذ محمد صالح الدين حلمى .

ومخطوطات كانت مجهولة من قبل ، فتمكن بفضلها من إكمال المراجع الأصلية التى تؤرخ للسيد القنبيطور .

من ناحية أخرى هناك إشارات فى هذا الكتاب أفادتنى فى دراسة طبوغرافية بلنسية ، خاصة فى بحث المؤلف حول أسماء الأبواب فى بعض مدن المغرب والأندلس ومنها باب الشريعة فى بلنسية .

٤ ـ « دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى »[(١)] للأستاذ محمد عبد الله عنان .

يكاد يكون المرجع العربى الوحيد الذى تناول أحوال الأندلس السياسية فى عصر دويلات الطوائف . والمؤلف قام بدراسة عن تاريخ دويلات الطوائف كل على حدة ، منذ قيامها حتى عبور المرابطين إلى الأندلس ثم سقوطها فى أيديهم . ولعل تلك الطريقة فى معالجة الموضوع قد تسبب فى وقوع تكرار فى مواضع عديدة ، كما يعيبه أنه أحيانا لا يذكر المصادر العربية التى اعتمد عليها ، ويشير بدلا منها إلى المراجع الأسبانية التى تنقل أساساً عن المصادر العربية ، ورغم هذا فإننا لا ننكر أهمية هذا الكتاب وغزارة مادته ، خاصة وأن المؤلف طاف بسائر قواعد ودويلات الطوائف ومدنها ورجع إلى العديد من المصادر العربية والمسيحية ، مما سهل له الكتابة فى هذا الموضوع .

وقد خصص المؤلف أحد فصول الكتاب للحديث عن أحوال إمارة بلنسية فى عصر الطوائف ، فأشار إلى قيام إمارة مستقلة بها بعد إنهيار الخلافة الأموية ، ثم تتبع أهم الحوادث السياسية التى وقعت بها منذ سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م حتى سقوطها فى أيدى المرابطين سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م .

٥ ـ « قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس »[(١)] للدكتور السيد عبد العزيز سالم :

يعتبر هذا الكتاب من المراجع الأساسية فى تاريخ أسبانيا الاسلامية عامة وتاريخ عصر الخلافة الأموية بصفة خاصة ، ولا يمكن لأى باحث فى هذا المجال أن يستغنى

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف (القاهرة ١٩٦٠م) .

عنه بأى حال. وهو يحوى معلومات قيمة تتصل بالحياة السياسية والحضارية لمدينة قرطبة ، كما يلقى الضوء على بعض المظاهر الحضارية فى المدن الأندلسية الأخرى كدراسته التفصيلية لمراكز الغناء والموسيقى فى الأندلس .

ومما يضفى أهمية على هذا الكتاب أن مؤلفه حرص على الرجوع إلى العديد من المصادر سواء أكانت عربية أو مسيحية إسبانية ، هذا إلى جانب اعتماده على كثير من البحوث المتخصصة لعلماء إسبان وفرنسيين ، وما يزيد أيضا فى قيمة هذا المرجع أن مؤلفه أقام بإسبانيا سنوات عديدة مكنته من زيارة معظم المدن ، فدراسته عن قرطبة حصيلة سنوات من البحث المحلى والخبرة الطويلة والمعرفة الدقيقة بحاضرة الخلافة تاريخياً وعمرانياً وأثرياً ، وهى دراسات برز فيها وتخصص لها .

وقد أفدت كثيراً من هذا الكتاب ، فكان خير مرشد فى كتابتى من تاريخ بلنسية الاسلامية ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت أننا نعتبره المثل الأعلى للكتابة فى تاريخ المدن الإسلامية بوجه عام .

٦ ـ « دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس » [٢] للدكتور أحمد مختار العبادى :

يشتمل الكتاب على مجموعة من الأبحاث فى تاريخ الغرب الاسلامى ، ويعتبر من المراجع الهامة فى تاريخ المغرب والأندلس ، إذ يتضمن معلوات قيمة تتعلق بالخطط أو النظم الادارية والعسكرية ، وقد رجع فيه المؤلف إلى كثير من المصادر والمدونات المسيحية الأسبان .

وقد اعتمدت على هذا الكتاب خاصة عند تطرقى للحديث عن فتح منطقة شرق الأندلس على يد عبد العزيز بن موسى ، وعند تعرضى لذكر قيام دويلات الطوائف وتغلب الفتيان على منطقة شرق الأندلس بعد انتشار سلك الخلافة الأموية .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الأندلس ، جزآن (بيروت ١٩٧١م) .

(٢) أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى (الاسكندرية ١٩٦٨م) .

تمهيد جغرافي

١ ـ موقع بلنسية وخصائصها :

كانت بلنسية فى العصر الاسلامى قاعدة من أهم قواعد الأندلس ، ومقراً للعمال ، ومركزاً للكورة التى كانت تسمى بإسمها [١] .

وتقع مدينة بلنسية فى إقليم شرق الأندلس (El Levante) على مسافة ثلاثة أميال من ساحل البحر المتوسط [٢] (بحر الشام) ، وكان لها مرسى صغير عليه يسمى جراو (Grao) [٣] ، ويحدها من الشمال مدينة طرطوشة [٤]، ومن الجنوب

---

(١) أنظر : الشريف الادريسى ، صفة المغرب ، وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، ص ١٩١ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٧٣٠ ، ابن عبد المنعم الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار ، ص ٤٧ . محمد سامى عسل ، أوربا دراسة فى جغرافية القارة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣٨٣ .

(٢) الادريسى ، نفسه ، ص ١٩١ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٤٧ .

(٣) ابن غالب الأندلسى ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٨٥ . وأنظر : Levi - provencal, Valencia, Ency, of Islam, Leiden, 1960, P. 985. & Enciclopedia de la cultura española, art ., Valencia, Madrid, 1963, T.V.P. 536.

(٤) طرطوشة (Tortosa) : كانت تسمى أيام الرومان Dertosa وتقع بشرق الأندلس شمالى بلنسية ، على ساحل البحر المتوسط ، وكانت مركزاً هاما زمن العرب ، اشتهرت بصناعة السفن لوفرة أشجار الصنوبر بها .

أنظر (الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٠ ، ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٥٤٤ ، شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسى الحلبى بمصر ، ١٩٣٩ ، ص ٧ ـ ٨ ، محمد الفاسى ، الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البينة ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، الرباط ، ١٩٦٢ ، ص ٢٥ ـ ٢٦) .

مدينة دانية [١] ومرسية [٢] (تدمير) ، ومن الغرب طليطلة [٣] ، وتطل بوجهها الشرقى على البحر المتوسط .

ولعل أقدم نص جغرافى بين أيدينا عن بلنسية هو نص الجغرافى الشهير أحمد الرازى (ت سنة ٣٤٤ هـ) ، الذى أمدنا بمعلومات جغرافية مهمة عن بلنسية رغم ما تتسم به من ايجاز شديد ، وفيها يقول : « ... وكورة بلنسية لها خطة واسعة ، ومدن حسنة ، لأهلها عظيمة ، جمعت البر والبحر ، والزرع والضرع ، ولها السهل والجبل » [٤] .

ومما لاشك فيه أن هذا النص على اختصاره أهم النصوص الجغرافية التى وصلت إلينا ، فكل لفظة فيه لها قيمتها الجغرافية ، فقوله أنها جمعت البر والبحر يشير إلى أن لها ميناء له ميزات الموانىء ، وأنها كانت مدينة لها خطة واسعة أى تتبعها أراض زراعية تمدها بالأطعمة والمحاصيل الوافرة [٥] .

---

(١) دانية (Denia) : أطلق عليها الرومان اسم (Dianium) وهى مدينة حصينة من مدن شرق الأندلس، وقاعدة بحرية هامة ، تقع على ساحل البحر المتوسط ، وكانت مزودة بقصبة منيعة وأشتهرت بصناعة السفن. أنظر (العذرى ، نفسه ، ص ١٩ ، الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٢ ، الحميرى ، نفسه ، ٧٦ ، أرسلان ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣) .

(٢) مرسية (Murcia) : أسست سنة ٢١٦ هـ/٨٣١م على يد جابر بن مالك عامل تدمير فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وكانت مرسية قبل ذلك قوية خاملة فى كورة تدمير على الساحل الشرقى للأندلس ، ثم صارت قاعدة للكورة ، وسميت الكورة كلها بإسمها . وكان يطلق عليها اسم البستان لكثرة جناتها المحيطة بها .

أنظر (العذرى ، نفسه ، ص ١ - ٦ ، بن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٨١) .

(٣) طليطلة (Toledo) : تقع على نهر تاجة ، وكانت حاضرة لدولة القوط الغربيين ، وتتميز بحصانتها ومناعتها .

أنظر (الادريسى ، نفسه ، ص ١٨٧ ، القزوينى ، نفسه ، ص ٥٤٥ - ٥٤٧ الحميرى ، نفسه ، ص١٣٠).

(٤) Levi - Provencal, La description de 1 Espagne d'Ahmad Al - Razi, a 1 - Andalus, Vol ., XVIII. Madrid, 1953, P. 71 .

(٥) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٧ ، ص ٦٧ .

أما الوصف الذى يقدمه لنا الجغرافى العذرى (ت سنة ٤٧٨ هـ) فيتميز بالدقة والتفصيل ، ففيه يعرف بأهمية بلنسية فيذكر أنها كانت من أشهر الحواضر وأهمها فى الأندلس ، وأنها قاعدة من القواعد العمال القديمة ، والكورة تنسب إليها [1]. ووصفه الدقيق لها بعد ذلك يعبر عن معرفة وثيقة بالمدينة ، ومن المعروف أن العذرى من شرق الأندلس ، ولا نشك فى أنه قام بزيارتها ، فوصفه لها يكشف عن ذلك .

وقد عبر ابن سعيد المغربى أيضا عن إعجابه بجغرافية بلنسية موقعا وطبيعة ومناخا ففيها يقول : « مطيب الأندلس ، ومطمح الأعين والأنفس ، قد خصها الله أحسن مكان ، وخصها بالأنهار والجنان ... » [2] .

ومن الجدير بالاشارة بهذه المناسبة أن مدينة بلنسية كانت حقاً تنعم بطبيعة ساحرة ، فقد خصها الله بمناظر خلابة وتوافرت فيها المياه الرائقة والتربة الخصبة ، وقد أشاد الشعراء الأندلسيون بذلك وتغنوا بمحاسنها وروائع جمالها ، ووصفوا بساتينها التى تروى من مياه الوادى الأبيض [3].

---

(١) العذرى ، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٧ ـ ١٨ .
وأنظر : Huici Miranda, Historia musulmana de Valencia, t, I. pp. 20 - 21.

(٢) أنظر : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، طبعة رينود Reinaud ، ودى سلان De Slane باريس ، ١٨٤٠ ، ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٣) ومن أمثلة الشعر الذى قيل فى وصف جمال طبيعة بلنسية قول شاعرها ابن الزقاق :

بلنسية إذا فكرت فيها ... وفى آياتها أسنى البلاد
وأعظم شاهدى منها عليها ... بأن جمالها للعين بادى
كساها ربنا ديباج حسن ... له علمان من بحر ووادى

أنظر (ديوان ابن الزقاق البلنسى ، تحقيق عفيفه ديرانى ، بيروت ١٩٦٤م ، ص ١٣٩ ، ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الابيارى وآخرين ، بيروت ١٩٥٥ ، ص ١٠٨) . والشاعر البلنسى ابن الزقاق هو أبو الحسن على بن إبراهيم بن عطية ، وكان بارعا فى الشعر والأدب ، وتوفى حوالى سنة ٥٣٠هـ . أنظر (ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٢٣ ترجمة رقم ٥٦٧ . المقرى نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩) .

ولعل إعجابهم بما حباها الله من مياه وخصوبة يفسر ما أطلق عليها من تسميات منها « مدينة التراب »[1] ، ربما لأنها بنيت على أرض تكونت من رواسب نهرية لاتعتمد على أسس صخرية صلبة [2]، وقد ساعد ذلك على خصوبة تربتها ووفرة محاصيلها الزراعية . وسميت أيضا « بمطيب الأندلس » [3] والمطيب عند أهل الأندلس باقة من الورود والأزهار والرياحين ، مما يدل على كثرة بساتينها وجناتها ، التى ما تزال تشتهر بها حتى الآن ، ولقد ورث الأسبان فى العصر الحديث هذه التسمية من العرب فأطلقوا عليها اسم بستان إسبانيا [4]، كذلك أطلق الجغرافيون المسلمون على بلنسية اسم « بستان الأندلس » [5] لكثرة بساتينها التى تدور حولها وتطوقها من كل ناحية ، والمنازة التى تطرز واديها الأبيض (Guadalaviar) أحدروافد نهر طورية (Turia) ، وقد أشار الحميرى إلى ذلك فى قوله : « ... وهى (يقصد بلنسية) على نهر جار ينتفع به ، ويسقى المزارع ، ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة [6].

ولا شك أن جمال طبيعة بلنسية وسحرها وكثرة بساتينها ومنازهها من العوامل التى حركت كوامن الأنفس لدى شعراء الأندلس وساعدت بالتالى على تألق ما يسمى « بشعر الطبيعة » [7]، الذى نبغ فيه شعراؤها بوجه خاص ، ومن أمثلة ذلك

---

(١) العذرى ، نفسه ص ١٧ ، ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ ، ياقوت ، نفسه ، المجلد الأول ، ص ٧٣٠.

(٢) H. Miranda, op. cit. t. I, p. 20 .

(٣) ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ ، المقرى ، جـ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٤) أنظر : Elias Teres, Textos Poéticos arabes sobre Valencia , al - Andalus, vol., XXX , Madrid, 1965, pp. 292-295.

(٥) ابن سعيد ، بسط الأرض فى الطول والعرض (كتاب الجغرافيا) تحقيق إسماعيل العربى ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٠م ، ص ١٦٧ .

(٦) صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ .

(٧) أنظر : جودت الركابى ، فى الأدب الأندلسى ، الطبعة الرابعة ، نشر دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ ، ص ٧٣ ـ ٧٦ .

قول الشاعر ابن الزقاق يصف بساتين بلده بلنسية :

كأنَّ بلنســـيةً كاعبٌ ... وملبسُها السندسُ الأخضرُ

إذا جئتَها سترتْ وجْهَهَا ... بأكمامِها فهيَ لا تَظْهَرُ[1]

٢ ـ المنـاخ :

تتمتع المناطق الساحلية والأودية المحيطة ببلنسية بمناخ حوض البحر المتوسط الذى يتميز باعتدال شتائه ووفرة أمطاره ، وصيفه الحار مع غلبة الجفاف[2] . أما المناطق الداخلية من بلنسية فمناخها قارى ، بمعنى أن الشتاء أشد برودة والصيف أشد حرارة مما هو على السواحل[3] .

ويعطينا ابن سعيد صورة عن اعتدال مناخ بلنسية حيث يقول :

« ... ولها البحيرة التى تزيد فى ضياء بلنسية صحو الشمس عليها ، ويقال أن الضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس ، وجوها صقيل أبداً ، لا ترى فيه ما يكدر خاطراً ولا بصراً ، لأن الجنات والأنهار أحدقت بها ، فلم يثر بأرجائها تراب من سير الأرجل وهبوب الرياح فيكدر جوها ، وهؤاؤها حسن لتمكنها من الاقليم الرابع .. »[4] .

وقد امتدح شعراء الأندلس اعتدال طقسها ، ونسيمها الرائق الذى يبعث على الانتعاش ويريح الأبدان والنفوس ، من ذلك قول ابن زيدون[5] الذى زار المدينة :

---

(١) ياقوت ، نفسه ، المجلد الأول ، ص ٧٣١ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٦٩ .

(٢) المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ١٠٤ ، جوده حسنين ، جغرافية أوربا الاقليمية ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ١٩٧٠ ص ٥٣٧ .

(٣) محمد سامى عسل ، أوربا ، ص ٢٢٢ . وأنظر :

José Ibañez Martin, Geografia de España, Madrid, 1931, p. 71.

(٤) المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ ٢٩٨ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٧٩ .

(٥) هو الوزير الشاعر أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون ، من شعراء عصر الطوائف المشهورين ، خدم لبنى عباد باشبيلية ، وزار بلنسية فيما يقرب من سنة ٤٤٠ هـ ، ومدح وزيرها ابن عبد العزيز (ابن رويش) ، وقد قال هذه الأبيات عند مغادرته بلنسية . أنظر (ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٧٤ المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٥٢) .

راحت فصحٌ بها السقيمْ ريحٌ معطرةُ النسيمْ
مقبولةٌ هبت قَبُولا فهي تَعبَقُ في الشميمْ [1]

ومما لا شك فيه أن اعتدال مناخ بلنسية كان له أعظم الأثر في تنشيط الحركة الاقتصادية في كورة بلنسية وازدهارها ، فالاحساس بالراحة يساعد على الانتاج ، وهذا ما تميزت به بلنسية من وفرة الانتاج الزراعي والصناعي وتقدم في مجال التجارة البحرية.

٣ ـ السطح :

تمتعت بلنسية بميزة تكاد لا تتوفر لكثير من أترابها الأندلسيات ، وهي أنها مدينة سهلية تجمع بين خصوبة التربة ووفرة المياه . وتربتها كما ذكرنا آنفا تربة رسوبية خصبة ، تكونت بفعل رواسب الأنهار [2]، وكان ذلك من العوامل التي أدت إلى ازدهار الزراعة ببلنسية الاسلامية وكثرة انتاجها الزراعي عبر حقب التاريخ ، ذلك أن من مميزات إقليم بلنسية كثرة مجاري وديانه وأنهاره ، وإن كان بعضها يتعرض للجفاف زمن الصيف ، وأهم هذه الوديان : الوادي الأبيض (Guadalaviar) ونهر شقر (Júcar) وسيربس (Serpis) وميخاريس (Mijares) [3] .

وتقع سهول بلنسية على ضفاف الأنهار ، وتتميز بتربتها الخصبة ، أما السواحل البلنسية فهي منخفضة ورملية [4].

والملاحظ أن القسم الأعظم من سطح إقليم بلنسية تكسوه سلاسل الجبال التي

---

(١) ديوان ابن زيدون ، تحقيق أكرم البستاني ، بيروت ١٨٥١م ، ص ١١١ .

(٢) أنظر : Levi - Provencal, La description de l'Esp., d'Ahmad al - Razi, p. 71.

وأيضا : محمد سامي عسل ، أوربا دراسة في جغرافية القارة ، ص ٢٠٣ .

(٣) إبراهيم شريف ، أوربا دراسة إقليمية ، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٠م ، ص ٢٩٥.

وأنظر : J. Ibañez Martin , op. cit. p . 71 .

(٤) وأنظر : Ibañez Martin. op. cit. p. 70 .

تعتبر فى الواقع امتداد للسلسلة الايبيرية الرئيسية ، فإلى الشمال تمتد مرتفعات مربيطر[1] والبونت[2] (بنى قاسم) وفى جنوبها توجد مرتفعات لقنت[3] ، وفى الغرب جبال بلنسية[4] .

وقد ساعدت هذه المرتفعات على عزل إقليم بلنسية عن إقليم قشتاله وعن جنوب الأندلس ، وأصبح لسكانها خصائص تختلف عن سكان الأقاليم الأسبانية الأخرى سواء من حيث اللهجة أو من حيث النشاط الاقتصادى .

(١) مربيطر (Murviedro) : كانت تسمى فى العهد الرومانى ساجنتوم Saguntum وتقع على البحر المتوسط شمالى بلنسية وجنوب طرطوشة ، ويصفها الادريسى بقوله : « وهى قرى عامرة وأشجار ومستغلات ومياه متدفقة ، أنظر (صفة المغرب والأندلس ، ص ١٩١ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٨٠) .

(٢) البونت (Alpuente) : تقع شمال غربى بلنسية ، ويذكر الحميرى أنها قرية من أعمال بلنسية ، وصفها ابن سعيد بأنها معقل من المعاقل الرفيعة . وقد استقل بها بنو قاسم فى عصر الطوائف . أنظر : (المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ص ٣٩٥ ، الحميرى ، نفسه ص ٥٦) .

(٣) لقنت (Alicante) : تقع جنوب دانية على ساحل البحر المتوسط وهى مدينة صغيرة عامرة يتجهز فيها التجار بالحلفاء وتنشأ بها المراكب أنظر : (الادريسى ، نفسه ، ص ١٨٧ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٧٠) .

(٤) أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢١٣ .

الباب الأول

التاريخ السياسى

الفصل الأول

تاريخ مدينة بلنسية

منذ الفتح الاسلامى حتى قيام دويلات الطوائف

١ ـ مقدمة تاريخية .

٢ ـ بلنسية فى عصر الولاة .

٣ ـ بلنسية فى ظل الامارة الأموية بالأندلس .

٤ ـ بلنسية فى عصر الخلافة الأموية .

١ ـ مقدمـة تاريخيـة :

تعتبر مدينة بلنسية [١] (Valencia) من المدن الرومانية الانشاء فى شرق الأنـدلس ، فقد أقامها الرومـان فى سنة ١٣٨ ق. م ، وأنزل فيها جونيـوس بروتـوس (Junius Brutus) بعد موت الثائر فيرياث (Viriathus) بعض أجناد رومـة الأوفيـاء ، الذين ظلوا يرتبطون مع رومة برابطة الولاء [٢].

ولعبت بلنسية إبان الحروب الأهلية الرومانية دوراً مهماً ، فساندت سيرتوريـوس (Sertorius) الذى أعلن ثورته على بومبيوس (Pompeius) وقام سيرتوريوس سنة ٧٧ ق . م بعدة حملات عسكرية فى إسبانيا تمكن بفضلها من الاستيلاء على المنطقة الواقعة بين وادى أنه وجبال البرتات كما أخضع مدن الساحل الشرقى مثل بلنسيـة ودانية فى سنة ٧٥ ق . م . ولم يبق تحت سيطرة الرومان سوى القسم الواقع جنوبى إسبانيا وكـان يعـرف باسـم فند الوشيا وتعريبـه الأنـدلـس (Andalucia) [٣].

ولم يستمر سلطان سيرتوريوس طويلاً ، إذ سرعان ما منى بالهزيمة ، واجتاح بومبيوس بقواته مدينة بلنسية وخرب عمرنها تأديباً لسكانها ، ولكنها لم تلبث أن استعادت إزدهارها فى زمن أوغسطس (Augustus) وظلت تنعم بهذا الازدهار إلى أن تمكن القوط الغربيـون من السيطرة عليها فى سنة ١٣ م ، وشهدت فى ظل

---

(١) كانت مدينة بلنسية قبل الفتح الاسلامى مجرد فرضة صغيرة على البحر المتوسط (بحر الروم) تسمى فالنثيا (Valencia) ثم قام العرب بعد الفتح بتعريب هذا الاسم وصارت تعرف باسم بلنسية . أنظر (حسين مؤنس ، رحلة الأندلس ، الطبعة الأولى ، نشر الشركة العربية للطباعة ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٧١) .

(٢) Eduardo Hernández Y Francisco Hernánadez, Historia de España, dirigida por Menéndez Pidal, t . II, Madrid, 1955, p. 134. & Levi - provencal, Valencia, Ency ., of Islam , p. 985.

(٣) Enciclopedia de La cultura española, art, valencia , T. V.P. 536 .
Menéndez Pidal, op. cit . t . II, p. 221 .

هؤلاء القوط عهداً من التألق تمتعت خلاله بالحكم الذاتي ، غير أنها وقعت منذ سنة ٥٥٤ م ولفترة قصيرة تحت السيطرة البيزنطية ، عادت بعدها إليّ التبعية للقوط الذين استعادوها في سنة ٥٨٤ م (١).

٢ ـ بلنسية في عصر الولاة :

لم يرد سواء في المصادر العربية أو الأسبانية ما يشير إطلاقاً إلى فتح المسلمين لبلنسية ، وقد فتح ذلك أبواب الحدس أمام الباحثين المحدثين لإبداء الرأى حول ذلك الموضوع ، فهناك من يرى أنها فتحت على يد طارق بن زياد ، الذى اتجه بعد استيلائه على سرقسطه إلى مدينة طرطوشة وزحف بحذاء الساحل وتمكن من الاستيلاء على مربيطر وبلنسية وشاطبة (٢) ودانية (٣). وهناك من ينسب فتحها إلى الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير ويعتقد أصحاب هذا الرأى أن الأمير عبد العزيز افتتحها في جملة ما افتتحه من مدن شرق الأندلس (El Levante) وتم ذلك في سنة ٩٥هـ/٧١٤ م (٤). ونميل بدورنا إلى الأخذ بهذا الرأى ، وأرجح أن يكون

---

(١) إبراهيم أحمد العدوى ، المسلمون والجرمان ، الطبعة الأولى ، نشر دار المعرفة القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٢ .
وأنظر Levi - Provencal , Valencia , Ency. , of Islam, p. 985 . Enc. , dela cultura Esp. , p. 536 .

(٢) شاطبة (Jativa) : مدينة قرب ساحل البحر المتوسط من أعمال بلنسية وتقع جنوبيها ، وكانت تسمى عند الرومان (Setabis) ويذكر الادريسي أنها مدينة حصينة مزودة بقصاب يضرب به المثل في الحسن والمنعة ، وكانت في زمنه تشتهر بصناعة الكاغد . أنظر (العذرى ، نصوص ، ص ١٨ ـ ١٩ ، الادريسي صفة المغرب والأندلس ، ص ١٩٢ ، محمد الفاسي ، الأعلام الجغرافية ، ص ٣١) .

(٣) P. Ibárs , Valencia arabe . T. I . P. 25.

(٤) أميروثيو إويثى ميرندا (A . Huici Miranda) ، بلنسية الاسلامية ، تقرير معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ١١ .
وأنظر : Joaquin Vallvé, El Reino de Murcia en la época musulmana, revista del instituto egipcio de estudios islamicos, vol, 20, Madrid, 1979 - 1980, p. 27 .

الفتح الاسلامي لبلنسية قد حدث في ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير على الأندلس (٩٥ ـ ٩٧هـ/٧١٣ ـ ٧١٦ م) وذلك في أعقاب افتتاحه لكورة تدمير وعقده الاتفاقية المشهورة مع حاكمها القوطي تيودمير (Teodomiro) الذى تمكن من الاستقلال بولايته مقابل دفع جزية سنوية [١] .

وأيا ما كان الأمر فقد تمتعت بلنسية منذ أن ثبت المسلمون سلطانهم في شرق الأندلس بنوع من الهدوء والاستقرار ، فلم يجد الثوار الذين طالما وثبوا بكورة تدمير بين الحين والآخر مجالا مواتياً لاعلان ثورتهم [٢] .

ومن الجدير بالاشارة في هذا الصدد أن المصادر العربية والقشتالية قد التزمت الصمت فيما يتعلق بأحداث بلنسية في الفترة التى أعقبت السيطرة الاسلامية على تدمير ، فلم يرد فيها ما يشير إلى وقوع أية حوادث بإقليم بلنسية إبان عصر الولاة [٣] ، كما أن المؤرخين المحدثين لم يجدوا تفسيراً لذلك الصمت المطبق حول هذا الموضوع في تلك المصادر ، الأمر الذى دعاهم إلى الاعتقاد بأنه لم يقع بها أية حوادث مهمة تستحق الذكر خلال تلك الفترة ، والاستنتاج بناء على ذلك أن بلنسية نعمت بالهدوء والأمن ولم تشارك في تلك الفتن والصراعات التى كانت تنشب بين حين

---

(١) عن فتح كورة تدمير راجع : العذرى ، نفسه ، ص ٤ ـ ٥ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، نشر دار المعارف ، بيروت ١٩٦٢ ص ١١٠ ـ ١١١ ، أحمد مختار العبادى ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس الطبعة الأولى ، الأسكندرية ١٩٦٨ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .
Claudio sanchez Albornoz. La España Musulmana,T , I , Cuarta edicion, Madrid, 1974 , pp. 56 - 57 .

(٢) H . Miranda . Hist , mus . , de valencia , t . I, p . 88.

(٣) تعرف الفترة الأولى للحكم الاسلامي في الأندلس بعصر الولاة ، وتمتد من الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة الأموية في الأندلس أى من سنة ٩١هـ/٧١١ م حتى سنة ١٣٨ هـ/٧٥٦ م . وكانت الأندلس خلال هذا العصر مجرد ولاية إسلامية تابعة لدار الخلافة دمشق ، ويحكمها وال يعرف بالأمير يتبع أمير أفريقية من الناحية الادارية .
أنظر العبادى ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٥) .

وآخر في شرق الأندلس . وبالاضافة إلى ما سبق أرجح بدورى ـ تفسيراً لظاهرة إجماع المصادر العربية والقشتالية على إغفال اسم بلنسية من حوادثَ الأندلس في الفترة المذكورة ـ أن اهتمام مؤرخي العرب كان مركزاً على إشبيلية (١) ثم على قرطبة (٢) قاعدتى الأندلس ، وأن الأضواء سلطت على هاتين القاعدتين في السنوات الأولى من العصر الاسلامى ، باعتبار أن الأولى اختيرت في ولاية عبد العزيز بن موسى حاضرة لإسبانيا الاسلامية وأن الثانية إتخذت مقراً للإمارة منذ مصرع عبد العزيز ، فإستأثرت كلاهما بإهتمام الاخباريين والمؤرخين في حين أغفلوا سائر المدن الأخرى التى دخلت في فلك الأندلس .

غير أن الباحث الأسبانى إيبارس (Ibárs) يخرج على هذا الاجماع فيذكر ـ نقلاً عن اسكلانو (Escolano) ـ عدة حوادث شاركت فيها بلنسية خلال الفترة الأولى من تاريخها الاسلامى ، وأول هذه الحوادث أن أبا قاتم الهذلى (٣)عامل بلنسية من قبل عبد العزيز بن موسى شق عصا الطاعة على الأمير وأعلن الثورة في بلنسية

---

(١) إشبيلية (Sevilla) : تقع على نهر الوادى الكبير إلى الجنوب الغربى من قرطبة ، وبناها يوليوس قيصر ، ويذكر أن إسمها لاتينى في الأصل ويعنى المدينة المنبسطة ، ويصفها الادريسى بأنها مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة وأنها اشتهرت بالزيت والتين والزيتون وقصب السكر . أنظر (صفة المغرب والأندلس ، ص ١٧٨ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨ ـ ٢١) .

(٢) قرطبة (Cordoba) : مدينة أيبيرية قديمة جنوبى الأندلس على نهر الوادى الكبير . ويذكر الادريسى أنها قاعدة بلاد الأندلس وأم مدنها ، واشتهرت بمسجدها الجامع ، وظلت تلك المدنية حاضرة لدولة بنى أمية في الأندلس حتى سقوط الخلافة سنة ٤٢٢هـ /١٠٣١م .
أنظر (صفة المغرب والأندلس ، ص ٢٠٨ ـ ٢١٢ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥٣ ـ ١٥٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس ، جـ١ ، طبعة بيروت ١٩٧١ ، ص ١٥ ـ ١٦).

(٣) أورد العذرى ذكر شخصية الهذلى ضمن شهود اتفاقية تدمير سنة ٩٥هـ /٧١٤م أنظر (نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص ٥ ، حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٩ ص ١١٥) وهكذا نلحظ أن الباحث إيبارس يجعل من أبى قاتم الهذلى أول وال على بلنسية بعد الفتح الاسلامى في عهد عبد العزيز بن موسى، ويضيف أنه توفى سنة ١١١هـ /٧٣٠م.

وأعمالها ، وعندئذ خرج الأمير عبد العزيز بعسكر إشبيلية متجها إلى تدمير حيث إنضمت إليه قواتها بقيادة واليها إبراهيم السكندرى ، ثم زحف بحشوده إلى بلنسية ، ونجح فى إخماد الثورة والقبض على صاحبها الهذلى[1].

ويذكر إيبارس حادثاً آخر وقع فى ولاية عنبسة بن سحيم الكلبى (١٠٢-١٠٧هـ/٧٢١ - ٧٢٦ م) وهذا الحادث يتلخص فى قيام محمد بن بكر عامل بلنسية - الذى سبق أن عقد اتفاق الصلح مع صاحب سرقسطة [2] - بالثورة فى بلنسية على الأمير ثم تقدم نحو تدمير للاستيلاء عليها ، غير أن حاكمها إبراهيم السكندرى بادر بالتحالف مع عامل بياسة [3]، وتمكنا من ايقاع الهزيمة بوالى بلنسية فى موقعة حدثت بالقرب من تدمير ، لم يلبث ابن بكر أن توفى بعدها ببضعة أيام [4].

٣ - بلنسية فى ظل الامارة الأموية بالأندلس :

(أ) تحويل بلنسية إلى كورة فى عهد عبد الرحمن الداخل وأهم تقسيماتها الادراية :

يسجل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية قرطبة سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م نهاية لعصر الولاة وبداية لدولة بنى أمية فى الأندلس . وينقسم عصر هذه الدولة إلى مرحلتين

---

(١) P. Ibárs, Valencia arabe, T.I. pp. 34 - 35 .

(٢) سرقسطة (Zaragoza) : كانت تعتبر الثغر الأعلى لوقوعها فى الشمال الشرقى للأندلس وهى قاعدة من قواعد مدن الأندلس وبناها يوليوس قيصر ، وكانت تسمى بالمدينة البيضاء لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض ، أنظر (العذرى نفسه ، ص ٢١ - ٢٢، الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٠ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٩٦) .

(٣) بياسة (Baeza) : تقع على نهر الوادى الكبير ، بينها وبين جيان (Jaén) عشرون ميلا ، وكانت تعتبر من أعمالها ، ووصفها الادريسى بأنها مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات . أنظر (صفة المغرب والأندلس ، ص ٢٠٣) .

(٤) Ibárs, op. cit. pp. 35 - 38 .

تاريخيتين: الأولى ما أصطلح على تسميته بعصر الامارة [١]، والثانية بعصر الخلافة [٢].

وكانت بلنسية ابان المرحلتين خاضعة للسلطة المركزية بقرطبة، وأغلب الظن أنها تحولت إلى كورة منذ أن استقر الأمير عبد الرحمن الداخل فى دست الامارة بقرطبة وشرع فى تنظيم دولته الفتية، وأصبحت بلنسية مركزاً لكورة تحمل نفس الاسم، يقيم بها والى الكورة الذى يتولى بأمر الأمير الأموى، وظلت بلنسية تابعة للسلطة المركزية حتى سقوط الخلافة الأموية وانتثار سلكها وما ترتب على ذلك من قيام دويلات الطوائف، فلم تخرج عن فلك قرطبة ولم يشق أحد ولاتها عصا الطاعة على الأمويين طوال هذا العصر.

ومن حيث التنظيمات الإدارية لا نشك فى أن الفاتحين المسلمين وجدوا فى الأندلس بعد افتتاحها لها نظاماً إدارياً ثابتاً مقبولاً فأقروه على حاله ومضوا عليه. وعلى هذا الأساس استوطن الفاتحون المسلمون المناطق التى نزلوها، وتوزعت قبائلهم أنحاء الأندلس واستقرت فيها [٣]، وإنقسمت البلاد على هذا النحو إلى كور عديدة كانت بلنسية إحداها.

---

(١) يمتد عصر الامارة الأموية من سنة ١٣٨ هـ حتى سنة ٣١٦ هـ (٧٥٦ - ٩٢٩م) وفيه كانت الأندلس إمارة مستقلة سياسيا عن الخلافة العباسية فى المشرق. وعن قيام الدولة الأموية بالأندلس راجع: (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت ١٩٥٧، ص ٥٠ - ٥٤، مجهول، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، نشر دون لافونتى Don La Fuente Alcantara القنطرة طبعة بغداد (مصورة بالأوفست عن طبعة مدريد ١٨٦٧م) ص ٨٥ - ٩٠. ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، نشر كولان وبروفنسال، بيروت، بدون تاريخ، ص ٤٨، سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، جـ ١، ص ٤٥، العبادى، فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٩٥ - ٩٨).

(٢) يبدأ هذا العصر منذ أن تلقب عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله فى سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م. وعن قيام الخلافة الأموية بالأندلس راجع: ابن حيان، قطعة من المقتبس، نشر بدرو شالميتا (P.Chalmeta) مدريد ١٩٧٩، ص ٢٤١ - ٢٤٢، ابن عذارى، نفسه، جـ٢، ص ١٩٨ - ١٩٩، المقرى، نفح الطيب، جـ ١، ص ٣٣٠ - ٣٣١، سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٢٨٧، العبادى، دراسات، ص ٦٠ - ٦١.

(٣) حسين مؤنس، التقسيم السياسى والادارى للأندلس، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، المجلد الخامس، العدد ١ - ٢، مدريد ١٩٥٧، ص ٣١٩.

وكانت مدينة بلنسية قاعدة لكورة بلنسية التى يدخل فى أعمالها عدد من المدن والأقاليم(١) والأجزاء(٢) والحصون . ونلحظ أن اصطلاح الكورة فى بلاد الإسلام لم يكن محدداً فى معناه على النحو الذى نتصوره كإقليم Provincia أو مديرية بالمفهوم الحديث ، ولعل أدق تعريف له قول ياقوت : « والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع إسمها » (٣) فالكورة تقسيم إدارى له حوز (٤) واسع يشتمل على عدة مدن وأقليم وقرى وأجزاء وحصون .

وقد زودنا كل من الرازى والعذرى بصورة واضحة عن التقسيم الادارى لكورة بلنسية فالرازى يشير إلى المدن والحصون التى كانت تدخل فى نطاق الكورة ، فيذكر قاعدة الكورة وهى بلنسية (مدينة التراب) كما يذكر من مدنها شاطبة وشقر (٥)، ومن الحصون مربيطر (٦) أما العذرى فمعلوماته التى يزودنا بها عن التقسيم الادارى لكورة بلنسية أكثر تفصيلا ووضوحا ، فبعد أن يذكر قاعدة الكورة (مدينة بلنسية)

---

(١) الاقليم هو كل قرية كبيرة جامعة أو البلدة وحوزها المتصل بها . فالاقليم يضم عدة قرى ، وهو وحدة إدارية ومالية تتبع الكورة أو المدينة (ياقوت ، معجم البلدان ، م١ ، ص ٢٦ ، مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٧٨) .

(٢) يعرف ياقوت الجزء فى كلامه عن مدينة رباح فيقول « ولها عدة قرى ونواح ويسمونها الأجزاء » فالأجزاء قد تكون مساحات من الأرض خصصت للإبل والماشية ، ولا تكون مملوكة لأحد وإنما مشاعاً للجماعة كلها . (معجم البلدان ، م٢ ، ص ٧٤٧ ، مؤنس نفسه ، ص ٥٨٧) .

(٣) معجم البلدان ، م١ ، ص ٣٩ .

(٤) الحوز هو زمام الكورة كله ، أى ما يتبعها من الأرض والمدن ، وخطة البلد هى المساحة التى تغطيها المدينة وما يتبع حكومتها من الأرباض والقرى .
أنظر (مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٦٧) .

(٥) شقر (Júcar) : تقع جنوبى بلنسية وشرقى شاطبة ، وقد وصفها العذرى بأنها جزيرة أحاط بها الوادى من جميع جهاتها ولم يبق لها إلا موضع لطيف يدخل منه إلى هذه الجزيرة ، واشتهرت بكثرة الأشجار والثمار. أنظر) نصوص عن الأندلس ص ١٩ ، الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٢ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٠٢) .

(٦) Levi - Provencal, La description de l'Esp ., p.71.

يتحدث عن إقاليمها فيذكر من بينها : إقليم المنارة [١] وأندة [٢] وزناتة وركانه وشارقة [٣] وغيرها ، ثم يشير بعد ذلك إلى أجزاء الكورة مثل جزء الساحل والجزيرة (شقر) والاسناد وجزء فحص شاطبة وجزء مدينة التراب وجزء مصمودة وبنى غتيل ومربيطر وغيرها [٤].

والملاحظ أن بعض أسماء تلك الأجزاء ينسب إلى مدن كورة بلنسية مثل الجزيرة (شقر) وشاطبة ، وبعضها ينسب إلى قبائل مثل مصمودة ، وهو اسم بربرى وكذلك بنى غتيل [٥]. والبعض الآخر ينسب إلى معالم جغرافية مثل الساحل والاسناد [٦].

أما أهم مدن كورة بلنسية التى أشار إليها العذرى فهى دانية وشاطبة وشقر [٧]. هذا وقد أوردت المصادر الجغرافية العربية أسماء كثير من القرى منها بطرنة [٨]

---

(١) المنارة (Almenara) : تقع إلى الشمال من بلنسية بالقرب من مربيطر ، وكانت بها قلعة حصينة ما زالت أطلالها قائمة حتى الآن . (العذرى ، نفسه ، ص ١٩ أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ٣ ص٣٥ ، محمد الفاسى ، الاعلام الجغرافية ص٣١).

(٢) أنده (Onda): تقع شمالى بلنسية على مقربة من المنارة ، وكانت تشتهر بأشجار التين وبالمعادن وأهمها الحديد . (العذرى ، نفسه ، ص ١٩ ، ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٣١) .

(٣) شارقة (Jerica) : تقع شمالى بلنسية ، وكان يقال لها قلعة الأشراف ، ويذكر ياقوت أنها حصن بالأندلس من أعمال بلنسية فى شرق الأندلس . (معجم البلدان ، م٣، ص٢٣٢، أرسلان ، نفسه ، جـ٣، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

(٤) نصوص الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص١٩ ـ ٢٠، الادريسى ، نفسه ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٥) أنظر : خايمى أوليفر آسين (J.Oliver Asin) ، ملاحظات حول أسماء المواضع فى إقليم بلنسية ، تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ديسمبر ١٩٦٥ ، ص ٥ ـ ٦.

(٦) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٨٥ .

(٧) نصوص عن الأندلس ، ص ١٨ ـ ١٩ ، الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٢ .

(٨) بطرنة (Paterna) : تقع فى الشمال الغربى من بلنسية ، واشتهرت بصناعة الخزف ، وهى الآن من أعمال بلنسية وتبعد عنها بنحو٢٠ ك. م (ابن سعيد ، المغرب ، جـ٢ ، ص ٣٥٥ ، المقرى ، نفح ، جـ٢ ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ أرسلان ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨) .

وبتة [1] وشريون [2] وشيركة [3]. ومن أهم الحصون نذكر بنشكلة [4] وبكيران [5] وقليرة [6] وأنيشة (أنيجة) [7].

ب ـ صدى ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهرى فى الأندلس :

حفل عصر الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ ـ ١٧٢هـ/٧٥٦ ـ ٧٨٨م) بكثير من الفتن الثورات التى كثيراً ما كانت تشجعها الخلافة العباسية بالمشرق ،

---

(١) بتة : هى قرية من أعمال بلنسية ، لم تشر المصادر إلى موقعها بالتحديد ، ونلحظ أن ياقوت يذكرها بتة ، بينما يطلق عليها ابن سعيد اسم بنة . (معجم البلدان ، م١ ، ص ٤٨٨ ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٥٧) .

(٢) شريون : حصن من حصون بلنسية ، ولم تحدد لنا المصادر الجغرافية موقعه ، وقد أورد ياقوت اسم هذه القرية فى معجمه . أنظر (معجم البلدان ، م٣ ، وقد أورد ياقوت اسم هذه القرية فى معجمه . أنظر (معجم البلدان ، م٣ ، ص ٢٨٦ ، أرسلان ، نفسه ، ج٣ ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

(٣) شيركة : أشار ياقوت إلى أن هذا المكان حصن من أعمال بلنسية دون أن يحدد موقعه (معجم ، م٣، ص ٣٥٢) .

(٤) بنشكلة : يقع هذا الحصن شمالى بلنسية ، ويذكر الادريسى أنه « حصن منيع على ضفة البحر ، وهو عامر آهل ، وله قرى وعمارات ومياه كثيرة ، ومنه إلى عقبة أبيشة ٧ أميال» أنظر (صفة المغرب والأندلس ، ص ١٩١، الحميرى ، نفسه ص٥٦) .

(٥) بكيران : يقع حصن بكيران جنوبى بلنسية ، وبينه وبين مدينة شاطبة نحو ٤٠ ميلا ، ويمتاز بالمنعة والحصانة ، وكان عامراً كالمدينة ، كما كانت له سوق مشهودة .
أنظر (الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٢) .

(٦) قليرة : يقع حصن قليرة جنوبى بلنسية ، ويبعد عنها بنحو ٢٥ ميلا ، وهو حصن منيع يقع على نهر شقر ، يحيط به البحر من معظم جهاته (العذرى ، نفسه ، ص٢٠ ، الادريسى ، نفسه ، ص١٩٢ ، ياقوت ، نفسه ، م١ ، ص ٣٧٧) .

(٧) أنيشة (أو أنيجة) : يقع هذا الحصن شمالى بلنسية على مقربة من بنشكله ، وهو جبل معترض عال يطل على البحر ، ويطلق عليه الادريسى اسم أبيشة . ونلحظ أن المصادر المسيحية تطلق عليه حصن جبيلة أو جبالة (Castillo de Yubayla) أو (Cebolla) وواضح أنها تصغير من جبلة . وهى تسمى الآن (Puig de sta. Mariá) . أنظر (الادريسى ، نفسه ، ص ١٩١ ، الحميرى ، نفسه ، ص٣٢ ، وأيضا : (H. Miranda, Hist ., mus ., de valencia, t. II. N. 4. P. 44) .

مستهدفة القضاء على دولة الأمويين الفتية في الأندلس .

وقد كان شرق الأندلس مسرحاً رئيسياً لعدد من هذه الثورات أبرزها وأكثرها خطورة ثورة تزعمها أحد الفهريين المغامرين في أفريقية من أعقاب عقبة بن نافع الفهري يدعى عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي لطوله وشقرته وزرقة عينيه [1] .

ومن المرجح أن هذه الثورة كانت جزءاً من مخطط واسع النطاق يهدف إلى إسقاط دولة عبد الرحمن ، اشتركت فيه العناصر المحلية في الأندلس مع قوتين كبيرتين متحالفتين هما الدولة العباسية والدولة الكارولنجية ، ولا يهمنا أن تدخل في تفاصيل هذه المؤامرة الدولية الكبرى بقدر ما يهمنا معرفة نصيب بلنسية من ثورة عبد الرحمن الفهري المذكور . فبعد أن عبر إلى الأندلس في سنة ١٦١هـ (أواخر ٧٧م) نزل بساحل تدمير ، ودعا للخلافة العباسية قبل أن يتفق مع رفاقه الثوار على وقت محدد لذلك ، فلما طالب زميله سليمان بن يقظان الأعرابي والي سرقسطة بالعون لم يبادر هذا بنصرته بحجة إنتظاره وصول قارلة (شارلمان) ولهذا لم يتضامن الثوار فيما بينهم وأمكن للأمير عبد الرحمن الداخل أن يقضي على ثورتهم بكل يسر . فعندما لم يجد الفهري استجابة من الأعرابي تقدم لمحاربته ، ولكن الأعرابي لم يلبث أن أوقع به الهزيمة بالقرب من برشلونة [2] وأرغم الصقلبي (الفهري) على الانسحاب جنوباً ، فاتجه بسفنه إلى سواحل بلنسية وعندئذ بادر الأمير عبد الرحمن الداخل بمهاجمته ، وتمكن من إحراق سفنه حتى يقطع عليه طريق الفرار واضطر الصقلبي إلى التماس

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص٥٥ ، دوزى ، تاريخ مسلمي أسبانيا ، جـ ١ ترجمة حسن حبشي ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٣ص ٢٢٨، سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص٢٠١، العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٠٦.

(٢) برشلونة (Barcelona) : قاعدة قطالونية ، وتقع شمال شرقي الأندلس على البحر المتوسط ، وقد اشتهرت بالحنطة والحبوب والعسل . أنظر (الادريسي ، نفسه ، ص١٩١ ، ياقوت ، نفسه ، م١، ص ٣٧٧ ، م٣، ص٥٣٢، الحميري نفسه ، ص ٤٢) .

النجاة ، ففر بفلوله وتحصن بجبال بلنسية ، وانتهى أمره بأن قتل على يد أحد البربر البرانس يقال له مشكار ، الذى حمل رأسه إلى الأمير عبد الرحمن ، وتم ذلك فى سنة ١٦٢هـ (٧٧٨م) . وبمقتل عبد الرحمن بن حبيب الفهرى (الصقلبى) فشل ذلك التحالف الذى كان يهدف إلى القضاء على الدولة الأموية الناشئة [١] .

والظاهر أن أهل بلنسية لعبوا دوراً مهماً تأييداً لثورة الفهرى بدليل أن هذا الثائر لاذ بجبال بلنسية . ويورد العذرى خبراً يشير إلى أن الأمير عبد الرحمن الداخل قام بتخريب بلنسية فى سنة ١٦٢هـ (٧٧٨م) [٢]. ولا نشك فى تخريب بلنسية كانت له علاقة وثيقة بالفهرى ، فقد حدث هذا التخريب فى سنة ١٦٢ هـ ، وهو نفس العام الذى قتل فيه الفهرى ، ولعل العذرى بإشارته إلى تخريب بلنسية إنما كان يعنى أن الأمير الأموى حرص على استئصال شأفة الثوار فى بلنسية أنصار الفهرى ، فأقدم على تخريب معاقلهم وتدمير حصونهم .

وتجدر الإشارة إلى أن إحدى المدونات المسيحية أوردت خبراً جاء فيه أن الأمير عبد الرحمن الداخل كان قد أمر بهدم جميع الكنائس القائمة فى أسبانيا منذ عهد الرومان والقوط ، كما أقدم على حرق رفات القديسين ، وأن المستعربين خشوا على قديسيهم بسبب ذلك ، فبادروا بجمع رفات هؤلاء القديسين وآثروا الفرار بها إلى الجبال . وتضيف المدونة بأن قساوسة بلنسية عندما علموا باقتراب الأمير عبد الرحمن من بلدهم سارعوا بحمل رفات قديسهم سان بيثنتى (شنت بنجنت Sanvicente)

---

(١) عن ثورة عبد الرحمن الفهرى (الصقلبى) راجع : العذرى ، نفسه ، ص ١١ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ـ ٥٦ و ابن خلدون ، العبروديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الرابع ، طبعة بيروت ، ص ٢٦٨ ، دوزى ، تاريخ مسلمى أسبانيا ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٠ ، سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) نصوص عن الأندلس ، ص ١٨ .

P. Ibárs, Valencia arabe, pp. 56 - 59.

الذى يعتقد النصارى فى معجزاته ، واضطروا للهرب غربا حاملين معهم رفات هذا القديس إلى مدينة برتقال (Portugal) بغرب الأندلس [١] .

وواضح أن هذه الرواية المسيحية تتضمن الكثير من المبالغة ، فلم يكن معروفا عن الأمير عبد الرحمن بن معاوية تعصبه ضد المعاهدة ، وإنما كان يحترم العهود والمواثيق والدليل على ذلك استقدامه لنصارى قرطبة ومساومتهم فى بيع كنيستهم المعروفة بسان بيشنتى ، ومن المعروف ، أن هؤلاء لم يتخلوا عن نصيبهم فيها الا لقاء مبلغ كبير من المال ، كما أذن لهم ببناء كنيسة شنت أجلح (San Asciclo) خارج الأسوار وكانت تعرف أيضا بكنيسة الأسرى[٢] ، وظلت معظم مدن الأندلس تحتفظ برفات قديسيها دون أن يعبث بها أولو الأمر فى الأندلس [٣] ، ولهذا كله نستبعد أن يكون شىء مما جاء فى الرواية الأسبانية (المسيحية) قد حدث ، وإنما نرجح أن يكون الأمير قد اهتم بعد مصرع الفهرى باستنزال أنصاره فى بلنسية ، فدمر معاقلهم فى منطقتها ، ولعله زار المدينة لاقرار أمورها بعد فترة الاضطراب التى شهدتها أثناء ثورة الفهرى .

---

(١) ولعل خير رد على تلك الرواية المسيحية هو ما يذكره المستشرق الأسبانى اويثى ميراندا بأن مضمون رواية تلك المدونة غير منطقى ومبالغ فيه ، لأنها تستهدف الطعن فى سياسة المسلمين القائمة على التسامح ، وإظهار المستعربين مضطهدين فى بلنسية ، بينما لا نجد أى أثر لهذا التصور سواء فى المصادر الإسلامية أو المسيحية على السواء .

أنظر : H. Miranda, op. cit. t. I. pp. 116 - 117) .

(٢) أنظر : سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ . يبقى أن نشير إلى توافق اسم القديس بيشنتى فى كل من بلنسية وقرطبة ، وقد يكون ذلك مجرد لبس عند المؤرخين بحيث اختلط عليهم اسم كنيسة سان بيشنتى بقرطبة فنسبوا الاسم الى بلنسية ، فمن الغريب أن يتفق وجود نفس الاسم فى عهد نفس الأمير عبد الرحمن الداخل ، هذا وليس من المنطقى أن يحمل مستعربو بلنسية رفات قديسيهم من هذه المدينة الواقعة فى أقصى شرق الأندلس الى مدينة برتقال التى تقع فى أقصى غرب الأندلس ، وهو أمر يزيد من تشككنا فى الرواية .

(٣) أنظر : سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

وأيا ما كان الأمر فلم يلبث الأمير عبد الرحمن الداخل أن توفي في سنة ١٧٢هـ (أواخر ٧٨٨ م) وخلفه ابنه هشام الرضا ، وهنا يذكر الباحث أيبارس (Ibárs) أنه عقب وفاة الأمير عبد الرحمن ثار سعيد بن الحسين بن يحيى الانصاري واستولى على طرطوشة ، وعندما علم الأمير هشام بذلك كلف واليه على بلنسية ويدعى موسى بن حديرة القيسي بالقضاء على تلك الثورة ، إلا أنه هزم وقتل في المعركة (سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ ـ ٧٨٩ م) ، فأمر الأمير هشام ولاته على غرناطة ومرسية بارسال قواتهم لمساعدة والي بلنسية الجديد ويدعى أبا عثمان [١] ، والذى تمكن من انزال الهزيمة بقوات سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري في سنة ١٧٤ هـ (مايو ٧٩٠ ـ ٧٩١) وقتل سعيد الأنصاري في تلك المعركة ، وأرسلت رأسه الى العاصمة قرطبة [٢] .

ج ـ ثورة الأمير عبد الله البلنسي :

الأمير عبد الله هو أحد أبناء الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) مؤسس دولة بني أمية في الأندلس ، وكان قد ثار على أخيه الأمير هشام ، ثم على الحكم الربضي من بعده واستقر به الأمر ببلنسية يتولى حكمها ما بقى له من عمر ، ولذا سمى بالبلنسي [٣] .

---

(١) لعله يقصد أبا عثمان عبد الله بن عثمان ، أحد زعماء موالي بني أمية بالأندلس وكان قد لعب دورا بارزاً في تأسيس الدولة الأموية بالأندلس .

(٢) Ibárs, op. cit. pp. 71 - 72.

وينبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أن الباحث الأسباني إيبارس لم يذكر ـ كعادته ـ المصادر التي استقى منها كلامه هذا ، ولذا فنحن لا نستطيع أن نقبل بسهولة ما يذكره من حوادث .

(٣) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٩٤ ، النويري ، نهاية الارب في فنون الأدب ، جـ ٢٢ ، المخطوط ، لوحة ٩ (نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية تحت رقم ٢٢ م) ونلحظ أن النويري يرى أن الأمير عبد الله سمى بالبلنسي لمولده ببلنسية ، غير أن الرأى الصحيح هو ما ذكرناه بالمتن نقلا عن ابن حزم .

وتبدأ ثورة عبد الله البلنسي وأخيه سليمان منذ أن خلف الأمير هشام الرضا (١٧٢ ـ ١٨٠ هـ / ٧٨٩ ـ ٧٩٦ م) أباه عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٢ هـ ، وكان هشام ـ آنذاك ـ واليا على ماردة [١] ، في حين كان سليمان واليا على طليطلة . وكان عبد الرحمن قبل وفاته قد أوصى ولده عبد الله أن يعطى خاتم الامارة إلى من يسبق الآخر في الوصول إلى قرطبة ، ويذكر أبن عذارى أنه قال لابنه عبد الله : « من سبق اليك من أخويك فارم اليه بالخاتم والأمر ، فإن سبق اليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه . وأن سبق اليك سليمان فله فضل سنة ونجدته وحب الشاميين له » [٢] وكان هشام قد سبق أخاه في الوصول إلى قرطبة فخرج إليه عبد الله وسلم عليه بالإمارة ودفع إليه الخاتم وأدخله القصر ، وعز على سليمان وهو الابن الأكبر لعبد الرحمن أن ينتزع أخوه الأصغر عرش الإمارة منه ، فبادربرفع راية العصيان في طليطلة ، وأعلن الحرب على أخيه هشام ، ولم يلبث أخوه عبد الله أن شق بدوره عصا الطاعة على الأمير هشام ربما لأنه لم يشركه معه في السلطة ، فانضم إلى أخيه سليمان بطليطلة ، ولم تمض بعد ستة أشهر على بدء امارة أخيه هشام الرضا[٣] .

ويذكر المقرى أن الأمير هشام أرسل كتابا إلى أخيه عبد الله عندما علم بقراره ، يقول في بعض فصوله : « والعجب من فرارك دون أن ترى شيئا . فخاطبه (أى عبد الله) بجواب يقول فيه : ولا تتعجب من فرارى دون أن أرى شيئا لأننى خفت أن

---

(١) ماردة (Merida) : مدينة بغرب الأندلس ، تقع إلى الشمال الشرقي من بطليوس ، وهى مدينة رومانية الانشاء ، وكانت من أعمال كورة قرطبة ، واشتهرت بالرخام . أنظر (الادريسى ، نفسه ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ ، ياقوت ، نفسه ، م ٤ ، ص ٣٨٩ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٧٥ ـ ١٧٧) .

(٢) البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٦٢ ، ابن خلدون ، العبر ، م ٤ ، ص ٢٧٠ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٣١٣ .

(٣) أنظر ترجمة الأمير هشام الرضا فى : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، مجهول أخبار مجموعة ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٤٢ ـ ٤٣ ترجمة رقم ٩ ، المقرى ، نفح الطيب ، ص ٣١٣ ـ ٣١٧ .

أرى مالا أقدر على الفرار بعده »[1] .

وهكذا تأزمت الأمور بين الأخوة الثلاثة ، ولم يستطع الأمير هشام أن يرد أخويه الى الطاعة ، فاضطر الى محاربتهما كل على حدة . وتمكن من التغلب على أخيه سليمان وعندئذ قدم عبد الله على أخيه هشام بقرطبة سنة ١٧٤ هـ (٧٩١ م) بلا عهد أو أمان ، وربما لأنه يئس بعد أن أخفقت محاولات أخيه الأكبر سليمان ، فرحب به الأمير وأكرمه ، واضطر سليمان هو الآخر إلى طلب الأمان ، فاشترط عليه هشام الرحيل عن الأندلس وفى مقابل ذلك يمنحه ستين ألف دينار سنويا ، فرحل بأولاده وأهله إلى المغرب ، وما لبث أن اتبعه هشام بأخيه عبد الله بعد أن عوضه مالا جزيلا[2] .

ولما توفى هشام وخلفه على الامارة ابنه الحكم فى سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) انتقل عماه الى الأندلس ورفعا راية الثورة عليه ، واتجه عبد الله إلى منطقة بلنسية حيث تمكن من استمالة أهلها ، ويبدو أنه حاول أيضا الاتصال بقارله (شارلمان) ملك الفرنجة والتحالف معه ، إلا أنه أخفق فى تحقيق هدفه بعد أن تخلى قارله عن فكرة الاستيلاء على الأندلس نهائيا منذ أن منى فى المحاولة الأولى بهزيمة قاسية[3] . أما سليمان فقد عبر إلى الأندلس وبصحبته حشد من البربر المرتزقة ، اتجه بهم مباشرة إلى قرطبة مستهدفا الاستيلاء عليها ، ولكنه انهزم عدة مرات وانتهى الأمر بمقتله سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) ، وقد فت ذلك فى عضد أخيه عبد الله ، الذى آثر الصلح مع

---

(١) نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣١٧ .

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٦٣ ، النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٢٢ ، المخطوط لوحة ١٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، القسم الثانى ، ص ١١ ، ابن خلدون ، نفسه ، م ٤ ، ص ٢٧٠ ، سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢١٥ .
وراجع أيضا : P. Ibárs, Valencia arabe, p. 73.

(٣) سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٢٠ .
وأنظر . Ibárs, op. cit. p. 76. & Miranda, op. cit. t. I. p. 119.

الأمير الحكم الربضى ، وتم ذلك سنة ١٨٦ هـ (٨٠٧ م) على يدى الفقيه يحيى ابن يحيى الليثى (١) ، بعد أن أقر الأمير الحكم عمه عبد الله على ما بيده من أعمال هى بلنسية وتدمير ووشقة (٢) وطرطوشة وبرشلونه طوال حياته (٣) ، وقضى عبد الله بقية عمره فى مدينة بلنسية حتى أنه عرف بالبلنسى (٤) .

وقد توطدت العلاقات بينهما بزواج أخت الأمير الحكم من أحد أبناء عمه عبد الله البلنسى ويدعى عبيد الله ، الذى أظهر نبوغا حربيا فى صوائفه الحولية الموجهة الى أسبانيا المسيحية والتى كانت السبب فى تلقيبه بصاحب الصوائف (٥) .

والتزم عبد الله بطاعة ابن أخيه إلى أن توفى الحكم الربضى فى سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) وخلفه فى الإمارة ابنه الأمير عبد الرحمن الثانى (الأوسط) ، وعندئذ

---

(١) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٩ - ٤٠ ترجمة رقم ، النويرى ، نفسه ، جـ ٢٢ المخطوط ، لوحة ١٤ ، ابن خلدون ، نفسه ، م ٤ ، ص ٢٧٣ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام فى الأندلس ، العصر الأول القسم الأول ، الطبعة الثالثة ، نشر مؤسسة الخانجى ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٢٩ ، سالم ، نفسه ، ص ٢٢١ .

(٢) وشقة (Huesca) : تقع بالثغر الأعلى شمالى شرقى سرقسطة ، وتبعد عنها بنحو ٥٠ ميلا ويذكر الحميرى أنها مدينة قديمة بها أسواق عامرة تحيط بها الحدائق والبساتين وسورها يتسم بالحصانة ، أنظر (صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٩٤) .

(٣) جمهرة أنساب العرب ، ص ٩٤ .

(٤) أرجح أن الأمير الحكم انما قبل اسناد ولاية بلنسية الى عمه بعد أن ارتهن لديه عبيد الله ابن عمه عبد الله واستبقاه عنده فى قرطبة ضمانا لخضوع عمه ، ثم أن عبد الله البلنسى لم يعد يهمه شىء بعد أن حظى بامارة بلنسية ، ولم يعد يفكر إلا فى قضاء البقية من عمره فى سلام أميرا على هذه الكورة ، بالإضافة إلى أنه أيقن بشدة بأس الحكم وقوة مراسه واقدامه على قتل عمه سليمان ، وهذه الحقائق تدعونا إلى الاعتقاد بأن الحكم كان مطمئنا من جهة عمه عبد الله سيما بعد المصاهرة بينهما .

(٥) سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٢١ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٨ . وأيضا :

Ibárs, op. cit. p. 84.

عاودت البلنسي شهوته للإمارة ، فبادر من جديد إلى العصيان وخرج بحشد كبير من أجناد بلنسية متجها إلى تدمير (مرسية) حيث أدى صلاة الجمعة على أن يخرج إلى قرطبة في اليوم التالي ، وتذكر الرواية أن الأمير عبد الله البلنسي خطب في أتباعه قائلاً : « اللهم ان كنت أحق بهذا الأمر من عبد الرحمن حفيد أخي فانصرني عليه ،وإن كان هو أحق به مني وأنا صنو جده فانصره عليّ » فأمنوا على دعائه ، ولم يستتم كلامه حتى ضربته الريح الباردة فسقط مفلوجا ، وحمله أعوانه إلى بلنسية حيث توفي في سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣ م) [١] .

وهكذا انتهت آخر مرحلة من مراحل ثورة الأمير عبد الله البلنسي ، وعادت بلنسية بذلك الى حظيرة الحكومة المركزية ، وتولى أمرها عامل آخر من قبل الأمير عبد الرحمن الأوسط .

وقبل أن نطوى هذه الصفحة لا يفوتني أن أشير إلى انجاز عمراني هام قام عبد الله البلنسي بتنفيذه في مدينة بلنسية ، وأعني به المنية الشهيرة التي أقامها لراحته جنوب شرقي بلنسية وعرفت باسم قصر الرصافة أو منية الرصافة (La Ruzafa) تقليدا لرصافة قرطبة التي ابتناها أبوه الأمير عبد الرحمن الداخل [٢] .

د ـ بلنسية في عهد عبد الرحمن الأوسط :

لم يرد في المصادر العربية عن أحوال بلنسية السياسية في عصر الدولة الأموية إلا شذرات مبتسرة ورد معظمها في المقتبس لابن حيان ، في جملة حوادث سنة

---

(١) أنظر : ابن حيان ، قطعة من المقتبس ، نشر د . محمود مكي ، ص ٧٦ ، حاشية ١٨٩ ص ٤٨٣ ، ابن سعيد ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٤٧ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٦ ترجمة رقم ٥١١ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٤٦٣ ترجمة رقم ١٩٤ .

ـ وراجع أيضا : M. Gasper Remiro, Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905, p. 65

(٢) سالم ، نفسه ، ص ٢٢١ .

H. Miranda, Hist., mus., de valencia, t. I. p. 120.

٢٣٤هـ (أواخر ٨٤٨ م) ومضمون هذا الخبر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أغزى أسطولا من ثلاثمائة مركب إلى أهل جزيرتي ميورقة [١] ومنورقة [٢] لنقضهم العهد ، واضرارهم بمن يمر اليهم من مراكب المسلمين ، ففتح الله للمسلمين عليهم ، وأظفرهم بهم . ويضيف ابن حيان أن الأمير أرسل فتاه شنظير الخصى إلى ابن ميمون عامل بلنسية ليحضر تحصيل الغنائم ويقبض الخمس [٣] .

ونستدل من هذا النص على حقيقة هامة هى أن عامل بلنسية فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ ـ ٨٥٢ م) كان يدعى ابن ميمون . وعلى الرغم من خلو النص من أى تفصيلات حول هذا الاسم فإننى أميل إلى الاعتقاد بأن لهذا الوالى علاقة بأسرة بنى ميمون الذين ظهر منهم قادة بحريون عظام منذ نهاية عصر الطوائف وحتى فى ظل دولة الموحدين [٤] .

---

(١) ميورقة (Mallorca) : احدى جزر البليار الثلاثة وأكبرها ، وهى إلى الشرق من بلنسية ودانية وإلى الغرب من جزيرة منورقة . أنظر (الادريسى ، نفسه ، ص ٢١٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٨٨ .

(٢) منورقة (Minorca) : هى واسطة جزر البليار ، وتقع إلى الشرق من ساحل طرطوشة وبرشلونة ، والى الغرب منها تقع ميورقة . أنظر (الادريسى ، نفسه ، ص ٢١٤ ، الحميرى ، نفسه ، ص ١٨٥) .

(٣) قطعة من المقتبس ، نشر د . مكى ، ص ٢ ـ ٣ . وأغلب الظن أن ابن ميمون والى بلنسية كان له دور ما فى تلك الغزوات البحرية ضد جزيرتى ميورقة ومنورقة وذلك لموقع بلنسية الجغرافى القريب نسبيا من جزر البليار .

(٤) تنبغى الإشارة إلى أن أسرة بنى ميمون لعبت دورا هاما فى تاريخ البحرية الإسلامية بالأندلس ، وبرز منها قادة عظام منهم عيسى بن ميمون أمير البحر فى أواخر أيام يوسف بن تاشفين المرابطى ، ومحمد بن ميمون صاحب البحر فى أواخر عصر المرابطين . ويبدو أن أسرة بنى ميمون دخلت فى خدمة الموحدين بعد ذلك ، واستمروا فى أداء دورهم البحرى فى حماية السواحل والثغور الأندلسية . أنظر (ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، تحقيق احسان عباس ص ١٠٤ . ابن خلدون ، المقدمة المكتبة التجارية بمصر ، بدون تاريخ ص ٢٥٥ . سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٥٠ ـ ٥١ ، العبادى ، دراسات ، حاشية ٢ ، ص ٢٥٩) .

وبخلاف هذا الخبر الذى ورد فى المقتبس ، لم نجد فى هذا المصدر ما يشير إلى وقوع أى حوادث ببلنسية خلال الفترة التى تلت حكم عبد الرحمن الأوسط [١] (٢٧٥ _ ٣٠٠ هـ ٨٨٨ _ ٩١٢ م) مما يجعلنا نرجح أن تلك الفترة قد تميزت باستقرار الأمور فى بلنسية ربما لأنها لم تشارك فى الفتن والثورات التى كانت تنشب بوجه خاص بمنطقة شرق الأندلس .

٤ _ بلنسية فى عصر الخلافة الأموية :

حفل عهد الامارة الأخير أى الفترة التى تمتد من تاريخ وفاة عبد الرحمن الأوسط (سنة ٢٣٨ هـ) حتى إمارة عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٠٠ هـ بالفتن والثورات التى شملت سائر أنحاء الأندلس ، فتفتتت وحدة البلاد ، وانتزى القادة والرؤساء بالمدن والأقاليم ، وعرف هذا العهد المضطرب بعصر الطوائف الأول ، وقد وضع عبد الرحمن بن محمد منذ اعتلائه دست الامارة حدا لهذا التفتت السياسى ونهج سياسة تقوم على الترهيب والترغيب ، وأمكنه بفضل شدة مراسه وقوة إرادته وعزيمته من إعادة الأندلس إلى سابق وحدتها ، ومع ذلك فقد تميزت المرحلة الأولى من عهده وهى مرحلة الامارة . (٣٠٠ _ ٣١٦ هـ) بتعدد الثورات فى كورة بلنسية ، فيشير ابن حيان الى ثورة نشبت بكورتى تدمير وبلنسية فى سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م) ، وكانت من الخطورة بحيث بادر الخليفة بتسيير قوة لاخمادها بقيادة اسحاق بن محمد القرشى الذى نجح فى اخماد الثورة والقضاء على هذا التمرد [٢] .

ويذكر العذرى أن ثورة خطيرة نشبت فى أواخر عهد الأمير عبد الله بمنطقة بلنسية وشاطبة ، تزعمها رجل من البربر يدعى عامر بن أبى جوشن بن ذى النون ،

---

(١) راجع : قطعة من المقتبس ، تتعلق بعصر الأمير عبد الله بن محمد ، نشر الراهب ملشور أنطونيا .

(٢) أنظر : قطعة من المقتبس (خاصة بعصر الخليفة عبد الرحمن الناصر) نشر بدرو شالميتا ، ص ١٢٧ .

وأيضا - Levi - Provencal Y García Gomez, una crónica anonima de Abdal Rahman III. Madrid, 1950, p. 121 .

الذى تمكن من التغلب على شاطبة وجزيرة شقر ومدينة التراب (بلنسية) ، وقد استفحل خطر هذا الثائر فى المنطقة المذكورة إلى أن استخلف عبد الرحمن بن محمد جده عبد الله في الامارة سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) ، وعندئذ بادر عامر ببذل الطاعة استجابة لنداء الأمير الشاب ، فأقره الأمير على أعماله ، واشترك معه عامر في غزوته إلى امارة نبرة (Navarra) سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) ، ولكنه لم يلبث أن شق عصا الطاعة على الأمير من جديد فى نفس هذه السنة ، فسير إليه الأمير عبد الرحمن قائده أحمد بن اسحاق لمحاربته ، فتقدم إليه ابن اسحاق بشاطبة ، واستمر يحاربه ، فلما طال أمره أردف به الأمير قائدا آخر يدعى درى بن عبد الرحمن ، الذى ضيق الخناق على هذا الثائر ، وانتهى الأمر بدخوله فى الطاعة ، وعفا عنه الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وانتقل هو وأبناؤه إلى قرطبة فى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م [١] .

ومنذ ذلك التاريخ ساد الهدوء بلنسية ، فلم نعد نسمع عن ثورات وفتن تشتعل بها فى ظل الخلافة ، بل على النقيض من ذلك دان أهلها بالطاعة لقرطبة ، وعدنا نسمع عن ولاة تصدر بتنصيبهم على ولايتها أوامر الخليفة الناصر من هؤلاء : عبد الله بن محمد بن عقيل الذى ولاه الخليفة على بلنسية وشاطبة فى سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) ثم ولى بعده محمد بن اسحاق ، الذى خلفه محمد بن الياس فى سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) ولم يستمر بن الياس فى حكم بلنسية إلا عاما واحدا ، فلم يلبث أن عزله الخليفة سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) وولى بدلا منه موسى بن محمد [٢] .

وجدير بالذكر فى هذا الصدد أن فريقا من متطوعة بلنسية قد شارك فى الحملات التى سيرها الخليفة الناصر إلى ممالك أسبانيا المسيحية ، ففى المصادر العربية ما يسير الى أن قاضى بلنسية جحاف بن يمن الذى تنسب إليه أسرة بنى جحاف الشهيرة

---

(١) ابن حيان ، نفسه (قطعة خاصة بالناصر) ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، العذرى نفسه ، ص ١٤ ، ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ ، ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ١٠٣ .

(٢) أنظر : ابن حيان ، نفسه ، قطعة تتعلق بالناصر ، ص ٣٩١ .

Levi - Provencal Y García Gomez, op. cit. p. 157.

بيلنسية ـ اشترك مع الخليفة فى غزوة الخندق قرب مدينة شمنقة [1] (Semancas) سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م ، التى انهزم فيها الخليفة هزيمة نكراء ، واستشهد فيها هذا القاضى البلنسى الشجاع [2] .

والملاحظ أن أسرة بنى جحاف تولت منصب القضاء ببلنسية فترة طويلة ، ولعبت دورا هاما فى الحياة السياسية والعلمية بهذه المدينة لا سيما فى عصر دويلات الطوائف وقد برز منهم فى عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ / ٩٦١ ـ ٩٧٦ م) قاضى بلنسية عبد الرحمن بن جحاف ، وكان من المقربين للخليفة ، وأحد الشخصيات البارزة فى بلاطه [3] .

ومن بين الشخصيات البلنسية الهامة التى كان لها أيضا نفوذ كبير فى بلاط الخليفة الحكم المستنصر الحاجب جعفر المصحفى [4] ، الذى كان وزيرا للخليفة

---

(١) شمنقة أو شنت مانكش : مدينة كانت تقع على نهر دويرة إلى الشرق من مدينة سمورة فى امارة قشتالة المسيحية . وراجع فى هذه الغزوة : (سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ٢٨٩ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١٠ .

وأيضا : Levi - Provencal , Historia, de l'Espagne musulmane,t. II Paris, 1967, p. 172.

(٢) أنظر : المقتبس (قطعة خاصة بالناصر) ص ٤٣٢ ـ ٤٣٧ ، الحميرى ، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، طبعة القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٩٠ ترجمة رقم ٣٦٤ القاضى عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، المجلد الثانى ، تحقيق أحمد بكير محمود ، نشر مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٦٣ ، المقرى ، نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

وأيضا Ibárs, op. cit. p. 118.

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٤) هو جعفر بن عثمان بن نصر ، من بربر بلنسية ، وينتمى إلى قيس بالمحالفة . وكان والده عثمان المصحفى يتولى تأديب الخليفة الحكم فى صغره ، وتمتع بمنزلة كبيرة عند الخليفة عبد الرحمن الناصر . راجع : (ابن الفرض ، تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، طبعة السيد عزت العطار الحسينى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ رقم ٨٩٨ ، الحميرى ، جذوة المقتبس ، ص ١٨٧ رقم ٣٥٣ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ترجمة رقم ١٠٠ ، ابن سعيد ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٨٢ رقم ١١٩ ، المقرى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

وأيضا : Hist. de l'Esp., mus., t. II. p. 172

الحكم ثم لابنه هشام المؤيد بعد ذلك ، وتوفى فى سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) .

وفى عهد الحكم تولى كورة بلنسية شخصيات بارزة تخص بالذكر منها هشام ابن محمد بن عثمان ، وقد أورد ابن حيان ذكره بمناسبة وصول سفارة من إمارة برشلونة المسيحية إلى بلاط الخليفة الحكم فى سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ، واستقبلهم هشام بن محمد عامل بلنسية وطرطوشة آنذاك ، وصحبهم إلى العاصمة قرطبة حيث تلقاهم الخليفة [1] ، وكان هشام هذا ـ وفقا لما أورده ابن حيان ـ يتولى أيضا منصب صاحب الشرطة العليا ، وقد خلف عمه الوزير جعفر بن عثمان صاحب المدينة [2] فى هذا المنصب [3] .

كما تولى بلنسية ومرسية فى حجابة المنصور محمد بن أبى عامر الشاعر الكاتب والوزير عبد الملك بن شهيد [4] ، الذى ينتمى إلى أسرة بنى شهيد المعروفة بالعلم والثراء [5] .

---

(١) المقتبس (قطعة خاصة بعصر الحكم المستنصر) نشر د . عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥ ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) يذكر المقرى أن صاحب الشرطة فى ألسن العامة كان يعرف بصاحب المدينة وأيضا بصاحب الليل أنظر (نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٠٣) .

(٣) المقتبس ، نشر د . الحجى ، ص ٤٦ .

(٤) هو أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ، من أهل قرطبة ، وينتمى إلى أسرة بنى شهيد المشهورة ، التى تولت الحجابة والوزارة والكتابة طوال عصر الدولة الأموية بالأندلس ، وكان عبد الملك هنا وزيرا من وزراء الحاجب المنصور بن أبى عامر ومن أكثر المقربين اليه . ويذكر ابن بشكوال أنه نبغ فى كثير من العلوم والآداب مثل التاريخ واللغة والشعر مع سعة روايته للحديث ، وقد توفى فى سنة ٣٩٢ هـ . أنظر (الصلة ، القسم الثانى ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ترجمة ٧١١ ابن سعيد ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٩٨ ترجمة ١٢٩ ، ابن الابار الحلة ، جـ ١ ص ٢٣٩ ترجمة ٩٢ ، راجع أيضا ما كتبه د . مكى عن تلك الأسرة فى : المقتبس حاشية ٨٦ ، ص ٤٤٧ .

(٥) ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ م ١ طبعة القاهرة ١٩٣٩ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

وبعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) وتولية ابنه هشام المؤيد ، سيطر على الدولة الأموية الحاجب المنصور بن أبى عامر ومن بعده والده عبد الملك المظفر ثم عبد الرحمن شنجول ، واستمر الحال كذلك حتى سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م عندما أراد شنجول الاستئثار بالخلافة مما أدى إلى مقتله وسقوط الدولة العامرية وقيام الصراعات بين العناصر المختلفة فى الدولة كالبربر والصقالبة وأهل قرطبة ، وهى ما تعرف بالفتنة القرطبية ، التى انتهت بسقوط الخلافة الأموية فى ٤٢٢ هـ - ١٠٣١ م[١] .

ولاشك أن الفتنة القرطبية قد حملت الخراب والدمار لكل جنوب الأندلس ، فى الوقت الذى كانت فيه منطقة بلنسية خاصة وشرق الأندلس بصفة عامة هى المأوى الآمن الذى اتجه اليه الفارون من تلك الفتنة ، ذلك لأنها أتاحت لهم مكانا هادئا مستقرا ، فالتجأ اليها زعماء الصقالبة (الفتيان العامرية) حيث نعموا فيها بحياة مطمئنة[٢] . ومنذ ذلك الحين يبدأ فى تاريخ الأندلس عصر جديد يعرف بعصر دويلات الطوائف .

---

(١) عن تفاصيل تلك الفترة راجع : ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ - ٣٠٠ ، سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٣٢٣ - ٣٦٣ ، العبادى ، دراسات ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) أنظر : ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، نشر ليفى بروفنسال ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١١٥ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٥٩ .

H. Miranda, op. cit. t. I. p. 136.

الفصل الثانى

« بلنسية فى عصر دويلات الطوائف »

١ ـ قيام دويلات الطوائف بالأندلس .

٢ ـ بلنسية فى ظل مبارك ومظفر الصقلبيين .

٣ ـ بلنسية فى ظل أعقاب المنصور محمد بن أبى عامر .

٤ ـ بلنسية فى ظل بنى ذى النون .

٥ ـ بلنسية بعد وفاة أبى بكر بن عبد العزيز .

١ ـ قيام دويلات الطوائف بالأندلس

يبدأ عصر دويلات الطوائف حقيقة الأمر منذ سقوط الدولة العامرية فى نهاية المائة الرابعة عندما انهار سلطان الخلافة وتمزقت أوصال الأندلس ، وإذا كانت الخلافة الأموية قد واصلت الحياة حتى سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) فقد كانت حياتها حياة مريض غائب عن الوعى فى دور الاحتضار ، ولم يكن سلطان الخليفة الفعلى آنذاك يتجاوز أثره قرطبة وأرباضها [١] .

ذلك أنه لم يكد يمضى عهد الحاجب المظفر عبد الملك (٣٩٢ ـ ٣٩٩ هـ / ١٠٠٢ ـ ١٠٠٨ م) ويتولى أخوه عبد الرحمن شنجول بن المنصور حتى بدأت الأمور تتغير والأحوال تتبدل ، فإن تطلعات هذا الحاجب العامرى إلى ما هو أبعد من منصبه وأطماعه الخطيرة فى ولاية العهد دفعاه إلى ارتكاب خطأ لم يحسب حسابه ولم يتوقع نتيجته ، فكان ذلك وبالا عليه وعلى الخلافة ، انتهى به الى القتل وجرّ بلاد الأندلس الى فتنة ضارية تمزقت فيها شر ممزق وتحولت إلى أتون مستعر من حروب أهلية متواصلة وإكبت السنوات الأخيرة للخلافة الأموية المحتضرة واستمرت حتى سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م [٢] .

ويعبر ابن الخطيب عن أحوال الأندلس آنذاك بقوله : « وذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار ، مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب ، ليس لأحدهم فى الخلافة إرث ولا فى الإمارة سبب ، ولا فى الفروسية نسب ، ولا فى شروط الامامة مكتسب ، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار ، وجبوا العمالات والأمصار ، وجندوا الجنود ،

---

(١) انظر . عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ١٦ .

(٢) راجع : ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ترجمة رقم ١٠١ . ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٨ ـ ٥٠ . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ٣٤٣ ـ ٣٤٦ .

وقدموا القضاء ، وانتخبوا الألقاب [١] » .

وهكذا تمخض أنهيار الخلافة الأموية بقرطبة وسقوطها عن تمزق كيان الأندلس وأنقسامها الى دويلات صغيرة متنازعة فيما بينها ، استقل كل أمير بناحيته ، ودخلت البلاد عصرا جديدا هو عصر دويلات الطوائف أو عصر الفرق كما يسميه ابن الكردبوس [٢] .

وأياما كان نوع هذه الطوائف أو الفرق وأياما كان عددها سواء ثلاثة طوائف أو طائفتين احدهما أندلسية والاخرى بربرية [٣] ، فمن الثابت أن البربر أستأثروا بحكم مناطق متعددة من الأندلس وتزعمهم بنو زيرى الصنهاجيون في غرناطة ، وبنو حمود الأدارسة المتبربرون في مالقة ، وبنو النون في طليطلة ، وبنو الأفطس في بطليوس ، وبنو يفرن في تاكرنا ، وبنو برزال في قرمونة ، وبنو دمر وأزداجة في شذونة ومورور ، وبنو رزين في السهلة . أما عرب الأندلس الذين أستقروا فيها من قديم وصاروا أندلسيين فقد أسسوا عدة دويلات أهمها مملكة أشبيلية وحكمها بنو عباد ، ومملكة سرقسطة وتزعمها بنو هود ، ومملكة قرطبة وحكمها بنو جهور ، وبنو قاسم الفهرى في البونت . في حين أختص الصقالبة والعامريون بشرق الأندلس ، ففى بلنسية تغلب أولاد مبارك ومظفر العامريان (الصقلبيان) وخلفهما لبيب الفتى

---

(١) أنظر . أعمال الاعلام ، ص ١٤٤ . وعن قيام دويلات الطوائف راجع : (ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ صححه الشيخ عبد الوهاب النجار ، القاهرة ١٣٥٣ هـ ، جـ ٧ ، ص ٢٩٠ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ، ١٥٢ . عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٢٣ . المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤١٣ . وأيضا

Hussain Mones , Essai sur la chûte du Califat umayyade de Cordoue en 1009, le Caire, 1948, pp. 278 - 282.

(٢) انظر . تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، نشر معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٧١ ، ص ٧٨ .

(٣) راجع . سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٧ .

(الصقلبى) ومجاهد العامرى ثم بنو المنصور بن أبى عامر ، وفى المرية تملك خيران ثم زهير العامريان ، وفى دانية والجزائر الشرقية (جزر البليار) تملك مجاهد العامرى ثم ولده على [1] .

ولقد حرص كل من هؤلاء الملوك على أن يستند فى مملكته على سند شرعى يستمد منه سلطانه ، فمملكة اشبيلية دعت لأحد أشباه هشام المؤيد استقدمه أبو القاسم محمد بن عباد وبايعه بالخلافة [2] ، ومجاهد العامرى أقام خليفة قرشيا من أشراف قرطبة ينتسب إلى المروانيين يدعى أبا عبد الله المعيطى نصبه بمملكته فى دانية وجزر البليار ولقبه بالمنتصر بالله فى سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م [3] . فى حين تشبه عدد كبير من ملوك الطوائف بالخلفاء العباسيين فتقبلوا بألقاب الخلافة وكان ذلك مثارا لسخر الشعراء والكتاب فى ذلك العصر ، مثل قول الشاعر ابن رشيق [4] :

مما يزهدنى فى أرض أندلسٍ ... أسماءُ معتضدٍ فيها ومعتمدِ
ألقابُ مملكةٍ فى غيرِ موضعِها ... كالهرِّ يحكى انتفاخا صورة الأسدِ [5]

---

(١) راجع . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٥٥ ـ ١٥٨ ، ١٦٤ ـ ١٦٦ ، ١٨١ ـ ١٩٢ ، ١٩٤ ـ ٢١٥ . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ . سالم ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ٥٧ . العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٨٩ ـ ٩٢ .
Miranda, Historia musulmana de Valencia, t. I. p. 136.

(٢) انظر . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٧ ترجمة رقم ١١٨ . ابن عذارى ، نفسه جـ ٣ ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١١٥ . سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٨٨ . العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٨ .

(٤) هو أبو على الحسن بن رشيق المعروض بالقيروانى ، أحد الأفاضل البلغاء . وقد ذكر ابن بسام أنه ولد بالمسيلة ثم ارتحل إلى القيروان ، وقال غيره أنه ولد بالمهدية فى سنة ٣٩٠ هـ ، وأبوه مملوك رومى من موالى الأزد ، وتوفى سنة ٤٦٣ هـ . انظر . (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، المجلد الثانى ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٨٥ ـ ٨٩ رقم ١٦٥) .

(٥) انظر . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٤٤ .

٢ ـ بلنسية فى ظل مبارك ومظفر الصقلبيين

أ ـ خضوع شرق الأندلس للفتيان الصقالبة :

غلبت على شرق الأندلس الطائفة الصقلبية التى استأثرت بعظام مدنها وسيطرت على أحداث هذه المنطقة . ومن المعروف أن الفتيان الصقالبة الذين ينتسب معظمهم الى بنى عامر خاضوا غمار الفتنة وأرغمتهم الظروف على ترك الحاضرة قرطبة ولاذوا بشرق الأندلس ، يلتمسون فيه الأمان والاستقرار بعيدا عن ثورات البربر التى عصفت بجنوب الأندلس . وقد تمكن هؤلاء الصقالبة من الانتزاء فى أكثر مدن شرق الأندلس مؤسسين بذلك دويلات الطائفة الصقلبية فى المرية ومرسية ودانية والجزائر الشرقية وفى طرطوشة وبلنسية وشاطبة (١) .

وهكذا خضعت بلنسية فى بداية عصر الطوائف لهؤلاء الفتيان الصقالبة . ولخطورة الدور الذى قاموا به فى حوادث شرق الأندلس وبلنسية على وجه الخصوص وجبت الاشارة إلى أصلهم ونشأتهم . وواضح من الاسم أنهم من أصول سلافية ، استكثر منهم أمراء بنى أمية منذ عهد الحكم الربضى ، وازداد نفوذهم فى بلاط الخلافة فى عهد الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر ، ولهذا أسند اليهم المناصب

---

(١) يعبر أحد الشعراء عن الوضع بشرق الأندلس عند قيام دويلات الطوائف بقوله :

وثار فى شرق البلاد الفتيانْ ... العامريونَ ومنهم خيرانْ
ثم زهير والفتَى لبيبْ ... ومنهم مجاهدُ اللبيبْ
سلطانه رسا بحوس دانية ... ثم غزا حتى مردانية
ثم أقامت هذه الصقالبة ... لابن أبى عامرهم بشاطبةْ
وجل ماملّكه بلنسيةْ ... وثار آلُ طاهرٍ بمرسيةْ

أنظر . (ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٢ ، ص ٤٣٠ . عنان ، نفسه ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

الكبرى والقيادات[1] ، وقد ازداد نفوذ هؤلاء الفتيان في عصر ابنه الحكم المستنصر وسيطر كثير منهم على أداة الحكم والإدارة ، بحيث ظن الصقالبة بعد وفاته في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م أنهم أصبحوا سادة الموقف ، وحاولوا اقصاء هشام المؤيد بن الحكم عن الخلافة وتولية المغيرة بن الناصر ، ولكن المنصور محمد بن أبي عامر والحاجب جعفر المصحفي تصديا لهم ، وقتل ابن أبي عامر صاحبهم المغيرة ، وانتهى الأمر باعتلاء هشام دست الخلافة ، ووفق المنصور بن أبي عامر في تشتيت شمل هؤلاء الصقالبة من القصر الخلافي ، واعتمد على عناصر صقلبية جديدة ارتضاهم صنائع له عرفوا بالفتيان العامريين ، واستكثر المنصور من هؤلاء الصقالبة تمكينا لسلطانه ودعما لنفوذه ، وقد عبر المقرى عن ذلك بقوله : « وجند (أى المنصور) للبرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على الرتبة وقهر من تطاول إليها من أهل العلية[2] .

وعلى أية حال فقط اضطر الفتيان الصقالبة بعد مصرع شنجول وقيام الفتنة الى مغادرة قرطبة والالتجاء الى شرق الأندلس حيث تغلبوا على مدنه وأقاموا هناك عددا من الدويلات في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادى عشر الميلادى) ، فقد تغلب

---

(١) ومن أمثلة إزدياد نفوذ الصقالبة في عهد الناصر أنه قلد أحدهم ويدعى نجدة الصقلبي قيادة الحملة التي سيرها الخليفة الناصر ضد نصارى الشمال ، وهي الحملة التي انتهت بهزيمته في موقعة الخندق قرب مدينة شمنقة أوشنت ما نكش Simancas سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٨ م) . ويقال أن سبب الهزيمة يرجع الى تغير نفوس العرب على تقديم الصقالبة عليهم ، إذ أقسموا أن يتركوا الصقالبة وحدهم عند نشوب المعركة مما أدى الى الهزيمة . انظر . (مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ . ابن حيان ، المقتبس (القطعة الخاصة بعبد الرحمن الناصر) ص ٤٣٢ ـ ٤٣٧ . مختار العبادى ، الصقالبة في أسبانيا ، نشر معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٥٣ ، ص ١١ ـ ١٢ . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٨٩ . كليليا سارنللي ، مجاهد العامرى قائد الأسطول العربي في غرب البحر المتوسط ، لجنة البيان العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٥ وأيضا .

(H. Mones, La Chûte du califat, p. 178.

(٢) انظر . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ .

خيران العامرى على مرسية والمرية [1] ، وانتزى مجاهد العامرى بحكم دانية وجزر البليار (الجزائر الشرقية) ، واستقل لبيب [2] الفتى بطرطوشة ، بينما استقل الصقلبيان مبارك ومظفر يبلنسية وشاطبة .

ب ـ إمارة مبارك ومظفر الصقلبيين على بلنسية :

بانبثاق الفتنة فى سائر أنحاء الأندلس شارك بلنسية كدويلة مستقلة من دويلات الطوائف بدور بارز فى حوادث شرق الأندلس على وجه الخصوص باعتبارها محور الصراع من أجل النفوذ والسلطان فى تلك المنطقة [3] . فعندما احتدمت نار الفتنة فى أعقاب انهيار الدولة العامرية تمكن المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار من انتزاع الخلافة من هشام المؤيد ، وكان على بلنسية ـ وفقا لبعض الروايات ـ فتى من الفتيان العامريين هو مجاهد العامرى ، فثار عليه اثنان من الصقالبة هما مبارك مظفر ،

---

(١) المرية (Almería) : على ساحل جنوب شرقى الأندلس بين مالقة ومرسية ، وكانت من أهم القواعد البحرية الأندلسية فى العصر الإسلامى ، أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٥ م ، واشتهرت بحصانتها ومناعتها وبصناعة الحلى والديباج والحرير . أنظر (الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ . أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ . الحميرى ، نفسه ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ . سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٣ ـ ١٦ ، ٣١ ، وراجع ايضا
El Sayed Abdel Aziz Salem, Algunos aspectos del Flore cimient eonomico de Almería islamica, Madrid, 1979, pp. 7 - 8 & 14 .

(٢) جدير بالملاحظة أن الأمر قد اختلط بسبب التشابه إلى حد ما بين اسمى لبيب ونبيل خاصة وأن العملة التى عثر عليها كان منقوشا عليها اسم نبيل ، مما جعل البعض يرجح أنه هو الذى استقل بطرطوشة منذ بداية عصر الطوائف . غير أننى أرجح أن لبيب الفتى كان يحكم طرطوشة عند قيام دويلات الطوائف وليس نبيل ، خاصة وأن هذا الأخير (نبيل) يعتبر هو آخر من تولى حكم طوطوشة من الفتيان العامرين ، فقد سلمها للمقتدر بين هود فى سنة ٤٥٢ هـ على أثر فتنة نشبت بها . وعلى هذا استطيع القول بأن لبيا الفتى كان يعاصر عهد مبارك ومظفر أما زميله نبيل الصقلبى (الفتى) فكان يعاصر حكم المنصور عبد العزيز بن أبى عامر . انظر . (البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٣ ، ٢٥٠ . أعمال الاعلام ، ص ٢٢٦ . وأيضا .
Prieto Y vives, Los reyes de taifas, Madrid, 1926, p. 37) .

(٣) عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٠٧ .

تغلبا عليه وانتزعا منه سلطانه عليها ، وعندئذ ترك لهما مجاهد مدينة بلنسية ورحل الى دانية [1] . وهناك رواية أخرى لابن حيان ـ نميل الى الأخذ بها ـ عن وصول مبارك ومظفر إلى حكم بلنسية وخلاصتها أنهما كانا ـ بادىء ذى بدء ـ يتوليان وكالة الساقية ببلنسية ، ثم حدث أن صرفا عنها واضطرا إلى المثول بقرطبة حاضرة الخلافة أمام الوزير عبد الرحمن بن يسار وذلك فى سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م ، فاستعطفاه وتوسلا إليه ، فكان سببا لردهما الى عملهما ، فعادا الى بلنسية ، ولم يلبث أن ضرب الدهر ضرباته ـ على حد قول ابن حيان ـ فقضى لهما بالامارة هناك ، بينما نالت ابن يسار محنة قرطبة بعد ذلك . ويصف ابن حيان هذا الحادث بأنه « من غرائب الليالي والأيام اللاعبة بالأنام » ويشير إلى أن مباركا ومظفرا كانا من قبل عبدين خصيين من الصقالبة [2] لمفرج العامرى مولى المنصور بن أبى عامر [3] .

ويذكر ابن بسام أنهما « كان عبدىّ مهنة ، وجنى فتنة ، قل الناس فأمروا ، وخلال الجو فباضوا وصفروا ، وغاظوا الجماعة بقرطبة مدة أيامهم ، وداسوا أحساب الأحرار بأقدامهم [4] » .

وأياما كانت الظروف التى دعتهما الى تولى الحكم في بلنسية ، فمن الثابت أنهما اشتركا فى ملك بلنسية ، وامتزجا في ذلك امتزاج الأخوة ، ونزلا فى قصر الإمارة مختلطين [5] ، ورغم ذلك فقد كان لمبارك التقدم فى المخاطبة ورسوم الامارة ،

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

(٢) من الملاحظ أن الفتيين الصقلبيين مبارك ومظفر كانا يتخذان الحريم رغم كونهما خصيين ، فقد جرت العادة على أن يتخذ زعماء الصقالبة الخصيان النساء . انظر . (ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثالث المخطوط ، لوحة ٣ ـ Prieto Y vives, los reyes de taifas, p. 39. & Miranda, op. cit. t. I, p. 149.)

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ ، لوحة ٣و ، ٤و . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٥٨ . Ibárs, Valencia arabe, V. I. p. 137 - 138. & G. Robles; Malaga musulmana, p. 40.

(٤) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ لوحة ٣و . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٥) ابن حزم ، رسائل ابن حزم الأندلسى ، تحقيق احسان عباس ، نشر مكتبة الخانجى بمصر والمثنى=

لصرامته وشدته ولدمائه مظفر وانحطاطه لصاحبه في سائر أمره ، ورضاه بكل فعله . ومع ذلك فهناك من الروايات ما يشير إلى أن مظفرا الفتى اختص بحكم بلنسية ، في حين انفرد صاحبه مبارك بحكم شاطبة [1] ، التي كان يتولى أمرها عند انقراض الدولة العامرية على حد قول ابن الخطيب ـ الفتى خيرة الصقلبي ، ولكن مطامع مبارك في الاستيلاء عليها دفعته الى التخلص من خيرة ، فاستضافه مبارك يوما ببلنسية ودس له السم في طعام قدمه اليه ، ولم يلبث خيرة أن توفي بعد أيام قلائل من عودته الى شاطبة ، فخلفه على شاطبة نائبه عبد العزيز بن أفلح ، الذى كان يدين لمبارك صاحب بلنسية بنوع من التبعية والخضوع ، واستمرت الأوضاع على ذلك النحو الى أن استولى مجاهد العامري صاحب دانية على شاطبة [2] .

جـ ـ سياسة مبارك ومظفر الداخلية :

استمر مبارك وزميله مظفر يتوليان أمر بلنسية بضع سنوات حتى سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) ، وبلغت جبايتهما مائة وعشرين ألف دينار في الشهر الواحد ، سبعون منها من بلنسية ، وخمسون من شاطبة . وتذكر المصادر أنهما كانا يتعسفان في تحصيل هذه الأموال ويتشددان في جبايتها ، وقد تجردا من مشاعر الرحمة والشفقة على الرعية الذين أرهقهم تحمل هذا العسف وناءوا بأثقاله ، في الوقت الذى تزايد فيه خراج هذين الصقلبيين ، وتمتعا بالترف الفاحش على حساب بؤس الرعية وشقائها [3] ، فكان موكبهما ـ على حد وصف ابن حيان ـ يفوق موكب مولاهما المظفر عبد الملك بن أبي عامر في فاخر لباسهما ووفور عدد أصحابهما وحسن

= بغداد ، بدون تاريخ ص ١٣٢ . ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٣و . ابن عذارى ، نفسه ، ص ١٥٩ . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٢٢ .

(١) ابن بسام ، نفسه والقسم الثالث المخطوط ، لوحة ٣و ، ٣ظ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

(٢) انظر . أعمال الأعلام ، القسم الثاني ، ص ٢٢٦ .

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ لوحة ٣ ظ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ . ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .

خدمتهم لهما [1] ، كما أسرفا فى التشييد والمباهاة ، فاهتبلا فى اقامة القصور ، واقتناء نفيس المتاع والرياش والآلات والخدم والحشم ، وشاركهما فى هذا الترف أعوانهما من الكتاب والوزراء [2] .

ومع ذلك فقد حرصا على تحصين بلنسية ، ودعم دفاعاتها ربما خوفا على ملكهما ـ فى عصر امتلأ بالفتن والحروب ـ من أطماع الطامعين ، ويذكر المؤرخون أنهما سورا بلنسية وزودا سورها بأبواب حصينة [3] ، وكان لانشاء هذا السور أعظم الأثر فى حمايتها من أطماع المتنزين والمتوثبين ، وترتب على ذلك أن نعمت بلنسية بنوع من الأمن والهدوء كان لهما الأثر الكبير فى اقبال أعداد كبيرة من أهل قرطبة ممن شردتهم الفتنة وطحنتهم النوائب ، على نزولها وسكناها ، فانتجع الناس اليها من كل مكان ، ومنهم من كان عارفا بالزراعة والغروس فأقبلوا على انشاء الضياع ، وأقاموا الدور والجنان ، فعمرت كورة بلنسية بجهودهم وعم الخير بانتاجهم الوافر ، ومنهم من كان من أرباب الصنعة وفنون الترف ، فباشروا صناعاتهم فى ظل هذه الحياة الآمنة [4] ، فتألقت الفنون والصناعات وازدهرت الحياة الاقتصادية ورخت البلاد وامتد العمران ، وقد ساعد على ذلك التزام مبارك ومظفر بسياسة تقوم على الحياد بين ملوك الطوائف وعدم الخوض فى الحروب الأهلية المحتدمة فى الأندلس [5] .

واجتذبت حياة الدعة والأمن والرخاء جمهورا كبيرا من الموالي والصقالبة ومن الافرنج والبشكنس وكذلك من العبيد الآبقين قدموا من مختلف نواحي الأندلس ، وكان بينهم المغامرون من الفرسان الشجعان ومعظمهم من الموالى العامرية ، وقد وجد

---

(1) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٤و . ابن عذارى ، نفسه ، ص ١٦١ .

(2) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٣ ظ ، ٤ و . ابن عذارى ، نفسه ، ص ١٦٠ . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٢٠ . وانظر .

Miranda, op. cit. t. I. p. 151.

(3) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٣ ظ . ابن عذارى ، نفسه جـ ٣ ، ص ١٦٠ .

(4) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٣ ظ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ .

(5) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٣ ظ ، ٤ ظ . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٢٢ .

هؤلاء في بلنسية فرصة متاحة لابراز مواهبهم ، وألفوا من أميريها شغفا في استخدامهم ، فنعموا في عهدهما بنفوذ كبير [1] .

وتجدر الاشارة الى أن مباركا ومظفرا أقدما على سك عملة لهما في سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) نقشا عليها اسميهما الى جانب اسم الناصر على بن حمود الخليفة القائم بقرطبة آنذاك [2] ، تعبيراً عن تبعيتهما الروحية لهذا الخليفة الحمودى المتغلب، ولكى يضفيا نوعا من الشرعية على امارتهما ببلنسية .

ومن الغريب حقا أنه على الرغم من غلظة مبارك ومظفر وما اتسما به من جهالة بالعلوم والآداب ، كانا يستخدمان في بلاطهما بعض كتاب العصر النابهين وعلى رأسهم ابن التاكرنى [3] وغيره من كبار كتاب قرطبة وأدبائها الذين هاجروا من حاضرة الخلافة عقب اندلاع نيران الفتنة بها ، والتمسوا الحياة في بلنسية الآمنة في ظل هذين الصقلبيين الذين اتخذوا هؤلاء الكتاب في دولتهم مشاورين لهما ، ويرجعان إلى رأيهم ومشورتهم في كل ما يعن لهم من أمور [4] ، كما استخدماهم في جباية أموالهم وتدبير رجالهم ، فتمتع هؤلاء هنالك بحياة رغدة مترفة ، وشاركوا مباركا ومظفرا في نعمهم وثرائهم [5] .

ومن بين الشعراء الذين قصدوا بلنسية ومدحوا أميريها مباركا ومظفرا « ابن

---

(١) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٣ ظ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ .

(٢) Prieto Y Vives, Los reyes de taifas. p. 39. & Robles, Malaga musulmana, p. 242.

(٣) هو أبو عامر محمد بن سعيد التاكرنى ، ينتسب إلى تاكرنا قرب الجزيرة الخضراء ، كان كاتبا مجيدا ، وبلغ مرتبة عالية في عهد الدولة العامرية . ثم خدم لمبارك ومظفر ، وبعد ذلك للأمير المنصور عبد العزيز بن أبي عامر ، وترقى حتى وصل إلى منصب الوزارة . أنظر . (ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٤٤ و ، ٤٤ ظ . ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ ترجمة رقم ٢٣٨ .

(٤) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٢٥ .

(٥) انظر . الذخيرة ، ق ٣ ، المخطوط ، لوحة ٤ ظ .

دراج القسطلى (١) ، أشهر شعراء عصر الطوائف ، الذى مدحهما بقصيدة رائعة (٢) .

د ـ السياسة الخارجية لبلنسية فى عهد مبارك ومظفر :

على الرغم من اشتراك مبارك ومظفر مع بقية الفتيان العامرين بشوق الأندلس

---

(١) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصى بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج القسطلى ينسب إلى قسطلة دراج بالجوف (فى البرتغال حاليا) ، ويعتبر من أشهر شعراء الأندلس المعدودين ، وكان كاتبا للمنصور بن أبى عامر ، ومدح كثيرا من ملوك الطوائف بعد ذلك . أنظر (ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، المجلد الأول ، ص ١٣٥ ـ ١٣٩ ترجمة رقم ٥٦ . جنثالث بلنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٦٥ . مقدمة ديوان ابن دراج القسطلى ، تحقيق د . محمود مكى ، ص ٧٠) .

(٢) يقول ابن دراج فى مطلع قصيدته التى يمدحهما فيها :

أنورك أم أوقدتَ بالليل نارَكْ ... لباغ قراك أو لباغ جوارَكْ ؟
وريّاك أم عَرف المجامر أُشْعلَتْ ... بعود الكباء والألوة نارَكْ ؟
ومبسمُك الوضاحُ أم ضوءُ بارقٍ ؟ ... حداه دعائى أن يجودَ ديارَكْ

انظر . (ديوان ابن دراج القسطلى ، ص ٨٤ .)

ومن قصيدة أخرى لابن دراج يمدح فيها صاحبى بلنسية وقد دعيا لولاية طليطلة يقول :

أهنيكما ما يَهْنِيءُ الدينَ منكما ... هُدىً وندىً فليسلم الدينُ واسلَمَا
وشهرٌ تولى راضيا قد بلغتما ... مداه كراما قَوَّمَ الليلَ صوَّما
وفطرٌ تحلى بالصلاة الى الندى ... دعوناه ألا يُوحش الأرضَ منكما
فأسفر عن وجهٍ تجلى سناكما ... وصدق تجلى بالسلام عليكما

انظر . (الديوان ، ص ٤٤٢) .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يرد ذكر فى أى مصدر من مصادر تاريخ الأندلس لما أورده ابن دراج فى قصيدته من دعوة مبارك ومظفر لولاية طليطلة وربما تكون هذه الدعوة قد وجهت الى أميرى بلنسية ـ حسبما يذكر الدكتور مكى بعد خلع أهل طليطلة لابن متيوه فالمؤرخون يذكرون أنه قد اعقبت ذلك فترة من الاضطراب السياسى فى هذه المدينة لم تنته إلا بولاية اسماعيل بن ذى النون . انظر . (ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧) . وقد تكون هذه الدعوة لحكم طليطلة وقعت بين هذين الحدثين ، والثابت انهما لم يتوصلا فى النهاية الى ضم طليطلة . انظر (الديوان، ص ٧٠ حاشية رقم ١) .

فى اختيار المرتضى [١] خليفة لقرطبة فى سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م فانهما لم يشتركا فى الجيش الذى صحب المرتضى لدخول قرطبة سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م [٢] .

ومن أبرز أعمال مبارك العسكرية حربة ضد منذر بن يحيى التجيبى [٣] صاحب سرقسطة الذى طمع فى انتزاع طرطوشة من يد صاحبها لبيب الصقلبى (الفتى) فهاجمها وأرغم لبيبا الصقلبى على الخروج منها والتماس النصرة من صاحبى بلنسية . ولم يتردد مبارك فى الخروج معه على رأس خمسمائة فارس من صفوة جنوده لمحاربة منذر التجيبى ، فلما اشتبك مع قواته دارت بينهما معركة عنيفة انتهت بهزيمة صاحب سرقسطة ، وقتل فى المعركة ابن عم له يدعى محارب بن عيسى التجيبى . وقد عاد مبارك بعد هذا الانتصار الى بلنسية ظافرا ، فاستفحل أمره وازداد نفوذه ودانت له جماعة الموالى [٤] .

هـ ـ نهاية عهد مبارك ومظفر فى بلنسية :

على الرغم من الثراء الفاحش وحياة الترف الزائد التى كان ينعم بها كل من مبارك ومظفر فى بلنسية ، فقد كان معظم رعيتهما فى مملكة بلنسية يعانون شظف

---

(١) هو أحد أعقاب بنى أمية ويدعى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وكان قد لجأ إلى شرق الأندلس أثناء الفتنة القرطبية . انظر . (ابن حزم ، طوق الحمامة فى الألفة والآلاف ، تحقيق حسن الصيرفى ، نشر المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١١٨ . ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧ ترجمة ٥١٢ . المقرى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ . سالم ، تاريخ مدينة

(٢) انظر : ابن بسام ، نفسه ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ . ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الثالث ، تحقيق عبد الله عنان ، الطبعة الأولى ، نشر مكتبة الخانجى القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩٧ . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٣) ذكر ابن حيان أن منذر بن يحيى التجيبى قد ترقى الى القيادة آخر دولة بن عامر ، وازداد نفوذه إبان الفتنة القرطبية حتى وصل إلى مرتبة الامارة ، واستقل بالثغر الأعلى وأصبح ملكا عليه . انظر (ابن بسام ، نفسه ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٥٢) .

(٤) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٢٦ .

عيش ، ويقاسون مرارة الجوع والفقر والحرمان بسبب الضرائب الباهظة التى أثقلت كاهلهم ، حتى غدا كثيرا منهم يلبسون الجلود والحصر ، ويأكلون البقل والحشيش ، كما أدت سياسة العسف التى انتهجها أميرا بلنسية مع المزارعين الى حمل العدد الأعظم منهم على الفرار وهجر أراضيهم ، فوضع عليها مبارك ومظفر أيديهما واستوليا عليها (١) .

ومما لاشك فيه أن هذه السياسة كانت سببا فى حمل أهل بلنسية على بغض أميريهم وتمنيهم التخلص من حكمهما الغاشم . وتذكر بعض الروايات أن مباركا ركب جواده يوما من قصر بلنسية يبغى الخروج للنزهة خارج المدينة ، فاعترض الأهالى موكبه ، وأخذوا يشكون اليه ما يلاقونه من الجور والعسف ، ويتوسلون إليه أن يرفق بهم . فقال لهم : « اللهم إن كنت لا أريد انفاقه فيما يعم المسلمين نفعه ، فلا تؤخر عقوبتى الساعة » ثم واصل موكبه بعد ذلك ، فما كاد يصل إلى القنطرة الخشبية ، حتى تعثر فرسه ، فسقط مبارك واعترضته خشبة بارزة من القنطرة شدخت وجهه ، فسقط على الأرض وسقط الفرس فوقه ، ففتق بطنه وفاضت روحه ، فأمن الناس من مقته وكفاهم الله أمره . وفى غمرة سعادتهم وفرحتهم ثاروا فى نفس اليوم على زميله مظفر فقتلوه ونهبوا القصر(٢) . وقيل أن موت مبارك أضعف من أمر مظفر ، فوثب به أهل بلنسية وأخرجوه منها فانزوى بشاطبة (٣) . وهناك رواية أخرى تشير إلى أن مظفر قد هلك أولا ثم لم يلبث أن لحق به صاحبه مبارك فى ذى الحجة سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م أو سنة ٤٠٩ هـ (٤) .

---

(١) انظر : ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٣و . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣و ص ١٦٢ . ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٢) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٤ ظ . ابن الخطيب ، الاحاطة ، المجلد الثالث ، ص ٢٩٣ . أعمال الاعلام ، ص ٢٢٥ . العبادى ، الصقالبة فى أسبانيا ، ص ٢١ . وأنظر :
H. Miranda, Hist., mus., de Valencia, t. I, p. 153.

(٣) انظر : ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ . ونلحظ ـ كما ذكر بالمتن ـ أن هناك ثلاث روايات لنهاية حكم مبارك ومظفر فى بلنسية ، واننى أميل إلى ترجيح الرواية الأولى المنسوبة إلى ابن حيان الذى كان معاصرا لتلك الحوادث .

(٤) انظر : رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ .

وأياما كان الأمر فقد سجلت وفاة مبارك نهاية لعهد الفتيين مبارك ومظفر فى بلنسية ، واتفق الأهالى على دعوة لبيب الصقلبى صاحب طرطوشة لتسلم مقاليد الحكم فى بلنسية ، وتشير بعض المصادر إلى أن مجاهدا العامرى صاحب دانية شاركه فى حكمها ، فكانت الخطبة تصدر باسميهما معا ، ثم اختلفا ، ففر لبيب الى طرطوشة ، فى حين انفرد مجاهد بملك بلنسية [1] . وهناك رواية تشير إلى أن لبيا الصقلبى بعد أن استند إليه أهل بلنسية امارة بلدهم ، أحدث فيهم أحداثا مقتوه بسببها ، فلاذ بالطاغية ريموند أمير الافرنجة (صاحب برشلونة) ، وبالغ فى التودد له حتى أصبح كبعض عماله ، وقد أثار ذلك غضب أهل طرطوشة عليه ، ودفعتهم الغيرة على بلدهم من الخضوع للملك النصرانية ، فوثبوا على لبيب ، وقضوا عليه ، واستدعوا منذرا التجيبى لحكمهم [2] .

٣ ـ بلنسية فى ظل أعقاب المنصور محمد بن أبى عامر

أ ـ دولة المنصر عبد العزيز ببلنسية :

انفرد مجاهد العامرى بحكم بلنسية بعد خروج لبيب الصقلبى عنها ، ويبدو أن سيطرته عليها كانت قصيرة الأمد ، فلم يلبث أن دخل فى حرب مع منذر التجيبى صاحب سرقسطة ، الذى بادر بضم طرطوشة الى مملكته فى نفس الوقت الذى كان مجاهد يطمع فى الاستيلاء عليها ، وقد تسبب اقدام منذر التجيبى على ضم طرطوشة فى اندلاع نار الحرب بينهما ، وقد أثار ذلك مخاوف البلنسيين الذين ألفوا حياة الاستقرار وآثروا الدعة ، ورأوا هذه الحرب تهديدا لأمنهم ولأموالهم ، وخطرا على

---

(١) انظر . رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ .

وأيضا : Claudio Sanchez Albornoz, La España Musulmana, t, II, p. 14.

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٤ ظ . ومن الجدير بالملاحظة أن ابن بسام يذكر اسم ابن هود بدلا من منذر التجيبى ، ويبدو أن الأمر اختلط على ابن بسام اذ أن سرقسطة كانت آنذاك تحت حكم منذر بن يحيى التجيبى (٤٠٨ ـ ٤١٤ هـ / ١٠١٧ ـ ١٠٢٣ م) والمرجح أنه هو نفسه الذى استدعاه اهل طرطوشة ليتولى أمر بلدهم وليس ابن هود كما يذكر ابن بسام .

حياتهم ومهجهم ، فاجتمع زعماء الموالى العامرية وقرروا اسناد حكم بلنسية الى واحد من أحفاد المنصور بن أبى عامر هو المنصور الثانى أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن ابى عامر (١) .

ويبدوا أن ولاء الفتيان العامريين للمنصور بن أبى عامر وأبنائه ، وتعلقهم بتراث الدولة العامرية كان السبب الرئيسى فى مبايعتهم للمنصور عبد العزيز ، وفاءً منهم لذكرى سيدهم ، واحياءً للدولة العامرية فى بلنسية . ويجدر بنا ملاحظة أن معظم زعماء الصقالبة فى شرق الأندلس كانوا من الفتيان العامرين ،الذين يرجعون الفضل فيما بلغوه من سلطان الى النفوذ الكبير الذى كانوا ينعمون به فى عهد الدولة العامرية (٢) .

وكان عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول قد فر بعد مقتل والده شنجول واندلاع نار الفتنه القرطبية هو وابن عم له يدعى محمد بن المظفر عبد الملك من قرطبة ، ولاذا بمنذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة ، حيث عاشا فى كنفه ، وكان كل منهما لا يتجاوز من العمر آنذاك سبع سنوات ، وظل عبد العزيز بن أبى عامر مقيما بسرقسطة إلى أن دعاه الفتيان العامرية ليتولى امارة بلنسية ، فبادر على الفور بالسير الى شاطبة حيث تمت مبايعته ملكا على بلنسية فى سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م وتلقب بالمنصور (٣) ، ولما يتجاوز بعد من العمر الخامسة أو الرابعة عشرة من عمره (٤) .

---

(١) انظر . ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٤ ظ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٢٩٣ . ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ . ابن عذارى ،نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ ، ٣٠١ ـ ٣٠٢ . النويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ ٢٢ المخطوط ، لوحة ٦٠ (نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية برقم ٢٢ م) ويجدر الاشارة الى أن بنى عامر ينسبون الى قبيلة معافر اليمنية ، ودخلوا الى الأندلس عند الفتح الاسلامى لها . وراجع . (ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ . ابن الابار ـ الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٧٥ ترجمة رقم ١٠١) .

(٢) انظر . عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١٠ .

(٣) البيان المغرب ، رواية صاحب الذيل ، جـ ٣ ، ص ٣٠١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٤٨ .

(٤) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤١٩ . ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط لوحة ٤٩ ظ . وقد ذكرت =

والأرجح أن المنصور عبد العزيز لم يستمر طويلا بشاطبة ، فقد ذكر ابن خلدون أن أهالى شاطبة ثاروا عليه ، فاتجه الى بلنسية ودخلها فى سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م [١] .

وبدخول المنصور بلنسية أصبحت أهم قاعدة للعامريين ومواليهم ، كما استعاد الفتيان العامريون بقيام الدولة العامرية من جديد فى شرق الأندلس سلطانهم القديم ، ومع ذلك فلم يكن خيران العامرى أحد رؤساء الفتيان العامرية وصاحب المرية ومرسية وأوريولة راضيا عن هذا الوضاع الجديد ، وسرعان ما دب الخلاف بينه وبين الأمير المنصور عبد العزيز ربما لخوفه على سلطانه بمرسية وأوريولة من قيام هذه الدولة العامرية الجديدة ، أو ربما لم يحصل على ما كان يرجوه فى ظلها من نفوذ ، وذرا للرماد فى العين وحتى لا يقال عنه أنه خان سادته العامرية فقد أقدم على مبايعة محمد بن المظفر عبد الملك أحد أبناء عم المنصور ملك بلنسية ، وتوّجه أميراً على مرسية وأوريولة ولورقة ، ولقبه بالمؤتمن ثم المعتصم ، والظاهر أن خيران كان يهدف من وراء ذلك إلى إيجاد منافس شرعى من العامريين لمضايقة المنصور صاحب بلنسية ، واضعاف اجماع الفتيان العامرية على المنصور وتفتيت وحدتهم درءا لخطر تطلعهم الى ملكه [٢] .

وكان محمد بن المظفر عبد الملك قد لجأ مع ابن عمه المنصور عبد العزيز عند اشتعال الفتنة الى منذر التجيبى صاحب سرقسطة ، ثم لم يلبث أن رحل عنها الى كورة جيان (شرقى قرطبة) حيث اجتمعت اليه حشود كبيرة من الأتباع ، اجتذبهم اليه بأمواله الهائلة التى ورثها عن أبيه ، وما زال مقيما فى جيان الى أن دعاه خيران العامرى لحكم مرسية وأوريولة . غير أن خلافا خطيرا لم يلبث أن دب بين خيران

= الرواية أن مولد عبد العزيز بن أبي عامر كان فى جمادى سنة ٣٩٧ هـ . انظر (رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠١) .

(١) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٤٨ . القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٤٣ . ونلحظ أن ابن الخطيب قد حدد مبايعة المنصور عبد العزيز أميرا على بلنسية بسنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م) . (أعمال الاعلام ، ص ١٩٥) والصحيح ما ذكرناه بالمتن (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) عن ابن بسام الذى ينقل بدوره عن ابن حيان امعاصر لتلك الفترة .

(٢) انظر . أعمال الأعلام ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ . عنان ، نفسه ، ص ٢١٠ .
وأيضا Miranda , op. cit. t. I. pp. 166 - 167.

ومرشحه الجديد المعتصم محمد بن المظفر ، ترتب عليه تنكر خيران وسحب تأييده له ، ثم تقدم خيران الى المرية واحتل بها فى ربيع الآخر سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١ م) ، ومن هناك زحف بقواته الى مرسية وضيق الخناق على المعتصم ، الذى لم يتمكن من الصمود طويلا ، فاضطر الى الهرب الى أوريولة فى ربيع الأول سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) ، بعد أن استولى الفتيان العامرين على أمواله ، ولم يتركه خيران يرحل عنها بسلام فقد طارد إليها فاضطر المعتصم الى الالتجاء الى مجاهد العامرى صاحب دانية ، فأقام عنده فترة ، ثم رحل إلى غرب الأندلس حيث استقر فى إحدى مدنها إلى أن أصيب بجدرى وضع حدا لحياته فى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) [١] .

وهكذا صفا الجو للمنصور عبد العزيز فى بلنسية ، فاستقرت دعائم ملكه دون منازع ، ونعمت بلنسية فى عهده بفترة طويلة نسبيا من السلم والهدوء والرخاء .

ب ـ سياسة المنصور فى الداخل :

استخدم المنصور عبد العزيز فى ديوانه أربعة كتاب من أشهر أدباء عصره عرفوا بالطبائع الأربع هم ابن طالوت وابن عباس وابن عبد العزيز (المعروف بابن رويش) وابن التاكرنى كاتب رسائله الذى ارتقى الى منصب الوزارة [٢] . وقد قام هؤلاء الكتاب بتنظيم شئون دولته وتزويده بالمشورة والرأى . كذلك خدم لأمير بلنسية أحد الكتاب النابهين فى هذا العصر وهو ابن مثنى [٣] .

---

(١) انظر . ابن الخطيب ، نفسه ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ . ابن خلدون ، نفسه ، المجلد الرابع ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٩ . عنان ، نفسه ، ص ٢٢١ .

H. Miranda, op. cit. p. 166.

(٢) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٤٩ ظ . أعمال الأعلام ، ص ١٩٥ .

(٣) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن مثنى ، كتب للمنصور عبد العزيز صاحب بلنسية ، وكان بارعا بصناعة الكتابة ، ثم خدم بعد ذلك لدولة بنى ذى النون فى طليطلة حيث استوزره المأمون بن ذى النون ، وتوفى ابن مثنى فى سنة ٤٥٣ هـ . انظر . (ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٤٣ ظ ابن الابار ، اعتاب الكتاب ، تحقيق د . صالح الأشتر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١ ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ ترجمة ٦٦ .

وكان المنصور كريما سخيا مع أهله وقرابته من الأسرة العامرية ، وحرص على لم شتات أهله وجمع شمل ذويه وآله ، فأوى إليه من تشرد منهم ، وبالغ فى اكرام من لاذ به منهم ، مستهدفا تعويضهم عما لا قوه من محن وما عانوه من تشريد على أثر مصرع والده ، وأغدق عليهم الأرزاق ، وتناهى فى صلتهم ، حتى صار اسرافه في ذلك مثارا لانتقادات جنده ، ومجلبة لذمه [1] ، ويعبر ابن الخطيب عن سخائه مع أهله ورحمه بقوله : « وكان عبد العزيز هذا من أوصلهم لرحمة ، وأحفظهم لقرابته ، قد ابتعثه الله رحمة للممتحنين من أهل بيته ، فأواهم وجبر كسيرهم ، ونعش فقيرهم طول مدته ، الى أن بلغ من ذلك مبلغا أعيى ملوك زمانه [2] ».

ومن أهم أعمال المنصور عبد العزيز الانشائية قيامه بتحصين بلنسية وتقوية وسائل الدفاع عنها ، وقد أشار العذرى الى ذلك فى معرض كلامه عن مدينة بلنسية فقال : « وهى مدينة مسورة ، قد أتقن سورها المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر ، ولا يعلم ببلاد الأندلس أتقن بناء من سورها ولا أجمل منه [3] » .

ومن منشآته أيضا المنية المعروفة باسمه وهى « منية ابن أبى عامر » وتقع فى زبض بلنسية الشمالى ، الذى تسميه المصادر المسيحية « بيانوبيا » Villanueva (أى المدينة الجديدة) . وهذه المنية كانت من أشهر مجالس اللهو والتسلية ببلنسية فى العصر الاسلامى [4] . ولعل فترة السلام والهدوء التى تمتعت بها بلنسية فى عهد المنصور قد ساعدته على القيام بتلك الأعمال الانشائية المهمة .

جـ ـ اتساع مملكة بلنسية في ظل المنصور :

قام المنصور بنشاط دبلوماسي واسع النطاق ، فوطد علاقته بالقاسم بن

---

(١) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ لوحة ٤٩ ظ .

(٢) أعمال الأعلام ، ص ١٩٥ .

(٣) انظر . نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٧ ـ ١٨ .

(٤) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٧٩ .

H. Miranda, op. cit. t. I. pp. 168 - 173 .

حمود [1] ، ويذكر ابن حيان أن المنصور قام فى بداية عهده بمخاطبة الخليفة القاسم بقرطبة ، وأنه أهداه هدية حسنة تقبلها القاسم وعقد له على أعماله ، وسماه « المؤتمن ذا السابقتين » وبذلك توطد سلطان المنصور ببلنسية [2] .

وعندما استقدم القاضى ابن عباد صاحب اشبيلية شبيه هشام المؤيد وزعم أنه هشام وبايعه بالخلافة فى أواخر سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) ، بادر كثير من ملوك الطوائف الى مبايعته والاعتراف بخلافته ، وكان فى مقدمتهم أمير بلنسية المنصور عبد العزيز [3] ، ونرجح أن المنصور كان يستهدف سنداً شرعيا يستند اليه فى حكمه .

هذا وقد ارتبط المنصور بعلاقات ودية طيبة مع ملوك إسبانيا المسيحية) ، باعتباره حفيدا لأميره نافارية [4] ، ولعل ذلك يفسر إلى حد ما طبيعة هذه العلاقات الودية القائمة ، وما كان يحظى به من عطف ملوك المسيحية فى إسبانيا ، وتلبيتهم لطلباته منهم لا سيما الجند المرتزقة الذى اصطنعهم لمواجهة أطماع الطامعين فى ملكه وعلى رأسهم مجاهد العامرى صاحب دانية ، كما يفسر ظاهرة أخرى وهى أن أراضى

---

(١) القاسم بن حمود من الأدارسة الحسنيين العلويين ، خلف أخاه على بن حمود بقرطبة بعد مقتله فى ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ . وظل القاسم خليفة بقرطبة الى أن ثار عليه أهلها وأخرجوه منها سنة ٤١٤ هـ . انظر : (ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١١٩ ، ١٣٢ ـ ١٣٤) .

(٢) انظر . ابن حزم ، نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق د . شوقى ضيف ، مجلس كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، المجلد ١٣ جـ ٢ ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ٨٥ . ابن بسام نفسه ، ق ٣ المخطوط لوحة ٤٩ ظ . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٦٤ـ ١٦٥ وأيضا .

Prieto Y Vives, Los reyes de taifas, p. 40.

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٠ ، ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٤) من المعروف أن الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر كانت له علاقات مودة مع شانجه Sancho Garces Abarca ملك نبرة (نافار) ، وقد تزوج المنصور ابنته التى اعتنقت الاسلام وتسمت باسم عبده ، وأنجب منها ولده عبد الرحمن الذى أطلقت عليه أمه اسم شنجول (Sanchuelo) أى شانجه الصغير تخليدا لذكرى أبيها . انظر . (الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ ترجمة ١٠١ . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٨ . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٤٣ . العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٦٥) .

بلنسية فى عهده لم تتعرض لأى من الغازات المخربة التى كثيرا ما كان يوجهها ملوك إسبانيا المسيحية الى دويلات الطوائف الغربيـة والوسطى المتاخمـة لحدود الممالك المسيحية [1] .

وشهد عهد المنصور توسعا ملحوظا لمملكة بلنسية وامتدادا لنفوذها على حساب المناطق المجاورة لها ، فبعد أن استخلف زهير العامرى سلفة خيران فى جمادى الآخر سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨م) على مملكتـه فى المرية ومـرسيـه وأوريولة ، تمكن من الأستيلاء على شاطبة ، ثم تنازل عنها للمنصور صاحب بلنسية ، وقد عبر العذرى عن ذلك الحدث بقوله : « ثم دفع إليه (يقصد زهير) قصبة شاطبة ، فخرج إليها ، وأسلمها للمنصور عبد العزيز بن عامر . وقال : هو أحق بها من جميعنا » [2] .

ولم يلبث زهير العامرى أن شغل بمحاربة باديس بن حبوس الصنهاجى ملك غرناطة ، وزحف زهير نحوها بجيشه ، وأشتبك الجانبان فى معركة انتهت بهزيمة زهير ومصرعه فى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٨م) [3] ، وبادر المنصور باهتبال هذه الفرصة المواتية لتوسيع امارته ومد نفوذه الى المناطق التى كانت تدخل فى نطاق دولة زهير .

وكان أهل المرية عندما بلغهم نبأ مقتل زهير ، بادروا بضبط أبوابها ، وأسندوا أمرهم الى شيخهم أبى بكر الرميمى ، وكان من أصحاب الرأى والمشورة بالمدينة ، ثم أرسلوا الى المنصور ملك بلنسية يدعونه الى رئاستهم [4] . ولم يتردد المنصور فى قبول هذه الدعوة التى من شأنها أن تحقق أعظم أمانيه وهى توسيع رقعة دولته ، فبادر بارسال

---

(١) انظر . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٩٥ . عنان ، نفسه ، ص ٢١٣ . وأيضا
Prieto Y Vives, op. cit. p. 40. & Miranda, op. cit. p. 168.

(٢) نصوص عن الأندلس ، ص ٨٣ .

(٣) ابن الخطيب ، الأحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص٥١٩هـ ٥٢٠ ، سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٧٢ .

(٤) انظر ابن عذارى ، نفسه ، جـ٣ ، ص١٦٧ . النويرى ، نهاية الأرب جـ٢٢ ، المخطوط ، لوحة ٦٠ . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص٢١٧ . سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص٧٢ ـ ٧٣ .وأيضاً .
Ibars , Valencia. arabe , V . I . P . 166 .

معن بن صمادح [1] وزيره وصهره الى باديس صاحب غرناطة يستحثه على أعدام الأسرى من وزراء زهير وقواده ، خشية أن يعود أحد منهم لمناوأته في حكم المرية . وتم له ما أراد ، وبذلك خلصت له المرية ، لمبايعة أهلها من جهة ولأنها كانت تابعة للفتيان العامرية ، فأصبح ينظر إليها على أنها ميراث شرعى له من جهة أخرى[2] . ثم دخلها المنصور عبد العزيز فى آخر ذى القعدة سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٨م)، واستولى على بيت مالها الذى كان عامراً بالذهب والجواهر . وفى سنة ٤٣٠هـ (أوائل ١٠٣٩م) ولى عليها ابنه عبيد الله الذى تلقب بالناصر ، وخطب مثل أبيه لهشام المؤيد باشبيلية ، غيز أن الناصر هذا لم يلبث أن توفى [3] ، فولى عليها المنصور صهره ووزيره ابا الاحوص معن بن صمادح وأخاه أبا عتبة ، ثم أرسل المنصور الى أهل المريةبتعيين خواص منهم ، فأجتمعوا الى ذى الوزارتين أبي الأحوص معن ، وعقدواله بذلك على

---

(١) هو أبو الأحوص معن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح وبنو صمادح من تجيب ، وأصلهم من العرب الذين استقروا من أيام الفتح باقليم أرغون Aragón وكان أبو يحيى محمد بن صمادح والد أبي الأحوص معن حاكما على وشقة أيام المنصور عبد العزيز ملك بلنسية ، ثم دخل صمادح فى حرب مع ابن عمه منذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة ، وأنتهى الامر بتنازل ابن صمادح عن وشقة وهروبه منها الى بلنسية دار مملكة المنصور ، الذى رحب باستقباله واحتفى به واكرمه ، وارتبط معه برابطة المصاهرة فزوج ابنى محمد وهما أبو الاحوص معن وأبو عتبة صمادح ،من أختى المنصور عبد العزيز .

راجع . (ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، المجلد الخامس ، ص ٣٩ ـ ٤٠ ترجمة رقم ٦٨٧ . ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص٧٨ ـ ٨١ ترجمة رقم ١٢٥ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ٣ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ . وأيضاً .

R . Dozy , Recherches sur l'histoire de le litterature de l'Espagne pendant le moyen age , vol . I . Leyde 1881 , pp. 239 ` 242 .

(٢) انظر . عنان ، نفسه ، ص ٢١٢ .

H. Miranda , op . cit .t . I, pp . 174 ` 175 .

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، جـ٣ ، ص ١٩٢ . ونلحظ أن صاحب البيان المغرب يذكر أن اسم ابن المنصور هو عبد الله ، أما ابن حزم فيذكره عبيد الله كما بالمتن وهو ما ترجمه أنظر (جمهرة ، ص٤١٩).

أنفسهم عقودا كما يذكر العذرى [1] . ولكن ابن صمادح - على حد قول ابن الخطيب - كان شر مستخلف بدار ملك ، فم يكد المنصور يوارى وجهه عن المرية ويشتغل بمحاربة مجاهد العامرى صاحب دانية والفتيان العامرية بشاطبة حتى استبد صهره معن بحكمها وانتزى بها فى سنة ٤٣٣هـ (١٠٤١م) [2] ، ودعا لنفسه ، ويعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله : « لما قتل زهير ، وصارت المرية لعبد العزيز بن أبى عامر صاحب بلنسية ، حسده على ذلك مجاهد صاحب دانية ، فأظلم الأفق بينهما ؛ فخرج مجاهد غازيا بلاد عبد العزيز وهو بالمرية مشتغلا فى تركة زهير ، فخرج مبادرا عنها لاستصلاح مجاهد ، وترك واليا عليها ، من قبله صهره معن بن صمادح ، فكان شر خليفة استخلف ، فلم يكد يوارى عبد العزيز وجهه عنه ، حتى خانه الأمانة ، وطرده عن الأمارة [3] .

ولكن المنصور عبد العزيز وقدآلمته طعنة صهره وخيانته له لم يترك القضية تنتهى على هذا النحو ، فلم يلبث أن أيد ابن شبيب صاحب لورقة فى ثورته ضد المعتصم بن معن بن صمادح ، ولم يتدد فى تزويده ببعض القوات غير أنه لسوء طالع المنصور لم يكتب لهذه الثورة النجاح فباءت بفشل ذريع [4] .

أما مدينة مرسية فقد كانت تابعة وقتذاك لمملكة المرية ، وكان يحكمها من قبل

---

(١) نصوص عن الأندلس ، ص ٨٤ . وتجدر الإشارة هنا الى أن العذرى قد ذكر أن أهل المرية هم الذين اختاروا معن بن صمادح حاكما عليهم ، ولم يشر الى انتزائه بالمرية ، وهذا لا يتفق مع الحقيقة التى أوردتها أغلب المصادر . وربما يرجع ذلك الى أن العذرى كان من أهل المرية ويعيش تحت سلطان ابن صمادح ، ولذا كان من الطبيعى أن يحاول التقرب منه وعدم اغضابه .

(٢) انظر أعمال الأعلام ، ص١٩٠ . البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٩٢ . القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٥٣ .

وأيضاً

Abdel Aziz Salem , Algunos aspectos del florecimiento economico de Almeria , p . 10 .

(٣) البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ١٧٤ .

(٤) أنظر ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٥٠ . عنان ، دول الطوائف ، ص ١٦٤ .

زهير نائبه احمد بن طاهر القيسي [1] ، وكان رجلاً حسن الرأى يتصف بالعلم والمشورة والرأى ، كما كان محبوباً من أهل بلده . وقد تمكن ابن طاهر من ضبط المدينة عقب مقتل زهير ، وتولى أمرها بحزم ، وكان زاهداً فى الامارة والملك ، فلم يتخذ لنفسه لقباً ملوكيا ، ولم يدع لنفسه الرئاسة ، ولذا أقره المنصور عبد العزيز على ولايتها فى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) ، وظل ابن طاهر عفيفاً عن الامارة الى أن توفى المنصور ، وعندئذ فقط استقل بملك مرسية واستبد بأمرها [2] .

د ـ العلاقات بين المنصور وبين مجاهد العامرى صاحب دانية :

كانت العلاقات القائمة بين المنصور عبد العزيز وبين مجاهد العامرى ـ بادئ ذى بدئ ـ ودية ، ويسودها شعور بالولاء من جانب مجاهد باعتباره من الفتيان العامرية الذين ظلوا يرتبطون برابطة الولاء للمنصور محمد بن ابى عامر وبنية [3] ، ومن هذا المنطلق دخل مجاهد فى طاعة المنصور عبد العزيز شأنه شأن بقية زعماء الفتيان العامريين ، وسرعان ما تبدلت الأحوال وتغيرت القلوب ، فلم يلبث مجاهد أن خرج عليه وعاداه مثلما فعل خيران العامرى ، وبما يدافع من الحرص على ملكه امام شخصية طاغية كشخصية المنصور الذى استمد قوته وهيبته من واقع انتمائه للمنصور محمد بن ابى عامر ، وسعى سعياً حثيثا الى استعادة أمجاد الدولة العامرية عن طريق انتهاج سياسة توسعية هدفها انشاء مملكة عامرية قوية ، وربما رأى مجاهد ـ الذى كون مملكة دانية والجزائر الشرقية بحد سيفه وقائم ذراعه ـ فى المنصور سيفا مسلطاً عليه ، فخاف منه على ملكه وعلى نفسه لقرب دانية قاعدة ملكه من مملكةبلنسية ، وعلى

---

(١) هو أبو بكراحمد بن اسحق بن زيد بن طاهر ، أصله من العرب القيسية الذين استقروا فى عصر الولاة بمنطقة تدمير ، وكان من أعلام هذه المدينة وذوى الرأى والوجاهة فيها . أنظر . (الحلة السراء ، جـ ٢ ، ص ١١٦ ترجمة ١٣٠) .

(٢) العذرى ، نصوص ، ص ١٦ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٣٩ .

- G . Remiro , Historia de Murcia musulmana , pp . 101-103 . & prieto Y Vives , op . cit . p . 40 .

(٣) أنظر . ابن بسام ، الذخيرة ، ق٣ المخطوط ، لوحة ٤٤ ظ . ابن عذارى البيان المغرب ، جـ٣ ، ص١٥٥ .

هذه الأساس قرر ان يلتزم بسياسة صريحة واضحة أمام رعيته ، فيحدد علاقته بالمنصور على ضوء ما تبين له ، بدلاً من أن يواصل خداعه لاهل بلده فيتظاهر أمامهم بحسن علاقته مع المنصور ثم يغدر به فيبدو على هذا النحو كمن خان مولاه ونكث بعهده له ، وهكذا بادر باظهار عدائه للمنصور ولم تلبث العلاقات أن ساءت بين الجانبين ، وتبادلا الرسائل العدائية التى يذم فيها كل منها الآخر ، ومن أمثلة ذلك أن مجاهد كتب يوماً الى المنصور عبد العزيز رقعة لم يضمنها غير بيت الحطيئة حيث يقول :

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتها   واقعدْ فانك انت الطاعمُ الكاسى

وعندما وردت تلك الرقعة على المنصور أقامته وأقعدته وغضب غضباً شديداً ، فاستحضر كاتبه أبا عامر التاكرنى ، الذى كتب عنه هذا البيت ردا على مجاهد العامرى :

شتمتْ مواليها عبيدُ نزارِ   شِيَمُ العبيدِ شَتيمةُ الأحرارِ [1]

وأيا ما كان الأمر فان النزاع القائم بين المنصور ومجاهد لم يقتصر على تبادل تلك الرسائل العدائية ، بل تطور الأمر بينهما الى صدام مسلح فقد انتهز مجاهد فرصة وجود المنصور بالمرية ـ عندما دعاه أهلها ليتولى أمورهم ـ فأشعل نار الثورة على المنصور فى شاطبة ، وبادر بشن هجمات على مملكة بلنسية . وهنا اضطر المنصور الى مغادرة المرية فى سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١م) وتقدم بقواته نحو شاطبة ، وهناك خرج اليه الفتيان العامريون ، وانتصروا عليه فى بادئ الأمر ، ولكنه جمع قواته وكر عليهم ، فظفر بهم وتغلب عليهم ، وأحرز انتصارا حاسماً ، ودخل شاطبة وأقر أمورها ، وتبين لمجاهد العامرى عجزه عن مطاولة المنصور فاضطر الى العودة الى دانية [2] .

---

(١) انظر ابن بسام ، نفسه ، ق٣ المخطوط ، لوحة ٤٤ ظ .

(٢) رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣٠٢ . وأيضاً

Dozy , Rech., Vol. I. p. 241. Ibars, op. cit. p. 167 & Prieto Y Vives, op. cit. p. 40 .

هـ- المظفر عبد الملك بن منصور وأهم أحداث عصره :

طالت امارة المنصور عبد العزيز لبلنسية الى ما يقرب من أربعين عاما ، ثم توفى فى ذى الحجة سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦١م ، على أثر علة أصابته أعيى علاجها (١) ، وهو بذلك يعتبر من ملوك الأندلس القلائل الذين عمروا فى الحكم أربعين سنة (٢) ، وأولهم عبد الرحمن الناصر الذى طال عهده الى خمسين سنة .

وقد توفى المنصور عن خمسة وخمسين عاما، وخلفه فى الأمارة ابنه عبد الملك ، الذى بويع ببلنسية وشاطبة يوم وفاة ابيه ، واستقر فى بلنسية وتلقب بنظام الدولة ثم بالمظفر . وكان عبد الملك لا يزال حدثاً فتولى تدبير شئون الدولةمحمد بن عبد العزيز المعروف بابن رويش (٣) وزير ابيه ، وكان ابن رويش هذا على حد قول ابن حيان : « من أرجح الكتاب الضالعين فى زمن هذه الفتنة المدلهمة ، وذوى السداد من وزراء ملوكنا ، ذا حنكة ومعرفة ، وارتياض وتجربة وهدى وقوام وسيرة » (٤) .

وهكذا تولى ابن رويش تدبير أمور المظفر عبد الملك وأحسن توجيهه وارشاده ، فاستقر أحوال بلنسية على يديه ، وسادها الهدوء والأمن على الرغم مما كانت تعانيه آنذاك من قلة المال والجند وفساد الأعمال (٥) .

---

(١) انظر ابن بسام ، نفسه ، ق٣ لوحة ٤٩ ظ . ابن سعيد ، المغرب ، جـ٢ ، ص ٣٠٠ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ٣ ، ص١٦٥ ، ٣٠٢ . ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٩٠ . وايضاً .
Prieto Y Vives , op. cit. p. 41. & Miranda, op. cit. t. I. p. 177 .

(٢) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٤٩ ظ .

(٣) هو الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد بن مروان بن عبد العزيز المعروف بابن روبش القرطبي ، اضطر الى ترك بلده قرطبة عند نشوب الفتنة ، ولجأ الى بلنسية واستقر بها فى عهد المنصور عبد العزيز ، وفى بداية امره كان كاتبا للوزير الكاتب أبى عامر التاكرنى الذى وزر للمنصور . أنظر (ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ لوحة ٨ ظ . الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ترجمة رقم ١٣٢ . المقرى ، نفح ، جـ٥ ، ص ٨٣ - ٨٤) .

(٤) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط لوحة ٨ ظ . أعمال الاعلام ، ص ١٩٦ .

(٥) انظر ابن بسام ، نفسه ق ٣ المخطوط ، لوحة ٤٩ ظ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ .

وكانت للمأمون بن ذى النون صاحب طليطلة لدى ابن رويش منزلة خاصة ومكانة سامية ، فكان موضع اجلاله وتوقيره لهيبته التى فرّضها على ملوك الطوائف ولشخصيته القوية التى أرسخ قواعدها بسياسته الحكيمة وبعد نظره وثاقب رأيه، ثم لأنه كان صهراً لعبد الملك وحماه ، وكان يهتم بشئون زوج أبنته ويقوم بحمايته والذب عن أراضيه ضد أى اعتداء خارجي [1] ، ولا سيما من جهة المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، الذى هاجم أحد الحصون التابعة لمملكة بلنسية ونشبت بين المعتصم وابن خاله المظفر عبد الملك عدة معارك لم تسفر عن نتائج حاسمة [2] .

ولعل أهم حوادث عصر المظفر وقعة بطرنة Paterna المشهورة التى أنهزم فيها هو وجيشه بالقرب من مدينة بلنسية . وتفصيل ذلك أن فرقة من جيش النصارى بقيادة فرناندو الأول [3] ملك قشتالة وليون عسكرت فى سنة ٤٥٥ هـ على مقربة من بلنسية فى موضع يقع شمالى قرية بطرنة [4] ، وحدث أن أقدمت هذه الفرقة على محاصرة بلنسيـة ، وفي الوقت الذى كان فيـه أهل بلنسية ـ على حـد قول بسام ـ « غافلين عما يتعاور أطرافهم من التغيير ، فطار بهم الذعر كل مطار، وسارت عند زعمائهم فى ذلك أعجب الأخبار » فاضطر أهل بلنسية الى التحصن داخل أسوار

---

(١) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٤٩ ظ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ .

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، جـ٣ ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٣) تسمية المصادر الاسلامية فرد لند وأحيانا فرذ لند . أنظر (ابن الكردبوس وابن الشباط ، تاريخ الأندلس ووصفه ، نصان جديدان ، ص ٧٦) .

(٤) تختلف الروايات التاريخية فى تحديد السنة التى وقعت فيها تلك المعركة ، فابن بسام وابن عذارى يذكر ان وقعة بطرنة حدثت فى سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م ، وهذا فى رأيى الأرجح . انظر (الذخير ق٣ لوحة ١٤٨ و البيان المغرب ، جـ٣ ، ص٢٥٢) اما المقرى فيذكر أنها حدثت فى سنة ٤٥٦هـ (نفح ، جـ٦ ، ص ١٩٠) فى حين تحددها المراجع الاسبانية التى تنقل عن المصادر القشتالية بسنة ١٠٦٥م (٤٥٧هـ) .

أنظر .

(Ibárs , op. cit. p. 179. Pricto Y Vives , op. cit. p. 41 & Miranda, op. cit. t. I. pp. 183 - 186) .

مدينتهم ، وعندئذ أصطنع القشتاليون الحيلة ،فتظاهروا بالإنسحاب ، واستتروا وراء الهضاب والآكام استدراجا لأهل بلنسية الذين خرجوا من أبواب مدينتهم وقد أرتدوا فاخر ثيابهم وكأنهم في يوم عيد ، يلتمسون مفاجأتهم بالهجوم ، وهم لا يشكون في التغلب عليهم والإستيلاء على الاسلاب والغنائم ، وكان يتقدمهم أميرهم المظفر عبد الملك الذى يحدوه الامل في اثبات جدارته باحراز النصر ، ولكن بدلا من أن يتصيدهم أهل بلنسية تصيد القشتاليون البلنسيين، فقد خرجوا في كمائنهم وفاجأوهم بالهجوم ، وأذرع النصارى في البلنسيين قتلا وأسرا ، فانهارت صفوفهم وتمزقت شر ممزق ، وبادر من نجا منهم بالفرار في ساحة المعركة ، أما المظفر فقد نجا بنفسه ونكص على عقبيه الى بلنسية ، فدخلها مخذولاً (١) ، وتحصن هو ومن نجا من أهل بلنسية داخل أسوارها ، فحاصرها القشتاليون بعض الوقت ، ولكنهم لم يلبثوا أن رفعوا الحصار عندما اعتل ملكهم ، فتنفس أهل بلنسية الصعداء لرحيله ، اذ كانت هزيمتهم في بطرنة نذيرا بسقوط بلنسية في أيدى القشتاليين (٢) .

ويشير ابن بسام الى حالة الذعر والهلع التى أصابت المظفر عبد الملك صاحب بلنسية أثناء المعركة فيقول : « أخبرني من رأى ابن أبي عامر يومئذ متحصنا بربوة بين لمة من فرسانه ينشد وقد عقد الذعر عذبة لسانه :

خليليَّ ليس الرأيُ في صدرِ واحدِ ... أشيرا عليَّ اليومَ ما تريانِ (٣)

---

(١) يقول الشاعر أبو اسحاق بن يعلى الطرسونى يصف خروج أهل بلنسية لحرب العدو في غير ثياب الحرب وهزيمتهم في المعركة :

لبسوا الحديد الى الوغى ... ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها ... لو لم يكن ببطرنة ما كانا

انظر : (ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ ، المخطوط ، لوحة ١٤٧ و المقرى ، نفح ، جـ ١ ص ١٧٠) .

(٢) عن وقعة بطرنة انظر : ابن بسام ، نفسه ، لوحة ١٤٨ ، ١٤٨ ظ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ . المقرى ، نفسه ، جـ ٦ ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ . وأيضا .

Ibars, op. cit . pp. 178 - 179 . Prieto Y Vives, op. cit . p. 41 . & Miranda, op. cit . pp. 183 - 186.

(٣) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ١٤٨ ظ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٥٣ =

ولعل ما ذكره ابن بسام يعطينا صورة واضحة عن شخصية المظفر الضعيفة ، فقد أثبت بهزيمته قلة تجاربه وحنكته وضعف رأيه وخوره ، بالاضافة الى ذلك كان المظفر شابا مترفا ألف الحياة الرخوة وانغمس في حياة اللهو والترف والشراب ، وقل اهتمامه بأمور الدين وكان ذلك من العوامل التى أدت فى النهاية الى خلعه وزوال ملكه [1] ، بعد أن فقد نصيره ومعينه وزيره ابن رويش الذى توفى فى شهر جمادى الآخرة سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م [2] ، وخلفه فى منصبه ابنه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز .

٤ ـ بلنسية فى ظل بنى ذى النون

أ ـ استيلاء المأمون بن ذى النون على بلنسية ونهاية عهد العامريين :

بلغت المأمون صاحب طليطلة أنباء كارثة بطرنة وهزيمة صهره عبد الملك ، فأنزعج انزعاجا شديدا وأحس بفداحة الكارثة ، وفى نفس الوقت أدرك أن ابقاء صهره المظفر على مملكة بلنسية من شأنه أن يعرضها لخطر الوقوع الوشيك فى أيدى القشتاليين ، فآثر هو أن يضمها الى مملكته ، فتكون درعا واقية لها بدلا من تركها فريسة التهديد المتواصل فى يد حاكم ضعيف ، ثم أنه لم يتردد فى التحرك سريعا لتنفيذ مخططه ، فبادر بالخروج بقواته نحو قلعة قونكة ، وتقع ما بين بلنسية وطليطلة ، وعسكر هناك ، بينما أرسل فرقة من جنوده الى بلنسية تحت امرة قائد من

= وانظر : H. Miranda, op. cit. p. 185 ومن الغريب أن يرجع كل من ابن بسام وابن عذارى وابن الخطيب وقعة بطرنة الى عهد المنصور عبد العزيز ، وهذا خطأ وضاح ، لأنهم حددوا تاريخ وقوعها بسنة ٤٥٥ هـ فى حين أن وفاة المنصور حدثت فى سنة ٤٥٢ هـ على حد ما أورده ابن بسام أى قبل وقوع المركة بثلاثة أعوام وعلى هذا الأساس تكون معركة بطرنة قد حدثت فى عهد ابنه المظفر عبد الملك ، كما أشارت إلى ذلك المراجع الاسبانية الحديثة التى تنقل عن المصادر القشتالية .

(١) انظر . رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٣ .

(٢) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٨ ظ .

وأنظر : Prieto Y Vives, op. cit. p. 41

خاصته وكاتبه ابن مثنى ، وأمر قواته بدخول بلنسية والاقامة فيها حماية لصهره المظفر وشدا لأزره ومحافظة على اقرار الأمن فى المدينة فى الظاهر [١] ، وبهدف السيطرة عليها وشل يد صهره عنها فى حقيقة الأمر .

ويفسر المؤرخون العوامل التى دفعت المأمون الى انتزاع مملكة بلنسية من يد صهره بما يلى : ١ ـ أن المأمون كان يحقد على صهره المظفر عبد الملك لمعاملته السيئة لابنته واساءته عشرتها واهانته المتكررة لها ٢ ـ أنه كان يدرك تماما مدى ضعف صهره وعجزه عن القيام بأعباء الحكم ، وعدم قدرته على مواجهة أى هجوم على بلنسية ، وتسجيل هزيمة بطرنة هذا الضعف والعجز ٣ ـ لم يكن المأمون راضيا عن صهره لأسباب سياسية من بينها رفض المظفر مساعدة المأمون فى حربه ضد ابن عباد صاحب اشبيلية ، ومنها أن المظفر كان يؤوى خصوم المأمون السياسيين الفارين من طليطلة [٣] .

وأيا كانت حقيقة الأسباب التى دفعت المأمون الى التحرك نحو بلنسية ، فالأمر الذى لا جدال فيه أنه ألفى نفسه أحق بامتلاك بلنسية من القشتاليين على الأقل فى نظر جمهور المسلمين ، وسواء كانت هذه هى الحقيقة أو أن هناك حقائق أخرى من بين العوامل التى سجلتها فإن المأمون اختلق الحجج والأسباب لتبرير ما أقدم عليه ، وتم بالفعل تنفيذ مخططه ونجح فى الاستيلاء على بلنسية فى يسر سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٥ م) [٣]، [٤] .

---

(١) انظر . الذخيرة ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٤٩ ظ .

(٢) البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٣) انظر . عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ . أيضا .

Ibárs, Valencia arabe, V. I. pp. 177 - 178. Prieto Y Vives, Los reyes de taifas, p. 41. & H. Miranda, Historia musulmana de Valencia, t. I. p. 189.

(٤) انظر : الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ترجمة ١٣٢ . الكامل فى التاريخ ، جـ ٧ ، ص ٢٩٣ . رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٣ . نهاية الأرب ، جـ ٢٢ المخطوط ، لوحة ٦٠ . العبر ، المجلد الرابع ص ٣٤٩ . صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٥٣ . وأيضا

Ibárs, op. cit. p. 180. & Prieto Y Vives, op. cit. 41 .

أما فيما يتعلق بالطريقة التي نفذ بمقتضاها خطته في السيطرة على بلنسية فلدينا عدة روايات نعرضها فيما يلي :

الرواية الأولى لابن عذارى ومضمونها أن المأمون تقدم بقواته الى بلنسية بحجة زيارة صهره ، وكانت ابنته قد توفيت قبيل وصوله اليها ، فلما وصل ظاهر المدينة ، خرج إليه المظفر عبد الملك واحتفل باستقباله وأدخله قصره وبالغ في اكرامه ، وهو لا يدري حقيقة ما كان يضمره له صهره المأمون من نوايا عدوانية ، فقد انتهز المأمون فرصة مقامه بالقصر لأحكام خطته ، فدبر له كمينا ، انتهى بأن قبض عليه ونفاه الى بلدة شنت برية (من أعمال طليطلة) ، حيث مات هناك بعد فترة قصيرة ، بينما فر ابنه الى سرقسطة وفيها توفي ، وانقطع بوفاته اسم آل عامر من الأندلس [1] .

الرواية الثانية لابن بسام وتشير هذه الرواية إلى أن المأمون عندما علم بحصار فردلند (Fernando) ملك قشتالة لبلنسية ، سارع بقواته اليها انجادا لصهره ، وكان الملك القشتالي قد انسحب الى بلاده بسبب مرضه ، وبذلك سنحت للمأمون الفرصة لكي يستولي على بلنسية ، فدخلها بسهولة هو وقواته بفضل مساعدة أبي بكر بن عبد العزيز وزير المظفر . ولعل هذا يحمل على الظن في أن اتفاقا سريا كان قد تم بينهما ، على أن تخضع بلنسية لنفوذ المأمون صاحب طليطلة مقابل أن ينوب عنه ابن عبد العزيز في القيام بأمرها [2] . وقد ساعد على سهولة تنفيذ الخطة حداثة سن المظفر

---

(١) البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ . ويحدد ابن عذارى تاريخ دخول المأمون بلنسية بعام ٤٥٨ هـ ، على خلاف معظم المصادر العربية والمراجع الأسبانية التي أجمعت على دخوله في سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م . وقد ذكر صاحب الذيل أن المأمون قد نفى صهره الى اقليش . (البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٣) أما ابن الأبار فيذكر أنه نفاه الى قونكة . (الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ ترجمة ١٣٦) .

(٢) انظر . ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٨ ظ . ابن الأبار ، نفسه ، جـ ٢ ص ١٣٠ ترجمة ١٣٠ ونحن نميل الى الأخذ بهذه الرواية خاصة وأن ابن بسام ينقل من ابن حيان المعاصر لتلك الحوادث .

ملك بلنسية ، وانشغاله باللهو والملذات وعدم درايته بشئون الحكم ، وتركز كافة السلطات فى يد وزيره أبى بكر بن عبد العزيز المدبر للدولة .

أما الرواية الأسبانية فتشير الى أن المأمون قد طلب المساعدة من صهره المظفر عبد الملك صاحب بلنسية في حرية ضد المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية ، غير أن عبد الملك اعتذر عن اجابته نزولا على نصيحة وزيره ابن رويش القرطبي ، بحجة أن زعماء العامريين بشاطبة ودانية ومربيطر وغيرها قد تحالفوا مع ابن عباد وأنه يخشى لهذا السبب من نقمتهم عليه ، وقد تتعرض بلاده لهجوم مشترك يقومون به عليه فهو لهذا يحرص على سلامة بلاده . وعندما وصل للمأمون رد صهره خشى أن ينضم المظفر الى ابن عباد ، فجهز جيشه سرا ، وعقد تحالفا مع فرناندو الأول (فردلند) ملك قشتالة ، وانقضت القوات المتحالفة بسرعة البرق على بلنسية ، ولم يستطع البلنسيون مقاومة هذا التحالف العتيد ، ولم تلبث بلنسية أن سقطت في يد ابن ذى النون فى اكتوبر سنة ١٠٦٥ م (٤٥٧ هـ) ، ولم ينقذ حياة المظفر عبد الملك سوى تدخل زوجته ابنة المأمون ، فأبقى المأمون عليه ، وأقطعه حكم شلبة (شمال غربى بلنسية) ، أما صاحب النصح المشئوم الوزير ابن رويش فقد آثر الانتحار [١] .

ب ـ استبداد ابى بكر بن عبد العزيز بحكم بلنسية :

بعد أن استولى المأمون على بلنسية استخلف عليها الوزير أبا بكر أحمد بن عبد العزيز [٢] مكافأة له على مساعدته له فى الاستيلاء على المدينة ، وقد عبر ابن حيان

---

(١) انظر . يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التزليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ . ومن الجدير بالذكر أن رواية أشباخ التى ينقلها عن المستشرق كوندى Conde رواية ضعيفة يشوبها التناقض ، فهى تذكر أن المأمون دخل بلنسية سنة ١٠٦٥ م (٤٥٧ هـ) بمساعدة القشتاليين ، وأن وزير بلنسية وقتئاك هو ابن رويش وقد ثبت أن هذا الوزير قد توفى قبل هذه الحوادث بقليل وبالتحديد فى أوائل سنة ٤٥٦ هـ كما يذكر معاصره ابن حيان . انظر . (ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٨ ظ) .

(٢) من الجدير بالملاحظة أن صاحب النيل قد أخطأ فى التعريف بشخصية أبى بكر هذا ، فذكر أنه =

عن ذلك بقوله : « فلما قص يحيى ابن ذى النون الملقب بالمأمون أثر ابن أبى عامر ، واجتث أصلهم من بلنسية .. كان ابن عبد العزيز ـ زعموا ـ أحد من أقام ميلها ، وأوضح لابن ذى النون سلبها حتى خلصت له وخلص لها فكافأه ابن ذى النون لأول تملكه اياها بأن ولاه أمورها [1] » .

وكان الوزير أبو بكر بن عبد العزيز يتمتع بشخصية قوية مثل والده ابن رويش ، فكان عالما حازما ، تمكن من ضبط المدينة واقرار أمورها بعد رحيل المأمون عنها ، وقام باصلاح أسوارها ، ونظر فى شأن العمال وأجزل العطاء للجند [2] ، وينوه ابن الخطيب بشخصيته ويمتدح سياسته فيقول : « أحد رجال الكمال بالأندلس ، وعين بلنسية التى بها تبصر ، ولسانها الذى تسهب به وتختصر [3] » كذلك يشيد ابن بسام بشخصية هذا الوزير فيقول : « ووزر أبو بكر بعد أبيه لعبد الملك المتلقب من الألقاب السلطانية بالمظفر ، فقطع ووصل ، واضطلع بما حمل ، ودارت عليه الرئاسة مدارا لم تدره رحى على قطب [4] » .

وقد انتهج الوزير أبو بكر بن عبد العزيز سياسة حسنة فى حكم بلنسية ، واكتسب حب الرعية ، ثم واتته الفرصة للانتزاء ببلنسية والاستقلال بحكمها فى سنة

= أبو بكر بن عبد العزيز بن المنصور بن أبى عامر ، وبذلك ينسبه الى بنى عامر ، وهذا خطأ . انظر . (البيان المغرب ، جـ ٥٣ ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤) وقد تبعه فى هذا الخطأ بع المستشرقين الأسبان وعلى رأسهم إويثى ميراندا . انظر (His., mus., de Valencia t. I. pp. 188 - 190) والثابت أنه ابن الوزير القرطبى محمد بن مروان بن عبد العزيز المعروف بابن رويش . انظر (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٨ ظ . ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ١٣ . ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٠٠ ـ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ترجمة ١٣٢) ونستدل على هذا القول بما ذكره ابن حزم فى الجمهرة اذ يؤكد أن المنصور عبد العزيز لم يكن لـه من الولد من يسمى بأبى بكر . انظر (جمهرة أنساب العرب ، ص ١٤٩) .

(١) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٨ ظ .

(٢) انظر . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

(٣) أعمال الاعلام ، ص ٢٠٢ .

(٤) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٨ ظ .

٤٦٧ هـ (١٠٧٥ م) عقب وفاة المأمون فى تلك السنة ، فدانت له المدينة بالطاعة ، وحكمها دون منازع [١] .

جـ ـ الصلات الخارجية مع مرسية :

كان ابن عمار [٢] قد انتزع مرسية من صاحبها ابى عبد الرحمن محمد بن طاهر سجنه ثم تولى امارتها نيابة عن المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، غير أنه لم يلبث أن أغرته الامارة بالسيطرة على مرسية والاستبداد بحكمها ، ولم يتردد فى شق عصا الطاعة على المعتمد بن عباد صفية ووليه وصاحب الأيادى البيضاء عليه ، وقد جره ذلك الى الدخول فى علاقات عدائية مع جاره الوزير أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية ، ولعل سبب هذا العداء يرجع الى أن ابن عبد العزيز صاحب بلنسية قد شفع لدى المعتمد فى أمر ابن طاهر عندما قبض عليه ، فأذن بتسريحه ولجأ الى بلنسية . وأن كانت بعض الروايات تشير الى أن ابن طاهر قد تمكن من الفرار بمساعدة الوزير أبى بكر بن عبد العزيز ، ولهذا السبب حنق عليه ابن عمار وأخذ يكيد له [٣] . ويعلل ابن خاقان العداء بأن الوزير ابن عبد العزيز قد غدر بابن عمار فى حصن جملة [٤] .

---

(١) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ظ .

(٢) هو ذو الوزارتين الأديب الكبير والشاعر المغامر أبو بكر محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهرى الشلبى ، وزير المعتمد وصاحبه وخليله ، وانتهى أمره بأن أصبح ضحيته وقتيله سنة ٤٧٧ هـ . انظر (ابن خاقان ، قلائد العقيان ، تصحيح محمد الصباغ ، القاهرة ، ١٢٨٣ هـ ، ص ٩٠ ـ ٩١ . ابن خكان ، وفيان الأعيان ، المجلد الرابع ، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٩ ترجمة ٦٦٩ . الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ـ ١٦٥ ترجمة ١٣٣) .

(٣) انظر . ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٦١ . الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ ترجمة رقم ١٣٠ . وايضا G. Remiro, op. cit. p. 188

(٤) قلائد العقيان ، ص ٦٠ . الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ ترجمة ١٣٣ . أما جملة (Jumilla) التى ورد ذكرها بالمتن ، فهى مدينة تقع الآن فى مديرية مرسية على بعد ٧٤ مترا منها . انظر (الحلة السيراء ، تحقيق د . مؤنس ، ص ١٥٥ ، هـ ٢) .

وأيا ما كان سبب هذا العداء فقد حمل ابن عمار على هجاء خصمه واقدامه على تحريض أهل بلنسية على القيام بالثورة على بنى عبد العزيز [١] . كما أن صاحب بلنسية أخذ من جانبه هو الأخر يحرض ابن رشيق [٢] قائد جند ابن عمار على الثورة ضد سيده ، بالاضافة الى ذلك فقد وقعت في حوزته ـ عن طريق أحد عملائه بمرسية النسخة الأصلية من قصيدة هجاء مقذع وضعها ابن عمار طعنا فى ابن عباد وزوجته اعتماد الرميكية ، فأرسلها أبو بكر بن عبد العزيز الى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، وبذلك أوغر صدر ابن عباد على ابن عمار [٣] ، فما زال ابن عباد يترصد له حتى وقع ابن عمار فى قبضته ، فأجهز عليه فى قصره المبارك بإشبيلية رغم استعطاف ابن عمار له [٤] .

د ـ الصلات مع بنى هود أصحاب سرقسطة :

ينتسب بنو هود الى قبيلة جذام اليمنية ، وجدهم الأعلى هود هو الداخل الى الأندلس ، وأول ملوكهم فى الأندلس هو سليمان بن محمد بن هود

---

(١) ومن الأبيات التى حرض فيها ابن عمار أهل بلنسية على الثورة ضد ابن عبد العزيز قوله :

بشر بلنسيةً وكانت جنةً ... أنْ قد تدلت فى سواء النارِ
جاروا بنى عبد العزيز فانهم ... جروا اليكم أسوأ الأقدارِ
ثوروا بهم متأولين وقلدوا ... ملكا يقوم على العدوّ بثارِ
هذا محمدُ أو فهذا أحمدٌ ... وكلاهما أهلٌ لتلك الدارِ

(٢) هو عبد الرحمن بن رشيق قائد عسكر المعتمدين عباد صاحب اشبيلية ، وقد انفرد بحكم مرسية نيابة عن المعتمدبعد مقتل ابن عمار . انظر (الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٦ . ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨ ترجمة رقم ٥١٤ . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٠١) .

(٣) عنان ، نفسه ، ص ٦٨ .

وانظر . G. Remiro, op. cit. p. 118

(٤) انظر . السيد عبد العزيز سالم ، تحقيق اسماء قصور بنى عباد باشبيلية الواردة فى شعر ابن زيدون ، مجلة أوراق ، نشر المعهد الأسبانى العربى للثقافة ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٣٩ .

المقلب بالمستعين بالله الذى تغلب على مملكة سرقسطة فى غرة المحرم سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م)[١] .

وكان سليمان هذا من كبار رجال الجيش الأموى فى الثغر الأعلى ، فلما وقعت الفتنة تغلب على لاردة وأعمالها وقتل القائم بها أبا المطرف التجيبى ، ثم استجاب لدعوه أهل سرقسطة ، واجتمع الملأ منهم على تقديمه فولوه على أنفسهم ، فاستقر فى دار الامارة بسرقسطة ، وظل يقوم بأمر سرقسطة الى أن توفى سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) ، وخلفه على مملكة سرقسطة أبناؤه الخمسة وكان قد قسم بينهم بلاده ، فاستبد هؤلاء الأخوة جميعهم بأعمالهم بعد وفاة أبيهم ، ولكن أحمد بن سليمان بن هود الذى كان يتولى سرقسطة أخذ يحتال على اخوته حتى أخرج بعضهم من أعمالهم ، فاستاء أهل الثغر الأعلى من فعاله وناصبوه العداء فلم يبق فى حوزته سوى سرقسطة ، ولما رأى أحمد ادبار أمره عمد الى الاستعانة بابن ردمير (غرسية Garcia) ملك نبرة (نافار) ، وتمكن من الايقاع بقوات أخيه يوسف صاحب لاردة ، فانصرف الناس عن أخيه واقبلوا عليه خوفا من بطشه ، وهنا عظم أمره وتعاظمت شوكته فتقلب بالمقتدر بالله ، وأخذ يوسع أملاكه على حساب غيره من ملوك الطوائف ، فاستحوذ على طرطوشة ، ودفعته غيرته على الاسلام ورغبته فى الجهاد الى أن يستنفر المسلمين لاسترداد بربشتر التى كانت قد سقطت فى أيدى النورمان ٤٥٦ هـ ، فنازل بهم هذه المدينة وأمكنه بفضل كفايته العسكرية العالية وحماسه البطولى من الإيقاع بالنصارى والاستيلاء على بربشتر فى سنة ٤٥٧ هـ[٢] ، كما انتزع دانية من يد اقبال الدولة على بن مجاهد سنة ٤٦٨ هـ، وتطلع الى الاستيلاء على بلنسية نفسها التى كان يشتهيها لموقعها الاستراتيجى المهم وثروتها الاقتصادية الوافرة لتكون كل منطقة شرق الأندلس خاضعة لسلطانه ، ولكى تتصل

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ .

AFIF Turk, El reino de Zaragoza, p. 66.

(٢) راجع . ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ لوحة ٩و . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ ، ٢٢٧ . الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤١ ، عنان ، نفسه ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

مملكته من سرقسطة شمالا حتى دانية جنوبا [1] ، وقد أشار الأمير عبد الله الزيرى فى مذكراته الى ذلك بقوله : « وإن ابن هود لما حصل على دانية انفسد طبعه ، وأدركته الرغبة فى البلاد ، وزال عما كان عليه من جهاد الروم ، وطمع فى بلنسية عند ذلك [2] » .

ويشير مؤرخو العرب الى أن ابن هود كان يشترى مسالمة القشتاليين بالمال فلاذ بالجزية ، وأرهق رعيته فى جمع مالها من قراهم ، ومع ذلك فقد كان يخشى غضب ألفونسو السادس ملك قشتالة لأن بلنسية كانت تعتبر من وجهة نظر ألفونسو السادس ملك قشتالة بين الأراضى التى رصدها لحركة الاسترداد التى يتزعمها ، بالإضافة الى أنها كانت أيضا تحت حمايته ، تدفع له الجزية [3] .

وكان أهل سرقسطة قد عابوا على ملكهم المقتدر عجزه عن الاستيلاء على بلنسية المدينة العامرة وافرة الخيرات [4] ، فأخذ المقتدر يعمل عندئذ على السيطرة عليها بكافة السبل ، ولكى يسترضى ملك قشتالة اتفق معه على السماح له بغزو بلنسية مقابل مائة ألف دينار يدفعها له [5] . وعلى هذا الأساس زحف بحشود ضخمة نحو بلنسية ، وعندما اقترب منها خرج إليه أبو بكر بن عبد العزيز فى أحسن زى ، ولما كان يدرك تماما عجزه عن مواجهة جيش ابن هود ، فقد اصطنع الحيلة ، فخاطب المقتدر بن هود بقوله : « هى بلادك ، فقدم من شئت وأخر ، ونحن طاعتك وقوادك ، فأقلل منا وأكثر » وما زال يوجه أمثال هذه العبارات الرقيقة مستهدفا سل الأحقاد وتألف الأضداد [6] ، حتى وفق فى تحقيق هدفه ، واستشعر المقتدر أمامه بالخجل مما

---

(1) H. Miranda, Hist., mus., de Valencia, t. I. p. 194.

(2) انظر . مذكرات الأمير عبد الله المسماه بكتاب التبيان ، ص ٧٨ .

(3) عنان ، نفسه ، ص ٢١٦ .

(4) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٩و . وعن تفاصيل استيلاء المقتدر على دانية راجع : الذخيرة ، القسم الرابع ـ المجلد الأول ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٢٠٧ . وأيضا .

(5) انظر . مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٧٨ . ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ لوحة ٩و .

(6) ابن بسام ، نفسه ق ٣ ، لوحة ٩و .

كان قد أقدم عليه ، وعندئذ قفل المقتدر بقواته عائدا الى سرقسطة فى سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م ، بعد أن اتفق مع أميرها على أن لا يتردد فى توفير وتقديم مساعدته ضد أعدائه ، وفى ذلك يقول ابن بسام : « فانصرف عنه وقد ألحفه جناح حمايته ، ووطأ له كنفا من عايته [١] » .

ومنذ ذلك الوقت بدأت العلاقات الودية تسود بين بلنسية وسرقسطة ، وازدادت وثاقة بزواج ابنة أبى بكر صاحب بلنسية من الأمير أبى جعفر أحمد بن المؤتمن بن هود فى رمضان سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٥ م ، وقد احتفل بعقد هذا الزواج فى سرقطة حيث أقيم عرس كان مضرب الأمثال فى البذخ والبهاء [٢] .

ويبدو أن المؤتمن يوسف بن المقتدر صاحب سرقسطة كان يهدف من وراء تلك المصاهرة الى تحقيق هدف سياسى هو التحالف مع أمير بلنسية ضد القادر يحيى حفيد المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة الذى تحالف بدوره مع ألفونسو السادس ملك قشتالة [٣] ، وربما كان المؤتمن يتطلع أيضا الى بسط نفوذه على بلنسية عن طريق تلك المصاهرة كما ذكر ابن الكردبوس ، الذى يشير الى أن ابن هود قد تمكن فعلا من تملك بلنسية [٤] ، ومن الثابت أن ذلك لم يحدث وظل أبو بكر بن عبد العزيز أميرا على بلنسية حتى تاريخ وفاته وتولية ابنه من بعده كما تجمع على ذلك معظم المصادر الاسلامية والمسيحية .

هـ ـ الصلات مع السيد القنبيطور (El Cid Campeador)

لم يرد فى المصادر العربية على الاطلاق ما يشير الى وجود علاقة بين ابن عبد

---

(١) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٩و . وانظر .
Miranda, op. cit. p. 195. Note, 5. & AFIF Turk, op. cit. pp. 155 - 116

(٢) انظر . ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٦٧ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣٠٤ . المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ . وأيضا .
Afif Turk. op. cit. p. 116 .

(٣) انظر H. Miranda, op. cit. t. I. p. 196

(٤) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

العزيز صاحب بلنسية والسيد القنبيطور ذلك المغامر القشتالى الذى تدور حوله القصص والأساطير والملاحم . ولكن نلحظ أن بعض المراجع الأسبانية التى تنقل عن المصادر المسيحية (القشتاليـة) قد أشارت الى حـدوث احتكاك حربى محدود بين السيد [1] (El Cid) الفارس القشتالى المشهور وبين أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية . ويذكر الباحث اويثى ميراندا (Huici Miranda) ـ نقلا عن المصادر القشتالية ـ أن السيد القنبيطور بعد أن نفاه ألفونسو السادس سنة ١٠٨١ م (٤٧٤ هـ) ، أخذ يؤجر نفسه وصحبه لمن يحتاج لسيفه من ملوك الإسلام والمسيحية ، ووجد فى إسبانيا الإسلامية مجالا خصبا لمغامراته ، فالحروب القائمة بين ملوك الطوائف أفسحت المجال لابراز مواهبه فى خدمتهم ، وقد التحق أولا بخدمة المقتدر بن هود الذى كان يحارب أخوته ثم حارب إلى جانب المؤتمن وكان لذلك أعظم الأثر فى ايقاع الهزيمة بمنذر أخيه ، وقد تحولت بلاد الثغر الأعلى وشرق الأندلس الى ساحة قتال عاث فيها السيد فسادا كسبها للقمة عيشه بحد سيفه ، ومن المعروف أن السيد عسكر بالقصير [2] من أعمال بلنسية زهاء ١٥ أسبوعا ، أعمل فيها سلبا ونهبا ، فانزعج لذلك سكان المدن المجاورة مثل قلعة أيوب ودروقة وغيرها من القرى المجاورة الذين أرسلوا مبعوثين عنهم الى صاحب بلنسية يستغيثون به ويلتمسون النصرة ، ويبلغونه عيث السيد فى ديارهم وتهديده لأرواحهم وأراضيهم واقدامه على تخويف بلادهم واستيلائه على القصير وقتله لعدد كبير من أهلها ، فتحركت فى نفسه عوامل الثأر ، وقرر الانتقام من السيد القنبيطور الذى اقتحم بعصابته أراضى تابعة لمملكته ، فحشد قوة كبيرة من عسكر بلنسية وما انضاف اليها من أجناد أعمالها ، وزحفت هذه القوة الى قلعة أيوب ولتتقوى بمن ينضم اليها من أهلها تمهيدا لمواجهة السيد وأتباعه النصارى الذين أزعجوا

---

(١) السيد (El Cid) فارس قشتالى ولد بقرية فيفار شمالى مدينة برغشى حوالى سنة ١٠٤٥ م ، واسمه الأصلى روديجو ديات (Rodrigo Diaz) ، أما تلقيبه بالسيد فهو تحريف لكلمة « السيد » العربية ، وقد أطلقها عليه للسلمون الذى كان يخدم بينهم ويحارب معهم . انظر : (ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٧٤ . عنان ، دول الطوائف و ص ٢٢٢ . وأيضا
H. Miranda, Hist., mus. de Valencia, t. II. p. 7 N. I.

(٢) تقع القيصر Alcocer شمالى غرب بلنسية .

سكان تلك الناحية ، وتم الاشتباك بين القوة الاسلامية وبين قوة السيد فى موضع قريب من هذه المدينة . وتجمع المصادر المسيحية (أنشودة السيد ، المدينة العامة الأولى والمدينة الخاصة بالسيد ومدونة سنة ١٣٤٤ م) على أن السيد انتصر فى تلك المعركة التى تسمى بمعركة كامبال (Campal) على المسلمين وانهزم القائدان المسلمان فارس وغالب [١] .

وفى هذه الأثناء توفى أبو بكر بن عبد العزيز فى بلنسية فى ٧ صفر سنة ٤٧٨هـ (يونيو ١٠٨٥ م) بعد أن حكم نحوا من عشر سنوات ، وكان خير مثل للحاكم الحازم ، فقد اتسمت سياسته بالتعقل والاعتدال ، وتمكنت محبته فى قلوب رعيته ، كما اتصف أيضا بالدهاء والحنكة السياسية ، واستطاع بذلك أن يجنب بلنسية شرور الحروب التى كثيرا ما كانت تشتعل بين ملوك الطوائف بين الحين والحين . كما استطاع أن يتجنب هجمات جيرانه الأقوياء الطامعين فى مملكته مصطنعا سلاح الدهاء والدبلوماسية حينا أو التحالف معهم بالمصاهرة حينا آخر ، أو اللوذ بالجزية لملك قشتالة درءا لشره وطلبا لحمايته ، وعلى الرغم من أن سياسة استمالة القوى المسيحية ودفع الجزية لها كانت لا ترضى الرعية بأى حال من الأحوال ، غير أنه لم يكن أمام صاحب بلنسية مفر من ذلك ، لأنه كان الوضع السائد آنذاك بالأندلس . ولكل ذلك حازت شخصيته اعجاب ألفونسو السادس ملك قشتالة الذى كان يصرح فى عدد من المناسبات : « رجال الأندلس ثلاثة : أبو بكر بن عبد العزيز وأبو بكر بن عمار وششنانده [٢] » .

---

(١) فيما يتعلق بهذه الرواية وتفاصيلها . انظر :

Miranda, op. cit. t. I. pp. 210 - 215.

وجدير بالذكر أن ميراندا يسجل عدم معرفته بمدى حقيقة تلك الوقائع التى أوردتها المصادر المسيحية القشتالية خاصة وأن المصادر العربية لم تشر اليها . انظر (Miranda, op. cit. p. 213 . N. I)

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الرواية المسيحية لم تذكر تاريخ هذه المعركة ، وان كنت أرجح وقوعها بعام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ، أى العام الذى نفى فيه السيد من مملكة قشتالة .

(٢) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٩و . أما ششنانده أو ششند الذى أشار اليه ابن بسام فاسمه الحقيقى سسنندو دافيدس (Sisnando Davidez) وكان من النصارى المستعربة وأصله من =

وقد شبه ابن الخطيب أبا بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية بالوزير أبى الحزم بن جهور صاحب قرطبة ، ويعبر عن ذلك بقوله « حمل (أبو بكر) جبهته على سداد ، وقام بحال الاستبدال ، فطاول الجبال والآكام ، وفل السيوف بالأقلام [(1)] » ويقول عنه ابن خاقان : « وكان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة ، وآراء لم تكن آفله ، أدرك بها ما أحب ، وقطع غارب كل منافس وجب ... [(2)] » ويذكر صاحب رواية الذيل أنه « لم يكن فى أيامه ما يعاب عليه [(3)] » كما امتدحه المدونة العامة الأولى فورد فيها ما يلى « بموت الوزير أبى بكر بن عبد العزيز انطفأت الشعلة التى كانت تضىء بلنسية ، وأظلم نورها [(4)] » .

ثم خلفه ابنه القاضى أبو عمرو عثمان بن عبد العزيز ، الذى بويع له ببلنسية عقب موت أبيه عملا بوصيته يوم الجمعة التاسع من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة [(5)] .

وفى هذه الظروف وقع حادث خطير فى مملكة طليطلة كان نذيرا لما أصاب الأندلس بعد ذلك من محن وخطوب وما ألم ببلنسية على وجه خاص من نتائج خطيرة روعت البلاد وأدت الى تغييرات سياسية لم تكن فى الحسبان ونعنى بذلك سقوط طليطلة فى أيدى النصارى .

= مقاطعة بيرة الواقعة شمالى البرتغال ، ووقع أسيرا وهو بعد حدث فى غارة قام بها القاضى ابن عباد بمنطقة قلمرية فاقتاده أسيرا الى اشبيلية ، حيث نشأ مع فتيان القصر وترقى حتى وصل الى منصب الوزارة ، ثم حسده بعض أعدائه فهرب الى الشمال والتحق بخدمة ملك قشتالة فرناندو الأول ثم ألفونسو السادس .

أنظر : (عنان ، نفسه ، ص ٥٨ . العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٨٢) .

(١) انظر . أعمال الأعلام ، ص ٢٠٢ .

(٢) مطمح الأنفس ، ص ١٣ . المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٨٤ .

(٣) انظر . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٤ .

(٤) Primera Crónica general, Apud . H. Miranda, Hist ., mu s. de Valencia, t . I . p. 259.

(٥) البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٤ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٤٩ .

٥ ـ بلنسية بعد وفاة أبى بكر بن عبد العزيز

أ ـ سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس وأثره على بلنسية :

بعد وفاة المأمون بن ذى النون سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٥ م) خلفه فى حكم طليطلة حفيده القادر يحيى بن ذى النون ، الذى كان فتى حدثا لا خبرة له ، يميل الى اللهو والترف والملذات ، مما ساعد على تفكك امارته الواسعة (١) .

وكان بنو هود أصحاب سرقسطة يطمعون فى امارة القادر يحيى الواسعة ، ويغيرون على أراضيه ، فى نفس الوقت الذى سادت فى داخل طليطلة حالة من السخط والتذمر على القادر وسوء تصرفاته ، بسبب نكبته لوزيره ابن الحديدى فى سنة ٤٦٨ هـ ، الذى طالما أوصاه جده المأمون بأن يعتمد على عونه ونصحه لا سيما وأن هذا الوزير كان محبوبا من أهل طليطلة ، ومن ذوى الرأى والمشورة فيها (٢) .

وأمام كل هذه الأخطار التى تهددت ملكه فى الداخل والخارج ووقوفه عاجزا عن مواجهتها ، أخذ يتقرب من ألفونسو السادس ، فأقبل يوادعه بالجزيات مقابل الحصول على حمايته ومساعدته ، ويشير الأمير عبد الله الزيزى الى أن ألفونسو « جعل عليه (يقصد القادر) أمولا جسيمة ، أشدها ما جعل على نفسه فى شراء حصن من ألفونس على مقربة من طليطلة بمائة وخمسين ألف مثقال طيبة وخمسمائة مدى من طعام ضيافة كل ليلة مدة قيامه عليه ، أخذها من أهل بلده حتى ضعفوا (٣) » وأدى ذلك بطبيعة الحال الى قيام الأهالى بالثورة على ملكهم الضعيف الذى ترك نفسه مطية لملك نصرانى واستحق بذلك عصيان رعيته عليه بهدف اسقاطه والاطاحة بعرشه ، فاضطر القادر الى التماس النجاة بنفسه وفر من

---

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٧ ، ص ٢٩٢ .

(٢) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ١٩و . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٧٧ .
وانظر . عنان ، نفسه ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٣) انظر . مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٧٧ .

طليطلة هو وأسرته الى حصن وبذة (أحد الحصون الشرقية لمملكة طليطلة) سنة ٤٧٢ هـ ، وعلى أثر ذلك أرسل بعض رؤساء طليطلة الى المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس (Badajoz) يدعونه لتسلم زمام الحكم فى طليطلة ، ولم يتردد المتوكل فى اهتبال هذه الفرصة وبادر بالسير الى طليطلة ، وتمكن من السيطرة على مقاليد الأمور فيها ، أما القادر فقد رحل الى قونكة ، وبعث من هناك الى ألفونسو يستنجد به ، ولم يلبث ملك قشتالة أن أقبل بقواته انجادا لحليفه ، فانضم اليه القادر بقواته واتجهت القوات المتحالفة نحو طليطلة وأحكمت عليها الحصار ، وانتهى الأمر بانسحاب ابن الأفطس واعادة القادر الى عرشه مرة أخرى رغم ارادة جماهير رعيته [1] ، وهكذا استرجع القادر عرشه قهرا ، وكانت أحوال طليطلة تنذر بسوء العاقبة ، فالرماد المتخلف من ثورة أهل طليطلة يوشك أن يكون له ضرام ، والغضب المكتوم فى صدور الأهالى يوشك أن ينفجر بركانا ، وملك قشتالة يتأهب لانتزاع ثمرة غرسه وتلقف ثمن انجاده لهذا الملك المتخاذل الذى لم يعد سوى دمية يحركها الملك القشتالى .

ولم يلبث ألفونسو السادس بعد أن حقق المرحلة الأولى من تثبيت أقدامه فى طليطلة أن عمل على انتزاعها من يد القادر ، وفى سبيل ذلك شرع فى سلسلة من الحملات الحربية استهدف منها تجريد مملكة طليطلة من حصونها وقلاعها وأهم مواردها المادية التى تعتمد عليها ، وما زال يواصل حملاته فى نواحيها حتى انقطعت عنها مادتها ونضب معينها وانعدمت مواردها ، ولم يبق أمام ألفونسو سوى أن يقتطع الحاضرة فينتهى كل شىء كل ذلك وملوك الطوائف يلهون بمشاكلهم الخاصة ومطامعهم فى السلطان ، تاركين طليطلة لمصيرها التعس ، فلما تم لألفونسو كل ما أراد تحقيقه ، اقترب بجيوشه من طليطلة وشرع فى أحكام الحصار عليها ، فاشتد الأمر على أهلها لطول الحصار وانعدام الأقوات ، وهكذا تحرج موقف القادر ، فاضطر الى

(١) ابن الكردبوس وابن الشباط ، تاريخ الأندلس ووصفه ، ص ٨٣ .

الاستسلام ، وتم استيلاء الفونسو على طليطلة بعد أن اتفق مع عاهلها القادر على أن يمكنه من الاستيلاء على بلنسية التى كانت تابعة لجده المأمون وتنصيبه ملكا عليها [1] .

وهكذا خرجت طلطلة الى الأبد من فلك دولة الاسلام فى إسبانيا ، ودخلتها جيوش القشتاليين فى المحرم سنة ٤٧٨ هـ (مايو ١٠٨٥ م) [2] ، وكان سقوطها حدثا من أبرز أحداث التاريخ الأسبانى الوسيط ، وجاء تتويجا للجهود المضنية التى بذلها ملوك إسبانيا المسيحية دعما لحركة الاسترداد فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) . وكان لسقوطها دوى هائل فى سائر أنحاء اسبانيا ، أثار الأسى العميق والحزن البالغ فى نفوس المسلمين ، والفرح والابتهاج فى نفوس النصارى [3] ، وبينما كان سقوطها بشرى لاعادة أمجاد القومية الاسبانية ، باعتبارها الحاضرة القديمة لدولة القوط [4] ، كان نذيرا لملوك الطوائف بنهايتهم الوشيكة ، نبههم الى الخطر الذى يوشك أن يطيح بدولة الاسلام فى الأندلس .

وقد ترتب على سقوط طليطلة نتائج هامة كان لها أعظم فى تحويل مجرى تاريخ الأندلس ، أبرزها دخول المرابطين على مسرح حوادث الأندلس استنقاذا لدولة الاسلام ، واتخاذ طليطلة قاعدة لمملكة قشتالة ، ذلك أن موقعها فى قلب الأندلس

---

(١) ابن الكرديوس ، نفسه ، ص ٨٤ . ابن خلدون ، نفسه ، المجلد السادس ، ص ٣٨٦ .

(٢) انظر . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٣٨ . النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٢٢ المخطوط ، لوحة ٤٦ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٤٨ . المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٨٤ ـ ٨٥ . ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٤٦ . وأيضا

H. Miranda, op. cit. t. I. p. 25⁰.

(٣) بروفنسال ، نفسه ، ص ١٢٠ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، جـ ٢ ، نشر الدار القومية ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ٧١٨ .

(٤) ارتفع شأن الفونسو السادس بسبب ذلك فى العالم المسيحى وأصبح يتمتع بمكانة كبرى فى النفوس بعد أن أعاد لاسبانيا حاضرتها الملكية القديمة وثبت للمسيحية مكانتها فى اسبانيا ، ولعل ذلك كان من الأسباب التى حملته على اتخاذ لقب الامبراطور . راجع التفاصيل فى : (ابن سماك العاملى ، الحلل الموشية ، طبعة تونس ١٣٢٩ هـ ، ص ٢٣ ـ ٢٥ . عنان ، نفسه ، ص ١١٤ ـ سالم ، نفسه ، ص ٧١٩) .

سيساعد القشتاليين حتما على دفع عجلة الاسترداد المسيحى ، ومن هذا المنطلق ستتخذ حركة الاسترداد مسارا جديدا تغلب عليه السمة الدينية الظاهرة فى أوربا والتى كانت السبب الظاهرى الأول فى الحركة الصليبية ، وهى سمة ستتأكد مع مضى السنين ، بينما نلاحظ أن هذه السمة سوف تفتقدها الحركة الصليبية نفسها .

وكان القادر قد رحب بالعرض الذى اقترحه عليه ألفونسو والذى يخول له السيطرة على بلنسية مقابل تنازله عن طليطلة ، إذ أنه كان قد تبرم بحكم هذه الحاضرة لكراهية أهلها المتأصلة له ومقتهم الشديد لشخصه ، ثم أنه كان يؤثر بلنسية على طليطلة من جميع الوجوه ، كما أن ملك قشتالة كان مرحبا بتمكينه من بلنسية ، لأنها بتبديتها للقادر كأنما تصبح تابعة بالفعل لقشتالة وفى وسعها أن تسيطر عليها متى شاءت [1] ، ويذكر ابن بسام أن ألفونسو تعهد للقادر بأن « يعيد له صعب بلنسية ذلولا ، وأن يمتعه بنضرتها وتملك حضرتها [2] » .

وبوضع القشتاليين أيديهم على طليطلة وأعمالها ، خرج منها ملكها المشؤوم بأهله وماله فى رهط من أعيانها وكبار شخصياتها ممن أنفوا أن يكونوا من أهل الدجن، أما هو فقد مضى الى قونكة [3] فنزل بها الى حين تمكنه ألفونسو من بلنسية بينما تفرق معظم من خرج من أهلها على قواعد الاسلام الأخرى فى الأندلس . ويصف ابن بسام خروج القادر بقوله : وخرج ابن ذى النون خائبا مما تمناه ، شرقاً بعقبى ما جناه ، والأرض تضج من مقامه وتستأذن فى انتقامه والسماء تود لو لم تطلع نجما الا كدره عليه حتفا مبيدا ، ولم تنشىء عارضا إلا مطرته فيه عذابا شديدا [4] » .

(١) H. Miranda, op. cit. t. I. p. 260

(٢) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ١٨ ظ . ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٨٤ .

(٣) أقام القادر بضعة أيام فى ضيفة ملك قشتالة ـ قبل ذهابه الى قونكة ـ أكد له خلالها حرصه على مساعدته فى السيطرة على بلنسية سلماً أو حربا ، ووعده بأنه اذا ما أعيته الطرق السليمة سيلجأ الى الحرب ، وبسيّر لهذا الغرض قائده البرهانس (Alvar Hañez) لأخذ المدينة عنوة راجع (ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٨٦) .

(٤) الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ١٣٠ . المقرى ، نفسه ، جـ ٦ ، ص ١٨٩ .

ومن الجدير بالذكر أن القادر عندما خرج من طليطلة أراد أن ينزل فى أحد حصونه القديمة القريبة من مملكة بلنسية ولكن هذه الحصون لم ترحب به وأغلقت أبوابها فى وجهه باستثناء قلعة قونكة حيث استقبله واليها ابن الفرج [1] بحفاوة الملوك ، وعبر بذلك عن ولائه له [2] .

وكان أبو بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قد توفى فى نفس السنة (٤٧٨هـ) . وخلفه ابنه القاضى أبو عمرو عثمان ، وكان لا يزال بعد فتى حدثا تعوزه الخبرة والحنكة ويفتقد حكمة أبيه وحزمه وحسن ادارته ، وكانت الظروف السياسية آنذاك تستلزم حاكما قويا حسن الرأى يستطيع أن ينهض بأعباء الحكم فى مثل هذه الأوضاع السيئة التى وصلت اليها بلاد الأندلس أمام طلب القشتاليين وأطماعهم فى القضاء على دولة الإسلام فى الأندلس .

ورأى القادر أن يدرس الموقف فى بلنسية عن كثب ويتعرف على الرأى العام فيها بعد وفاة صاحبها ابن عبد العزيز [3] ، فأرسل لهذا الغرض ابن الفرج عامله على قونكة ، وما كاد ابن الفرج يصل الى مقصده ويتقصى أحوال بلنسية حتى بدأ يدعو لسيده القادر باعتباره صاحب الحق الشرعى فى حكم المدينة . ووفق الى حد كبير فى

---

(١) بنو الفرج من أعيان بلنسية الذين توارثوا الحسب ، وكان أبو بكر بن عبد العزيز يستشيرهم فى الأمور الخطيرة لمكانتهم من بلده ، ويبدو أنه حسدهم على نفوذهم فأخرجهم من بلنسية فتفرقوا فى حواضر ملوك الطوائف ، ومنهم أبو عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذى النون ثم حفيده القادر ، كذلك أبو سعيد بن الفرج الذى تولى حكم قلعة قونكة ، وهو الذى استقبل القادر كما ذكرنا بالمتن . انظر (ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ترجمة رقم ٥٥٢ . الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ١٧١ ترجمة ١٣٦) .

(٢) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ١٨ ظ .

(٣) تشير بعض الروايات الى أن بلنسية تعرضت لحالة من الانقسام والتنافس على العرش عقب وفاة أميرها أبى بكر بن عبد العزيز ، فابن بسام يذكر أن خلافا قد وقع بين ابنى أبى بكر ربما بسبب التنافس على الحكم ، ويشير المقرى الى أنهما كان قليلى الخبرة بشئون الحكم ، وأنهما « تبلدا فى التدبير ولم يفرقا بين القبيل ولا الدبير ، فغلب عليهما القادر بن ذى النون » انظر . (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٨ ظ . نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٨٤) .

تفتيت الوحدة السياسية ببلنسية ، وبدأ الرأى العام ينقسم فيها ، فيظهر حزبان سياسيان رئيسيان داخل المدينة ، الأول مؤيد لدولة بنى هود أصحاب سرقسطة وملكهم المستعين الذى تزوج من ابنة أبى بكر عن عبد العزيز ، والآخر يميل الى بنى ذى النون الذين كانوا يسيطرون على بلنسية فى عهد المأمون ، وبالإضافة الى ذلك يتبين لابن الفرج سوء أحوال بلنسية وضعف وسائلها الدفاعية عن التصدى لأى هجوم من الخارج ، وتصدع الجبهة القومية فيها . وما أن أثبت ابن الفرج نجاحا فى خطته حتى قفل عائدا الى قونكة بعد أن مهد الأمور لسيده القادر ، وعلى أثر ذلك تأهب القادر للسيطرة عليها ، خاصة بعد أن زوده ملك قشتالة بفرقة من قواته يقودها البرهانس أعظم قواد قشتالة فى زمنه ، وما أن اقتربت قواته من المدينة حتى سيّر مبعوثا يحمل رسالة الى أهل بلنسية يعدهم فيها بكل ما فيه خيرهم وخير بلدهم ، وعندئذ عقد رؤساء المدينة مجلسا تباحثوا فيه الموقف ، فآثروا حقنا للدماء وتجنبا لما تتعرض له مدينتهم من دمار وتخريب أن يسلموا بلدهم للقادر بن ذى النون ، وقد كانوا يدركون تمام الادراك الموقف المتأزم وخطورة الوضع ، ولهذا اتفقوا فيما بينهم على عزل أميرهم عثمان بن أبى بكر وتسليم المدينة للقادر باعتبار أنه يمثل الجهة الشرعية التى كانت تتولى أمر بلنسية فى أيام المأمون بن ذى النون (١) .

وهكذا تم خلع عثمان بن أبى بكر بعد أن استمر فى الحكم تسعة أشهر ، وأرسلت الجماعة أو كبار رؤساء بلنسية الى القادر يبلغونه بموافقتهم على رئاسته وعلى تسليم المدينة اليه ، ولم يتردد القادر فى التقدم فورا لدخول بلنسية فدخلها فى موكب حافل تصحبه قلة من أتباعه وجنده القشتاليين ، واستقر بقصر الامارة بعد أن تسلمه من القاضى ابن لبون (٢) ، وتم ذلك ف شوال سنة ٤٧٨ هـ (أوائل ١٠٨٦

---

(١) انظر . ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٤٩ . عنان ، نفسه ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ . وأيضا .
H. Miranda, op. cit. t. I. p. 260.

(٢) بنو لبون من البيوتات العريقة فى شرق الأندلس ، وقد ورد ذكرهم مرارا فى كتب التراجم . ويذكر ابن الأبار أن أبا عيسى بن لبون كان من جملة أصحاب القادر ، وكان حاكما لمربيطر ، وأن أخاه أبا وهب عامر بن لبون كان ضابطا لقصر بلنسية ، وأرجح أنه هو الذى سلم قصر الامارة للقادر كما =

م) أما البرهانس وجنده النصارى فقد نزلوا فى ربض الرصافة بينما نزل أتباع القادر وفرسانه فى الساحة التى تقع بين المسجد الجامع وقصر الامارة [1] .

وهكذا انتقل ملك بنى ذى النون من طليطلة الى بلنسية ، وتم ذلك على يدى هذا الملك الذليل الذى قبل أن يكون خادما لملك قشتالة والذى يدين له بملك هزيل قائم على التبعية المطلقة لقشتالة وعلى أسنة رماح أعداء الاسلام فى الأندلس .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى قيام خلاف كبير بين وجهتى النظر المسيحية والاسلامية فيما يتعلق بالقادر بن ذى النون ، فبينما ترى المصادر المسيحية (القشتالية) أنه الحاكم الشرعى لبلنسية ، وهو أمر طبيعى لأنه يمثل من وجهة النظر القشتالية التبعية المباشرة لقشتالة [2] ، نجد المصادر الإسلامية تحمل عليه بشدة وتتهمه بالجبن والخوف وتعتبره المثل الأعلى للخيانة لتفريطه فى قاعدة من أهم قواعد الاسلام بتضحيته بطليطلة قلب الأندلس النابض [3] .

ب ـ بلنسية تحت سيطرة القادر بن ذى النون :

بعد أن استولى القادر على بلنسية سلما ، أقام بقصر الامارة محاطا بالخدم والحشم ، فأقبل على حياة الترف ، واستغرق فى اللهو وملذات الحياة استمرار فيما ألفه من الحياة الرخوة التى كان يحياها فى طليطلة قبل أن يقدم على تسليمها لأعداء الاسلام فى الأندلس ، وكان قد ورث ثروة ضخمة عن جده ، فضلا عن الذخائر

= ذكرت بالمتن . ومن المعروف أنه كان لهما أخ ثالث يدعى أبا محمد عبد الله بن لبون كان واليا على لورقة . انظر . (الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٩ ترجمة ١٣٥ . ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥ ترجمة ٥٨٣) .

(١) البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٤ . العبر . المجلد الرابع ، ص ٣٤٩ . عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١٨ . وانظر .

Primera Crónica general, II. p. 549 .

(٢) H. Miranda, op. cit. t. I. p. 261 .

(٣) انظر . الذخيرة ، القسم الرابع ـ المجلد الأول ، ص ١٣٠ . ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٨٥ ـ ٨٦ . النويرى ، نفسه ، جـ ٢٢ المخطوط ، لوحة ٤٦ .

والجواهر الثمينة التى حملها معه الى بلنسية .

ويسجل عهد القادر ببلنسية أكثر صفحات تاريخ بلنسية سوادا وأسوأ مرحلة تاريخية مرت بها المدينة منذ قيام عصر دويلات الطوائف [1] ، فقد استبد القادر استبداد الضعيف اذا تحكم ، ولم يلبث أن تحول الى طاغية جائر إصطنع سياسة العسف والارهاب سلاحا مع الرعية وقد اطمأن جانبه بالحماية التى فرضها عليه البرهانس وفرقته الذين ثقلت وطأتهم على الأهالى وعاثوا فى بلنسية فسادا ، وترتب على ذلك ظهور حالة من التذمر الشديد والسخط المكتوم الذى يوشك على التفجر ، وضاق الأهالى بالمغارم الفادحة والضرائب الباهظة التى أرهقهم بها القادر للانفاق على مرتزقته القشتاليين الذى تحكموا فيهم وساموهم العسف والقهر والذل واعتدوا على حرماتهم وأموالهم الى حد أن أعدادا كبيرة من أعيان بلنسية آثروا الرحيل عن المدينة فرارا من هذا الطغيان [2] .

وكان من الطبيعى أن يتفجر الموقف عاجلا كان ذلك أم آجلا بسبب سوء الأوضاع فى الداخل وغلبة الفوضى والاضطراب على سائر أنحاء بلنسية ، وبدأت بوادر العصيان فى شاطبة عندما رفض واليها المثول أمام القادر ولم يعترف به أميرا على بلنسية ، كما رفض أيضا دفع الضرائب [3] .

ولم يحفل القادر بنصائح وزيره ابن الفرج بالتريث وعدم اصطناع العنف مع والى شاطبة ، وتسريح القوة القشتالية بقيادة البرهانس بعد أن أنهت مهمتها ولم يعد لوجودها فى بلنسية ضرورة ، لا سيما وقد كلفته الانفاق عليها أموالا طائلة ، بل أنه ضرب عرض الحائط بهذه النصائح المخلصة ، إذ كان يدرك تمام الادراك مقت رعاياه

---

(١) انظر . رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٢) عن الحالة فى بلنسية فى بداية عهد القادر راجع : عنان ، نفسه ، ص ٢١٨ . الطاهر مكى ، ملحمة السيد ، ص ١١٠ ـ ١١١ . وأيضا :

Menéndez pidal, la España del Cid, Vol. I, pp. 313 - 316.

(٣) Primera Crónica general. t. II. pp. 550 - 551. & H. Miranda, Historia musulmana de Valencia, t. I, p. 265.

له وسخطهم عليها وكان على يقين أن سلامة عرشه أنما تتوقف على حماية القوة القشتالية له ، ولهذا السبب تمسك بتلك القوة وتابع اعتماده لمنطق الظلم لغاشم ، وبينما لم يصغ لنصائح وزيره المخلص نراه يستمع لرأى رجل موتور كان يسعى الى التغرير به هو الأمير المخلوع عثمان بن عبد العزيز الذى نصحه باستخدام القوة والبطش مع أهل شاطبة ، فلم يتردد فى السير اليها بعسكر المسلمين وحاصرها فى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) واستولى على أرباضها بكل يسر وسهولة ، ولكن قصبتها الحصينة تصدت له وصمدت صمودا بطوليا ، واستمر القادر يحاصرها زهاء أربعة أشهر ، ولما طال أمد الحصار على شاطبة وضاق أهليها به بادر واليها بالاتصال بالحاجب المنذر بن هود صاحب لاردة وطرطوشة ودانية يستمده ويستنصر به ، إذ كان على يقين من أنه يستطيع بفضل صلاته الودية ببرشلونة وبفضل ما لديه من قوات قطلانية مرتزقة أن يواجه القادر بكل قواته وقوات البرهانس الحامية له ، ولم يتردد المنذر فى اجابة طلب والى شاطبة ، وقاد على الفور قواته نحو شاطبة فاضطر القادر الى فك الحصار والانسحاب سريعا الى بلنسية والتحصن داخل أسوارها خوفا من المنذر [١] . أما البرهانس قائد القوة القشتالية فى بلنسية فقد أخذ فى مضايقة القادر لتأخره فى دفع رواتب جنده فى موعدها ، كما أنه لم يشترك فى تلك الحملة الفاشلة على شاطبة ، وفى نفس الوقت أعلنت كثير من القلاع التابعة لمملكة بلنسية التمرد والعصيان ، فازداد وضع القادر تحرجا . أما فى الداخل فقد ساءت الحالة الاقتصادية لدرجة مخيفة تنذر بالخطر ، فقد انتزع القادر أراضى المزارعين من أهل بلنسية عن طريق القوة وأقطعها للمرتزقة النصارى عوضا لهم عن رواتبهم المتأخرة ، فاستخدموا الرقيق فى فلاحتها وكونوا مما كانت تدره عليهم من غلات ومحاصيل ومن حصيلة غاراتهم ثروات هائلة ، وأصبحوا يشكلون قوة لها خطورتها فى بلنسية [٢] .

---

(١) لم ترد تلك الرواية فى المصادر الاسلامية ويذكر ميراندا أنها وردت بالتفصيل فى المدونة العامة الأولى . انظر .

Prim , Crón., gen., II. p. 550. & Miranda, op. cit. pp. 265 266.

(٢) Prim, crón, gen., p. 552. & Miranda, op. cit.

وبينما كان أهل بلنسية يعانون مرارة البطش الذى نزل بهم من القادر وحلفائه القشتاليين كانت الحوادث فى مناطق الأندلس الأخرى تتطور سريعا ، لا سيما بعد أن عبر المرابطون الى الأندلس للذب عن الاسلام الذى انتكست راياته فى نواحى الأندلس المختلفة بسبب عوامل الضعف والانهيار التى حلت بدويلات الطوائف وقوة الدفع السريع لحركة الاسترداد القشتالية التى أخذت تصطبغ منذ ذلك لحين بصبغة الحركة الصليبية .

ونجح المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين فى الايقاع بقوات القشتاليين وحلفائهم من دول إسبانيا المسيحية وما والاها من بلاد ما وراء البرتات فى وقعة الزلاقة المشهورة (١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ / ٢٣ اكتوبر ١٠٨٦ م [١] .

وكان لنشوب موقعة الزلاقة نتائجه الهامة بالنسبة للوضع فى بلنسية ، فعندما تجمعت حشود المرابطين ومن انضم اليهم من قوات الأندلس فى الزلاقة ، اضطرت الفرقة القشتالية بقيادة البرهانس الى الانسحاب من بلنسية والاتجاه الى ساحة المعركة للإنضمام الى صفوف القشتاليين [٢] ، وأحدث انسحابها من المدينة دويا هائلا ، اذ أثار الفرح والغبطة فى نفوس أهل المدينة وأحسن الناس بالإطمئنان والراحة بخروجهم منها ، وزاد انتصار الزلاقة من غبطتهم ، اذ نتج عنه الامتناع عن دفع الجزية للملك

---

(١) فيما يتعلق بتفاصيل معركة الزلاقة راجع : مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٠٤ – ١٠٥ . ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٩٣ – ٩٥ . المراكشى ، المعجب ، ص ١٩٣ – ١٩٦ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٣٦ – ١٣٨ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، المجلد السابع ، ص ١١٧ ترجمة رقم ٨٤٤ . ابن سماك العاملى ، الحلل الموشية ، ص ٣٩ – ٤٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد السادس ، ص ٣٨٣ . الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٨٣ . سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٢٣ – ٧٢٦ . العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٣١ – ٣٣٤ . عنان ، نفسه ، ص ٣١١ – ٣١٧ . وأيضا :

- Levi - provencal, G. Gomez Y. J. Oliver Asin, Novedades sobre la batalla llamada. Al - zallaqa, al - Andalus, vol, XV. Madrid, 1950, pp. 114 - 124. & H. Miranda, Hist., mus., de Valencia, t. I. pp. 283 - 287.

(٢) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠ .

قشتالة ، كما أعاد ثقتهم بقوة الاسلام فى الأندلس ، وقد أشار ابن بسام الى ذلك بقوله : « ... وصدم الطاغية أذ فونش ـ قصمه الله ـ تلك الصدمة .. فرجع ـ لعنه الله ـ وقد هيض جناحه ، وركدت رياحه ، وتنفس خناق يحيى بن ذى النون هذا فتنسم روح البقاء [1] » .

وما كادت أنباء انتصار المسلمين على قوى قشتالة وأحلافها تصل الى القادر حتى بادر بالكتابة الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يهنئه بانتصاره ويلتمس صداقته ومودته [2] ، وواضح أنه شأنه بقية رفاقه ملوك الطوائف بالأندلس كان يستهدف أن يحظى برضا أمير هذه القوة المرابطية الجديدة التى ظهرت على مسرح الحوادث فى الأندلس و أثبتت وجودها بجدارة كأعظم قوة فى المغرب آنذاك أمكنها أن تسحق قوى قشتالة وأحلافها ممن كان يعتمد عليهم ملوك الطوائف ويلوذون لهم بالجزيات ، وواضح أيضا أن القادر أدرك بعد تغير ميزان القوى فى إسبانيا أن المراهنة على الجواد الخاسر لن تجديه شيئا بل ستتسبب فى الحاق الضرر به ، ولهذا فقد تطلع إلى عقد صلات مع الغالبين عسى أن يدعم ذلك من نفوذه فى بلنسية ويغيّر من نظرة الأهالى اليه كحاكم طاغية مستبد وخائن عتيد لقضايا الإسلام ضحى ببلده فى سبيل الحفاظ على متاع قليل موقوت لن يغنيه سوى نقمة الناس ومقتهم وغضب الله عليه . غير أن يوسف بن تاشفين كان منصرفا عن الرد عليه واجابته بشؤون خطيرة شغلته ودعته الى العودة سريعا الى بلاده بعد أن بلغه فى نفس يوم انتصاره على القشتاليين نبأ وفاة ولده وولى عهده الأمير أبى بكر [3] ، وربما يكون قد عجل بالعودة الى المغرب عندما بلغه نبأ استشهاد أبى بكر بن عمر المتوفى سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م فى احدى معارك الجهاد حتى يظفر بالبيعة لنفسه قبل أن ينهض آخرون غيره من أمراء المرابطين ويظفر أحدهم بها دونه منتهزا فرصة اشتغاله فى الأندلس بمعركة الجهاد [4] ،

---

(١) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ١٨ ظ .

(٢) نفس المصدر السابق ، لوحة ١٨ ظ .

(٣) نظر . ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٠٥.

(٤) انظر . حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

وقد يكون السبب فى تعجله في العودة الى المغرب ناجما من استيائه مما عاينه فى الأندلس وما سمعه من فقهائها عن تعرض الاسلام للضياع بسبب الخيانات التى كان يرتكبها ملوك الطوائف من الاستنصار بقوات إسبانيا المسيحية ليقهر أحدهم الآخر توسعه لأملاكه مع دفع الثمن غاليا من حصون المسلمين ، فقد ذكر الأمير عبد الله الزيرى أنه كان متألما لما كان يشجر بين ملوك لطوائف من خلافات وما كانت تلقاه شعوبهم من مظالم ومغارم وطغيان ، وكان ذلك من العوامل التى عجلت بعودته سريعا الى المغرب [1] .

ولكن عودة يوسف بن تاشفين المبكرة أتاحت لقوى المسيحية أن تتنفس بعد صدمة الزلاقة ، وتسترد قوتها وتستجمع قواها من أجل الثأر ، فعهد ألفونسو السادس الى قائده غرسية خيمنيث بالعيث فى منطقة شرق الأندلس حيث يسيطر صنيعتهم القادر على بلنسية ، فبادر القائد القشتالى بشن غاراته على المنطقة الواقعة ما بين مرسية ولورقة ، حيث أقام القشتاليون إحكاما لقبضتهم على المنطقة حصنا منيعا لا يرام فى منطقة مرتفعة على مفترق الطرق المؤدية الى مرسية وغرناطة ولورقة تتحكم فى جميع هذه الطرق وتسيطر عليها ، وشحن هذا الحصن بحامية ذكروا أنها تتألف من ١٣ ألف مقاتل من بينهم ألف فارس [2] ، وهو رقم مبالغ فيه للغاية فالحصن لا يعدو أن يكون برجا ضخما لا يتسع لأكثر من ألف مقاتل مهما اكتظ بمن فيه ، ولكن موقعه الاستراتيجى الخطير كان يمكن هؤلاء المقاتلة من التحكم فى القوافل المارة بالطرق المذكورة ، وقد تعرض المسلون لمتاعب جمة بسبب هؤلاء القشتاليين وما كان يلحق بقوافلهم من الأذى والضرر الشديد ، فكثر صراخهم وترددت استغاثاتهم بيوسف بن تاشفين لالتماس تدخله فى حوادث الأندلس من جديد ، خاصة بعد أن تأزمت الأمور فى شرق الأندلس بظهور السيد القنبيطور وعجز ملوك الطوائف عن التصدى لغاراته ووضع حد لعيثه بحيث أصبحت دانية وشاطبة ومرسية مهددة بالوقوع فى يد العدو [3] .

(١) انظر . مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٧ .

(٢) ابن أبى زرع ، نفسه ، ص ١٠٦ . الحلل الموشية ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٣) انظر . حسن محمود ، نفسه ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ . سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٣٠ .

ومن جديد عاد ملوك الطوائف يبعثون رسلهم الى يوسف يدعونه للعبور مرة ثانية للجهاد هذه المرة فى شرق الأندلس واستنزال حصن لييط الاستراتيجى الذى كان يعرقل خطوط الاتصال بين هذه المدن ويقطع عليها الامدادات ، وذكروا أن المعتمد ابن عباد عبر بنفسه الى المغرب والتقى مع يوسف فى موضع عند وادى سبو وعرض عليه ما يلقاه المسلمون من ضرر بسبب اعتداءات النصارى أصحاب حصن لييط المتواصلة على سكان المنطقة والتمس منه أن يقبل رجاءه فى انقاذ الأندلس من بغى هؤلاء القشتاليين ، ووعده ابن تاشفين بذلك وأخذ يتأهب للمعركة المقبلة [1] .

وقد بر ابن تاشفين بوعده للمعتمد وجاز الزقاق فى ربيع الأول سنة ٤٨١ هـ (يوليو ١٠٨٨ م) واتجه هذه المرة مع من انضم الى قواته من عساكر الأندلس نحو الشرق لمنازلة حصن لييط الذى استخدمه النصارى للاغارة على منطقة مرسية ولورقة [2] ، ثم حاصر المسلمون الحصن عدة أشهر ولكنهم فشلوا فى الاستيلاء عليه لمناعته واستبسال حاميته فى الدفاع عنه ، بالإضافة إلى عامل آخر هو النزاع الذى نشب فيما بين رؤساء الأندلس واتهاماتهم المتبادلة أمام يوسف بن تاشفين [3] ، ومما لاشك فيه أن يوسف أحس التقزز من هذه المواقف المتخاذلة وأدرك أن هؤلاء الملوك يمثلون الخطر الحقيقى على الاسلام فى الأندلس ، وخطرت بذهنه أن يسقط عروشهم ويعيد للأندلس وحدته ثم يتفرغ بعد ذلك لدول إسبانيا المسيحية ، ثم أنه قرر الانسحاب من ميدان المعركة ، وقفل عائدا الى المغرب وقد داخلت نفسه مشاعر الاحتقار لملوك الطوائف بعد أن ترك فرقة مرابطية يقودها ابن عائشة اتخذت من شرق الأندلس مسرحا لنشاطها .

---

(١) روض القرطاس ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ . الحلل الموشية ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(٢) روض القرطاس ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ . الحلل الموشية ، ص ٤٩ ـ ٥٠ . السلاوى الناصرى ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، جـ ١ ، القاهرة ١٣١٢ هـ ، ص ١١٩ .

(٣) سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٣٠ . وعن تفاصيل حصار لييط . راجع أيضا .
H. Miranda, His., mus., de Valencia, t. II. pp. 19 - 25.

جـ ـ الصراع حول بلنسية بين المنذر والمستعين :

نعمت بلنسية بفترة قصيرة من الهدوء والأمن عقب انتصار المسلمين فى الزلاقة ، ولم يلبث الاضطراب أن سادها من جديد ، وفلت الزمام من يد صاحبها القادر بعد أن ظهر عجزه عن السيطرة على دفة الحكم فيها ، واشتدت الأحوال سوءا بعد أن أصبحت بلنسية نفسها مطمعا للطامعين من ملوك الطوائف الآخرين وعلى الأخص الحاجب المنذر بن هود صاحب لاردة وطرطوشة الذى كان يتحين الفرصة للاستيلاء على بلنسية ، لا سيما بعد استيلائه على دانية وشاطبة اللتين تكملا له اخضاع منطقة شرق الأندلس جميعها لنفوذه وسلطانه [1] ، والمستعين بن هود ملك سرقسطة الذى كان يتوق الى الاستيلاء على هذه المملكة وضمها الى ملكه .

ورأى المنذر فى خروج الحامية القشتالية من بلنسية لتعزيز قوات قشتالة قبل نشوب وقعة الزلاقة فرصة مواتية له لينقض على بلنسية التى كانت كل ظروفها الداخلية السيئة تجعل منها فريسة سهلة المنال ، فبادر لاهتبال هذه الفرصة ، وخرج بقوة كبيرة من جيشه تعززها فرقة من المرتزقة القطلان وأحكم الحصار حول بلنسية سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٧ م) [2] .

وكان للحاجب المنذر بداخل المدينة أنصار يؤيدونه ويرجون أن يوفق فى اقتحامها طمعا فى تغيير الأوضاع السيئة بداخلها ، ولما عجز القادر عن الصمود أوشك على التسليم لولا أن نصحه ابن طاهر (صاحب مرسية لسابق) بمواصلة الصمود [3] ، فتشجع بعض الشيء ولكنه لم يكن واثقا من نفسه فأرسل الى ألفونسو السادس يستحثه على انجاده ، كما أرسل الى المستعين بن هود صاحب سرقسطة وابن أخى

---

(١) H. Miranda, op. cit. t. I. pp. 267 - 269

(٢) ابن الكرديوس ، نفسه ، ص ٩٨ . وأيضا :
Primera Crónica general, II. p. 559. & Miranda, op. cit. t. II. pp. 8 - 9

(٣) عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ . وانظر .
Primera Crónica general, t. I. p. 559. & Miranda, op. cit. t. II. p. 270.

المنذر وعدوه فى نفس الوقت ، يستنهضه لانقاذه [١] ، ولم يكن المستعين يزهد هو الأخر فى ضم بلنسية الى مملكته لا سيما أنه كان يسانده فيها حزب موال له من بين أهدافه الانضواء تحت لواء مملكة سرقسطة استنادا الى المصاهرة القائمة بين بيت بنى هود وبين أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية الراحل [٢] ، وعلى هذا النحو لم يتردد لحظة واحدة فى تلبية نداء القادر وبادر بالسير بقواته نحو بلنسية وبصحبته حليفة السيد القنبيطور وجنده المرتزقة (سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٧ م) ، ويشير ابن الكردبوس الى هذه الحدث بقوله : « وخرج الحاجب منذر بن أحمد بن هود من لاردة ، ونزل على بلنسية وحصرها طامعا فى أخذها من يد القادر ، فلما سمع به ابن أخيه المستعين استنصر بالقنبيطور ـ لعنه الله ـ وخرج معه فى أربعمائة فارس والقنبيطور فى ثلاثة ألاف فارس ، وغزا معه بنفسه حرصا منه على تملك بلنسية ، على أن للقنبيطور أموالها وللمستعين جفنها[٣] ـ أى المدينة ـ » .

وعندما علم المنذر باقبال ابن أخيه المستعين وحليفه القنبيطور فى قواتهما لاستنقاذ بلنسية أيقن عقم محاولته وقرر الانسحاب ، وقبل أن يرحل منسحبا بعث الى القادر يأسف لما بدر منه نحو بلده ويبدى استعداده للتحالف معه ومعاونته ضد المستعين اذا ما امتنع عن تسليم بلده اليه ، وقبل القادر ما عرضه عليه رغم علمه بأنه لم يكن أقل طمعا من قريبه فى الاستيلاء على بلنسية . وفى نفس الوقت أرسل الى السيد القنبيطور مبعوثا سريا يستميله اليه ويوادعه بالهدايا والتحف بهدف محالفته [٤] .

ولم يلبث المستعين أن وصل بقواته الى بلنسية وبصحبته السيد القنبيطور وقواته المرتزقة ، فبادر القادر الى الترحيب بهما بكل مظاهر الحفاوة ، وشكرهما على مسارعتهما بنجدته واغاثته ، ثم دعاهما للنزول فى قصره الواقع فى ربض بلنسية

---

(١) Pri., Cron., gen., p. 559

(٢) ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٩٨ .

(٣) انظر . تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٩٨ .

(٤) Pri, Crón., gen., II. p. 560.

الشمالى المعروف باسم بيانوبيا Villa nueva [1] .

ونجحت خطة القادر فى افساد الجو بين الحليفين السيد القنبيطور والمستعين ، وتنكر السيد لحليفه ناكثا بالاتفاق القائم بينهما ، وأبلغه عدم استطاعته تنفيذ ما اتفقا عليه بحجة أن القادر صاحب بلنسية يتمتع بحماية ألفونسو السادس ملك قشتالة ويؤدى له الجزية ، وأن الهجوم على بلنسية لذلك السبب يعتبر عملا عدائيا ضد سيده ملك قشتاله [2] .

وكان السيد يدرك تماما أن المستعين ليس مستعدا لاثارة غضب ألفونسو أو الدخول فى حرب ضده ، ومن هذا المنطلق قرر المستعين الانسحاب الى مملكته سرقسطة بعد أن ثبت له حقيقة السيد الغادرة ونكثه بعهوده له .

وهكذا تخلصت بلنسية من خطر المنذر بن هود صاحب لاردة وطرطوشة ثم من خطر المستعين صاحب سرقسطة لتقع أخيرا تحت تهديد أشد خطراً وأعنى به السيد القنبيطور وجنده المرتزقة .

---

(١) idem.

(٢) Primera Crónice general, p. 560 .

الفصـــل الثـــالـــث

« بلنسية منذ ثورة القاضى ابن جحاف حتى سقوطها فى أيدى المرابطين »

(١) نهاية عهد القادر بالله بن ذى النون .

أ ـ انفراد السيد القنبيطور بالعمل للسيطرة على بلنسية .

ب ـ ثورة القاضى ابن جحاف ببلنسية ومقتل القادر .

(٢) بلنسية فى ظل القاضى ابن جحاف .

أ ـ استبداد ابن جحاف بامارة بلنسية .

ب ـ حصار القنبيطور الأول لبلنسية .

جـ اخفاق المرابطين فى استنقاذ بلنسية .

د ـ الحصار الثانى لمدينة بلنسية .

هـ ـ استسلام بلنسية للسيد القنبيطور .

(٣) بلنسية فى ظل القنبيطور .

أ ـ سياسية القنبيطور مع أهل بلنسية فى أعقاب الاحتلال .

ب ـ نقض القنبيطور لعهد التسليم .

جـ موقف المرابطين من سقوط بلنسية فى يد السيد القنبيطور .

د ـ معركة كوارت وأثرها فى سياسية القنبيطور .

هـ ـ مأساة القاضى ابن جحاف .

و ـ استبداد القنبيطور ببلنسية .

ز ـ الاشتباكات مع المرابطين فى بيرين وكنشره .

ح ـ عودة بلنسية إلى دولة الاسلام .

(١) نهاية عهد القادر بالله بن ذى النون

أ ـ انفراد السيد القنبيطور بالعمل للسيطرة على بلنسية :

كان المستعين ـ كما ذكرنا آنفا ـ يطمع فى الاستيلاء على بلنسية ، ولم يتردد فى السير اليها بقواته يعززها عسكر حليفة القنبيطور ، متعللا بنجدة صاحبها القادر بن ذى النون ضد المنذر بن هود الذى كان يحاصر المدينة واضطر الى الانسحاب عندما اقترب عسكر المستعين وحليفه .

وقد رأينا فيما سبق كيف أن القادر كان يخشى بدوره من أطماع المستعين ، وأنه لذلك عمل على استمالة القنبيطور وعقد معه اتفاقا سريا يقضى بحمايته ، وفى مقابل ذلك يلتزم ، له بالطاعة ودفع الاتاوة ، الأمر الذى دعا السيد الى التخلى عن مساندة المستعين وتذليل الطريق أمامه للاستيلاء على بلنسية التى كان يرومها السيد لنفسه . ومن هذا المنطلق بدأ القنبيطور يعمل لحسابه الخاص لتحقيق مآربه فى السيطرة على بلنسية ، فيراوغ الجميع ويبيع العدو والصديق على السواء ، فكتب الى الملك ألفونسو السادس يسترضيه مؤكدا له أنه وجنده تحت امرته ، وأن سيفه ما يزال يستخدمه فى خدمته وأنه على أتم استعداد لانزال ضرباته بالكفرة (يعنى بهم المسلمين) وأن بوسعه أن يستولى على شرق الأندلس بكل يسر (١) .

وكان طبيعيا بعد ما عرضه السيد على ملكه من عروض أن ينسى الملك ما كان يحمله فى نفسه نحوه وأن يتلاشى منه عوامل الحقد وأن يغفر للسيد ما كان قد اجترمه فيأذن له بأن يجول ما شاء له ، وما كاد السيد يتلقى من مولاه هذا الرد الذى يكشف عن رضا الملك عنه وغفرانه له حتى بادر بالسير الى قشتالة للقاء ألفونسو والتشاور معه ، وتم الصلح بينهما فى أواخر سنة ١٠٨٧ م (٤٧٩ ـ

---

(١) أنظر: Primera Crónica general, t. II. p. 561. & Chronicle of the cid. pp. 124 - 125 .

هـ) أو أوائل سنة ١٠٨٧ م [١] .

وعلى هذا النحو أيقن المستعين بتخلي السيد عن مساعدته ، فأخذ يلتمس مصدرا آخر للعون والتأييد ، فأخذ يتقرب الى رامون بيرنجير الثاني (Ramón Beren-guer II) كونت برشلونة ، ونجح في عقد تحالف معه يقضي بأن يعينه بقواته على غزو بلنسية . وبالفعل انضم بقواته الى المستعين وزحفا اليها ، وتمكنا أثناء تقدمهما من الاستيلاء على لرية (Liria) وجبالة (Cebolla) ، ثم وصلت طلائع قواتهما الى بلنسية ، فحاصرتها ، ولكن ما كادت الأنباء تبلغ الكونت برنجير باقتراب السيد من بلنسية حتى أصابه الخوف من مواجهته ، وأدرك عجزه عن التصدى للسيد وقواته ، فآثر السلامة لنفسه وبادر بالانسحاب من مواقعه ، وقفل عائدا الى بلاده ، وبذلك فشلت محاولة المستعين الثانية للاستيلاء على بلنسية [٢] .

وكان السيد بعد أن صالح سيده ألفونسو قد قرر الاستيلاء على بلنسية ، فخرج اليها بقواته ، وفي طريقه اليها مر بمر بيطر (ساجنتو) وأرغم حاكمها ابن لبون على دفع الجزية ، ثم وصل الى بلنسية فاستقبله صاحبها القادر بالحفاوة والتكريم وأغدق عليه الهدايا ، واتفق معه السيد على حمايته من أعدائه المسلمين منهم والنصارى مقابل جزية قدرها أربعة آلاف دينار يدفعها له القادر أسبوعيا [٣] . وفي نفس الوقت أرسل السيد الى رؤساء القلاع والحصون التابعة لبلنسية يأمرهم بالعودة الى الالتزام بتقديم الخراج الى القادر كما كانوا يفعلون من قبل . فاستجاب الجميع لأمر السيد القنبيطور خوفا من قوته واتقاء لبأسه [٤] ، وخضع له أمراء السهلة والبونت ومربيطر ،

---

(١) أنظر : مؤنس ، السيد القنبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، ص ٥٥ . عنان ، نفسه ، ص ٢٦٦ ـ ٢٢٧ .

(٢) عنان ، نفسه ، ص ٢٢٧ . وأيضا

Chronicle of the cid, pp. 125 - 126. & Miranda, op. cit. t. II pp. 14 - 15.

(٣) Chronicle of the cid, p. 126

وقد ذكر اويثى ميراندا أن القادر اتفق مع السيد على أن يدفع له ألف دينار فقط اسبوعيا . انظر (Miranda, op. cit . t. II. p. II)

(٤) عنان ، نفسه ، ص ٢٢٨ . الطاهر مكي ، ملحمة السيد ، ص ١١٥ .

وأنظر : Chronicle , p. 126

ودفعوا له الجزية ، وأصبح السيد صاحب النفوذ الحقيقى فى تلك المنطقة ، فاستناب عنه ببلنسية ابن الفرج الذى كان وزيرا للقادر [1] . ويعبر ابن عذارى عن استبداد السيد بشؤون بلنسية دون القادر بن ذى النون بقوله : « وكان الطاغية لذريق النصرانى الملقب بالكبيطور قد أخذ بمخنق بلنسية ، وألقى زوره عليها ، يجبى رعيتها ويستغلها حاضرة وبادية ، وقد استضعف حفيد ابن ذى النون ملكها المشئوم وكان اجتلبه ليحترم به ، فرمى بسهمه الى نحره ، فخلعه اللعين ، وبقى حتى أراد الله بما أراد من حتفه [2] » .

ولم تلبث العلاقات بين ألفونسو السادس والقنبيطور أن فسدت من جديد ، بسبب ابطاء القنبيطور فى الاستجابة لطلبه عندما دعاه الى السير الى حصن لييط (Aledo) ليفك حصار المرابطين لهذا الحصن سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م ، فأثارت هذه الحادثة غضبه من جديد ، ونسى فى غمرة غضبه أن الاتفاق الذى تم بينه وبين السيد يقضى بأن يفتح له بلنسية ومدن شرق الأندلس ، وأعماه غضبه عن الرؤية الصحيحة ، فاندفع نحو بلنسية وقد صمم على انتزاعها ، بعد أن عقد تحالفا مع جماعات من البحريين من جنوة وبيشة (بيزا) لحصار المدينة من البر والبحر بغية الاستيلاء عليها . وكان القنبيطور آنذاك غائبا عنها بسرقسطة ، فلما علم بنزول ألفونسو ببلنسية وحصاره لها غضب وعزم الانتقام ، فاتجه بجنده الى أراضى مملكة قشتالة ، وعاث فيها نهبا وتخريبا ، وأرغم ألفونسو بذلك على الانسحاب ، وخاصة بعد تقاعس حلفائه من جنوة وبيشة عن الوصول الى بلنسية فى الموعد المحدد ومساعدته فى افتتاحها [3] ، وفى ذلك يقول ابن الكردبوس : « ولما نزل الفنش على بلنسية ، غضب القنبيطور واحتد ، وجمع وحشد لأنه كان يعدها له طاعة ، والقادر بها عامله ، إذ لا قدرة له على الدفاع ولا استطالة ، فخالفه الى قشتالة فحرق وهدم ، فكان ذلك

---

(١) Primera Cronica general , p. 262 & Pidal , op. cit . V. I . p. 489 .

(٢) انظر البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣١ . وجدير بالملاحظة أن كلمة زوره التى وردت فى النص غير مفهومة ، وأظنها تحريف مطبعى لكلمة وزره بمعنى حملة أو ثقله .

(٣) Chronicle of the cid, p. 134

أقوى الأسباب فى افتراق ذلك الجمع عن بلنسية [1] » .

وأياما كان الأمر فقد آثر الملك ألفونسو بعد أن تبين له خطؤه العودة الى سياسية اللين والمداراة إزاء السيد ، بسبب تزايد الخطر الى يمثله المرابطون فى الأندلس بعد أن استولوا على جنوب شرقى الجزيرة ، وخلعوا معظم ملوك الطوائف ، وعلى هذا النحو كتب الملك الى القنبيطور يبلغه بالعفو عنه فى أوائل سنة ١٠٩٢ م (٤٨٥ هـ) [2] .

وعندما اطمأن السيد الى ذلك خرج بقوة من عسكره الى مملكة سرقسطة فى شعبان سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) لمساعدة صاحبها المستعين على مواجهة الخطر الذى كان يتهدده من جهة سانشو راميرز (Sancho Ramirez) ملك أرغون ، واستخلف عنه ببلنسية نائبه ابن الفرج . وخفف خروج السيد من بلنسية التوتر القائم فيها ، وتنفس أهلها الصعداء لرحيل ذلك الطاغية عنهم [3] .

ب ـ ثورة القاضى ابن جحاف ببلنسية ومقتل القادر :

تدهورت الأوضاع فى بلنسية أثناء غياب السيد القنبيطور عنها ، بسبب ضعف القادر من جهة والسيطرة الفعلية لقوات السيد عليها من جهة ثانية . فمن الناحية العملية كانت المدينة قد خضعت بالفعل للنصارى ، وأصبح لهم فيها أرباض لا يسكنها سواهم ، فبالاضافة الى حومة المعاهدة (Los Mozarbes) بربض ريوسا (Rayosa) وهم نصارى بلنسية القدامى الذين عاهدوا الفاتحين المسلمين ، وربض الرصافة فى الجنوب الشرقى وكان يسكنه عدد كبير منهم ، كان ربض الكدية [4] (Al-cudia) فى الشمال مخصصا لنزول مرتزقة السيد ، أما قلب بلنسية فقد اكتظ بأهل بلنسية المسلمين ، ومنهم من كان يؤثر التبعية للقشتاليين على الخضوع للقادر بن ذى

---

(١) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٩٩ ـ ١٠٠

(٢) عنان ، نفسه ، ص ٢٣٠ .

(٣) انظر . رواية ابن علقمة ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣١ .

(٤) الكدية (Alcudia) : بضم الكاف وسكون الدال ، كلمة عربية تعنى الربوة أو الأرض المرتفعة وهى ما تزال حتى اليوم تحمل نفس هذا الاسم .

النون ، ومنهم ـ وهم الجمهرة العظمى من أهلها ـ من كان يسخط على القادر وأعوانه ويضيق باحتلال القشتاليين لمدينتهم ، وكان ابن الفرج (نائب السيد) الحاكم الفعلي لبلنسية ، يدبر أمورها ويشرف على جباية الضرائب فيها [1] .

وفي ظل هذه الأوضاع المرتبكة التي كان يعاني منها أهل بلنسية ، ساد المدينة جو ملبد بالسخط المكتوم الذي يوشك أن يتفجر ، وظهر في بلنسية ما يشبه الوميض يتخلل الرماد ويوشك أن يضطرم ، فقد استغل المعارضون للتدخل القشتالي هذه الأوضاع المتفجرة وبدأوا يدعون للثورة ضد القادر وأحلافه ، وتزعم هذا الحزب المعارض للقادر وصاحبه القنبيطور القاضي ابن حجاف [2] الذي كان « قد سئم اضافة عدو الله الكنبطور ببلنسية ، وسومه أهلها خطة الخسف ، وسئم الذل ، وضاق صدره بحفيد ابن ذى النون المنتقل اليه بعد تمكين النصارى من طليطلة» [3] .

وفي ذلك الوقت كانت قوات المرابطين بقيادة ابن عائشة [4] قد استولت على مرسية ودانية ، وأخذت تتطلع تجاه بلنسية ، وأراد ابن حجاف أن يغتنم هذه الفرصة ليخلص بلده من ذل الخضوع للقشتاليين ، فاتفق مع أهل الحل والعقد بالمدينة وفي مقدمتهم ابن واجب [5] ، على استدعاء ابن عائشة فأرسلوا اليه يستدعونه الى بلنسية

---

(1) انظر : M. Pidal, La España del cid, V. I. p. 429.

(2) هو جعفر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن حجاف المعافرى ، ويمكنى أبا أحمد وزيا المطرف ، من أهل بلنسية وقاضيها . ولي قضاء بلده بعد ابن عم أبيه عبد الرحمن بن حجاف ، وكان من قبل يتولى منصب صاحب الأحكام بالمدينة . انظر . (ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤١٩ . الضبي ، بغية الملتمس ، ص ٢٥٧ ترجمة ٦١٥ . ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ترجمة ٦٣٣ . أعمال الأعلام ، ص ٢٠٣) .

(3) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠٣ .

(4) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن عائشة ، كان من كبار قواد المرابطين ، نصبه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائدا على شرق الأندلس بعد أن عاث فيه القنبيطور فسادا . انظر (ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، تحقيق د . العبادى ، هـ ٤ ص ١٠١ . ابن القطان ، نظم الجمان ، تحقيق د . محمود مكي ، طبعة الرباط ١٩٦٤ ، هـ ١ ص ٨) .

(5) بنو واجب من أعيان مدينة بلنسية ، وهم ينتسبون الى العرب القيسية . ومن زعمائهم في عصر الطوائف أبو الحسن بن واجب صاحب الأحكام بالمدينة ، وهو المقصود بالمتن . وقد ولد في سنة ٤٤٦ هـ وتوفي سنة ٥١٩ هـ . انظر (ابن بشكوال ، الصلة ، القسم الثاني ، ص ٥٧٤ ترجمة رقم ١٢٦٨) .

ويعدونه بتسليم المدينة اليه . ولم يتردد ابن عائشة فى تلبية هذه الدعوة التى وجهها اليه أقوام يمثلون الطبقة المستنيرة ببلنسية التى تستهدف تحرير مدينتهم من السيطرة القشتالية ، فأرسل على الفور فرقة من المرابطين يقودها أبو ناصر (ابن نصر فى بعض الروايات) وذلك فى شهر رمضان سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ (١) .

وما كادت الفرقة المرابطية تصل الى مشارف المدينة من الجانب القبلى أمام باب بيطالة حتى ماجت المدينة بالاضطراب واشتد بها الهرج ، وعندئذ بادر ابن جحاف باستغلال الفرصة ، فقاد جموع الثائرين ناحية قصر الامارة ، واستولوا عليه ، وقبضوا على الوزير ابن الفرج نائب القنبيطور بالمدينة ، وحاول القادر الفرار من المدينة ولكنه لم يتمكن من ذلك ، فاختفى باحدى الدور ، وبحث عنه ابن جحاف حتى عثر عليه فى ليلة الجمعة لسبع بقين من رمضان نة ٤٨٥ هـ / اكتوبر سنة ١٠٩٢ (٢) ، فسجنه واستولى على أمواله وكنوزه ومنها عقد زبيدة الشهير (٣) .

ثم أمر ابن جحاف بقتل القادر بن ذى النون فى ٢٣ رمضان سنة ٤٨٥ هـ (أواخر اكتوبر ١٠٩٢ م) ، وتولى ذلك فتى من بنى الحديدى (٤) كان له ثأر قديم مع القادر (٥) .

---

(١) انظر . ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ١٠٣ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣١ . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠٣ . وأيضا
M. Pidal, op. Cit. V. I. p. 432. & H. Miranda, op. cit. t. II. p. 51 .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ص ٣ المخطوط لوحة ١٩و . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣١ . وانظر .
M. Pidal, op. cit. pp. 433 - 434.

(٣) Chronicle of the cid. p. 137 . & Pidal, Ibid, p. 433 .

(٤) بنو الحديدى من أعيان طليطلة وذوى النفوذ فيها . وكان قد برز منهم فى عصر الطوائف أبو بكر بن الحديدى ، وهو من ذوى الرأى والمشورة بها ، وتولى وزارة المأمون بن ذى النون ثم حفيده القادر ، وقتله بعض خصومه أمام القادر بعد أن وشوا به وأثاروا حقد القادر عليه . انظر . (ابن عذارى ، نفسه جـ ٣ ، ص ٢٧٦ . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم و ص ٤٠٣ . عنان ، نفسه ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦) .

(٥) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩و . النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٢٢ لوحة ٤٦ . وقد تعرض ابن عذارى =

(٢) بلنسية فى ظل القاضى ابن جحاف

أ ـ استبداد ابن جحاف بامارة بلنسية :

آلت السلطة ببلنسية بعد حركة الانقلاب التى قام بها ابن جحاف الى حكم الجماعة ، فاختاروا القاضى ابن جحاف رئيسا لبلنسية ، وتم ذلك فى صبيحة يوم الثلاثاء ٢٤ رمضان سنة ٤٨٥ هـ (٢٩ أكتوبر ١٠٩٢ م) فدخل ابن جحاف قصر الامارة ووضع يده على ما كان بداخله من أموال القادر وجواهره فاستولى عليها [1]

= أيضا لحادثة مقتل القادر فقال : « لما حصل (يقصد القادر) بيد ابن جحاف أمر بقتله ، فتولى ذلك فتى من بنى الحديدى زعيم المبطلة ، فقتله بيده كفعله بوليه أبى بكر بن الحديدى ، وحمل رأسه على عصا يطاف به فى الأسواق والسكك ، واحتوى ابن جحاف على ما كان معه ، وطرحت جثته فى سبخة ، فواراه رجل من التجار ، اجتاز به على باب مغطى بحصير خلق ، ودفنه دون كفن » انظر . (البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٢ ، ١٤٩ . أعمال الأعلام ، ص ٢٠٣ . وعن مقتل القادر راجع أيضا:

Chronicle, p. 137. Primera crónica general, II p. 566 & Miranda, op. cit. t. II. pp. 52 - 53).

وفى مقتل القادر يقول ابن طاهر :

أيهـا الأخيف مهـلا ... فلقد جئت عويصـا

اذ قتلت الملك يحيى ... وتقمصت القميصـا

رب يـوم فيـه تجـزى ... لم تجـد عنـه محيصا

انظر : (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩و . قلائد العقيان ، ص ٦٩ . الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ترجمة رقم ١٣٠) .

(١) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٤٧ . رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ . أعمال الأعلام ، ص ٢٠٣ . وأيضا

Menéndez pidal, op. cit. p. 434. & Huici Miranda, op. cit t. II. p. 53.

ثم شرع ابن جحاف فى تنظيم أمور الحكم وترتيب أرزاق الجند ، ولكنه أخذ يصطنع فخامة الأمراء ويستشعر غلطة الرؤساء ، ويظهر جلال الملك وأبهته ، وحاول التشبه بالقاضى ابن عباد صاحب اشبيلية ، « فكان يجلس مكتنفا بالوزراء والفقهاء والزعماء ، والغلمة أمامه ، ويركب فيتقدمه العبيد والطرد ، ويتأخر عنه الجند ، وتستقبله المصانعة بالدعاء والثناء[1] » .

ويحمل ابن بسام ـ المعاصر لتلك الفترة ـ على تولى القاضى ابن جحاف حكم بلنسية فيقول « ولما تم لابن جحاف شانه ، واستقر على زعمه سلطانه ، وقع فى هراش وتفرقت الظبا على خراش ، ودفع الى النظر فى أمور سلطانية لم يتقدم قبل فى غوامض حقائقها ، والى ركوب أساليب سياسية لم يكن له عهدا باقتحام مضائقها ولا بالدخول فى ضنك مآزقها ، ولم يعلم أن تدبير الأقاليم غير تلقين الخصوم ، وأن عقد ألوية البنود غير الترجيح بين العقود وانتحال الشهود ، والنظر فى شىء من الأعمال[2] » .

ب ـ حصار القنبيطور الأول لبلنسية :

وأثناء ذلك وصلت أنباء التطورات الأخيرة بلنسية الى مسامع السيد القنبيطور وهو بسرقسطة ، فاشتد غضبه لما أصاب القادر على يد ابن جحاف وأعوانه ، واعتبر هلاك القادر اهانة لشخصه وضياعا لسلطانه اذ كان قد وضع يده على بلنسية ، وكان أهلها يؤدون له الجزية كل عام[3] ، فعزم على الانتقام من ابن جحاف . وسرعان ما خرج بقواته متجها نحو بلنسية ، وعسكرت قواته أمام قلعة أنيشة (جبالة) ، وهناك

(١) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٢ . ابن الخطيب ، نفسه ، ص ٢٠٣ .

(٢) انظر . الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ١٩و .

(٣) ابن الكرديوس ، نفسه ، ص ١٠٣ .

انضم اليه أتباع القادر الذين أعلنوا ولاءهم له أخذا بالثأر لمولاهم (١) .

وآثر القنبيطور أن يصطنع مع ابن جحاف سياسية تقوم على اللين والترغيب ، فلم يكن يهمه سوى اخضاع بلنسية لسلطانه ، فبعث اليه برسالة يهنئه على ما تهيأ له من تولى مقاليد الحكم ، ثم يسخر منه فيها بأنه أنهى صومه بحسنة هى قتله لسيده القادر ، ثم طلب منه فى نهاية الرسالة بأن يعيد له أطعمته المختزنة ببلنسية . ولكن ابن جحاف رد على القنبيطور بأن البلد أصبحت لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وأن المؤن والأطعمة قد انتهبهما رجاله (٢) . وعندئذ رد القنبيطور برسالة أخرى ضمنها كثيرا من عبارات التهديد والوعيد ، وأقسم له فيها بمغلظات الايمان بأنه لن يبرح بلنسية حتى يظفر به ، ويأخذ بثأر الأمير المقتول (٣) .

وهكذا أعلن السيد القنبيطور الحرب على بلنسية فى أواخر رمضان سنة ٤٨٥ هـ (أواخر ١٠٩٢ م) ، وتمكن من اخضاع كل من أبى عيسى بن لبون صاحب مربيطر ، وعبد الملك بن رزين (٤) صاحب السهلة (شنتمرية الشرق) اللذين أعلنا ولاءهما له ووضعا نفسيهما تحت حمايته (٥) ، ويذكر ابن علقمة أن القنبيطور أنفذ إلى الحصون المجاورة يستمد الأقوات ، فأمده بها من أتقى شره وأقبلت الميرة الى محلته (٦) .

ولما تهيأ له تثبيت أقدامه فيما حول بلنسية تحرك نحوها وأحكم الحصار حولها فى نفس الوقت الذى كان يحاصر فيه جبالة (رمضان ٤٨٥ هـ / نوفمبر ١٠٩٢ م) ، وأخذ يشن عليها الغارات مرتين فى اليوم الواحد فى الصباح وفى المساء ، وفى نفس الوقت بث غاراته فيما حولها من ضياع ، فانتسف المزارع وخرب الأبراج فى نواحيها ،

---

(١) Chrinicle, pp. 138 - 139. & H, Miranda, op. cit. t. II p. 57.

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٢ ، ١٥٠ . ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، ص ٣٢ ، ١٥٠ . ابن الخطيب ، نفسه ، ص ٢٠٣ .

(٤) هو حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن رزين . راجع تفاصيل ترجمته فى : ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ـ ١١٥ . ترجمة رقم ١٢٩ .

(٥) Chronicle, p. 140. & M. Pidal, op. cit. V. I. pp. 439 - 440 .

(٦) انظر . رواية ابن علقمة . البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

وعاث فسادا فى قراها ، ولم تسلم المدينة نفسها من عيثه فأصابها بعض ما أصاب حولها ، وهلك عدد من أهلها وقعوا فى قبضة عسكره[1] ؛ ووصل صريخ أهل بلنسية الى المرابطين ، وعندئذ لم يتردد القائد ابن عائشة فى أن يرسل الى ابن جحاف بعض الامدادات من مرسية ، وبفضل هذه الامدادات بلغت عدة خيالة المسلمين فى بلنسية نحوا من ثلثمائة كوّن منهم ابن جحاف فرقة داخل المدينة أعدها لمواجهة غارات القنبيطور واعتداءاته المتكررة على المدينة[2] .

وفى هذه الأثناء اضطر صاحب جبالة الى التسليم للقنبيطور بعد أن انقطعت عنه الميرة والأقوات ، فدخلت قوات القنبيطور قلعة جبالة فى أوائل سنة ٤٨٦ هـ (أواخر ١٠٩٢ م)[3] .

وقد عانى أهل بلنسية من الحصار المحكم الذى أقامه القنبيطور عليها وقاسوا مرارة الجوع والحرمان ، وعندئذ ارتفعت أصوات الخلاف بين الأهالى ، وانقسمت الآراء حول مصير المدينة ، وتشير الرايات إلى أن ابن جحاف بدأ يضيق بوجود المرابطين فى المدينة ، فكان لا يصغى لنصائح القائد المرابطى ، وقد ترتب على ذلك ازدياد التوتر القائم بينه وبين هذا القائد ، ولم يلبث أن انضم إلى المرابطين بنو واجب ، وهم من الأسر العريقة ببلنسية ، وكانوا يتعمون بنفوذ كبير فى المدينة ينافسون به أسرة ابن جحاف[4] .

وهكذا وجد بالمدينة ثلاثة أحزاب متنافرة : حزب يميل للقنبيطور ويمثله أتباع الأمير القادر وعلى رأسهم ابن الفرج (نائب السيد وزير القادر) وحزب آخر يتزعمه بنو واجب وكانوا يميلون للمرابطين ويعارضون ابن جحاف ، والحزب الأخير يتزعمه ابن جحاف وأتباعه وهو الحزب الذى كان يسعى الى تحرير بلنسية من أى

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٣٢ . انظر :

M. Pidal, la España del cid. V. I. p. 442.

(٣) Chrinicle of the cid, p. 143. Pidal, Ibid, p. 442

(٤) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

تدخل خارجى ، وأن كانت المصادر الإسبانية تتهمه بالانتهازية والسعى الى السيطرة والسلطان [1] .

وبدأ السيد القنبيطور يجنى ثمار هذا التفت والانقسام في ميول أهل بلنسية ، فانتهز فرصة الخلاف القائم بين المرابطين وبين ابن جحاف ، وأرسل الى القاضى سرا يعرض عليه صداقته ومحالفته ، وأن يتركه فى حكم بلنسية بدون منازع ، ويسانده فى مواجهة جميع خصومه وأعدائه ، على أن يطرد فى مقابل ذلك القوة المرابطية من المدينة . ويؤكد ذلك ابن علقمة ـ شاهد العيان بقوله : « وداخل الكبيطور ابن جحاف فى اخراجهم (يقصد الفرقة المرابطية) واستبداده بالملك لنفسه ، ليقيمه مقام ابن ذى النون ويحمى حوزته ، ويقاتل عنه ، فطمع فى ذلك [2] » .

ولم يتردد القاضى ابن جحاف فى الموافقة على هذا العرض المغرى الذى قدمه له القنبيطور ، وذلك بعد أن استشار ابن الفرج الموالى للقنبيطور ، فنصحه بالاعتماد على القنبيطور ومحالفته ، وطرد المرابطين حتى يخلص له حكم المدينة . وعلى هذا النحو عمد ابن جحاف الى التضييق على الفرقة المرابطية ، وذلك بتقليل راتبهم وتأخير صرفها ، مبررا ذلك بحاجته الماسة الى المال لتثبيت مركزه ، وأنه لم يعد لديه ما يعطيه لهم [3] .

والظاهر أن القاضى لم يكن يثق كثيرا فى نوايا القنبيطور ، ولهذا السبب رأى ضرورة الابقاء على الصلات القائمة بينه وبين المرابطين ، فلم يقدم على قطعها دفعة واحدة ، ولم يتردد فى الموافقة على تسليم الأموال والتحف والجواهر التى كان قد استولى عليها فى أعقاب مصرع القادر الى ابن عائشة بمجرد أن طلب منه الأخير

---

(1) Chrinicle, p. 141. & M. Pidal, op. cit. V. I. pp. 442 - 443.

(2) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٣ ، ١٥٠ وأيضا :

Chronicle, p. 142. Primera Crónica general, t. II. P. 569. & M. Pidal, op. cit. p. 443.

(3) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٢٠٤ . حسين مؤنس ، السيد القبيطور ، ص ٥٩ .

Chronicle, p. 142. & Pidal, op. cit. p. 442.

ذلك بحجة استخدامها فى إعداد جيش مرابطى مقرر ايفاده الى الأندلس لمواجهة اعتداءات القشتاليين ، آملا فى تحسين الصلات بيه وبين المرابطين ، وأرسل ابن جحاف لهذا الغرض وفدا بلنسيا اتجه سرا الى دانية اشترك فيه ابن الفرج صنيعة القنبيطور ، ولكن القنبيطور بلغة ذلك عن طريق ابن الفرج ، فأرسل فرسانه فاقتفوا أثرهم ، وأدركوهم فى الطريق ، واستولوا على ما معهم من أموال [1] ، واستخدم السيد هذه الأموال فى تحصين جبالة التى اتخذها قاعدة له ، وحصنها بسور منيع مزود بأبراج ضخمة ، وبفضل هذه التحصينات اتخذت جبالة مظهر المدينة القشتالية ، وأصبحت تضم كنائس ومخازن وأسواقا بالاضافة الى قلعتها الحصينة [2] .

وتذكر المدونة الخاصة بالسيد (Crónica Particular del cid) أن المستعين بالله بن هود صاحب سرقسطة أرسل آنذاك الى ابن جحاف رسولا ينصحه بتسليم المدينة اليه (أى للمستعين) وطرد المرابطين منها ، وتعهد له مقابل ذلك بحمايته ، غير أن القاضى رفض هذا الطلب [3] .

وفى ذلك الوقت أخذ السيد القنبيطور يهاجم ربض منية ابن عبد العزيز (تسمية المصادر المسيحية بيانويا Villanueva) شمالى بلنسية ، وتمكن من اقتحامه عنوة فى ربيع ١٠٩٣ م (٤٨٦ هـ) وأمعن فى سكانه قتلا ، وفى عمرانه تخريبا ، وفى مبانيه سلبا ونهبا ، ثم اتجه الى ربض الكدية ، فبادر أهل ذلك الربض بالاتفاق معه على أن يترك لهم مزارعهم وممتلكاتهم لقاء عشر المحصول ، وولى عليهم رجلا مسلما يدعى فى رواية ابن علقمة « ابن عديس [4] » يتولى الاشراف على الكدية وينوب عنه فى جباية الضرائب [1] .

---

(١) انظر . الطاهر مكى ، ملحمة السيد ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ . وأيضا .

Chronicle, p. 142. M. Pidal, op. cit. p. 445.

(٢) M. Pidal, Ibid, pp. 445 - 445.

(٣) Chronicle, p. 143.

(٤) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٩ . وتسمية المصادر القشتالية ابن عبدوس

وبسقوط ربض الشمال في يد القنبيطور تبدأ مرحلة جديدة من الحصار شدد فيها الضغط على المدينة ، وأقام ينتظر تطور الأحداث ، وكان يتوقع استسلاما وشيكا ، إذ أدرك ضيق الأهالي بابن جحاف الذى تسبب لهم في هذه النكبات ، كما أدرك أن سيطرته على ربض الجوف مع اختلاف الكلمة في الداخل وتقاعس المرابطين في مرسية عن نجدتهم قد أحدث مفعوله السريع وساعد على تسرب مشاعر اليأس والقنوط الى نفوس الأهالي .

وقد صحت توقعات القنبيطور ، فلم يلبث أهالي المدينة أن أجروا الاتصال معه وتمت المفاوضات بينهم وبينه وانتهت بالاتفاق على الآتى :

١ ـ أن يغادر المرابطون المدينة بسلام .

٢ ـ أن يؤدى ابن جحاف للسيد قيمة ما كان مودعا بمخازن بلنسية من مؤن يوم مقتل القادر .

٣ ـ أن يؤدى ابن جحاف الجزية السابق تقديرها من قبل وهى ألف دينار فى الأسبوع مع متأخراتها منذ أن بدأ حصار القنبيطور لبلنسية .

٤ ـ أن يحتفظ السيد بريض الكدية على أن ينسحب مع جيشه الى جبالة [٢] .

وبعقد هذا الاتفاق الذى تم فى سنة ٤٨٦ هـ (يوليو ١٠٩٣ م) عادت بلنسية بلدا خاضعا للقنبيطور كما كان الحال فى عهد القادر بن ذى النون .

وهكذا أرغم المرابطون على الخروج من بلنسية على غير هوى ، ولا شك فى أن تدخلهم ببلنسية كان له أعظم الأثر فى تدعيم مركز القاضى ابن جحاف ، والحد من اعتداءات القنبيطور على المدينة ، وهو ما يشير إليه صاحب الذخيرة بقوله :

---

(١) Chronicle , p. 143 . Pidal, op. cit. pp. 447 - 448. & H. Miranda, op. cit. t. II. p. 62.

(٢) انظر . الطاهر مكى ، ملحمة السيد ، ص ١٢٧ . وأيضا :
Chronicle, pp. 145 - 146 . Primera Cronica general, p. 571 & Pidal, op. cit . p. 449.

« وانفضت عنه (يقصد ابن جحاف) تلك الجملة اليسيرة من الخيل المرابطية ، التى كان تعلق بسببها وموه على الناس بها لضيق المذاهب ، وغلظة ذلك العدو المصاقب[1] » .

وبخروج هذه القوة المرابطية انسحب جيش السيد القنبيطور الى قلعة جبالة ، ولم يبق بربض الكدية سوى عدد من النصارى اختارهم السيد لمساعدة ابن عديس فى جباية الضرائب[2] .

وكان ابن جحاف قد اتفق مع أصحاب القلاع والقرى التابعة لامارة بلنسية على أن يحصل منهم عشر موارد بلادهم ليستعين بها فى تنفيذ تعهداته المالية للسيد ، كما رتب مهمة تحصيل الخراج فى بلنسية مع الجباة والكاتب والمحتسبة والمتخصصين فى تقييم المحاصيل الزراعية فى هذه الآونة من السنة وهى فترة الحصاد[3] .

جـ ـ اخفاق المرابطين في استنقاذ بلنسية :

لم يسكت يوسف بن تاشفين على الأوضاع المتردية فى بلنسية ، ولم يرض لأهلها أن يستبد لهم السيد هذا المغامر المسيحى الذى طغى واستبد بشرق الأندلس ، ورأى أن يواصل بسياسته فى خلع ملوك الطوائف الذين تسببوا فى هذه الكوارث وكانوا بسبب خلافاتهم واستنصارهم بالقشتاليين قد تسببوا فى إضعاف دولة الإسلام بالأندلس لفترة طويلة .

فقد أدرك يوسف بن تاشفين بعد الزام قوة المرابطين بالخروج من بلنسية مدى الخطر الذى يتعرض له الاسلام فى شرق الأندلس وما قد يصيبه فى بقية انحاء الأندلس من جراء عيث القنبيطور ، ورأى ضرورة التدخل من جديد لوضع حد لبغيه وطغيانه ، ولذلك فقد بدأ يستعد لانفاذ حملة كبيرة الى بلنسية يستهدف انقاذها من قبضة القنبيطور وذلك بعد أن تلقى كتبا من بعض أعيان المدينة يستصرخونه لنجدتهم

(١) ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ المخطوط لوحة ١٩و .

(٢) M. Pidal, op. cit. V. I. pp. 449 - 450.

(٣) Pidal, Ibid, p. 450 .

ويستحثونه لتخليصهم مما يكابدونه من أهوال السيد ، ويشير ابن علقمة الى هذه الحقيقة في قوله : « وفى سنة ٤٨٦ هـ عَظُمَ بلاءُ الطاغية على بلنسية ، واشتد حالُهم وعَظُمَ أمرهم ، فاستصرخوا أميراَ المسلمين يوسفَ وبَسطُوا عنده القولَ فيما نزل بهم ، فجدَّ فى أمرِهم ، وأمر قوادَه وعمالَه على بلاد الأندلس بنصرهم [١] » .

وفى نفس الوقت أرسل ابن تاشفين الى القنبيطور فى سنة ٤٨٦ هـ (يوليو ١٠٩٣ م) كتابا يطالبه فيه بضرورة الانسحاب من أراضى بلنسية ، ولكن رد القنبيطور جاء عنيفا اذ ضمنه عبارات حقّره فيها واتهمه بالجبن والخوف من ملاقاته ، كذلك كتب القنبيطور إلى ملوك الإسلام فى الأندلس كتبا عيَّر فيها ابن تاشفين بالخور والأحجام عن عبور البحر لانقاذ بلنسية خوفا من لقائه [٢] .

ولم تلبث أنباء تحركات المرابطين للعبور الى الأندلس أن بلغت القنبيطور ، فأتخذ أهبته لدفعهم ، واحتاط لذلك فتحالف مع أمراء شاطبة وقلييرة [٣] ، واستولى على قلعة بنى قاضى [٤] (Benicade) ، ثم قام بغارة تأديبية على أراضى شنتمرية الشرق (السهلة) [٥] لتأخر صاحبها ابن رزين عن أداء الجزية [٦] .

وفى هذه الأثناء كانت قوات المرابطين بقيادة أبى بكر المتوفى [٧] قد وصلت

---

(١) انظر . البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .

(٢) Menéndez pidal, La Espāna del cid, V. I. p. 450.

(٣) قلييرة (Cullera) : تقع جنوبى بلنسية عند مصب نهر شقر .

(٤) بنى قاضى (Benicadi) : تقع جنوبى بلنسية فيما بينها وبين لقنت .

(٥) تقع إمارة السهلة في منتصف المسافة بين بلنسية وسرقسطة وسميت السهلة عند القشتاليين باسم حاكمها ابن رزين فعرفت باسم Albarracin ، وكانت حاضرتها مدينة شنتمرية ، وقد حكمها بنو رزين خلال عصر الطوائف . انظر (المغرب في حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٤٢٧) .

(٦) M. Pidal, op. cit. pp. 451 - 454.

(٧) هو الأمير أبو بكر بن ابراهيم المسوفى المعروف بابن تافلويت وبالصحراوى ، ابن أخى أمير المسلمين يوسف وزوج ابنته ، وأحد كبار قواد المرابطين . تولى غرناطة سنة ٥٠٠ هـ ـ ثم سرقسطة بعد ذلك ، =

الى مدينة لورقة [1] ثم تقدمت الى شاطبة ، وأرسلوا إلى بني واجب أنصارهم ببلنسية يبشرونهم بقرب وصولهم اليهم ، فأسعدت هذه الأخبار نفوس المسلمين وأحيت فيهم الآمال [2] . ولم يكن القنبيطور غافلا عما يجرى حوله ، فقد فطن الى حقيقة الموقف وتشكك فى نوايا ابن جحاف نحوه ، وأراد أن يختبر مدى ولائه له ، فطلب منه أن يتنازل له عن قصر منية ابن عبد العزيز (الواقع فى ربض فيانويبا) ليقيم فيه أياما هو وبعض أعوانه ، فاضطر ابن جحاف الى الموافقة على طلبه ، ولم يلبث القنبيطور أن قدم الى القصر فاحتله ولم يكتف بذلك بل استولى على الربض المحيط به [3] .

وعلى هذا النحو نقض القنبيطور عهده وهذا شأن كل مغامر لا يحترم عهدا قطعه على نفسه أو ينفذ ميثاقا ارتبط به ، ومثل هذه الأمور كانت تغيب عن بال ابن جحاف وتفكيره ، فقد كان رجلا تقيا فاضلا تعوزه سياسية المكر والخديعة وتنقصه الحنكة السياسية والخبرة بشؤون الحكم .

ولقد أثار دخول القنبيطور قصر منية ابن عبد العزيز سخط أهالى بلنسية على ابن جحاف ، وتزعم بنو واجب حركة التمرد ضده ، وحاول ابن جحاف تهدئتهم بحجة أن اقامة السيد موقوتة ، لكن الأهالى أجمعوا على خلعه واسناد رئاسة الجماعة الى ابن الحسن بن واجب صاحب الأحكام ، وتم ذلك فى سنة ٤٨٦ هـ (نوفمبر ١٠٩٣ م [4]) .

= وتوفى بها سنة ٥١٠ هـ . انظر . (الحلة السيراء ، جـ ٢ تحقيق د . مؤنس ، ص ٢٧٦ ، هـ ٣ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧) .

(١) لورقة (Lorca) : من أعمال كورة تدمير (مرسية) واشتهرت بحصانتها وكثرة منتجاتها الزراعية انظر . (الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٦ . العذرى ، نفسه ، ص ١ . الحميرى ، نفسه ، ص ١٧١ ـ ١٧٢) .

(٢) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٣ . وأيضا :

Chronicle, pp. 148.

(٣) Chronicle, pp. 148 - 149 . & Pidal, op. cit. pp. 456 - 458 .

(٤) مؤنس ، السيد القنبيطور ، ص ٦٣ .

Chronicle, pp. 149 - 150. & Pidal, op. cit. p. 459.

وفى تلك الأثناء أشيع فى المدينة خبر وصول القوة المرابطية ، فعمت الفرحة قلوب أهل بلنسية ، وعمدوا الى التجرؤ على القنبيطور ، فأقدموا على اغلاق أبواب المدينة فى وجهة ، وتأهبوا للدفاع عنها ، ناكثين بذلك اتفاقهم معه ، ومن جديد اشتعلت نار الحرب بين قوات القنبيطور وبين الأهالى [1] .

وكانت قوات المرابطين قد وصلت الى شاطبة ، فانضمت اليها القوة المرابطية المعسكرة بشرق الأندلس وأعداد كبيرة من المتطوعة ، ومن هناك واصل المرابطون تقدمهم نحو بلنسية حتى أشرفوا عليها ، وبلغت هذه الأخبار أهل المدينة فسعدوا « وأستبشروا بنصرهم والانتقام من عدوهم ، واستنشقوا ريح الحياة [2] » فى حين بادر القنبيطور بالانتقال من منية ابن عبد العزيز فى الشمال الى ربض ريوسا فى الجنوب ، وأقام هناك ينتظر وصول عسكر المرابطين ، ولم يتردد فى هذه الأثناء فى تدمير جسور المياه ، واغراق المناطق السهلة المحيطة به تعويقا لقوات المرابطين وارغاما لها على اتخاذ طريق ضيق متعدد الشعاب للوصول اليه [3] ، فيتمكن على هذا النحو من التصدى لها بكل يسر ، ثم تأهب لتلقى المرابطين ، فنظم قواته فرقتين ، وأمر كل فرقة فلزمت مصافها [4] « بينما كان أهل بلنسية يستقلون الأبراج وقد غمرتهم مشاعر الفرح انتظارا لقوات المرابطين التى كانت الأنباء قد أفادت بوصولها الى شقر وقرب وصولها الى بلنسية [5] .

---

(١) مؤنس نفسه ، ص ٦٠ .

Chronicle, p. 150. & Pidal, Ibid, p. 459.

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٣

Chronicle, p. 150. & Pidal, Ibid, p. 461.

(٣) انظر . الطاهر مكى ، ملحمة السيد ، ص ١٢٨ . وأيضا

Chronicle, p. 150. Pidal, op. cit. p. 460. & H. Miranda, Las Luchas del Cid Campeador con Los Almoravides, Hesperis, Vol, VI. Fasc. unique, 1965; p. 81.

(٤) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .

(٥) Chronicle, p. 150.

ثم جاء الى المدينة من أخبرهم بانسحاب قوات المرابطين لسبب غير معروف ، فانهارت آمالهم وسقط فى أيديهم ، وتذكر الرواية الأسبانية أنهم ما كادوا يتيقنون من ذلك حتى اسودت وجودهم كما لو كانت قد طليت بالقار ، وتخاذلت أقدامهم وتهاوت وأصبحوا أشبه بسكارى فقدوا الوعى وهروا فى قرار سحيق كما لو كانوا قد سقطوا فى أعماق المحيط [١] ، ويشير ابن عذارى الى تلك الحالة بقوله : « وأوقع الله لما قضاه فى قلوب المسلمين النكول عنهم ، فرجعوا عودهم ، فبهت أهل المدينة وسقط فى أيديهم ، ويئسوا من الحياة [٢] » .

ومن الغريب أنه بينما تصمت المصادر العربية عن ذكر أسباب ذلك الانسحاب المفاجىء لعسكر المرابطين ، تشير المصادر الإسبانية الى أن ابن عائشة القائد المرابطى بمرسية وجه الى بنى واجب أنصاره فى بلنسية رسالة من دانية يبلغهم فيها بقفول قواته الى مراكزها بسبب قلة الأزواد والمؤن بالإضافة الى العوائق الطبيعية التى سببها تدافع السيول « ووعد فى رسالته اليهم بعزمه الصادق على غوث المدينة فى وقت قريب » [٣] .

وكيفما كان الأمر فقد انسحب الجيش المرابطى الى شاطبة ، ووجه قائده أبو بكر اللمتونى كتابا الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بمراكش أورد فيه تفاصيل الأسباب التى حملته على العودة الى قواعده مبررا تقاعسه عن إنجاد أهل بلنسية [٤] ، ولكن يوسف بن تاشفين وقد انفجر بركان غضبه ، بعث يؤنبه على ذلك التخاذل ، ولم يلبث أن عزله من ولايته [٥] . ومن الجدير بالذكر أن هذا الانسحاب المفاجىء لقوات المرابطين وتحولهم عن مقصدهم ، كان من أبرز الأسباب التى أدت الى استسلام أهل بلنسية لقوات السيد القنبيطور .

---

(١) Chronicle , p. 151. & M. Pidal , op. cit . p. 461.

(٢) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .

(٣) Chronicle, p. 151. Primero Crónica general, t. II, p. 275. & H. Miranda, Las Luchas del Cid, p. 82.

(٤) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .

(٥) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٤ . مؤنس ، نفسه ، ص ٦٠ – ٦١ .

د ـ الحصار الثاني لمدينة بلنسية :

في بداية سنة ٤٨٧ هـ (أواخر ١٠٩٣ م) بدأ القنبيطور يشدده حصاره على بلنسية ، بعد أن بلغته أنباء تراجع القوة المرابطية وعودتها الى المغرب ، وكان ذلك هو الحصار الثاني للقنبيطور حول بلنسية ، وبالغت عساكره في الضغط على المدينة ، وقطع الموارد عنها حتى ضاق الأهالي بسبب هذا الحصار الثاني ، وفي ذلك يقول ابن علقمة : و « أيقن من فيها بالهلكة ، وغلب على الناس اليأس ، وضاقت النفوس ، وزاد حقد العدو ، وقسا قلبه ، وهلك أكثر الناس جوعا ، وأكلت الجلود والدواب وغير ذلك [1] » .

وتحمل أهل بلنسية كثيرا من ضروب البؤس والشقاء ، وقاسوا الجوع والحرمان طوال فترة حصار القنبيطور للمدينة . واشتدت موجة الغلاء والقحط اللذين عما المدينة كلها نتيجة للحصار [2] .

وكان القنبيطور قد عاد من جديد الى احتلال منية ابن عبد العزيز ، بعد أن تقاعس المرابطون عن نجدة أهل بلنسية مشددا بذلك ضغوطه على بلنسية ، كما أمر رجاله بنهب الأرباض التي لم تكن قد خضعت له ، فعاث فيها جنده نهبا وتخريبا ،

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، ص ٣٣ . ويشير صاحب رواية الذيل ايضا الى سوا الأحوال في بلنسية عقب انسحاب المرابطين فيقول : « فضايقها (أي السيد) مضايقة شديدة ، وحصرها حصرا عظيما ، وقطع عنها المرافق ، ونصب المجانيق ، ونقب الأسوار ، وعدم الناس الطعام ، وأكلوا الفيران والكلاب والجياف ، الى أن أكل الناسُ الناسَ من مات منهم أكلوه ، فبلغ الناس من الجهد مالا يطيقون » . انظر . (البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥) .

(٢) أشار ابن عذارى (نقلا عن ابن علقمة) الى ذلك بقوله : « ومما امتحن به أهل بلنسية في هذه السنة المؤرخة ، الغلاء . قال محمد بن علقمة : بلغ رطل القمح الأول بمثقال ونصف ، ورطل الشعير بمثقال ، ورطل ذريعة الكتان ستة أثمان مثقال ، وأوقية الجبن ثلاثة دراهم ، وأوقية البصل بدرهم ، ورطل البقل بخمسة دراهم ، وبيضة دجاجة بثلاثة دراهم ، ورطل اللحم البغلي بست دنانير ، ورطل الجلد البقري بخمسة دراهم . وفي ربيع الثاني عظم البلاء وتضاعف الغلاء ، واستوى في عدم القوت الفقراء والأغنياء » . انظر « البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٨) .وقارن ذلك بما ورد في :
Primera Crónica general, t. II. p. 575. & Pidal, op. cit. p. 463.

ويصور ابن بسام عيث قواته بنواحي بلنسية في قوله : « وقوى طمع لذريق في ملك بلنسية ، فلزمها ملازمة الغريم ، وتلذذ بها تلذذ العشاق بالرسوم ، ينتسف أقواتها ، ويقتل حماتها ، ويسبق اليها كل منية ويطلع عليها من كل ثنية [1] » ، كذلك أصدر أمره الى قواته بقتل من يجسر على دخول المدينة أو الخروج منها [2] » .

وبينما كان شبح البؤس والموت يخيم على بلنسية ومرارة الجوع تسيطر على أهلها بسبب هذا الحصار ، كان مسلمو الكدية ينعمون بحياة هانئة بعد أن دخلوا في طاعة القنبيطور [3] . وقد أثر ذلك تأثيرا عميقا في نفوس الأهالي فازداد مقتهم لبني واجب الموالين للمرابطين ، وخارت عزائمهم لطول أمد الحصار وانقطاع الصادر والوارد ، ودب في نفوسهم اليأس والقنوط ، وسيطر شعور الاستسلام عليهم ، ويمثل هذا الشعور باليأس مرثية ألقاها أبو الوليد الوقشي [4] في بلنسية من أعلى أبراجها ، صور فيها المآسي التي تتعرض لها أثناء الحصار [5] . ويبدو أن الوقشي كان من أنصار التسليم

---

(١) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩و . وانظر :

M. Miranda, Hist., mus. de Valencia, t. II. p. 83.

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٣ .

(٣) Chronicle, pp. 152 - 153. & Pidal, op. cit. V. I.

(٤) هو الفقيه هشام بن أحمد بن هشام الكناني ويعرف بالوقشي نسبة الى بلدة وقش من عمل طليطلة ، ويكنى أبا الوليد . ولد في سنة ٤٠٨ هـ واستقر ببلنسية فترة ، وتوفي بدانية سنة ٤٨٩ هـ . انظر : (ابن بشكوال ، الصلة ، القسم الثاني ، ص ٦٥٣ ترجمة رقم ١٤٣٧) .

(٥) لم نعثر على نص المرثية في المصادر العربية ، ولكننا نلحظ أن المصادر المسيحية قد نقلتها عن كتاب ابن علقمة المسمى « البيان الواضح في الملم الفادح » وقد وردت المرثية بلغتها العربية محرفة مكتوبة بحروف لاتينية في المدونة العامه الأولى لتاريخ إسبانيا . انظر . (حسين مؤنس ، السيد القنبيطور ، ص ٦٥) ومن المرثية يقول الوقشي :

١ ـ بلنسية ! بلنسية ! مصائب كبيرة تحدق بك ، أنت تحتضرين ، وإذا قدر لك النجاة ، فسيراه عجيبا من يعيش ويراك .

٢ ـ وإذا أراد الله خيرا لهذا البلد ، فأملي كبير أن يتولاك برحمته ، فلقد كنت دوما موطن الجمال والسرور حيث يعيش المسلمون جميعا في بهجة . =

ومهادنة القنبيطور ، ولعل ذلك يفسر قول ابن بشكوال فيه « وقد نسبت اليه (للوقشى) أشياء الله أعلم بحقيقتها ومجازيه بها [1] » .هذا وقد ألمحنا فيما سبق الى أن تقاعس المرابطين عن اغاثة أهل بلنسية كان من نتائجه انعدام الثقة فى بنى واجب أنصارهم ببلنسية ، كما ترتب عليه استرداد ابن جحاف لمكانته فى نظر رعيته ، فأخذ بدوره يستثير العامة على بنى واجب ، فيعزو اليهم كل ما أصاب المدينة من محن ونكبات ، وعندما طلب العامة منه العودة الى رئاسة الجماعة أبدى تحفظه وامتنع بادىء الأمر فى الظاهر متعللا بمخالفتهم له وعصيانهم لتوجيهه ، ثم ربط بين قبوله الرئاسة وبين تجريد بنى واجب من سلطانهم ونفوذهم ، فوافقوا علب ذلك وتعهدوا بالتزامهم الطاعة ، ثم بايعوه برئاسة الجماعة مرة ثانية فى سنة ٤٨٧ هـ (أوائل ١٠٩٤ م) [2] .

وما أن تم لابن جحاف ذلك حتى اجتمع بأعيان المدينة ، وطلب منهم تقبل دفع الجزية للقنبيطور ما دامت هى السبيل الوحيد لكى يكف عن محاصرتهم ومنع المؤن عنهم ، وفى نفس الوقت أوعز الى القنبيطور بأن يدنو من الأسوار ويصرح لأهل المدينة بعدم قبوله لطلبهم إلا بعد أن يتم طرد بنى واجب من المدينة وأن يبذلوا الطاعة لابن جحاف ، ولم يتردد القنبيطور فى اجابته الى طلبه وأبدى استعداده لحمايته على سابق عادته فى عهد الأمير القادر[3] .

وعلى هذا النحو بدأ ابن جحاف يعمل للتخلص من خصومه ومنافسيه على الامارة وعلى رأسهم بنو واجب ، فسيّر قائدا من قواده يدعى التاكرنى ليلا على رأس مجموعة من الفرسان والمشاة الى دار بنى واجب لاعتقالهم ، ولكنهم ما كادوا

= ٣ ـ واذا أراد الله أنك تسخرين كل شىء هذه المرة ، فسوف يكون تكفيرا عن خطاياك الكبيرة واجتراءاتك الأثيمة ، وما كنت عليه من تجبر .

انظر : النص الكامل للمرثية فى : الطاهر مكى ، الملحمة السيد ، ص ١٦٤ ـ ١٦٦ .

Primera Crónica general, pp. 576 - 577. & Chronicle, pp. 154 - 155.

(١) الصلة ، القسم الثانى ، ص ٦٥٣ ترجمة رقم ١٤٣٧ .

(٢) Chronicle, p. 150. & M. Pidal, op. cit. V. I. pp. 468 - 469 .

(٣) Chronicle of the Cid , pp. 156 - 157 . & M. Pidal , La Esaña del Cid . V . I . p. 469.

يتحققون من ذلك حتى تحصنوا بدار منيعة ذات حصانة لأحد جيرانهم ، بقصد قضاء الليل حتى الصباح فيدركهم أتباعهم وذوو قرابتهم لاستنقاذهم ، غير أن فرسان ابن جحاف بادروا باشعال النيران فى الأبواب ، واقتحموا الدار واعتقلوا بنى واجب ، الذين أرسلهم القاضى الى ربض الكدية حتى يتسلمهم عسكر القنبيطور (١) .

وعندئذ خرج ابن جحاف ليجتمع بالقنبيطور بربض ابن عبد العزيز (فيلانويبا) ليعقد معه اتفاق الصلح ، وهناك أحسن القنبيطور استقباله ، ورغبه فى أن يتزى بزى الملوك بدلا من لباس القضاة ، ثم عرض عليه القنبيطور شروطه لعقد الصلح وجاء فيها ما يلى :

١ ـ أن يتنازل ابن جحاف عن نصف دخل المدينة والمزارع المتصلة بها .

٢ ـ أن يقوم بجباية الضرائب جاب يعينه القنبيطور لذلك الغرض يقيم داخل المدينة كما كان الحال زمن القادر بن ذى النون .

٣ ـ أن يرتهن القاضى ابن جحاف ابنه لدى القنبيطور ضمانا لتنفيذ الاتفاق (٢) .

ولم يسع القاضى منكود الحظ الا أن يبدى مكرها موافقته المبدئية على تلك الشروط المجحفة المهينة ، وقبل أن يفارقه القنبيطور طلب منه الأخير أن يحضر فى اليوم التالى لتوقيع الاتفاق . ولكن ابن جحاف ما كاد يعود الى المدينة حتى ندم على موافقته الأولى وأسف على حماقته التى أقدم عليها عندما طرد بنى واجب من بلنسية ووضع ثقته فى مغامر مسيحى لا عهد له ولا زمام .

ولم يلبث القاضى أن رفض الاجتماع بالقنبيطور لتوقيع الاتفاق كما رفض أن يسلم له ولده رهينة لديه ، بل رفض الشروط التى وضعها القنبيطور جملة (٣) ، ثم أنه

---

(١) مؤنس ، السيد القنبيطور ، ص ٦٤ .

Chronicle, p. 158. H. Miranda, Hist., mus., de Valencia, t. II. pp. 84 - 85.

(٢) Chronicle, pp. 158 - 159. Pidal, op. cit. pp. 470 - 471. & H. Miranda, op. cit. t. TT. p. 85.

(٣) Chronicle, p. 159. & Pidal, Ibid, p. 471.

سارع باغلاق منافذ المدينة مصمما على المقاومة والصمود مؤثرا الموت على التسليم .

ولم تلبث الحرب أن اشتعلت من جديد بينه وبين القنبيطور ، وضيق هذا الأخير الخناق على المدينة التعسة ، واشتد الجوع بأهلها ، فازداذ الغلاء الى حد أن أسعار الحنطة والعسل والتين والجبن زادت أكثر من عشرة أضعاف ما كانت عليه منذ أن بدأ الحصار [1] ، ويصف ابن علقمة وكان شاهد عيان على هذه الحوادث بقوله : « ولا يصل الى ادراك شيء من الموجود إلا أهل الجاه ، وترمق سائر الناس بالجلود والأصماغ وعروق السوس ، ومن دون هؤلاء بالفئرة والقطط وجيف بني آدم ، وهجم على نصراني وقع في الحفير ، فأخذ باليد ووزع لحمه [2] » .

وعلى الرغم من أحكام القنبيطور حصاره على بلنسية ، فقد كان الناس يغامرون بالخروج منها يأسا من الحياة ، فكانوا يحرقون بالنار ، وتعلق جثثهم على صوامع الأرباض وبواسق الأشجار [3] . ومع ذلك كله فقد استبسل أهل بلنسية في الصمود والدفاع عن مدينتهم ، أملا في وصول نجدة مرابطية ، في الوقت الذى كلب فيه العدو بعنف وقسوة وأنشب مخالبه وأنيابه في هذه الفريسة التعسة ، وأخذ هو وأجناده ومن تأبش إليه من أشرار المسلمين يرتكبون من الفظائع والأهوال ما تعافه الانسانية وتتقزز منه البشرية ، وفي ذلك يقول ابن الكردبوس : « وفي هذه المدة انقطع الى القنبيطور وغيره من أشرار المسلمين وأرذالهم وفجارهم وفسادهم ومن يعلمون بأعمالهم خلق كثير وتسموا بالدوائر . وكانوا يشنون على المسلمين الغارات ويكشفون

---

(١) انظر قائمة الأسعار التي وردت بالتفصيل في :

Primera Crónica general, t. II. p. 581. &. Pidal, op. Cit. V. I. p. 472.

(٢) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٣) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٩ . ونلحظ أن المستشرق الإسباني منندث بيدال (M. Pidal) مؤرخ السيد القنبيطور يتصدى للدفاع عن كل تلك الفظاعات التي ارتكبها القنبيطور ، ويزعم أنها من أساليب الحرب المشروعة ، ويتهم المسلمين من حلفاء السيد العاملين في معسكره وحدهم بارتكابها ، ويستند في ذلك على ما ورد في المدونة العامة الأولى أو المصادر المسيحية الأخرى .

انظر (مؤنس ، نفسه ، ص ٦٦) .

الحرمات ويقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ، وكثير منهم ارتد عن الاسلام ونبذ شريعة النبى (صلعم) .. [1] » .

ولقد تسببت المجاعة التى اجتاحت المدينة بسبب طول أمد الحصار فى هلاك عدد كبير من الأهالي ، كما أفاد ابن جحاف من هلاكهم باستيلائه على أموالهم وممتلكاتهم ، وأدى ذلك الى سعى معظم سكان بلنسية الى بيع دورهم وممتلكاتهم دون أن يجدوا أحدا يقبل على شرائها [2] ، كما ارتفعت أسعار الأطعمة ارتفاعا فاحشا بحيث اضطر الناس الى أكل المحرمات ، وفى ذلك يقول ابن بسام : « وبلغ الجهد بأهلها أن أحلوا محرم الحيوان [3] » فى حين يذكر ابن الكردبوس أن الأحوال ساءت فى المدينة إلى حد أن سعر الفأر ارتفع الى دينار [4] .

واضطر ابن جحاف أمام هذه الظروف الصعبة الى التماس النجدة من المستعين صاحب سرقسطة ، الذى نصحه بالصبر والصمود ، ووعده بالكتابة الى ألفونسو السادس ملك قشتالة ليرسل إليه النجده . وعلى هذا قنط ابن جحاف من نجدة المستعين كما فقد الأمل فى وصول أى مساعدة لانقاذ المدينة [5] .

واستغل القنبيطور هذه الأوضاع المتدهورة فى المدينة ليضرب ضربته الأخيرة ، فعمد الى اثارة الأوضاع داخل بلنسية ، فأخذ يتقرب من بنى واجب خصوم ابن جحاف ، ووعد ابن واجب بتنصيبه على إمارة بلنسية كلها ، إذا ما ساعد على اسقاط ابن جحاف . ولم يتردد بنو واجب فى انتهاز الفرصة ، وشرعوا يؤلبون الأهالى

---

(١) تاريخ الأندلس ، ص ١٠٣ .

(٢) الطاهر مكى ، نفسه ، ص ١٣١ .

(٣) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩ ظ

(٤) ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ١٠٣ . وأيضا

• Primera Crónica general, t. II. p. 581.

(٥) مؤنس ، نفسه ، ص ٦٣ . وأنظر :

Chronicle of the Cid, pp. 162 - 163 . & M. Pidal, op. Cit. V. I. pp. 474 - 476.

على ابن جحاف ويستثيرونهم عليه ، كما حاولوا الاستيلاء على قصر الامارة ، وكادوا ينجحون فى خطتهم لولا أن القاضى تمكن من اكتشاف المؤامرة فى الوقت المناسب ، فاعتقل زعماءها درءا لخطرهم (١) .

وكان يحدث أحيانا أثناء فترة الحصار التى عاناها أهل بلنسية أن يعمد بعض الأهالى ممن أمضهم الجوع واشتدت بهم المسغبة أن يتسللوا من المدينة ، فكانت تتلقفهم سيوف العدو أو أن يساقون أسرى ، ويباعون بيع الرقيق فى ربض الكدية مقابل رغيف خبز أو قدح خمر (٢) ، وقد يتعرض هؤلاء للموت قبل أن يجدوا ما يسد رمقهم ، أما من واتاه الحظ فنجا من الموت خاصة من الطبقات المؤسرة فكانوا يباعون لتجار الرقيق الذين كانوا ينزلون على ساحل بلنسية عن طريق السفن (٣) .

والظاهر أن القنبيطور أراد أن يتعجل النهاية ، إذ كان يخشى أن يعود المرابطون لاستنقاذ بلنسية ، فراودته فكرة الاستيلاء على المدينة بضربة واحدة ، فجمع قواته وأمرهم بالهجوم على باب الحنش (٤) ، ولكن ما كادوا يتقدمون حتى انهال عليهم الأهالى بالحجارة والسهام ، فاضطر القنبيطور الى التراجع ، واختبأ فى حمام يقع لصق الأسوار ، فهم أحد عساكر القاضى بقتله ، ولكنه تمكن من الهرب من باب خلفى صغير ، ونجا بصعوبة ، وبذلك فشل مشروعه فى الاستيلاء على المدينة عنوة (٥) .

وعلى ضوء هذه المحاولة الفاشلة رأى القنبيطور الاستمرار فى أحكام الحصار على بلنسية والمثابرة على سياسة تجويع الأهالى ، فمنع الخروج من المدينة ، ونادى

---

(١) مؤنس ، نفسه ، ص ٦٤ ــ ٦٥ . وأيضا :
Primera Crónica general. p. 584. Chronicle, p. 165. & pidal, op. cit. p. 477.

(٢) ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ١٠٣ .

(٣) Chronicle. p. 168. & Pidal, op. cit. p. 478.

(٤) باب الحنش أحد أبواب بلنسية ، وينفتح فى سورها الغربى . (انظر: العذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص١٨ . وأيضا .

(٥) Primera Crónica general, p. 585. Chronicle, p. 166 pidal, op. cit. p. 479. & Miranda, op. cit. t. II

على الأهالى قريبا من السور ينذرهم باحراق من يهم بالتسلل من المدينة حيا ، ثم اتبع انذاره بالتنفيذ ، فأحرق عددا من أهل بلنسية حاولوا الفرار بأنفسهم من الهلاك جوعا داخل المدينة مؤثرين الموت حرقا فى لحظة بدلا من الموت البطيء جوعا [1] .

ويشير ابن علقمة الى هذه الأحوال السيئة (أوائل جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) فيقول : « ودخل جمادى الأولى وعدمت الأقوات بالجملة ، وهلك الناس . ولم يبق من ذلك الجم الا نذر يسير . وتوالى اليبس ، واستحكم الوباء ، وبينما الرجل يمشى سقط ميتا . ولم يبق ما يدب على أربع إلا اثنان لابن جحاف وابنه ، واثنان لابن رتبير [2] » .

وهكذا بدا واضحا أن القنبيطور بدأ يجنى ثمار خطته ، فقد نجح فى تجويع المدينة واستنزاف قوتها ، وفقد أهل بلنسية الأمل فى أى مساعدة تأتيهم من قبل المستعين أو من جانب المرابطين ، فأجتمعوا عند الفقيه أبى الوليد الوقشى لينوب عنهم فى مخاطبة ابن جحاف فى تسليم المدينة وعقد الصلح مع القنبيطور ، وبالفعل لم يتردد القاضى التعس فى الاذعان لرغبتهم بعد أن ترك لهم مهمة التفاوض مع القنبيطور [3] ، فتشكل على الفور وفد من أعيان المدينة لمفاوضة القنبيطور على التسليم ، وتم الاتفاق أخيراً على أن يبعث أهل بلنسية رسلهم الى المستعين وابن عائشة قائد الجيش المرابطى بمرسية لطلب النجدة وذلك فى مدة لا تتجاوز خمسة عشر يوما ، فاذا لم تصل قوة لانجادهم خلال هذه المدة وجب على أهل بلنسية التسليم بالشروط الآتية :

١ ـ أن يبقى ابن جحاف قاضيا للمدينة ، ويؤمن فى نفسه وأهله وماله .

---

(١) Pidal , Ibid, p. 480.

(٢) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٩ . أما فيما يختص بابن رتبير الذى ورد ذكره فى قول ابن علقمة فلم أعثر على أى ترجمة له فى المصادر العربية ، وأغلب الظن أنه من أعيان بلنسية ، ومن ذوى الثراء فيها .

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٩ . وانظر .

Chronicle, pp. 167 - 168. Pidal, op. cit. p. 481. & H. Miranda, op. cit. p. 100.

٢ ـ أن يتولى ابن عبدوس (ابن عديس فى الرواية العربية) مندوب القنبيطور مهمة الاشراف على تحصيل الضرائب .

٣ ـ أن يتولى أحد أتباع القنبيطور أمر بلنسية [١] .

٤ ـ أن تحتل المدينة حامية من النصارى المستعربين .

٥ ـ أن يرابط القنبيطور وجيشه فى جباله وألا يغير شيئا من شرائع المدينة وعملتها ، وألا يزيد من نسبة الضرائب التى كانت مفروضة من قبل [٢] .

وفى اليوم التالى من توقيع الاتفاق (١٥ جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ / مايو ١٠٩٤ م) خرج وفد يتألف من خمسة رجال من أعيان بلنسية الى سرقسطة ، ومثلهم الى مرسية طلبا للنجدة ، واشترط القنبيطور ألا يحمل أى منهم أكثر من خمسين دينارا ، وأن يبحر المتجهون الى مرسية فى سفن مسيحية ، تحملهم أولا الى دانية ، ومن هنا يواصلون رحلتهم برا الى مرسية . غير أن السيد مبالغة منه فى الحيطة أرسل يطلب من قائد السفينة عدم الابحار الى أن يحضر بنفسه ، فلما قدم السيد

---

(١) أشارت المدونة الخاصة بالسيد والمدونة العامة الأولى الى أن الشخص الذى عينه السيد يدعى موسى (ورد هكذا Muca) وكان وزيرا للقادر ببلنسية ، كما كان من أكثر العناصر الموالية للسيد واخلاصا له ، وكان السيد قد نصبه نائبا عنه بالمدينة فى عهد القادر . وظل موسى على طاعته للسيد فى عهد ابن جحاف ، ولهذا فقد اتخذه السيد قائدا لاحدى القلاع ، ثم جعله وزيرا ببلنسية فى الاتفاقية التى أبرمها مع البلنسيين . انظر :

(Chronicle of the Cid, p. 172)

ولكن المدونة العامة الأولى انفردت باسم ابن الفرج (ورد هكذا Abenal - Farax) الذى اتخذه السيد نائبا عنه زمن القادر ، كما وزر أيضا للقادر ، وفى هذا يتفق ما جاء فى المدونة العامة الأولى مع ما ورد فى الروايات العربية . انظر (Prim, Crón., II. p. 565) وعلى هذا فالمرجح أن ابن الفرج هو الذى اختير ليكون مسئولا عن المدينة من قبل السيد .

(٢) انظر رواية ابن علقمة ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٩ . رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

Chronicle, p. 172. Pidal, op. cit. p. 482. & Miranda, op. cit. p. 100 .

عمد الى تفتيش أعضاء الوفد ، فوجد معهم أموالا كثيرة تفوق المبالغ المتفق عليها ، وكان بعض هذه الأموال لأنفسهم والبعض الآخر لجماعة من تجار بلنسية أودعوها إليهم لكى يفلتوا بها من قبضة المحاصرين ، فانتزعها منهم السيد ، ولم يترك لهم الا المبلغ المتفق عليه (١) .

واستغل تجار بلنسية فترة الهدنة ليبيعوا ما بقى لديهم من أطعمة بأسعار مرتفعة ، بعد أن أيقنوا بقرب انتهاء الحصار ، ويشير ابن علقمة الى ذلك الغلاء بقوله : « وفى هذا اليوم (يقصد منتصف جمادى الأولى ، الذى رحل فيه الوفد (وصل القمح ثلاثة مثاقيل للرطل ، ورطل الشعير مثقالين ونصف ، وأوقية الجبن بعشرة دراهم ، وبيضة دجاجة بثمانية دراهم (٢) » .

هـ ـ استسلام بلنسية للسيد القنبيطور :

استشعر أهل بلنسية الراحة والهدوء بعد خروج مبعوثيهم الى وجهاتهم ، فقد توقفت اعتداءات النصارى وهبطت الأسعار بالضرورة ، وتوفرت السلع الغذائية التى حرمت منها المدينة لفترات طويلة (٣) . والظاهر أن هذه المهلة التى استغرقت أسبوعين كانت بمثابة هدنة خفف السيد القنبيطور خلالها خناقة عن المدينة .

وعندما انتهى الأجل المحدد دون أن يعود مبعوثو ابن جحاف ، حاول هذا الأخير أن يقنع الأهالى بالانتظار ثلاثة أيام أخرى ، ولكنهم رفضوا رفضا قاطعا ، وأبو أن يستمر الوضع يوما واحدا ، فقد نفذ صبرهم ، وانهارت عزائمهم ، وفقدوا القدرة على الصمود ، وكان القنبيطور قد بعث اليهم يخبرهم بأن مرور لحظة واحدة بعد الموعد المحدد الذى اتفقوا عليه دون أن يقدموا على تسليم المدينة اليه يجعله فى حل

---

(١) Primera crónica general, p . 587. Chronicle, p . 172 & H. Miranda, op . cit . p. 100

(٢) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٩ . وعن الأسعار فى تلك الفترة راجع أيضا :
Chronicle, p. 172.

(٣) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٩ .
Chronicle, p. 173.

من الاتفاق . ومع ذلك فقد مضى يوم كامل دون أن ينفذ الأهالى ما اتفقوا عليه ، وعندما ذهب اليه أعيان المدينة الذين اتفقوا معه على شروط التسليم ، أبلغهم بعدم التزامه بشيء على الاطلاق من بنود الاتفاق لانتهاء الأجل المحدد ، ولما ألحوا عليه فى أن يصفح عنهم طلب منهم أن يعودوا اليه فى اليوم التالى ليوقعوا اتفاق التسليم (١) .

وفى صباح اليوم التالى الموافق الخميس ٢٨ جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ / ١٥ يونية ١٠٩٤ م ، خرج ابن جحاف فى رهط من أعيان المدينة الى معسكر القنبيطور لمقابلته ، وهناك وقع اتفاقية التسليم بعد أن اشترط على القنبيطور أن يؤمن سكانها فى أنفسهم وأموالهم ، وأن يسلم القاضى للقنبيطور كل أموال القادر (٢) . وتنفيذ لهذا الاتفاق فتح أهل بلنسية للقنبيطور أبواب مدينتهم (٣) ، بعد حصار دام عشرين شهرا (٤) . واحتشد الأهالى بالقرب من مداخل المدينة ، ومظاهر الحزن

---

(١) Chronicle, pp. 173 - 174. & Pidal, op. cit. p. 483.

(٢) انظر . رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ .

(٣) نلاحظ أن الروايات الإسلامية تختلف فى تحديد دخول القنبيطور بلنسية ، فابن بسام يذكر أن ذلك تم فى سنة ٤٨٨ هـ (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩ ظ) ويوافقه على ذلك صاحب رواية الذيل (البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦) أما ابن خلدون فيحدده بعام ٤٨٩ (العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٤٩) ولكن ابن الأبار يحدد ذلك بعام ٤٨٧ هـ (الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ترجمة رقم ١٣٠) ويأخذ بهذا التاريخ كل من ابن الكردبوس (تاريخ الأندلس ، ص ١٠٣) وابن الخطيب (أعمال الأعلام ، ص ٢٠٤) وياقوت الحموى (معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٧٣٠) ، وأرجح من جانبى هذا التاريخ لأنه يوافق ما جاء فى الرواية القشتالية ، وبه أخذ أيضا المؤرخ بيدال (Pidal) الذى يذكر أن دخول السيد بلنسية تم فى ١٥ يونية سنة ١٠٩٤ م (الموافق أواخر جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ) وهو نفس التاريخ الذى ذكره ابن علقمة شاهد العيان . انظر . (رواية ابن علقمة ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٩) وقارن ما جاء فى :

M. Pidal, op. cit. V. I. p. 485. & H. Miranda, op. cit. t. II. p. 105.

وطالع مناقشة المستشرق دوزى لتلك التواريخ فى :

Dozy, Recherches, II. pp. LXVIII - LXX.

(٤) ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ١٠٣ . ابن الأبار ، التكملة ، ج ٢ ، ص ٨٠٦ ترجمة ١٩٦٨ . =

والأسى تعلو وجوههم الشاحبة ، ومرارة التسليم تعتصر نفوسهم الكليلة ، ليشهدوا موكب القنبيطور عند دخوله المدينة التعسة ، وتصف المدونة العامة الأولى أهل بلنسية فى هذه اللحظات الحاسمة فى تاريخ مدينتهم ـ نقلا عن ابن علقمة ـ فتقول : « وتجمعت الجماهير التى طحنها الجوع ، وقد بدت وجوههم مصفرة شاحبة ، وانكسرت نفوسهم ، وهبطت عزائمهم كما لو كانوا يبعثون من قبورهم يوم الحشر ليمثلوا أمام الخالق [1] » .

وما كادت الأبواب تنفتح للغالبين حتى احتلوا أبراج السور ناكثين بذلك شروط الاتفاقية ، وكان الطبيعى أن يعلن القاضى ابن جحاف احتجاجه على هذا النكث ، إلا أن احتجاجه لم يلق آذانا صاغية بعد أن تمكن القنبيطور وعسكره من المدينة ، وكأنما كان يصرخ فى واد أو ينفخ فى رماد ، إذ شغل الأهالى عنه بالحصول على حاجياتهم من الأطعمة [2] .

(٣) بلنسية فى ظل القنبيطور

أ ـ سياسية القنبيطور مع أهل بلنسية فى أعقاب الاحتلال :

بعد أن تحقق للقنبيطور أمانيه فى تملك بلنسية ودخلتها قواته ، استقبل فى اليوم التالى وفودا تمثل أعيان المدينة ، فبالغ فى اظهار ترحيبه بهم ، كما تظاهر باحترامه لعادات المسلمين ، فأمر بتغطية منافذ الأبراج المطلة على المدينة ، حتى لا يهتك عسكره بأنظارهم حرمات دور المسلمين ، كذلك أصدر أوامره الى نصارى بلنسية بأن

= المقرى ، نفح ، جـ ٦ ، ص ١٩٩ . ونلحظ أن بيدال يذكر ـ نقلا عن المدونة الأولى أن الحصار استمر عشرين شهرا ونصف ، وأرجح ما ذكرناه بالمتن . انظر :

*(Pidal, op. cit. p. 484) .

(١) عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٣٤ . وانظر :

Pidal, op. cit. p 484.

(٢) Chronicle, p. 174. & M. Pidal, op. cit. pp. 484 - 485.

يظلوا على احترامهم للمسلمين كما لو كانوا هم سادة المدينة ودون مراعاة للأوضاع الجديدة ، يسلمون عليهم اذا مروا بهم ، ويفسحون لهم الطريق اذا قابلوا بعضهم [١] .

وعلى هذا النحو من الدهاء استطاع القنبيطور أن يكسب قلوب أهل بلنسية ، وكان من الطبيعي أن يظهر هؤلاء له ولجنده رضاهم عنه وترحيبهم به وشكرهم لمسلكه نحوهم ، فيقول ابن علقمة : « فلم يعمل هو (يقصد القنبيطور) وأصحابه ـ لعنه الله ـ ما يسوء المدينة بحال من الأحوال ، فانتشطت الأنفس من عقال ، وانبسطت الآمال ، وأمن الناس [٢] » .

وبعد أن ضمن القنبيطور محبة أهل بلنسية له ولمواثيقه ، تفرغ للشطر الثانى من مخططه ويرمى الى تنفير الأهالى من قاضيهم العنيد الذى سبب له كثيرا من المتاعب كان فى غنى عنها ، فى الوقت الذى كان القاضى يسعى بدوره الى التقرب منه وخطب مودته ، ولم يتردد ابن جحاف فى سبيل ذلك من أن يقدم للقنبيطور جانبا من الأموال الكثيرة التى آلت اليه بسبب اقدام صنائعه على بيع الخبز للأهالى بأسعار فاحشة أيام المجاعة والحصار ، ولكن القنبيطور تظاهر بالأعراض عنها ، ورفض قبولها ، بحجة أنها أموال الأهالى ابتزها ابن جحاف منهم مستغلا الظروف السيئة التى تعرضوا لها [٣] ، ويدل ذلك على مهارته السياسية الفائقة .

وبدلا من أن يقبل القنبيطور الأموال التى عرضها ابن جحاف ، لم يتردد فى استقدامه واستحلافه فى محضر من الشهود على البراءة من أموال القادر ، على أن يسجل ذلك فى عهد مكتوب اشترط فيه أمام الحاضرين أنه اذا تمكن من العثور على هذه الأموال استحل دمه ، ويعبر ابن بسام عن تلك الحادثة بقوله : « كان لذريق قد سأله أول دخوله عنها واستحلفه بمحضر جماعة من أهل الملتين على البراءة منها ،

---

(١) Primera Crónica general, p. 588. Chronicle, p. 175. Pidal. Ibid. p. 485. & H. Miranda, op. cit. t. II. p. 167.

(٢) انظر . البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٤ .

(٣) Chronicle, p. 175. & M. Pidal, op. cit. V. I.

فاقسم بالله جهد ايمانه ، غافلا عما في الغيب من بلائه وامتحانه . وجعل لذريق بينه وبين القاضي المذكور عهدا أحضره الطائفتين ، وأشهد عليه أعلام الملتين أن هو انتهى بعد اليها وعثر عليها ليستحلن اخفار ذمه وسفك دمه [1] .

ثم عقد القنبيطور اجتماعا مع أعيان بلنسية ورؤسائها في بستان يقع بربض بيانويبا (Villa nueva) ، وفي هذا الاجتماع خطب فيهم خطبة طويلة أوضح فيها الخطوط الرئيسية لسياسته التي سوف ينتجها في المدينة ، والتي ستثبت الحوادث فيما بعد بأنه لم يلتزم بها على الاطلاق . فذكر لهم بأن من وجد حقله خاليا فليدخله ، ومن وجده مزروعا فليدفع أجر زارعه وما أنفق فيه ، وليستعد ملكه إياه على ما تقضي به شريعة الاسلام ، كما طلب من القائمين بجباية الضرائب بالالتزام بجباية العشر على ما تقضي به الشريعة . وقرر أن يجلس لسماع قضاياهم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع . وبعد أن انتهى من حل مشاكلهم انتقل الى الحديث عن ابن جحاف فاتهمه بالتعدي والظلم وسلب الأموال دون وجه حق ، وعليه أن يرد الأموال التي اغتصبها من أصحابها . ثم أخذ يلعب بعواطفهم كسبا لرضائهم ومحبتهم ، وعرض عليهم أن يرد اليهم الأموال التي كان قد صادرها من مبعوثيهم الى مرسية وتجاوزوا بها الحد المنصوص عليها في الاتفاقية ، وأمر باطلاق سراح الأسرى من أهل بلنسية ، ونادى بسفك دم من خالف ذلك . ثم اختتم خطابه بقوله : « ولا أريد دخول بلدكم ولا المقام فيه ، وانما سأتخذ لي عند جسر القنطرة منزلا أستريح فيه من حين لآخر ، وسوف أتخلى عنه اذا احتجتم اليه [2] » .

---

(١) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ١٩ ظ . وانظر :

M. Pidal, op. Cit. pp. 487 - 488.

(٢) انظر . مؤنس ، السيد القنبيطور ، ص ٦٧ . الطاهر مكي ، ملحمة السد ، ص ١٣٧ .

Primera Crónica general , pp. 588 - 589. Chronicle. pp. 176 - 178 . Pidal, op. cit. pp. 488 - 489. Miranda, op. cit. pp. 108 - 109.

ومن الجدير بالذكر أن المصادر العربية لم تشر الى خطبة السيد في أهل بلنسية ، ولكن المدونة العامة الأولى أوردت لنا نصها باللغة القشتالية ، ولم تشر المصادر الى اللغة التي القيت بها ، ولكن من المرجح كما يرى د . مؤنس أن السيد قد ألقاها بعربية أهل الأندلس .

وواضح من ذلك براعة القنبيطور السياسية ، وقدرته البالغة فى اجتذاب الأهالى اليه ، ومعرفته العميقة بأنظمة المسلمين ، ويذهب المؤرخ بيدال (Pidal) الى أن خطاب القنبيطور يدل على تأصل نوازع العدالة فى نفسه . والحقيقة أن ما جاء فى الخطاب لم يكن أكثر من مناورة سياسية بارعة لكسب القلوب إليه ، وبث عوامل النفور والكراهية على ابن جحاف تبريرا لما سيسلكه فيما بعد معه [1] ، ومع الأهالى أنفسهم الذين انخدعوا بمعسول قوله وتبين لهم بعد ذلك أنه لا يعدو مغامرا نصرانيا لا يحترم العهود ولا يلتزم بالوفاء بها ، ولا هم له إلا مراعاة مصلحته الذاتية ، وفى سبيلها لا يتورع عن بيع العدو والصديق ، والاطاحة بكل القيم والمثل .

ب ـ نقض القنبيطور لعهد التسليم :

لم يكن خطاب القنبيطور سوى كلمات جوفاء لا تعتبر عن مكنون نفسه ، وكانت قناعا زائفا يخفى حقيقة نواياه العدوانية وما يحمله من كراهية وغدر لأهل بلنسية ، فلم يلبث أن غدر بهم ، وتنصل من وعوده السابقة اليهم ، فعندما سعى المزارعون الى استرداد أراضيهم ، ردهم عساكره عنها بحجة أنهم تلقوها منه مقابل مرتباتهم لهذا العام ، بينما تذرع آخرون بأنهم استأجروها ودفعوا ايجارها سلفا وأنه لم يحن بعد موعد تخليهم عنها [2] .

وانتظر المزارعون الى يوم الخميس الذى حدده السيد ليفصل فى الخصومات ، فذهب أعيان المدينة لمقابلته ببستان فيانوبيا ، ولكنه بعث يعتذر اليهم عن عدم استعداده لمقابلتهم فى هذا اليوم ، فأرجأوا عرض شكواهم الى يوم الاثنين ، وفيه جلس يستمع لشكواهم ، فلما انتهوا منها أخذ يحدثهم فى أمور لا صلة لها اطلاقا بما كان قد وعدهم به فى خطابه ، فقال لهم : « اذا بقيت بدون رجالى كنت كمن فقد ذراعه اليمنى ، أو كطائر بلا أجنحة ، أو كمحارب بلا سيف ، ولا يهمنى إلا أن أجعل

---

(١) انظر . مؤنس ، نفسه ، ص ٦٨ .

(٢) Chronicle, p. 178. Pidal, op. cit. V. I. pp. 493 - 494. & H. Miranda, op. cit. t. II. p. 110.

رجالي يعيشون في ثراء وشرف ، حتى يكونوا قادرين على خدمتي ، وحماية شرفي ، لأن الله وهبني بلنسية ، ولا أريد أن يكون بها سيد غيري »[1] . وما أن انتهى من قوله حتى أدرك أهل بلنسية أنه خدعهم ، ونكث بعهوده لهم ، وأن هذه العهود والوعود التي قطعها على نفسه لا تعدو كلمات مخدرة لتسهيل مهمته وتحقيق خطته ، وأنه لا سبيل الى التصدى له بعد أن سبق السيف العذل ، وأصبحت بلنسية كلها في حوزته[2] .

ولم يكن أمام أهل بلنسية سوى تجرع الكأس في صبر ، وتحمل صروف الدهر إلى أن يأمر الله بانجادهم وتخليصهم . وفي أثناء ذلك بعث القنبيطور الى زوجته دونيا خيمينا (Doña Jimena) وابنتيه في مدينة كاردينيا (Cardeña) بقشتالة يدعوهم ليلحقوا به ، ويشاركوه سلطته وثراءه اللذين ينعم بهما في بلنسية[3] .

جـ ـ موقف المرابطين من سقوط بلنسية في يد السيد القنبيطور :

أحدث سقوط بلنسية في يد القنبيطور دويا هائلا في الأندلس ، يماثل ما أحدثه سقوط طليطلة من قبل في يد ألفونسو السادس ، واعتبره أهل الأندلس نذيرا لما ينتظر بلادهم من سوء المصير ، رغم وجود قوى المرابطين على مسرح الحوادث ، وتوالت على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رسائلهم تصف ما تعرض له أهل بلنسية خاصة وشرق الأندلس عامة من الضرر ، بسبب ما أصابهم من الدمار والعيث والهوان على أيدى النصارى ، ويعبر ابن علقمة عن هذه الحالة بقوله : « واشتد جزع المسلمين بدانية ، وما اتصل بها من ذلك الصقع من القلاع والقواعد ، وكثر شن الغارات من بلنسية عليها ، وتوالى الضرب ، وعظم الضرر ، وانقطعت السابلة ، وخافت الطرق ، وصار أهل تلك الجهات في أضيق من العزق ، وقد حميت الفتنة

---

(١) Chronicle, pp. 178 - 179. & Pidal, op. cit. p. 494.

(٢) Chronicle, p. 180. & Pidal, Idem.

(٣) H. Miranda, op. cit. t. II. p. 105.

فخاطب الناس أمير المسلمين مستصرخين معلمين بفساد الشرق واشراف الأمة على الهلكة [1] » .

وكان للمرابطون آنذاك قد ثبتوا أقدامهم فى جنوب شرقى الأندلس حتى مرسية ودانية ، وكان هدفهم الرئيسى استنقاذ الأقاليم الشمالية من شرق الأندلس وتحريرها من السيطرة القشتاليـة ، ولكنهم شغلوا عن ذلك بمدافعة الفونسو عن وسط الأندلس وغربه ، غير أن سقوط بلنسية فى يد السيد القنبيطور ، وعيثه فى نواحيها نبههم الى الأخطار التى تتهـدد شرق الأندلس ، ولهـذا عـملوا على أن يجنبوا البلاد من ضياع محتوم ومصير تعس لو أنهم تركوا الأوضاع على حالها ، ومن هذا المنطلق بدأ يهتمون بأمر شرق الأندلس [2] .

ومما لا شك فيه أن يوسف بن تاشفين كان يدرك فى قرارة نفسه الآثار المترتبة على سقوط بلنسية وما يليها فى يد القنبيطور ، كما كان على يقين من أن بلنسية لم تكن كل مرامه وهدفه وأنه يتطلع الى مزيد من المدن ، وقد أمضه التفكير فى هذا الأمر وأقلقه ، ويصور ابن بسام انزعاجه لذلك واهتمامه بالأمر فى قوله :

« وتجرد أمير المسلمين عندما بلغـه هذا النبأ الفظيع ، واتصل به هذا الرزء الشنيع ، فكانت قذى أجفانه ، وجماع شأنه ، وشغل يده ولسانه [3] » .

ولم يكن خافيا على القنبيطور ما يعده له المرابطون من خطط هجومية للرد على عدوانه ولهذا بادر بالتحرك ، وبدأ يتقرب الى الملك بدرو الأول ملك أرغون ويعرف فى المصادر العربية باسم ابن ردمير ، وتم تحالف بينهما فى سنة ٤٨٧ هـ (مايو ـ يونية ١٠٩٤ م) هدفه الأول مواجهة ردود الفعل المرابطية التى كانت تتهدد المناطق المتاخمة لمملكة بلنسية [4] .

---

(١) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٤ .

(٢) مؤنس ، نفسه ، ص ٧١ .

(٣) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٢٠و .

(٤) M. Pidal. op. cit. V. I. p. 503.

وشرع يوسف بن تاشفين فى تجهيز قواته لاسترجاع بلنسية ، فحشد جيوشه فى مدينة سبتة وعهد بقيادتها الى ابن أخيه الأمير محمد بن ابراهيم بن تاشفين ، كما كتب أيضا الى ولاته على غرناطة وشنتمرية الشرق وطرطوشة وألبونت ولاردة ، بالاضافة الى الشنياطى وكان واحدا من أنجاد الفرسان ودهاة الحرب ، بجمع قواتهم واللحاق بجيش المرابطين لمنازلة بلنسية [١] .

وعلى هذا النحو تم عبور قوات المرابطين الى الأندلس ، وتقدمت نحو شرق الأندلس فوصلت الى مرسية فى شعبان سنة ٤٨٨ هـ / سبتمبر ١٠٩٤ م ، وما كادت أنباء وصولها الى هذه المدينة تبلغ مسامع القنبيطور حتى تأهب لتلقى جيوش المرابطين ، ولم يكن يثق فى ولاء أهل بلنسية له ، وكان يخاف على نفسه أن يقع بين فكى المسلمين : أهل بلنسية فى الداخل ، وقوات المرابطين فى الخارج ، ولهذا السبب عمد الى نزع السلاح من أهل بلنسية ، وأصدر أمره بقتل من يتآمر مع المرابطين على سلامته ، وأخذ يشيع الرعب فى قلوب أهلها ، وفى ذلك يقول ابن علقمة : « فاتصلت الأنباء أن عساكر المسلمين بمرسية ، فأشاع الروم : أنه متى نزلت علينا محلة المسلمين ، أمضينا السيف على أهل بلنسية ، ومشى (أى القنبيطور) بريحه : « من وجد عنده شىء من آلات الحديد ، فماله ودمه حلال ! » فبرىء الناس منه حتى من الابر والمسامير ، وضعوا ذلك بباب القصر ، وقد تضاعف الجزع والخوف [٢] » . ولم يكتف القنبيطور بذلك بل اعتقل من يشك فى ولائه من أهل المدينة ، وصادر أموالهم ، ونفاهم خارجها ، وقتل كثيرا منهم [٣] .

---

(١) انظر البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٤ - ٣٥ . محمود على مكى ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مجلد ٧ - ٨ ، مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

(٣) نفس المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

د ـ معركة كوارت وأثرها فى سياسة القنبيطور :

فى شهر رمضان وسنة ٤٨٨ هـ (أواخر ١٠٩٤ م) تحركت جيوش المرابطين الى بلنسية ، وعسكرت بغربها قرب بلدة كوارت (Cuart) على مسافة تبعد بنحو فرسخ من بلنسية ، حيث لحقت بها قوات المرابطين فى الأندلس ، وأقبلت دواب الميرة من كل صقع ، وتجمع العسكر فى هذا الموضع حتى تحول الى مصر عظيم لكثرة حشود المرابطين ، وأرهبت هذه الحشود الكثيفة عساكر القنبيطور ، فهم بعضهم بالفرار ، ولكن قائدهم القنبيطور لم « يرعه فى ظاهر الأمر ذلك الجمع ولا عبأ به »[1] فأخذ يستثير حماس جنده ويستحثهم على مواجهة قوى المرابطين ، ولكى يقوى من عزاءمهم ويستنهضهم للقتال أشاع بينهم بأن انتصاره فى المعركة أمر محتوم ومفروغ منه ، فقد أنبأه الطير بذلك[2] .

وعمد القنبيطور الى ابعاد ضعيفات النساء والأطفال عن المدينة ، فلجأن الى معسكر المسلمين ، ويذكر ابن علقمة أنهن وقعن فى أيدى السودان وخدمة الدواب والسفلة من الباعة ، فغلبوا عليهن وفسقوا بهن ، وللأسف لم يصل ذلك الخبر الى قائد الجيش ليقوم بواجبه فى النهى عن المنكر[3] .

ومن ناحية أخرى أشاع القنبيطور فى معسكر المسلمين بأن جيش حليفة بدرو الأول ملك أرغون قد وصل بالفعل الى بلنسية لمساعدته ونجدته[4] ، مستهدفا من

---

(١) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٥ .

(٢) كان القنبيطور يؤمن ـ كمعظم أهل عصره ـ بالتفاؤل والتشاؤم ، ومن ذلك أنه أشاع بين أصحابه منذ أن بلغه نبأ وصول قوات المرابطين قرب بلنسية بأن طيوره بشرته بالظفر على المسلمين . وفى ذلك يقول أحد أهل بلنسية ساخرا من رذيق (القنبيطور) وطيوره :

قولوا للذريقَ إن الحقَّ قد ظهرا ... أو تقذوه اذا مـا طيره زَجرا
سيوف صنهاجة فى كل معترك ... تأبى لأطياره أن تصدق الخبرا

انظر (ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٥) .

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٥ ..

(٤) نفس المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

ذلك بث الخوف والذعر فى قلوب المسلمين ، وهو عامل نفسى له أثره الفعال فى الاستراتيجية العسكرية فى العصر الحديث .

ويتعرض المؤرخ البلنسى ابن علقمة لحوادث المعركة فى شيء من الايجاز فيقول : « وفى الثامن من شوال أشاع اللعين أن ابن ردمير (ملك أرغون) لحق بجملته لنصرته ، فأعمل الحيلة وأخرج جمعين من الروم ، وأمرهم أن يشغلوا المسلمين بالتناوش ليظنوا أنه الكبيطور ، وخرج هو من حومة أخرى فأجفلوا أمامه ، فأخذ المحلة فدوختها خيله ، واتصل الصراخ بالأمير محمد ، فكر اليها ، ومتى انفض الناس عنه والمحلة تنهب ، فتوقف العدو عن الاتباع وأقبل على النهب [1] » .

وأيا ما كان الأمر فقد نجحت خطة القنبيطور فى مباغتة المرابطين ، وتمكن من الانتصار عليهم فى أول اشتباك وقع بينه وبينهم وأعنى به فى معركة كوارت (Cuart) فى ٨ شوال سنة ٤٨٨ هـ (اكتوبر ١٠٩٤) ، وغنم القنبيطور الكثير من الخيل والعتاد والمؤن ، ثم عاد الى بلنسية غانما مظفرا ، حيث تحصن من جديد [2] .

---

(١) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤٠ . وانظر ايضا وصف ابن عذارى للمعركة فى البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

وجدير بالذكر أنه بينما يذكر ابن علقمة أن القنبيطور قد استنجد بحليفة ملك أرغون يذكر ابن عذارى أنه استنجد بألفونسو السادس ملك قشتالة ، وأرجح قول الأول خاصة وأن ابن علقمة مؤرخ بلنسى شهد الحوادث ، كما أن روايته تتفق مع ما ورد فى المصادر القشتالية حول ذلك . ومن الجائز أن يكون قد استنجد بكل من ملكى أرغون وقشتالة بدليل ما أورده ابن عذارى خاصا بملك قشتالة الذى خرج لنجدة القنبيطور ولكنه لم يدرك المعركة ، فأرسل اليه القنبيطور جملة من الهدايا ونصيبه من الغنائم انظر . (البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٦) .

(٢) يعتبر ابن عذارى المؤرخ المسلم الوحيد الذى أشار الى معركة كوارت (نقلا عن ابن علقمة) . أما المصادر المسيحية التى تعرضت لها فقد تناولتها بكثير من المبالغة والاغراق . فالمصدر الأول وهو أنشودة السيد (El Cantar de mio Cid) نجد أنه يتناول المعركة بصورة قصصية شعرية ، فيشير إلى أن السيد قد استل سيفه وطعن به القائد المسلم ثلاث طعنات ، فهرب الجواد الذى يركبه وانهزم جيش المسلمين . أما مولف المصدر الثانى وهو المدونة الخاصة بالسيد (Crónica prrticular del cid) فلا يعرف المكان الذى حدثت فيه المعركة ، ولكنه يشير الى أن قائد جيش المرابطين كان =

وكان وقع الهزيمة التى أوقعها السيد القنبيطور بقوات المرابطين شديدا على يوسف بن تاشفين ، فاشتد غضبه على ابن اخيه الأمير بن ابراهيم « لتضييع الحزم واسلام المحلة دون حرب يقوم به عذر [1] » .

وعقب الهزيمة التى تلقهاها المرابطون على أيدى القنبيطور وقواته اتجهت جيوشهم الى دانية ، ومن هناك سارت نحو شاطبة ، حيث أرسل القائد محمد بن ابراهيم الى أمير المسلمين يعتذر له عما بدر منه ، فأعرض عنه بادىء الأمر ، وما لبث أن عفا عنه ، وبعث يستقدمه اليه ، وأقام على الجيش القائد ابن الحاج [2]

= يدعي يونس بن يوسف ، وأن جيشه كان يقدر بخمسين ألفا ، نجا منهم خمسة عشر ألفا وهلك الباقون ، ونلحظ أن المدونة الخاصة تخطأ فى تحديد تاريخ المعركة فتجعله متأخرا عاما عن التاريخ الصحيح ، كما أنها خلطت بينها وبين معركة جزيرة شقر التى حدثت بعد ذلك ، والسبب فى ذلك يرجع الى تأريخها المتأخر للمعركة ، ولذلك نجدها ايضا للسبب نفسه تخطىء فى اسم قائد المرابطين فى معركة كوارت ، فتذكر أنه ابو بكر بن ابراهيم فى حين أن اسمه الحقيقى هو محمد بن ابراهيم بن تاشفين أخوه . أما المصدر الثالث وهو المدونة العامة الأولى (Primera Crónica general) فتجعل عدد الناجين من قوات المسلمين عشرة آلاف فقط ، وتتفق مع المدونة الخاصة بالسيد فى اسم القائد وهو يونس . أما المصدر الأخير وهو التاريخ الوردريجى (Historia Roderici) فإنه رغم اختصاره أقرب الى الحقيقة التاريخية من المصادر السابقة ، فهو يذكر أن يوسف بن تاشفين أرسل الى القنبيطور رسالة يطلب منه فيها الانسحاب من بلنسية ، وأن السيد رد عليه يتهمه بالجبن والخوف من لقائه ويتحداه فى العبور الى الاندلس وملاقاته فى معركة ، فأرسل اليه يوسف جيشا قويا لانقاذ بلنسية فى أغسطس سنة ١٠٩٣ م ولكن هذا الجيش انسحب دون حرب . ولم يلبث يوسف أن أرسل جيشا ضخما بقيادة ابن أخيه محمد بن ابراهيم ، وحاصر هذا الجيش بلنسية ولكن السيد انتصر عليه بفضل مساعدة حليفة ملك أرغون فى الموقعة المعروفة باسم كوارت . ومن الجائز أن يكون اسم يونس المذكور فى المصدرين الثانى والثالث هو اسم أحد القادة المسلمين وليس اسما للقائد العام انظر :

M. Miranda, Las luchas del Cid, pp. 83 - 85. & Pidal, op. cit. pp. 506 - 507.

(١) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٦ .

(٢) هـو أبو عبد الله محمد بن سيموين بن محمد بن ترجوت ابن عـم يوسف بن تاشفين وأحـد كبار =

بدلا منه (١) . ويذكر ابن عذارى أن القنبيطور عاد الى بلنسية بعد انتصاره على المرابطين ، وأمر أهل المدينة بالاجتماع فى ساحة القصر حيث ألقى فيهم خطابا ذكر فيه أن كثرة المرابطين وتفوقهم العددى لم يجدهم نفعا ، فلم يلبثوا أن انهزموا على يديه رغم قله ما لديه من العسكر ، ثم أمرهم بأن يقدموا له سبعمائه ألف مثقال ، وهددهم بالقتل إذا لم يقدموا له هذا القدر من المال ، ثم خرج وأبقى المسلمين فى القصر بعد أن أغلق عليهم الباب ، فأصبحوا سجناء فيه والروم تحفهم بالأسلحة ، فرأوا الموت ، ووقع البهت وخرست الألسنة ، ثم رجع وزيره اليهودى (٢) اليهم ، وأخبرهم أنه أخذ يلاطفه ويلاينه حتى خفف عنهم فأنقص المبلغ الى مائتى ألف مثقال ، ثم أنه طلب منهم أن يبادروا بتوزيعها عليهم وافتداء أنفسهم منه ، وعلى هذا النحو حدد أهل بلنسية ما يدفعه كل منهم حسب حالته المادية (٣) .

وذكرت مدونة السيد أنه عقد اجتماعا آخر فى قصر مع أعيان بلنسية ، صرح لهم فيه بضرورة تسليم ابن جحاف اذا أرادوا عفوه عنهم ، ونعت ابن جحاف بالخائن الذى خان سيده القادر وغدر به ، وأرجع اليه السبب فيما قاسوه من شقاء اثناء الحصار (٤) .

وأثار خطاب السيد القنبيطور استياء أهل بلنسية ، ووضعهم فى مأزق حرج ، كما تأكدوا من غدر القنبيطور وتنصله ونكثه بوعوده ، غير أنه لم يكن بوسعهم أن

= قواده ، وأسرة بنى الحاج التى ينتمى اليها هذا القائد أسرة بربرية صنهاجية مشهورة انجبت عددا من أعظم قواد المرابطين . انظر (ابن الكردبوس - تاريخ الأندلس ، تحقيق د . العبادى ، حاشية ١ ص ٩٦ . ابن القطان ، نظم الجمان ، تحقيق د . محمود مكى ، حاشية ١ ص ١١٠) .

(١) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٧ .

(٢) يذكر د . حسين مؤنس أن المقصود بالوزير اليهودى هو ابن الفرج ، الذى كان من يهود بلنسية ، بينما نلحظ أن مدونة السيد قد ذكرت أن وزيره كان يدعى موسى وكان أيضا وزيرا للقادر . وعلى هذا فربما أن موسى وابن الفرج هما اسمان لشخص واحد . انظر (مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص ٣٧ . وأيضا .
Chronicle, p. 172.

(٣) انظر . رواية ابن علقمة ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤١ .

(٤) Primera Crónica general, t. II. p. 590. Chronicle p. 179. & Pidal, op. cit. V. I. p. 512.

يفعلوا شيئا ، فردوا عليه بأنهم سيتشاورون فيما بينهم قبل أن يقرروا أمرا . ثم ذهب وفد منهم لمقابلة ابن عديس (أو ابن عبدوس) صاحب القنبيطور ومتولى الضرائب ، وطلبوا نصحه فيما يجدون من تغير القنبيطور ونكثه بالوعود ، فرد عليهم قائلا : « أيها السادة الشرفاء ، النصيحة من السهل التقدم بها ، وكلكم تعلمون مدى الخيانة التى ارتكبها ابن جحاف ضدكم بقتل سيدكم الملك القادر ، والآن عليكم أن تتفقوا فى تمكين السيد منه ، ولا تخافوا شيئا ، لأننى أعرف أنكم بعدها لن تطلبوا شيئا من السيد الا وأجابكم إليه [(١)] » .

وعندئذ سقط فى أيديهم ، ولم يجدوا حلا سوى تنفيذ ما طلبه القنبيطور منهم ، وبعد أن تشاوروا فيما بينهم ، رأوا أن يضحوا بابن جحاف فى مقابل استنقاذ أرواح أهل المدينة ، وتم اتفاقهم على ذلك ثم عادوا الى القنبيطور وأبلغوه بموافقتهم على تسليم ابن جحاف ، وطلبوا منه قوة كبيرة للقبض عليه . وبهذه القوة حاصروا دار قاضيهم التعس وهاجموها وحطموا الأبواب ، وقبضوا عليه هو وأفراد أسرته وجميع أتباعه ، وحملوهم جميعا الى القنبيطور الذى أمر بثقافه هو وجميع أهله وكل من اشترك فى مقتل القادر [(٢)] .

وتشير الرواية القشتالية الى أن السيد القنبيطور جمع أعيان المدينة وأفضى اليهم بعزمه على تنفيذ رغباتهم لا سيما ما يتعلق بالمزارع ، ولكنه اشترط مقابل ذلك أن يقيم فى قصر الامارة داخل بلنسية ، وأن يتولى جنوده ، حراسة كل القلاع والحصون [(٣)] . ورغم أن ذلك كان مناقضا للاتفاق ، إلا أنهم اضطروا الى الاستجابة لكل طلباته والاذعان لمشيئته .

ولم يلبث القنبيطور وفقا لهذه الموافقة أن غادر منية ابن عبد العزيز بربض

---

(١) انظر . الطاهر مكى ، نفسه ، ص ١٣٩ . وايضا :

(٢) Chronicle, p. 180. & Pidal, op. cit. p. 512 .

وراجع نص : البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٧ .

(٣) Primera Crónica general, p. 590. & Pidal, op. cit. p. 514.

فيانوبيا ، ودخل المدينة حيث استقر نهائيا بقصر الامارة فى حوالى منتصف سنة ٤٨٨ هـ (أواخر ١٠٩٤م) (١) .

هـ ـ مأساة القاضي ابن جحاف :

لم يلبث القنبيطور بعد أن استقر فى قصر الامارة أن سيطر على جميع تحصينات المدينة ، وشرع منذ أن تمهدت له الأمور ، واستقرت الأحوال ، فى البحث عن وسيلة يشبع بها انتقامه من ابن جحاف ورفاقه ، ورأى أن يبدأ بتعذيبه وينتهى بقتله ، فقد أمر بنقله الى بلدة جبالة وتعذيبه ، ثم أعاده الى بلنسية حيث سجنه فى مطبق ببستان قصر بيانوبيا (٢) .

وكان القنبيطور منذ استقر بقصر الامارة لا ينقطع عن البحث عن أموال القادر بالله التى ظن أن ابن جحاف اغتصبها وخبأها بداخله ، وكان ينتظر اللحظة التى يكتشف فيها عن هذه الأموال ليطيح برأسه ، وما زال يبحث عن هذه الأموال فى قصر الامارة وينبش عليها قاعاته مستخدما فى ذلك خدم ابن جحاف ، الى أن وفق فى العثور على ثروة ضخمة كانت مخبأة فى جوف أرضية احدى القاعات (٣) . وعندئذ قرر القنبيطور قتله ، وقتل أهله ، واختار لذلك أبشع طريقه وهى القتل حرقا ، فاخرجهم من السجن مصفدين وأضرم نارا حامية فى ولجة بلنسية ، وهم باحراق ابن جحاف وأهله لولا أن تشفع فيهم رفاقه من النصارى ، فاكتفى باحراق ابن جحاف حيا (٤) .

ويصف لنا ابن علقمة مأساة القاضى ابن جحاف وأهله على يد القنبيطور فيقول : « ولم يزل (القنبيطور) يستخرج ما عندهم حتى استصفى أموالهم ،

---

(١) Pidal, Idem. & Miranda, Hist., mus., de Valencia t. II. pp. 110 - 111.

(٢) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٧ . وأنظر .
Pidal, Ibid, p. 516.

(٣) انظر . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٤٨ . وأيضا
Chroniche, p. 182. & Pidal, op. cit. p. 516.

(٤) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ترجمة رقم ١٣٠ .

واستنفذ أحوالهم ، فلما لم يترك لهم ظاهرا ولا باطنا ، أمر باضرام النار ، وسيق القاضى أبو المطرف يرسف فى قيوده وأهله وبنوه حوله ، وقد حشر الناس من المسلمين والروم . ثم قال للملأ من المسلمين : « ما جزاء من قتل أميره في شرعكم ؟ فصمتوا ، فقال لهم: « جزاؤه عندنا الاحراق بالنار ! » وأمر به وبجملته الى ذلك الضرم ، وقد لفح الوجوه على المسافة البعيدة . فضج المسلمون والروم ، وتضرعوا اليه فى ترك الأطفال والعيال ، إذ لا ذنب لهم ، ولا علم بتلك الأمور عندهم ، فأسعف الرعية فى رغبتهم بعد جهد ومدة ، وترك النساء والصبية . وحفر للقاضى حفرة ، وأدخل فيها الى حجزته ، وسوى التراب حوله ، وضمت النار اليه ، فلما دنت منه ولفحت وجهه ، قال : « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم ضمها الى جسده . فاحترق رحمه الله تعالى . ولم يكن غضب الطاغية عليه الا لشدة صبره على تلك الأزمة ، واجتهاده فى طلب النصرة ، ودفعه اياه بالمطاولة ، رجاء استمساك البلدة وابقاء الكلمة (١) » .

---

(١) انظر . البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ ، ١٤٨ . وأيضا . رواية صاحب الذيل ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ . وعن مأساة القاضى فى الرواية المسيحية راجع :

Prim, Cron., gen., t. II. p. 591.

وينقل ابن بسام وصفا لحرق القاضى فيقول : « فانحنى على أموال بالنهاب ، وعليه وعلى ولده بالعذاب ، حتى بلغ جهده ، ويئس مما عنده ، فأضرم له نارا أتلفت ذماه ، وحرقت أشلاه . أخبرنى من رآه فى ذلك المقام ، وقد حفر الى رفغيه ، وأضرمت النار حواليه ، وهو يضم ما بعد من الحطب بيديه ، ليكون أسرع لذهابه وأقصر لمدة عذابه ، كتبها الله له فى صحيفة حسناته ، ومحا عنه بها سالف سيآته ، وهم الطاغية يومئذ بتحريق زوجه وبناته ، فكلمة فيهن بعض طغاته ، فبعد لأى مالفته عن رأيه وتخلص من يدى نكرائه . انظر (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩ ظ) وقد أشار أيضا المؤرخ البلنسى ابن الآبار الى محنة القاضى المسكين فيقول : « واحتفر للقاضى حفرة وذلك بولجة بلنسية ، وأدخل فيها الى حجزته ، وسوى التراب حوله ، وضمت النار نحوه . فلما دنت منه ولفحت وجهه ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقبض على أقباسها وضمها الى جسده يستعجل منيته ، فاحترق رحمة الله وذلك فى جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وأربعمائه . « انظر » « الحلة ، جـ ٢ ، ص١٢٦) .

وبينما يبرر المؤرخ الاسبانى منندث بيدال هذه الوحشية من جانب القنبيطور فيذكر ان ابن جحاف =

و ـ استبداد القنبيطور ببلنسية :

لقد أثار حرق القاضي ابن جحاف في جمادى الأولى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٤ م موجة من الاستياء العاصف والأسى الجارف عند أهل بلنسية ، كما كان له صدى عميق في سائر الأندلس ، فسرى الغضب في نفوس أهل الأندلس ، واستبدت بهم نقمتهم على القنبيطور ، ويعبر ابن بسام عن ذلك بقوله : « وأضرم هذا المصاب الجليل أقطار الجزيرة يومئذ نارا ، وجلل سائر طبقاتها حزنا وعارا [١] » .

ولم يكتف الطاغية بما فعله في القاضي وأهله ، وإنما تجاوزهم الى جلّة أهل

= يستحق هذا العقاب ، واتهم القاضي بالخيانة ، وأن تصرف السيد على هذا النحو دليل عدله وانصافه ومعرفته بالقوانين وتطبيقها . (Pidal, op. cit. p. 517) يتهمه المستشرق الهولندى دوزى بالوحشية فيصف السيد بأنه رجل متعطش للدماء ، وأنه بلغ بهذه الخيانة أبشع درجات القسوة وتحجر الفؤاد ، والبعد عن كل معاني الانسانية ، ويضيف بأن تلذذ السيد بتعذيب ذلك الشيخ المسكين ، واحراقه بالنار حيا يدل على أنه كان في أعماق نفسه وحشا ضاريا . (R. Dozy, Recherches, II. p. 187) كذلك يميل المستشرق الإسباني إويثي ميراندا الى انصاف ابن جحاف ، وإن كان يتذبذب بين الرأيين السابقين ، فيذكر أن السيد قد تمكن من خداع هذا الشيخ المسكين واستغل ضعفه وافتقاره الى قوة عسكرية تسنده لكي يحصل منه على ما يريد ، ويضيف بأن دوزى كان شديد الحملة على السيد وأما بيدال فكان شديد الاعجاب به ، وأن الحقيقة ليست مع هذا ولا ذاك ، ولكنها كما هو الحال دائما في مثل هذه القضايا وسط بين الطرفين . (اويثي ميراندا ، ابن جحاف قاضي بلنسية الذى أحرقه السيد حيا ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، م ١١ ـ ١٢ سنة ١٩٦٣ ، الترجمة العربية ، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٧) وأيضا . (ميراندا ، بلنسية الإسلامية ، تقرير معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ١٢ ـ ١٣) أما المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال فيرى أن الرغبة في تبرير الحكم الذى نطق به السيد وتبرير ما أمر به من عقاب يتنافى مع الانسانية ، كما حاول أن يفعل بيدال ، لا سبيل اليه بطبيعة الحال . (ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ص ١٩٢) .

(١) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ١٩ ظ . ويرى بيدال أن ابن جحاف استطاع بعد ميتته البشعة أن يكون أشد خطر على القنبيطور مما كان في حياته ، وجاء استشهاده حافزا على اثارة مشاعر المسلمين واستنهاض هممهم ضد القنبيطور (Pidal , op. cit. V. I. p. 518) .

بلنسية ، فامتد اليهم أذاه وعسفه ، وأقدم على حبس عدد كبير منهم وعلى رأسهم محمد بن أحمد بن طاهر (١) ، كما أمر بحرق الشاعر البلنسي أبي جعفر البتي (٢) .

ويعبر ابن علقمة عن هذه الجرائم بقوله : « وعمد الطاغية – لعنه الله – بعد احراق القاضي – رحمه الله – الى الجلة من أهل بلنسية ، فثقفهم وأغرمهم حتى استأصل جميع ما عندهم ، وجعل الناس في المحنة أسوة ، يأخذهم على طبقاتهم حتى عمتهم المحنة ، وهلك في ذلك الثقاف كثير منهم – رحمهم الله – وجعلها كفارة لهم » (٣) .

ويصور الشاعر ابن خفاجة مأساة وطنه بلنسية فيقول :

عاثتْ بساحتِـكِ العدا يـادارُ ... ومحا محاسنَكِ البلَى والنارَ
فـاذا تـرددَ في جنابـكِ ناظـر ... طال اعتبـارٌ فيكِ واستعبار
أرض تقاذفت الخطوبُ بـأهلها ... وتمخضت بخرابها الأقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها ... لا أنت أنت ولا الديار ديار (٤)

---

(١) وفي ذلك يقول ابن بسام : « ومد لأبي عبد الرحمن بن طاهر هذا في البقاء حتى تجاوز مصارع الرؤساء ، وشهد محنة المسلمين ببلنسية على يدي طاغية كان يدعى الكمبيطور ، حصل لديه أسيرا سنة ثمان وثمانين » ومن ناحية أخرى أورد ابن بسام نص خطاب بعث به ابن طاهر لأحد أصدقائه يصف ما هل بأهل بلنسية على يد القنبيطور فيقول : « كتبت منتصف صفر ، وقد حصلنا في قبضة الزسر بخطوب لم تجر في سالف الدهر ، فلو رأيت قطر بلنسية نظر الله إليه ، وعاد بنوره عليه ، وما صنع الزمان به وبأهله ، لكنت تندبه وتبكيه ، فلقد عبث البلى برسومه ، وعفى على أقماره ونجومه » انظر (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٨ و . ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٥٧) .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الولى بن أحمد بن عبد الولى البتي ، ينسب الى قرية بتة من أعمال كورة بلنسية . انظر (ابن الأبار ، التكملة ، جـ ١ ص ٢٤ ترجمة ٥٦ . ابن سعيد و المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ ترجمة ٥٧٢ . ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الأول تحقيق محمد بن شريفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٧٣ ترجمة ٣٥٣ . ابن دحية ، المطلوب ، ص ١٢٤ . المقرى ، نفح ، جـ ٥٦ ص ١٩٩) .

(٣) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٨ . أعمال الأعلام ، ص ٢٠٥ .

(٤) انظـر . ديوان ابن خفاجـة ، ص ٣٥٤ . الذخيرة ، ق ٣ لوحة . ٢٠,٠ المقرى ، نفح ، جـ ٦ ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

وأيا ما كان الأمر فقد اشتد الغضب بيوسف بن تاشفين عندما بلغته حوادث بلنسية واستبداد الطاغية بأهلها ، وصمم على على آستردادها وانقاذها من ظلمة وعدوانه [١] .

وتذكر المصار المسيحية أن أهل بلنسية حاولوا عقب احراق القاضى وبعض زعمائها القيام بثورة يائسة ضد القنبيطور ، غير أنه أسرع باخمادها بكل عنف وقسوة [٢] . وهذا يفسر استدعاء القنبيطور لأشراف المدينة الى قصره حيث أذن لبعضهم ممن أظهروا ولاءهم له بالبقاء فى بلنسية فى نفس منازلهم ، على ألا يملك أى منهم أكثر من بغلة وخادم ، ولا يحملوا سلاحا ، ولا يحتفظوا به فى منازلهم الا عند الضرورة وباذن منه ، أما بقية أهالى المدينة فقد أمرهم بمغادرتها ، والنزول بربض الكدية حيث كان يعيش من قبل ، وأذن لهم بأن يقيموا ما شاؤا من مساجد فى بلنسية والكدية ، وأن يعيشوا فى هذا الربض أحرارا فى دينهم آمنين على أرواحهم ، لهم قضاتهم ، ويختار هو لهم وزيرا يستنيبه فى أمورهم ، ويمتلكون مزارعهم بشرط أن يلتزموا بدفع العشر مما تغله ، كما اشتراط على من يقيم بالكدية أن يخضع لقوانينه وأن يتداول عملته الخاصه . أما من يرفض هذه الشروط ورغب فى الرحيل فقد تمنى لهم حظاً سعيدا ، وأذن لهم بمغادرة بلنسية بأشخاصهم فحسب دون أن يحملوا معهم متاعا ولا مالا [٣] .

وهكذا رسم القنبيطور فى خطابه السياسة الجديدة التى شرع فى انتهاجها نحو أهل بلنسية الذين اعتبرهم مدجنين شأن أهل طليطلة بعد سقوطها فى يد الفونسو السادس ، وجاءت هذه السياسة مناقضة لجميع الاتفاقات والمواثيق التى أبرمها مع أهل المدينة الذين غلبوا على أمرهم ، ومع ذلك فقد أذعن الأهالى لطلبه وبدأوا يخرجون

---

(١) الذخيرة ، ق ٣٤ لوحة ٢٠,٠

(٢) يصعب علينا التحقق من هذه الحادثة خاصة وأن المصادر العربية لم تشر اليها ، وانما أوردها بيدال نقلا عن المصادر القشتالية . انظر .

(Pidal, op . cit . pp . 519 - 521)

(٣) Chronele, p . 184 . & Prim., Cron ., gen., pp. 591 - 592 .

بنسائهم وأطفالهم الى ربض الكدية ، عدا نفر حظوا برضاه فأبقاهم ببلنسية . وبينما كانت وفود أهل بلنسية ينزحون عنها الى الكدية ، كان يتدفق على المدينة أتباع القنبيطور الذين كانوا ينزلون بالكدية ، فأخذوا يحتلون الدور الخالية [1] ، وهذا ما عرف في الاصطلاح الاسباني بحركة اعادة التوزيع (El Repartimiento) .

وبعد أن اطمأن القنبيطور الى احلال سكان المدينة بسكانها الجدد من أتباعه ، أقدم على تحويل المسجد الجامع الى كنيسة كبرى في سنة ١٠٩٦ م (٤٩٠ هـ) مخالفا بذلك كل العهود والاتفاقيات ، وهو بذلك ايضا يقلد سيده الملك ألفونسو السادس ، عندما استولى على طليطلة ، وحول مسجدها الجامع الى كنيسة . وقد اتفق القنبيطور على تأثيث تلك الكنيسة أموالا ضخمة ، واستدعى من فرنسا أسقفا كلونيا يدعى دون خير ونيمو (Don Jeronimo) أقامة أسقفا لبلنسية ، وما أن تحقق له كل ذلك حتى أعلن أنه تابع للملك قشتالة ، وأن بلنسية تعتبر من أملاك سيده الملك ألفونسو السادس [2] .

ز ـ الاشتباكات مع المرابطين في بيرين وكنشرة :

تشير المصادر المسيحية الى محاولة مرابطية أخرى لتحرير بلنسية من سيطرة القنبيطور ، فتذكر أن القائد ابن عائشة خرج متجها الى بلنسية على رأس جيش عدته ثلاثون ألفا ، وأن القنبيطور عندما بلغه ذلك استنجد بحليفه بدرو الأول ملك أرغون ، فقد لمساعدته ، وخرجت قواتهما للقاء المرابطين ، وعندئذ قرر ابن عائشة الانحساب الى شاطبة لتنظيم صفوفه ، حيث عسكر قواته عند بلدة صغيرة تسمى بيرين Bairen (قرب جانديا Gandia وتقع جنوب بلنسية) في الوقت الذى كان فيه القنبيطور يشحذهم جنده ، ويستثير حماستهم ، ثم اشتبك الجانبان في معركة عنيفة وذلك في يناير سنة ١٠٩٧ م (٤٩١ هـ) وحمل السيد وحليفه ملك أرغون

---

(١) Chroniole, p . 184 . & Pidal, op . cit. p . 521 .

(٢) Chroniole of the Cid, p . 185 . & M. Pidal , La Espana del Cid, V.I. p . 522 .

على المرابطين ، فشتت شملهم ، وغنم معسكرهم ، وانتهت المعركة بانتصار القنبيطور الذى قفل عائدا الى بلنسية [1] .

ولعل تلك الانتصارات التى أحرزها القنبيطور على المرابطين رفعت من شأنه ، ومكنت من نفوذه ، وبث الخوف والرعب فى نفوس سكان شرق الأندلس ، وقد اشار ابن بسام الى ذلك بقوله : وغلظ أمر ذلك الطاغية حتى قدح التهايم والنجود ، وأخاف القريب والبعيد ، بلغنى أنه كان يقول وقد طما طمعه ، ولج بـه جشعه : « على لذريق فتحت الأندلس ، ولذريق يستنقذها » [2] .

وفى ذلك الوقت كانت القوات المرابطية قد أتمت استعدادها لخوض المعارك الفاصلة ضد النصارى ، فقد اشتبك القائد المرابطى محمد بن الحاج مع قوات ألفونسو فى معركة حدثت قرب قنسوجرة فى سنة ٤٩١ (اغسطس ١٠٩٧ م) ويسميها ابن الكردبوس كنشرة من أعمال طليطلة ، وانتصر ابن الحاج على تلك القوات النصرانيـة انتصارا حاسمـا ، وقتل فيها دييجو (Diego) الابن الوحيد للقنبيطور ، ويشير ابن الكردبوس الى تلك المعركة فيقول : « وقدم (أى أمير المسلمين) عليهم قائده محمد بن الحاج ، فالتقوا بكنشرة ، فكانت بينهم جولات وحملات الى أن زلزل الله أقدام المشركين ، وولوا مدبرين ، فالتحفتهم السيوف ،

---

(١) انظر . مؤنس ، نفسه ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

Mirand, Las Iuchas del Cid, p . 96 . & Pidal, op . cit . pp 530 - 533 .

ويعتقد د . حسن أحمد محمود أن الحروب التى نشبت بين السيد والمرابطين كانت مجرد مناوشات ، فالمرابطون كانوا يستعدون ويطيلون الاستعداد لأنهم كانوا يعرفون أن هذه المعارك ستقرر مصير شرق الأندلس كله ، بل مصير معركة الجهاد فى الأندلس بأسرها ، كما أن السيد نفسه كان يخشى أن يشتبك فى صراع سافر مع المرابطين ، فيصيبه ما أصاب ألفونسو ، فتسقط هيبته ، ويضيف بأنه يكفى المرابطين فخرا أنهم استطاعوا طوال هذه السنوات السبع التى حكم فيها القنبيطور بلنسية استطاعوا أن يحدوا من نشاطه وأن يحتفظوا بقواعدهم فى المرية ومرسية وأن يشغلوا عدوهم بهذه المناوشات المتصلة . انظر . (قيام دولة المرابطين ، ص ٣١٧) .

(٢) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩ ظ .

واختطفتهم الحتوف ، وآب المسلمون الى قرطبة سالمين ظافرين غانمين [1] .

وكان لمصرع ديجو أثر عميق فى نفس أبيه القنبيطور ، خارت له قواه وانهارت عزائمه ، وسقط فريسة للمرض [2] .

وفى تلك الأوراء زنفذ يوسف بن تاشفين قوة مرابطية بقيادة ابن عائشة الى قونكة حيث اشتبك مع قوة قشتالية بقيادة البرهانس الذى انهزم أمام المسلمين ، وتمكن ابن عائشة من تشتيت شمل القشتاليين واستئصال محلتهم [3] ،

ولم يلبث ابن عائشة أن اخترق أراضى المرة بلنسية حتى وصل الى شقر حيث اشتبك مع فرقة نصرانية من جيش القنبيطور ، فأبادها تقريبا ، ولم ينج من هذه القوة الا عدد قليل ، تمكن من الفرار الى بلنسية [4] . وللرد على ذلك خرج القنبيطور بفرقة من جيشه الى حصن المنارة فاستولى عليه (سنة ٤٩١ هـ/ أواخر ١٠٩٧م) ، وشدد الحصار حول مربيطر ، الى أن تمكن من الاستيلاء عليها [5] .

ثم اشتد المرض بالقنبيطور ، حزنا على فقد ولده الوحيد وبسبب ارهاقه الشديد ، نتيجة للحروب المتواصلة التى خاضها ضد المرابطين ، ولم يلبث أن توفى يوم

---

(١) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ١٠٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد السادس ، ص ٣٨٥ .
وراجع عن معركة قنسوجرة : مؤنس ، نفسه ، ص٧٧ . عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ص٧٣٤ .
وأيضا
Miranda, Las Iuchas del Cid . pp . 92 - 93 . & Pidal, op . Cit . pp. 534 - 536 .

(٢) Miranda , Las Inchas del cid , p . 904 .

(٣) ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ١٠٨ . مؤنس ، نفسه ، ص ٧٧ .
M . Pidal , op . cit . V.I . P . 537 .

(٤) ابن الكردبوس ، نفسة ، ص ١٠٨ . مؤنس ، نفسه ، ص ٧٧ . عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٣٧ .
Pidal , Ibid , p . 537 .

(٥) Pidal , Ibid , pp . 539 - 541 .
ويذكر إويثى ميراندا أن التاريخ الرودريجى (Historia Roderlei) هو المصدر الوحيد الذى أشار الى هذا النشاط الحربى للسيد واستيلائه على المنارة ومربيطر ، ويتشكك فى مدى صحة هذه الحادثة . انظر.
(Mirand, Las Iuchas , p . 98) .

الأحـد ١٠ يوليو سنة ١٠٩٩ م (٤٩٢ هـ) [1] بعد خمس سنوات حكم خلالها بلنسية ، قضاها فى صراع مستمر مع المرابطين ، لم تنكس له فيـه راية . وعلى الرغم مما وصم بـه القنبيطور من الغدر والنكث وسـفك الدمـاء فقد امتدح ابن بسام شجاعته في الحـروب فيقول : « وكان هذا البائقة أوحد وقته في درب شهامتـه ، واجتماع حزامته ، وتناهى صرامته ، آية من آيات الله ، الى أن رماه الله سريعا بحتفه ، وأماته ببلنسية حتف أنفه ، وكان ـ لعنه الله ـ منصور العلم ، مظفرا على طوائف العجم » [2] .

جـ ـ عودة بلنسية الى دولة الاسلام :

بعد وفاة القنبيطور خلفته فى الحكم زوجته دونيا خيمينا (Dona Jimena) التى ظلت تدافع عن بلنسية أمام هجمات المرابطين نحوا من ثلاثة أعوام ، فى الوقت الذى كان ألفونسو السادس يقف مكتوف اليدين رغم كونها تابعه له [3] .

ولم يمض عامان على وفاة القنبيطور حتى وصل الأمير مزدلى [4] المرابطى الى بلنسية على رأس جيش كثيف فى سنة ٤٩٤ هـ (نوفمبر ١١٠٠ م) وشدد عليها الحصار [5] ، وظل يحاصرهـا مدة سبعة أشهر ، أرسلت خيمينا خلالها تستنجد بالملك ألفونسو السادس ، الذى أمدهـا بقوة قشتالـية لتتمكن من الدفاع عن بلنسية ، وأرغمت مزدلى على رفع الحصار والانسحاب جنوب المدينـة حيث عسكر عند بلـدة

---

(١) M. Pidal, op . cit . V. II . p . 577 .

(٢) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩ ظ .

(٣) H. Miranda , Hist., mus., de Valencia, t. II. p . 164 .

(٤) هو الأمير أبو محمد مزدلى بن تيولتكان (أو سلنكان) بن حمتى بن محمد بن ترقوت بن ورياطن بن منصور بن نصاله بن أميه بن وابانن الصنهاجي اللمتونى ، وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف وأحد كبار قواده ، توفى سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م . انظر . (ابن الخطيب ، الاحاطة ، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ . نظم الجمان ، تحقيق د . مكى ، حاشية ١ ص ١٩) .

(٥) ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ١٠٩ .

قليره (Cullera) وقد دارت مناوشات غير مجدية بين الجانبين لم تسفر عن شيء ، ولكنها دفعت ألفونسو الى الانسحاب الى بلاده تجنبا لحرب استنزاف طويلة الأمد قد تطيح بعرشه ، وقبل أن يقفل عائدا نصح خيمينا باخلاء المدينة [1] . ولم يلبث ألفونسو أن عاد الى قشتالة فى مارس ١١٠٢ م (٤٩٥ هـ) فى حين استجابت خيمينا لنصيحته ، فقام أتباعها باخلاء بلنسية بعد أن عاثوا فيها تخريبا وتدميرا[2] .

وفى ٤ مايو سنة ١١٠٢ م (٤٩٥ هـ) خرجت خيمينا وفرسانها من بلنسية ، وقد حملوا معهم رفات القنبيطور لتدفن فى دير سان بدرو دى كاردينيا (San Pedro de Cardeña) القائم على مقربة من مدينة برغش حاضرة مملكة قشتالة [3] .

وبجلاء خيمينا وأتباعها القشتاليين انفسح المجال أمام قوات المرابطين بقيادة مزدلى لدخول بلنسية ، وتم ذلك فى الخامس من شهر مايو ١١٠٢ م (شعبان سنة ٤٩٥ هـ) [4] وعادت بلنسية بذلك من جديد الى حظيرة الاسلام .

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٤١ .

(٢) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٤١ . ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ١١٠ .
Miranda. Hist. mus., de Valencia, t. III. p. 7.

(٣) مؤنس ، نفسه ، ص ٧٧ . وانظر
M. Pidal, La España del Cid, V. II. p. 581.

(٤) اختلفت الرواية الاسلامية فى تحديد تاريخ سقوط بلنسية فى أيدى المرابطين ، فابن بسام يحدد ذلك بشهر رمضان سنة ٤٩٥ هـ (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٠٦ر) بينما يذكر ابن عذارى أن ذلك حدث فى شهر رجب سنة ٤٩٥ هـ (البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤١ ، ١٤٨) ويوافقه على ذلك ابن الخطيب الذى يحدد استرداد بلنسية بمنتصف رجب (الاحاطة ، المجلد الثالث ، ص ٢٧٤) ويرى الاستاذ عنان أن ٥ مايو سنة ١١٠٢ م وهو التاريخ الذى تحدده الرواية المسيحية يوافق شهر شعبان سنة ٤٩٥ هـ ، وأرجح هذا الرأى (عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٣٨ هامش رقم ١) .
راجع أيضا
R. Dozy, Rech., II. pp. LXXI - LXXII. &
M. Pidal, op. cit. V. II. p. 581.

وعلى أية حال كان لدخول المرابطين بلنسية [1] ، واعادتها الى فلك الاسلام أعظم الأثر في سير معركة الجهاد في شرق الأندلس ، فقد اقترن ذلك بغياب القنبيطور الذى توفى قبل ذلك بعامين ، وانهارت بوفاته الجبهة النصرانية في شرق الأندلس ، كما أن القوات المرابطية لم تتوقف عند هذا الحد ، اذا أخذت تتوغل في مملكة بلنسية فاستولت على مربيطر والمنارة والسهلة وغيرها من القلاع والمدن . الحصينة المنتشرة في هذا الاقليم ، كما تمخض هذا التوسع عن حماية ظهر مملكة سرقسطة ، وتوثيق الصلات بينها وبين المرابطين لمواجهة تيار الاسترداد المسيحى الأسبانى الذى كان يتهدد الجزيرة من الشمال الشرقى . وبتعاون بني هود والمرابطين على الجهاد يمكننا القول ان المربطين قد استكملوا الجهاد في شرق الأندلس [2] .

---

(1) فى استرداد بلنسية وعودتها للاسلام يقول شاعرها ابن خفاجة :

وأقشع الكفر قسرا عن بلنسية ... فانجاب عنها حجاب كان منسدلا

وطهر السيف منها بلدة جنبا ... لم يجزها غير ماء السيف مغتسلا

كأنني بلعوج الروم سادرة ... وقد تضعضع ركن الكفر فاستفلا

انظر . (ديوان ابن خفاجة ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

وقد أورد ابن بسام نص بعث به ابن طاهر الى أحد أصدقائه يصف له بلنسية عند استرداد المرابطين لها فيقول : « كتبت منتصف الشهر المبارك ، وقد وافى بدخول بلنسية جبرها الله بالفتح بعد مآخرمرها القبيح ، فاضرم أكثرها نارا وتركها آية للسائلين واعتبارا ، وتغشاها سوادا ، كما لبست به حدادا .. فالحمد لله مالك الملك مطهرها من الشرك ، وفي عودتها الى الاسلام عز وعزاء عما نفذ به قدر وقضاء » . انظر . (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٢٠ و) .

(2) انظر . حسن محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣١٨ ـ ٣٢٠ . سالم ، المغرب الكبير ، ص ٧٣٤ .

الباب الثاني

أهم المظاهر الحضارية

الفصل الأول

« المراكز العمرانية فى بلنسية الاسلامية »

(١) تطور العمران فى بلنسية الاسلامية :

أ ـ التخطيط العام لبلنسية الاسلامية .

ب ـ أهم الأحياء والأرباض .

(٢) المركز الدينى (المسجد الجامع ـ المساجد الثانوية) .

(٣) المركز الاجتماعى (القصور والدور ـ الحمامات ـ الشوارع والرحبات القنطرة والجسر والرملة ـ المنيات ـ المقابر) .

(٤) المركز الاقتصادى (القيسارية والأسواق ـ الفنادق) .

(١) التطور العمراني لبلنسية الاسلامية

أ ـ التخطيط العام لبلنسية الاسلامية :

مما لاشك فيه أن المظهر العمراني العام للمدن التي خضعت لسلطان الاسلام يتشابه اجمالا ، فالمظهر العمراني الذي يتمثل في النظام التخطيطي لهذا المدن شرقية كانت أم مغربية ، وفي توزيع مراكزها العمرانية ، وفي ضيق شواورعها وتعرجها وتشعب طرقاتها وفي أبنيتها عامة يكاد يكون واحدا ، ويرجع العامل الرئيسي لهذا التشابه الواضح في السمات الهامة للعمران المدني الى الآثار المترتبة على حرص المسلمين على اقامة مساجد جامعة في جميع المدن التي دخلت في فلك الاسلام ، ومن المعروف أن المسجد الجامع كان دائما الأساس الذي يقوم عليه التنظيم العمراني للمدينة الاسلامية والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية [١] وهو لذلك يتحكم في تخطيطها وفي توزيع المراكز العمرانية بها ، وأهم الطرق المودية الى ظواهر المدن وفي إسباغ السمة الاسلامية على جميع المؤسسات والمنشآت فان من المعترف به أن النظام المعماري للمسجد الجامع أثر تأثيرا مباشرا على النظم المعمارية للأبنية الأخرى الدينية والمدنية ، وكلها تأثرت بتخطيط الجامع من حيث وجود الصحن المركزي والايوانات التي تحيط به ، ولا يختلف في ذلك تخطيط الدار والقصر عن تخطيط الفندق والمارستان .

والمدن الاسلامية تتألف عادة من بؤرتين رئيسيتين : الأولى البؤرة المركزية وتعرف بالمدينة ، وفيها يقوم المسجد الجامع وقصر الإمارة أو الخلافة كما يتركز فيها الأسواق والقيساريات والفنادق (الخانات) والحمامات ومختلف أنواع المنشآت المدينة ويحوطها سور حصين مزود بالأبراج وتنفتح فيه أبواب ، والثانية الأرباض أو الضواحي وهي مراكز عمرانية تنشأ خارج الأسوار وتضم المراكز العمرانية المحدثة خارج نطاق

(١) أنظر : السيد عبد العزيز سالم ، التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى ، مجلة المجلة ، العدد ٩ سبتمبر ١٩٥٧ ، ص ٥٤ .

المدينة بأسواقها ومساجدها وحماماتها ومرافقها الخاصة [1] ، وكثيرا ما كان يطوقها سور مانع يحميها ويدفع عنها الغارات . ومن الجدير بالذكر أن المدينة والأرباض كانت تضم أحياء داخلية كانت تعرف في المشرق بالخطط وفي المغرب والأندلس بالحومات .

ولا تزال معلوماتنا عن تخطيط مدينة بلنسية وعمرانها في واقع الأمر قاصرة ، فلم تصلنا في المصادر العربية سوى مجرد اشارات موجزة ومبعثرة هنا وهناك في بطون المصادر الأدبية والجغرافية وكتب التراجم عن أسماء أحياء ومساجد وشوارع وأبواب وأسوار وأرباض ، ومعظم هذه الاشارات لا يحمل تاريخا محددا يعيننا على تتبع التوسع العمراني الذى تعرضت له بلنسية الاسلامية في عصر الدولة الأموية وعصر دويلات الطوائف ، كما أن المراجع الحديثة لم تشر الى هـذا الموضوع الا على نحو مبتسر للغاية ، وربما يرجع ذلك الى قلة الاثار المتبقية من بلنسية الاسلامية ، وغلبة الطابع الأوربى الحديث على المدينة .

وقد سبقت الاشارة إلى أن الموقع الرائع الذى تشغله مدينة بلنسية في منطقة سهلة ساعد على أن تتبوأ مركز اداريا هاما لكورة واسعة شكلت في عصر الطوائف مملكة مستقلة تمتعت بالاستقرار والازدهار ، فانتجعها كل من رام الحياة الآمنة في عهد احتدمت فيه الفتن والاضطرابات ، وارتحل اليها التجار والصناع والعلماء من سائر مدن الأندلس التى طحنتها الفتنة ينشدون الأمان والسلام ، فانتعشت الحياة الاقتصادية في بلنسية ورخت نواحيها ، وكان لذلك أعظم الأثر في الاتساع العمراني الذى أصابته بلنسية في عصر الطوائف ، ويشير العذرى الذى زار بلنسية في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) الى انفساح خطتها واتساع مرافقها مع ما كانت تتمتع به من المنعة والحصانة [2] ، وهذا الوصف يدعونا الى تصور ما كانت عليه المدينة من ازدهار عمراني أدى بالضرورة الى اتساع نطاقها خارج المدينة وقيام أرباض

---

(١) L. Torres Balbas, Ciudades hispano - musulmanas, t. I. pp. 9 - 10 .

(٢) أنظر : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار ، ص ١٧ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ .

فيما حولها لاسيما من جهتها الشمالية على ضفاف نهرها (الوادى الأبيض) ومن الجهة القبلية .

ولاشك فى أن جامع بلنسية كان يتوسط المركز الرئيسى للمدينة ، ويمثل القلب النابض بحياتها الذى يهبها النشاط والحركة ، والى جواره كان يرتفع قصر الامارة ، وحول ساحتهما كانت تتشعب الطرق والشوراع والدروب المؤدية الى حوماتها وأرباضها الهامة [١] كربض الكدية وربض ابن عبد العزيز (بيانوبيا Villanueva) وربض الرصافة ، وكان يدور بالمدينة سور منيع من انشاء مبارك ومظفر حماها من طمع الطامعين [٢] ، ذكر الحميرى أنه أقيم من الحجر والطوابى [٣] ، وأشاد العذرى بمناعته وحصانته [٤] . وقد أثبتت الحوادث مناعة هذا السور ، فعندما حاول القنبيطور اقتحامه من جهة باب الحنش ، أخفق فى ذلك ولم يوفق فى هجومه . وكان يدور حول السور حفير يعوق الغزاة المهاجمين عن الاقتراب من السور [٥] . وينفتح فى هذا السور عدد من الأبواب تربط بين المدينة وظاهرها نذكر منها باب الشريعة فى السور الشرقى [٦] ،

---

(١) أنظر : عبد العزيز سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) يقول ابن بسام بهذا الصدد : « بنيا بلنسية وسدا عوراتها بسور أحاط بمدينتها تحت أبواب حصينة ، فارتفع عنها الطمع » (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٣ ظ) وقد أعاد المنصور عبد العزيز تحصين هذا السور ودعمه واتقان بنيانه . (العذرى ، نفسه ، ص ١٧) .

(٣) صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ ، والطوابى مادة من التراب والرمل . أنظر (عبد العزيز سالم ، دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ، العدد ٦١ سنة ١٩٥٩ ، ص ٦٠) .

(٤) يقول العذرى فى ذلك : « ولا يعلم ببلاد الأندلس أتقن بناء من سورها ولا أجمل منه » .
أنظر (نصوص عن الأندلس ، ص ١٧ ـ ١٨) .

(٥) ذكر ابن عذارى أن رجلا من أتباع القنبيطور سقط فى هذا الحفير أثناء الحصار الذى فرضه القنبيطور على بلنسية فقتله المسلمون . (البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٩) .

(٦) ذكر العذرى ستة زبواب فقط للمدينة ، ولم يشر الى باب الشريعة ، والظاهر أن هذا الباب فتح فى السور فى فترة لاحقة لوفاته (سنة ٤٧٨ هـ) ، وقد يكون هذا الباب أقل أهمية من الأبواب الأخرى لانفتاحه على الشريعة أو المصلى مباشرة دون أن تكون له أهمية كبيرة فى الدفاع أو المواصلات والتجارة . هذا وقد ورد ذكر الشريعة (المصلى) ببلنسية فى المصادر المسيحية سنة =

وباب ابن صخر فى السور الشمالى الشرقى [1] ، وباب بيطالة فى السور القبلى [2] ،

= ١٠٨٧ م / ٤٨٠ هـ عند الاشارة الى وصول الحاجب المنذر بن هود الى موضع من بلنسية يسمى المصلى أو الشريعة (Axerea) ، كذلك تشير وثائق تقسيم بلنسية الى وجود باب بها يعرف أحيانا باسم الشريعة (Laxarea) وأحيانا أخرى باسم المصلى (La Mussalla) وتضيف تلك المصادر بأنه عندما استولى خايمى الأول على المدينة كان يوجد بها أيضا باب وحومة يحملان نفس الاسم وكان لهذه الحومة شارع كبير يحمل اسم الشريعة كذلك . والمرجح أن هذا الباب لم يكن الهدف منه المرور أو الاستخدامات التجارية لأن وظيفته الرئيسية كانت الوصول الى المصلى أو الشريعة المجاورة . وجدير بالذكر أن باب الشريعة لم يتعرض لأى هجوم من جانب القنبيطور خلال حصاره للمدينة ، نظر لقربه من باب ابن صخر الذى يقع به برج يحمى تلك المنطقة . ولا يزال اسم الشريعة موجودا ببلنسية حتى الآن ويتمثل فى شارع يحمل نفس الاسم . (Calle de La xerea) ويمتد حاليا بين شارع الاجتماع (Calle de congregacíon) وبوابة المعبد المسماه الآن (Puerta del Templo) .

أنظر (ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٨٦

T . Balbas, op. cit. p. 223 . & H. Miranda, Hist, Mus, ele Valencia, t. I. pp. 23 - 25 .

(١) يبدو أنه كان بابا صغيرا وضيقا ، كما نرجح أن أهميته اقتصرت على الجانب الدفاعى البحت ، فقد أقيم على مدخله برج حصين مهمته الدفاع عن المدينة من هذه الجبهة ، ولهذا تجنب الغزاة مهاجمته سواء عند حصار القنبيطور أو خايمى الأول للمدينة .

أنظر : T. Balbas, op. cit. t. ii. p. 631 & Miranda, op. cit. pp. 25 - 26.

(٢) كانت لهذا الباب أهمية اقتصادية كبيرة ، فهو يؤدى الى غرب الأندلس ودانية وشاطبة وشقر (العذرى ، نفسه ، ص ١٨ ، سالم ، دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ، ص ٦٠) .

ويرى الباحث الأسبانى خوليان ريبيرا (Julian Ribera) بأن كلمة بيطالة تتكون من كلمتين هما بيت الله (Bayt Allah) ويعتقد أنه كان يقوم بالقرب من هذا الباب مسجد تحولت بعد ذلك الى كنيسة سميت باسم سان خوان (San Juan) ، وهناك من يرى بأن كلمة بيطالة (Boatella) إنما هى كلمة لاتينية . فى الأصل أخذها العرب عن الرومان وتعنى السوق ، ذلك لأنه كان يقام قرب هذا الباب سوق أسبوعية . (بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٦٢ . وأيضا P. Ibárs, Valencia arab, V. I. pp. 89 & N. 2. p. 90) .

وكان يقع قرب باب بيطالة شارع يطل عليه يسمى شارع بنى واجب (يطلق عليه الآن اسم سان =

وباب الحنش فى السور الغربى (١) ، وباب القنطرة فى السور الشمالى الغربى (٢) ، وباب الوراق (باب ابن الفرج) فى السور الشمالى (٣) ، وكانت تحوط بلنسية منازه ومنيات كان يقصدها أهل المدينة للفرجة والمتعة أضفت عليها من البهجة ما جعل بلنسية فى النصوص الجغرافية من أجمل مدن شرق الأندلس .

= بيشنتى Sanvicente) ، وقد أشار أحد الباحثين الى أنه كان يقع قرب هذا الباب برج برانى لحمايته ، أنشىء فيما يبدو فى عصر الموحدين أو بعد سقوط المدينة نهائيا فى أيدى النصارى (سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) . أنظر (عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور فى الأندلس ، مجلة المجلة العدد ١٠ أكتوبر ١٩٥٧ ، ص ١٤٠ وأيضا

Balbas, op. cit. t. II. p. 586.

والظاهر أن باب بيطالة لم يكن كافيا لتمكين الأهالى الاتصال بغرب الأندلس أو المدن الساحلية التى أشرنا اليها على السواء ولذلك انفتح فى هذا الجانب من السور باب آخر يسمى باب القيسارية ، وكان يقع قريبا من باب بيطالة ، ورد ذكره مع باب بيطالة فى تقسيم بلنسية . أنظر (العذرى ، نفسه ، ص ١٨ وأيضا

H. Miranda, op. cit. t. I. pp. 29 - 30.

(١) هاجم القنبيطور هذا الباب أثناء حصاره للمدينة ولكنه أخفق فى اقتحامه لمناعته وتحصينه كما سبقت الاشارة ، ويطلق على هذا الباب فى التقسيم اسم (Babal Haix) ، ومن المحتمل أن يكون اسم الحنش قد ألحق بتسمية هذا الباب نسبة الى نقش لثعبان كان يزين واجهته . أنظر (العذرى ، نفسه ، ص ١٨ ، بروفنسال ، نفسه ، ص ٦١ ـ ٦٢ ، سالم تاريخ مدينة المرية ، ص ١٢٥ ، وأيضا T. Balbas, op. cit. t. II. p. 650. & Miranda, op. cit. p . 29.

(٢) يقع الى الغرب من باب الوراق ، ومنه يخرج المسافرون الى طليطلة وسرقسطة وطرطوشة ، ومن وظائف هذا الباب تسهيل الاتصال بين المدينة وربضها الشمالى المسمى بالكدية . ويطل هذا الباب على قنطرة من الحجر عرفت بالجسر بناها المنصور عبد العزيز واليها نسب الباب . وتشير المدونة العامة الأولى (Primera Cronica general) الى أن القاضى ابن جحاف كان يخرج من باب القنطرة لمقابلة السيد القنبيطور بمنية ابن عبد العزيز الواقعة فى ظاهر المدينة خارج هذا الباب . أنظر (العذرى ، نفسه ، ص ١٨ ، سالم ، دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ، ص ٦٠ ، وأيضا : Prim, cron. gen. p. 570. & T. Balbas, op. cit. I. II. p. 650) .

(٣) سمى أيضا بباب الفرج وكان يطل على قنطرة من الخشب تؤدى الى الربض (ربض ابن عبد العزيز) أنظر (العذرى ، نفسه ، ص ١٨ ، سالم ، نفسه ، ص ٦٠) .

ب ـ أهم الأحياء والأرباض :

ضمت بلنسية عددا من الأحياء وتعرف في اصطلاح أهل الأندلس بالحومات ، وهي مراكز عمرانية تدخل في نطاق أسوار المدينة أهمها حي القاضي ابن جحاف الذي ورد ذكره في كتاب اعادة توزيع (تقسيم) بلنسية (El Reparti- miento) باسم (Avingahaf) وكان يمتد في نواحي المسجد الجامع (الكاتدرائية حاليا) وكان بهذة الحومة عدد من المساجد من بينها مسجد تحول بعد سقوط بلنسية نهائيا في أيدي الأرغونيين (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) الى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديسة كاتالينا (Santa Cataina) [١] ، ومن أحياء المدينة أيضا حي اليهود (بالأسبانية La Judería) فقد كان اليهود يمارسون في بلنسية نشاطا اقتصاديا واسع النطاق ، وكان مجتمعهم فيها منفصلا عن مجتمع المسلمين على النحو الشائع في مدن الأندلس ، فقد اتسمت أحياء اليهود في مدن الأندلس عامة بالعزلة ، وكان للحي مدخل واحد أو بعض المداخل ، وكان التخطيط العام لتلك الأحياء يتشابه الى حد كبير مع بقية أحياء المدينة سواء في الزنقات والأزقة الضيقة المتعرجة النافذة وغير النافذة أو في الدروب والحارات التي تغلق أبوابها ليلا ويتولى حمايتها أثناء الليل درابون متخصصون في الحراسة ، كما وجد بكل حي يهودي حمام عام أو أكثر على نفس ما كان شائعا في الأحياء الأخرى [٢] . وكان حي اليهود في بلنسية يقع بعيدا نسبيا عن مركز المدينة فهو يشغل المنطقة الواقعة الى الشرق من رحبة القاضي ، ويمتد جنوبي باب الشريعة ، وتشير المصادر المسيحية الى أنه كان قائما طوال العصر الاسلامي وأن اسمه تغير بعد سقوط بلنسية في أيدي الأرغونيين الى حي القديس توماس (Santo Tomas) نسبة الى الكنيسة التي أقيمت فيه وتحمل هذا الاسم ، ورغم هذا فقد استمر حي اليهود في بلنسية محافظا على

---

(١) أنظر سالم ، دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ، ص ٦٠ ، وأيضا :

T. Balbas, op. cit. t. I. p. 192 & H. Miranda, Historia musulmana de Valencia, t. I. p. 35.

(٢) L. Torres Balbas, op. cit. t. I. pp. 209 - 210 . & H. Miranda, op. cit. t. I. p. 35 .

نفس مميزاته القديمة فيما يتعلق بمنشآته المدنية التى تخضع لنفس خصائص منشآت العصور الوسطى لاسيما فى المنطقة المحيطة حاليا بشارع البحر (Calledel Mar) [١] .

ويشير الباحث الأثرى العظيم دون ليوبولد وتوريس بالباس (Torres Balbas) الى حى الشريعة أحد الأحياء الهامة فى بلنسية فى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، وكان يقع داخل الأسوار على مقربة من الباب المعروف بنفس الاسم [٢] ، كذلك ورد اسم حى آخر يعرف بحومة باب الحنش أشار اليه الشاعر البلنسى ابن الزقاق بقوله :

ليس فرقٌ فى السنَا بينهما   والبها أن طلعا فى غبشِ
غير أن الأُفْقَ معمور بنا   وبذا حومةُ بابِ الحنشِ [٣]

ويغلب على الظن أن هذه الحومة كانت تمتد على مقربة من باب الحنش الذى سبق أن أشرنا اليه .

أما فيما يختص بأرباض بلنسية فيجدر بنا أن نشير الى أن لفظ الربض (بالأسبانية Arrabal) يطلق أصلا على الأحياء المتطرفة أو على كل حى يقع بعيدا عن المركز تجاوزا وكان فى الأصل ربضا خارج الأسوار ولكنه لم يلبث أن عد حومة بعد أن توسع النطاق العمرانى للمدينة ولكنه احتفظ بتسميته القديمة كربض ، مثال ذلك ربض ابن عطوش الواقع بداخل بلنسية [٤] ، ويمكن تعليل تسميته ربضا مع وقوعه داخل المدينة بأن هذا الربض كان يقع فى البداية خارج السور ولكنه اعتبر حومة بعد أن اتسع العمران فيها وخاصة خارج السور ، وأصبح بمرور الزمن يعتبر حيا من الأحياء الداخلية .

---

(١) T. Bablas. Ibid, p. 213. & Miranda, idem .

(٢) T. Balbas. Ibid, p. 191.

(٣) أنظر : ديوان ابن الزقاق البلنسى ، ص ١٩٥ .

(٤) ابن الأبار ، التكملة ، جـ ٢ ، ص ٩٣٥ ، ترجمة رقم ٢١٧٦ ، أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢١١ .

وأهم أرباض بلنسية الواقعة خارج السور :

١ ـ ربض الكدية [1] (Alcudia) :

والكدية كلمة عربية تعنى الأرض المرتفعة أو الربوة العالية التى تشرف على ما حولها من أماكن ، ومن هنا يمكن القول بأن اسم هذا الربض مطابق لطبيعة المنطقة التى يشغلها . ويقع شمال المدينة منحرفا الى الغرب قليلا ، على الضفة اليسرى من الوادى الأبيض ، وقد سكنه المسلمون الذين غضب عليهم السيد القنبيطور عقب استيلائه على المدينة [2] .

٢ ـ ربض منية ابن عبد العزيز المعروف فى المصادر المسيحية بربض بيانوبيا (Villanueva) :

يقع هو الآخر شمالي المدينة علي الضفة اليسرى من النهر والى الشرق من ربض الكدية ، واشتهر بمنية نسبت اليه هى منية ابن عبد العزيز أو منية المنصور ، وتشتمل على قصر نزل فيه السيد قبيل دخوله بلنسية [3] .

٣ ـ ربض المصلى (الشريعة) :

وينسب الى الباب الشرقى للمدينة المعروف بباب الشريعة نسبة الى مصلى للأعياد كان قائما خارج هذا الباب ، وقد امتد العمران الى هذا الموضع تدريجيا ولم

---

(١) ذكر صاحب لسان العرب أن الكدية هى الأرض المرتفعة وقيل هو شيء صلب من الحجارة والطين ، والكدية الأرض الغليظة وقيل الأرض الصلبة . أنظر (ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون تاريخ ، ج ٢٠ ، ص ٧٩) .

(٢) عن الكدية أنظر أيضا قطعة من المقتبس ، نشر د . محمود مكى ، حاشية ٧٣ ، ص ٤٤٢ ، سالم ، دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ، ص ٦٠ ، أيضا :

Torres Balbas. op. cit. t. I. pp. 173. & 185. & M. Pidal, op. cit. V. I. p. 428.

(٣) والملاحظ أن أسماء أرباض بلنسية لم يرد لها ذكر فى مصادرنا الاسلامية ، وقد أشارت اليهما المصادر المسيحية فحسب . أنظر

يلبث أن اكتظ بالسكان وتحول الى ربض سمى بهذا الاسم [1] .

٤ ـ ربض الرصافة (La Ruzafa) :

ويقع الى الجنوب الشرقى من بلنسية ، وسمى بهذا الاسم تقليدا لرصافة قرطبة ، وقد سكنه المستعربون خاصة فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، كما نزل به البرهانس وجنده سنة ٤٨٠ هـ ، وكانت تقوم به كنيسة القديس باليريو (San Valerio) [2] .

٥ ـ ربض ريوسا (Rayosa) :

وهو ربض آخر للمستعربين ، يقع جنوبى المدينة فى مواجهة ربض الرصافة ، وكانت تقوم به كنيسة القديس بيثنتى San Vicente [3] .

ومن الملاحظ أن أرباض مدينة بلنسية كانت غير مسورة ، ولذلك سهل مهاجمتها كما تعرضت كثيرا لأعمال السلب والنهب والتخريب ، وقد تمكن القنبيطور من الاستيلاء على الأرباض الشمالية بسهولة بالغة لكونها غير مسورة [4] ، كما سبقت الاشارة .

---

(١) سالم ، دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ، ص ٦٠ ، وأيضا

Torres Balbas, op. cit, t. I. pp. 174 & 223.

(٢) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٨٦ ، وأنظر :

Menéndez Pidal, op. cit. V. I. p. 428. & Balbas, Ibid, p. 205. M. Piedal, Idem. & T. Balbas, Idem.

(٣) ونلحظ أن اسم هذا الربض ورد فى المصادر المسيحية هكذا (Reyosa) .

(٤) Torres Balbas, Ibid, p. 181.

(٢) المركز الديني

ويشتمل على المسجد الجامع ببلنسية وعدد من المساجد المقامة داخل نطاق سور المدينة ، ومن المعروف أن تشييد المساجد الجامعة في الإسلام كان أساس العمران في المدن الإسلامية ، ولهذا السبب اهتم المسلمون اهتماما كبيرا بانشاء المساجد الجامعة ، وكانت أول الأعمال الانشائية في المدينة الإسلامية أو المدن التي دخلت في فلك الاسلام ، ولهذا كان الجامع متحكم في عمران هذه المدن ، يسبغ عليها سماتها الإسلامية التي تتميز بها [١] .

وكانت المساجد الجامعة تشغل عادة قلب المدينة أو أهم مواقعها وعلى الأخص في نفس المواضع التي كانت تشغلها كنائس سابقة على الفتح الاسلامي ، وكان قصر الامارة يؤسس لصق الجامع أو على مقربة منه ، اقتداء بجامع الرسول في المدينة ، ولذلك لم تقتصر مظاهر اهتمام المسلمين بالمسجد على اتباع هذه السنة فحسب بل على جعله مركز المدينة وبؤرتها لما يتمتع به من مكانة خاصة في نفوس المسلمين [٢] .

وقد أشار ابن خلدون الى أن المساجد الجامعة تتميز بمساحتها الكبيرة التي تتسع لعدد كبير من المصلين الذين يجتمعون فيها لأداء فريضة الجمعة وغيرها من الصلوات العامة ، ويؤم المسلمين فيها الخليفة في حاضرة الدولة أو عامله ومن ينوب عنه من كبار الفقهاء في المدن الأخرى . أما المساجد العادية أو الخاصة فلا تحتاج الى رعاية الدولة لأن أصحابها أو من يجد في نفسه القدرة والكفاءة على امامة المصلين يقوم بهذه المهمة كلما احتاج الأمر [٣] .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي ، ص ٤ ، وأ... سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٤ .

(٢) محمد توفيق بليع ، المسجد في الاسلام ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، الكويت ١٩٧٩ ، ص ١٨ ، ص ٣٦ ، وأنظر :

Torres Balbas, op. cit. t. I. p. 9.

(٣) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢١٩.

(أ) المسجد الجامع بمدينة بلنسية :

أشرت سابقا الى أن المسجد الجامع كان يؤلف المركز الديني للمدينة الاسلامية وقلبها النابض بحياتها ، وأنه كان يتحكم في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كما كان مدرسة علمية تقام فيه حلقات الدروس في علوم الدين واللغة ، وكانت الأسواق تقام حول ساحته ، وتعقد فيه أيضا الاجتماعات وتوزع فيه ألوية الجيش وبنوده ، وتقرأ فيه المنشورات [1] ، ومن هذا المنطلق تتركز أهمية جامع بلنسية الذى كان يهيمن على جميع المراكز العمرانية فيها ، ويشكل القلب الذى ينبض بكل نشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية ، وللأسف لم تصلنا عن هذا الجامع أية نصوص تاريخية كالشأن في جامع قرطبة أو المرية أو اشبيلية تسلط الأضواء على نظامه التخطيطي أو حتى على موقعه في المدينة وعلى تاريخه الانشائي والزيادات التى تعرض لها ، وكل ما استطعنا التوصل اليه في المصادر العربية مجرد نصوص أسماء بعض أئمته [2] لا تغنى الباحث ولا تفيده في دراسته .

وأغلب الظن أن جامع بلنسية كان يقع في وسط المدينة على مقربة من قصر الامارة ، والظاهر أن أقيم مكان كنيسة قوطية قديمة حولها المسلمون بعد الفتح الى مسجد جامع [3] ، وربما أعيد بناؤه في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل الذى أعاد

---

(١) سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٥ ـ ٥٦ ، ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، مطبوعات كلية الآداب ، جامعة فاروق الأول ١٩٥١ ، ص ٩٧ ـ ٩٨

(٢) ورد ذكر المسجد الجامع ببلنسية مرارا بالمصادر الأندلسية وكتب التراجم . أنظر الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٤و ، ابن الأبار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٣٠ ترجمة ٧٨ ، ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الثانى ، تحقيق محمد بن شريفه ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ص ٥٣٨ ، ترجمة ٨٢٤ .

(٣) سالم ، دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ، ص ٦١ ، محمد عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، الطبعة الثانية ، نشر مؤسسة الخانجى ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٩٥ . ونلاحظ من واقع الخريطة التى رسمها بيدال للمدينة في عهد السيد أن المسجد الجامع (الكاتدرائية) كان يقع الى=

بنيان المسجد الجامع بقرطبة بالاضافة الى مساجد أخرى جامعة بالأندلس [1] .

ونستدل من سياق الأحداث التاريخية على أن المسجد الجامع ببلنسية قد تعرض لبعض أعمال التغيير والهدم بعد استيلاء القنبيطور على المدينة ، فقد تحول الى كنيسة [2] على النحو الذى حدث فى طليطلة بعد سقوطها فى أيدى الفونسو السادس ومن المؤكد أن محرابه قد تهدم بدليل أن ابن الأبار يذكر أن عبد الله بن سعيد الوجدى الذى تولى قضاء المدينة بعد استرداد المرابطين لها سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م أمر ببناء محراب جامع بلنسية فى سنة ٤٩٨ هـ ، ويضيف بأن اسمه كان منقوشا على المحراب [3] . ولكن هذا الجامع تحول نهائيا الى كنيسة كبرى عرفت باسم سانت ماريا (Santa Maria) بعد سقوط المدينة فى أيدى النصارى سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م [4] .

(ب) المساجد الثانوية :

١ ـ **مسجد البلنسى** : ينسب الى الأمير الأموى عبد الله البلنسى ابن عبد الرحمن الداخل ، ويغلب على الظن أنه أنشأه أثناء فترة حكمه للمدينة [5] .

= جوار قصر الامارة وأنهما يشغلان مركز المدينة تقريبا ، وذكر توريس بالباس أن مسجد بلنسية الجامع كان يقع بمركز المدينة وأن المكان الذى أقيم فيه كان وعر الى حد كبير . أنظر :

M. Pidal, op. cit. V. I. p. 429. & T. Balbas, op. cit. t. I. p. 175) .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٦٣ ، مؤنس ، تطور العمارة الاسلامية فى الأندلس ، حوليات كلية الآداب ، م ١ ، القاهرة مايو ١٩٥١ م ، ص ٢١٢ .

(٢) عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٩٥ ، وأيضا :

M. Pidal, op. cit . p. 428. & t. Babas, op. cit. p. 213.

(٣) التكملة ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ ترجمة رقم ٢١٤٣ .

(٤) الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ ترجمة ١٣٠ ، عنان ، نفسه ، ص ٩٥ .

(٥) ابن بشكوال ، الصلة ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ ترجمة ٧٠٧ ، التكملة ، جـ ٢ ، ص ٥٢٧ ترجمة ١٤٣٢ .

٢ ـ مسجد بني حزب الله : أسسه بنو حزب الله داخل المدينة على الأرجح فى عصر الطوائف ، وتعتبر هذه الأسرة من أشهر أسرات بلنسية المعروفة بالعلم ، وقد برز منهم عدد كبير من الفقهاء والعلماء [١] .

٣ ـ مسجد رحبة القاضي : وهو المسجد الذى صلى المسلمون فيه بعد أن استولى القنبيطور على بلنسية وحول مسجدها الجامع الى كنيسة ، وكان هذا المسجد يقع في رحبة القاضي بالقرب من مركز المدينة ، وقد تحول بعد ذلك الى كنيسة عرفت باسم سانت كاتالينا (Santa Catalina) [٢] .

٤ ـ مسجد الغرفة (مسجد ابن سرنباق) : كان يقوم بربض ابن عطوش بداخل بلنسية ، ولم تشر المصادر الى مكان هذا الربض من المدينة ، وينسب الى بنى سرنباق وهم من سراة بلنسية وذوى الثراء فيها ، ومن المرجح أن هذا المسجد كان قائما فى عصر الطوائف [٣] .

٥ ـ مسجد باب القنطرة : كان مقاما فى عصر الطوائف ، وكان يتولى الصلاة فيه الفقيه أبو عبيد الله محمد بن جعفر القرطبى نزيل بلنسية سنة ٥١٢ هـ [٤] .

٦ ـ مسجد بني واجب : بم يرد ذكر هذا المسجد فى المصادر العربية ، غير أن المستشرق بيدال (M. Pidal) يذكر ـ نقلا عن المصادر القشتالية ـ أن هذا المسجد قد أسسه بنو واجب (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) أى فى عهد القاضى ابن جحاف ، وأغلب الظن أن هذا المسجد كان يقع بشارع بنى

---

(١) التكملة ، جـ ٢ ، ص ٧٨٥ ترجمة ١٩٢٥ .

(٢) ابن الابار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ١٩٥ ترجمة ٥١٩ ، ص ٢٨٦ ترجمة ٧٧٠ ، جـ ٢ ص ٦٩٧ ترجمة رقم ١٧٧٧ ، سالم دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ص ٦٠ وأنظر

(٣) ابن الابار ، المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى ، ص ١٦٩ ترجمة رقم ١٤٧ ، المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ـ القسم الأول ، تحقيق احساس ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ترجمة ٥٣١ ، سالم ، نفسه ، ص ٦١ .

(٤) التكملة ، جـ ١ (طبعة كوديرا Codera ، مدريد ١٨٨٦ م) ص ١٨٩ ترجمة رقم ٦٥٦ .

M. Pidal, op, cit. V. I. p. 428.

واجب قرب بيطالة (جنوبي المدينة [1]) .

٧ ـ مسجد ابن عيشون : بناه عبيد الله بن عيشون (ت سنة ٥٧٣ هـ أو ٥٧٤ هـ) قرب باب القنطرة بداخل بلنسية في بداية العصر المرابطي ، وكان صاحبه من ذوى الثراء الواسع ، وبنى الى جانبه دارا لسكنى من يؤمه [2] .

٨ ـ مسجد الغلبة : لا نعرف موقعه بالتحديد ، وممن كانوا يعظون فيه الفقيه محمد ابن سفيان بن أبي اسحاق (كان حيا سنة ٥١٢ هـ) [3] .

٩ ـ مسجد الشراجب : يقع داخل بلنسية ، وممن كانوا يؤمون الصلاة فيه عبيد الله ابن خلف الأزدى (ت بعد سنة ٦٠٠ هـ) [4] .

١٠ ـ مسجد السيدة : يقع أيضا داخل المدينة ، وكان يؤم الصلاة فيه عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت سنة ٦١٩ هـ) [5] .

وعلى أية حال فالثابت أن كل هذه المساجد قد تحولت الى كنائس بعد استيلاء جايمي الأول ملك أرغون على بلنسية سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م ، ومنذ ذلك الحين بدأ الطابع الاسلامي يتلاشى من المدينة ويغلب عليها بالتالي الطابع المسيحي .

وقبل أن نترك الحديث عن المركز الديني تجدر الاشارة الى أن بلنسية كان لها كنيسة قائمة فيما نعتقد منذ الفتح الاسلامي ، ولعلها كانت مخصصة لطائفة المستعربين بدليل أن من بين المعالم التي تردد ذكرها في بلنسية معلم يقال له الكنيسة [6] ، ولا نستطيع أن نحدد الموقع الذى كانت تقوم فيه وان كنا نرجح قيامها في حومة المعاهدة في أطراف المدينة .

---

(١) وقد أشار بيدال الى أن هذا المسجد كان يقع في المنطقة الواقعة حاليا بين ميدان السيد (La Plaza del cid) وشارع سرقسطة (Call de Zara goza) .

(٢) ابن الأبار ، التكملة ، جـ ٢ ، ص ٩٣٥ رقم ٢١٧٦ ، أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢١١ .

(٣) التكملة ، جـ ١ ، ص ٤١٤ رقم ١١٧٤ .

(٤) نفس المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٩٣٩رقم ٢١٨٢ .

(٥) المراكشي ، الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، تحقيق احسان عباس ، ص ١٧٩ ترجمة رقم ٣٢٩ ، أرسلان ، نفسه ، ص ٢٢٤ ، سالم ، دائرة معارف الشعب مادة بلنسية ص ٦١ .

(٦) الحميرى ، الروض المعطار (مادة بلنسية ، أنظر رسالة أبي المطرف بن عميرة الى ابن الأبار) .

(٣) المركز الاجتماعى

١ ـ القصور والدور :

كان أمراء الأندلس من بنى أمية وخلفاؤهم ومن حذا حذوهم من ملوك الطوائف يقيمون فى قصور الامارة أو الخلافة ، وتقع عادة على مقربة من المساجد الجامعة ، وأحيانا كانوا يلتمسون لأنفسهم الراحة فى قصور خلوية يقيمونها للهو ومجالس الأنس والتنعم بالحياة فى اطار طبيعى من الرياض والبساتين والجداول بعيدا عن أنظار الرعية عرفت بالمنيات (١) .

وكان قصر الامارة فى قرطبة مجموعة ضخمة من القصور والمجالس ألحقت بها مرافق متصلة تشتمل على قاعات للحريم وللأبناء ولأفراد الحاشية ودور للصناعة وحمامات ومساجد وروضة وما الى ذلك (٢) .

وأغلب الظن أن قصر الامارة فى بلنسية كان قائما على مقربة من المسجد الجامع ونستدل على ذلك من الدراسة التى عقدها المؤرخ الأسبانى منندث بيدال ، وقد نقل عنه المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال الخريطة التى يظهر فيها القصر بازاء المسجد الجامع (الكاتدرائية) (٣) . وأول نص ورد فيه ذكر هذا القصر لابن بسام وفيه

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، القصور الاسلامية فى الأندلس ، مجلة المجلة ، العدد ١٠ أكتوبر ١٩٥٧ ، ص ٨٧ .

(٢) سالم ، القصور الاسلامية ، ص ٨٧ .

(٣) M. Pidal, La España del Cid, V. I. p. 428. Felipe Mateu, Hallazgos ceramicos en Valencia, al - Andalus, 1951, p. 166.

وأنظر خريطة بلنسية فى : Levi - provencal, Histoire, t. III. ويرى الباحث أويثس ميراندا أنه من المفروض أن يكون هذا القصر قريبا من السور الممتد بين بابى القنطرة والوراق ، ويضيف بأن الأمير المنصور عبد العزيز قد أقام فيه هو وخلفاؤه . أنظر :

H. Miranda, Hist., Mus. de Valencia, N. 3. p. 264.

يشير الى نزول الفتيين مبارك ومظفر فى قصر الامارة ، ويبدو أن قصر الامارة فى بلنسية كان من الاتساع والضخامة بحيث اشتمل على مجالس وقاعات عديدة (١) ؛ واعتقد أن هذا القصر كان قائما منذ عهد الامارة الأموية ، وقد يكون عبد الله البلنسى نزله عندما استقل بحكم بلنسية وأن كان من المؤكد فيه ايثاره لقصر الرصافة الذى كان يقوم فى الجنوب الشرقى من المدينة (٢) . ونرجح أن مباركا ومظفرا جددا قصر الامارة ببلنسية فى جملة الأعمال الانشائية التى قاما بها أثناء حكمهما لبلنسية ، فقد ذكر ابن بسام أنهما شرعا فى « بناء بلنسية وتحصينها وسد عورتها بسور أحاط بالمدينة تحت أبواب حصينة ، فارتفع الطمع عنها وأقبل الناس اليها من كل قطر بالأموال ، واستوطنها جملة من جالية قرطبة القلقة الاستقرار ، فألقوا بها عصا التسيار وأجمل عشرتهم ، فبنوا بها المنازل والقصور واتخذوا البساتين الزاهرة والرياضات الفاخرة وأجروا خلالها المياه المتدفقة ، وسلك مبارك ومظفر سبيل الملوك فى اشادة البناء والقصور (٣) » .

و نرجح أن قصر الامارة كان مسورا بسور حصين وأنه كان مزودا بأبراج ضخمة ومن المحتمل أن يكون قائما على نشز من الأرض بحيث يتيح للحامية المدافعة عنه أن تشرف من أعلى الأبراج على نواحى بلنسية ، ونستدل على ذلك من اشارة وردت فى « قصيدة سيدى (Poema de mio Cid) جاء فيها أن القنبيطور بعد استيلائه على المدينة واستقراره بالقصر ، صعد هو وزوجته وأبناؤه الى أعلى برج بالقصر لينظروا الى البساتين التى تحيط بالمدينة من كل ناحية (٤) ، وعلى هذا فإن قصر الامارة فى بلنسية يشبه نظيره باشبيلية (٥) أو غيره من قصور الامارة فى طليطلة وقصاب المرية ومالقة وغرناطة . وللأسف لم نتمكن من العثور على أى أثر لقصر الامارة البلنسى وأن

---

(١) الذخيرة : ق ٣ لوحة ٣ ظ .

(٢) سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٢١ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١١٣ .

(٣) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٣ ظ .

(٤) Torres Balbas, op. cit. t. I. p. 149 & 175 .

(٥) سالم ، قصور بنى عباد باشبيلية ، ص ٣٨ _ ٣٩ .

كنا نرجح امكانية ذلك لو أن محافظة بلنسية توافق على اجراء حفائر أثرية حول الكاتدرائية الحالية ، كما حدث فى مرسية عندما تم الكشف عن آثار القصير الكبير والصغير .

وفى عصر دويلات الطوائف أتاحت ظروف الحياة الآمنة فى بلنسية الفرصة لاجتذاب أعداد هائلة من أهل الأندلس وعلى الأخص من قرطبة الحاضرة التى عصفت بها الفتنة وطحنتها النوائب فهاجر معظم سكانها الى حيث يسود الهدوء والسلام واستقر كثير منهم فى بلنسية ، وقد اشتغل معظم هؤلاء الوافدين على بلنسية بالتجارة والصناعة فكثرت الأرزاق وازدادت الثروات ، وأقبل الموسرون من سكان بلنسية على ابتناء القصور واتخاذ آلات الترف والفخامة [١] ، واستغرقوا فى ترف حرمت منه قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس التى احتدمت فيها نيران الفتنة أو امتدت اليها لظاها ، وهكذا شهدت بلنسية فى عصر الطوائف ازدهارا عمرانيا بلغ الغاية [٢] .

ومن أمثلة القصور التى أقامها أمراء بلنسية فى زمن الطوائف قصر المنصور عبد العزيز بن أبى عامر الذى شيده فى منيته الموسومة باسمه وعرفت بمنية المنصور أو منية ابن عبد العزيز فى شمالى بلنسية فى نفس الموضع المسمى فى المصادر الأسبانية باسم بيانويبا (Villanueva) [٣] ، والقصر الذى أسسه الوزير أبو بكر بن عبد العزيز ، وقصر ابن طاهر المجاور له [٤] ، فى المنية المسماه بمنية أبى بكر وتقع على مقربة من باب الحنش [٥] .أما فيما يتعلق بدور بلنسية فى العصر موضوع الرسالة فقد زودتنا المصادر العربية بنتف لها أهميتها ويمكن أن تصور لنا ما كان عليه نظام الدار فى بلنسية

---

(١) أنظر : الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٣ ظ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور بالأندلس ، سلسلة اقرأ ، عدد ١٩ ، دار المعارف بمصر ، أكتوبر ١٩٥٨ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) Torres Balbas, op. cit. t. I. p. 150.

(٤) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٦١ ، المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، القسم ، ص ٥٩٢ ترجمة رقم ١١٦٥ .

(٥) ابن خاقان ، نفسه ، ص ٦٤ ، المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ .

الاسلامية ، من ذلك قول ابن بسام في وصف احدى الدور التي كان يملكها شخص يدعى مؤمل القشتيلي (في نسخة أخرى موط القشتيلي) من أعوان الفتيين مبارك ومظفر « بلغني أنه دخل دار رجل من أصحابها يعرف بمؤمل القشتيلي ، ووقع البصر عليها من سروها واكتمل النعمة فيها على ما لم يشاهد مثله بقصر الامارة بالحضرة العظمى قرطبة ، وأخبر المحدث أنه رأى في فرش مجلسه مطارح من صلب الفَنَك الرفيع كما تدور بسقلاطوني بغدادي ، وأنه كان يقابل ذلك المجلس شكل عودة مصنوعة من خالص اللُجَين من أغرب صنعة يحركها مآجي ، ويخترق الدار أبدع حركة الى أشياء تطابق هذا السرو من جودة الآلة والأبنية [1] » .

ويتضح لنا من هذا النص أن دور بلنسية بلغت درجة عالية من الفخامة والأبهة في عصر تنافس فيه ذوو الثراء على ابراز فخامتهم واظهار ترفهم ، فابتنوا دورا تضاهي في اتساعها وتعدد مرافقها وما تحويه من فاخر الأمتعة والرياش قصور الأمراء ، ويشير ابن بسام الى ذلك فيقول : « فمنهم من قدرت نفقته على منزله مائة ألف دينار وأقل منها وفوقها بسبب تناهيهم في سروها من نضار الخشب ورفيع العمد ونفيس المرمر مجلوبا من مظانه [2] » .

وتشير المصادر المسيحية الى بيوت عديدة أقامها بنو جحاف في حارة أو رحبة عرفت باسمهم [3] ، كذلك نجد فيها ذكرا لدور بني واجب من أعيان بلنسية ، من ذلك المدونة الخاصة بالسيد Crónica Particular del Cid) التي أشارت إلى أن فرسان القاضي ابن جحاف أقدموا على مهاجمة منازل بني واجب ، وكانت غير حصينة ، فاضطروا الى اللجوء الى منزل فقيه مجاور لهم كان محصنا بأسوار عالية [4] .

---

(١) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٤و .

(٢) نفسه لوحة ٣ ظ .

(٣) أنظر : سالم ، دائرة معارف الشعب ، مادة بلنسية ، ص ٦٠ ، وأيضا

Menendez Pidal, la España del Cid, V. I. p. 428.

(٤) Chronicle of the cid, p. 158 7 M. Pidal, op. cit. p. 469.

ويتضح لنا من اشارة مدونة السيد أن الدور ببلنسية كانت نوعين : إما عادية أى غير محصنة أو دورا =

وعلى الرغم من افتقارنا الى وصف لبنيان احدى دور بلنسية فاننا نستنتج أنها كانت تتألف عامة من عنصرين أساسيين : الصحن المركزى والقاعات المطلة عليه ، أما الصحن فكان مغروسا على نحو ما نشاهده اليوم فى دور الأثرياء بمدن أسبانيا بالأشجار والأزهار ، وكانت تتوسطه نافورة أو بئر ماء [1] . وكان مظهر واجهة الدار عادة متواضعا ، فهى عاطلة من الزخرفة ، يتناقض مظهرها مع المظهر الداخلى الدار من حيث الاغراق فى كسوة الجدران بالزخارف والتنميقات ، ذلك أن أهل الأندلس كانوا يبنون دورهم لأنفسهم كى يتمتعوا بالحياة داخلها ، كما أن حياة المرأة كانت وثيقة الصلة بداخل الدار [2] . وكان المدخل فى دور الأثرياء يفضى الى أسطوان على شكل مرفق يؤدى الى الصحن لا يتيح للسابلة رؤية من بداخل الدار وما يجرى فيها ، وكانت الواجهة الخارجية للدار تزود أحيانا فى الغرفة العليا بشمسيات بارزة عن سمت الجدار ترتكز على مساند وتطل على الطريق ، تغطيها شبكات من الخشب تتيح للمرأة رؤية المارة دون أن يراها أحد من الخارج [3] ، وقد وردت اشارة فى احدى مرثيات بلنسية بأن شرفات دورها بيضاء ، مما يدل على أنها كانت تطلى بالجير [4] ، وكانت هذه الشمسيات البارزة تسهم فى زيادة الرطوبة والحلكة فى الحارات والأزقة وتخفف من حرارة شمس الأندلس ، وبالإضافة الى هذه الشمسيات كانت تقطع الدرب أو الحارة غرف أقرب ما تكون الى الساباط تسمى الغرفة البرانية (بالأسبانية Algorfa albaranna ،

= محصنة تحيط بها أسوار عالية ، ويبدو أن تلك الدور الأخيرة قد شاع بناؤها بالأندلس خاصة عند تدهور الخلافة وقيام عصر الطوائف حيث نشبت الفتن والحروب الأهلية والمؤامرات ، ونعتقد أن أعيان بلنسية وذوو النفوذ فيها من البيوتات المعروفة هم الذين أقاموا تلك الدور المحصنة حماية لهم من أعدائهم وخصومهم .

(١) Torres Balbas, op. Cit. t. I. pp. 345 - 346 .

(٢) سالم ، العمارة المدنية بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، العدد ٦٤ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢١ .

(٣) أنظر : سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٤) الطاهر مكى ، ملحمة السيد ، ص ١٦٥ ، وأيضا
Primera Crónica general, t. II. p. 576.

وكانت تجعل من الحارات والدروب ممرات مسقوفة تحجب الضوء وتخفف من حرارة الجو [1] .

٢ ـ الحمامات :

يعتبر الحمام من المنشآت المدنية الهامة فى المركز العمرانى الاجتماعى بالمدينة الاسلامية ، وكانت كثرة الحمامات وتعددها فى المدن الاسلامية احدى الظواهر البارزة فى المجتمع الاسلامى ، وعلى هذا يمكن القول بأن دور الحمام فى الأهمية المعمارية يأتى مباشرة بعد المسجد الجامع ، فكانت للحمامات أهمية عظمى فى الحياة الاجتماعية الأندلسية باعتبار أن عادة الاستحمام كانت من العادات المتأصلة بعمق فى الاسلام ، فبالاضافة الى أن الحمام كان دائما المكان الذى يستشعر فيه المرء بهجة الحياة لأن الاستحمام يولد فى النفس احساسا بالراحة ويحدث فيها شعورا بانتعاش بدنى وروحى كان له هدف دينى اذ أنه يطهر جسد المرء مما علق به من دنس ، وهذا يفسر كثرة الحمامات بالقرب من المساجد حيث يتيسر للمسلمين الاستحمام والتطهر مباشرة قبل دخول المساجد ، وكان الحمام علاوة على ذلك كله مركزا للاجتماعات المرحة ومجالس الأنس واللهو والغناء [2] .

ويجمل الشاعر البلنسى عبد العزيز بن أحمد القيسى (ت ٤٢٧ هـ) دور الحمام فى هذه الأبيات الثلاثة :

ومنزل أقوام اذا ما اعتدوا به ... تَشَابَهَ فيه وغده ورئيسه
يخالطُ فيه المرءُ غيرَ خليطه ... ويضحى عدوُّ المرء وهو جليسه
يفرجُ كَرْبى أن تزايدَ كربهُ ... ويؤنس قلبى أن يُعَدَّ أنيسهُ [3]

وإذا كان مركز انتشار الحمامات فى العادة يقع فى دائرة المسجد الجامع ، فإن لدينا فى المصادر المسيحية ما يشير الى أن حماما كان يلاصق سور بلنسية اختبأ

(١) سالم ، نفسه ، ص ١٢٢ .

(٢) سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٦٠ ، سالم ، العمارة المدنية ص ١٣٩ .

(٣) المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ ، شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .

فيه القنبيطور بعد أن أخفق فى الهجوم على باب الحنش واضطر الى التراجع والانسحاب (١) .

وكان الحمام الأندلسي بوجه عام يتألف من مدخل يؤدى إلى ثلاث أو أربع غرف مقببة تتخذ شكلا مستطيلا أو مربعاً ، وهذه الغرف كانت تتصل فيما بينها عن طريق فتحات أو أبواب ، كما كانت توجد أيضا ملحقات الحمام من الموقد والمرحاض وغرف الخدمة وغير ذلك . وكانت الغرفة الأولى تسمى بيت المسلخ وهى غرفة خاصة بخلع الثياب ، يليها البيت البارد ودرجة حرارتها أكثر ارتفاعا من درجة حرارة الغرفة السابقة ، ثم يلى ذلك غرفة أخرى تعرف بالبيت الوسطانى وتعتبر أهم أجزاء الحمام ويتوسطها فراغ مركزى مربع تعلوه قبة ويحيط به أربع ممرات مقببة تحملها عقود قائمة على أعمدة ، ويتخلل هذه القبوات فتحات نجمية الشكل تسمى مضاوى لادخال الضوء ، وينتهى الحمام بالبيت الساخن وهى غرفة تبلغ درجة الحرارة فيها أقصاها ، وتقام بجوانبها الأحواض التى تصب فيها صنابير المياه الساخنة والباردة ، ولذا فعندما ينتهى الشخص من الاستحمام ويخرج فإنه يقابل درجة حرارة تتدرج فى الانخفاض حتى الطريق (٢) . ونلحظ أن أرضية الحمام كانت تكسى عادة بالفسيفساء أو بلوحات الرخام ، وجدرانه تزين بلوحات الزليج أو تحلى بالرسوم الجميلة التى تبعث فى النفس الراحة والسرور (٣) .

ولقد تبقى فى إسبانيا عدد كبير من الحمامات الاسلامية فى بلنسية وإشبيلية وميورقة وغرناطة وغيرها ، ويرجع سبب بقاء كثير منها فى حالة جيدة الى ضخامة جدرانها وصلابتها ثم إلى وظيفتها الاجتماعية النفعية التى تتعد كثيرا عن العوامل الدينية وإن كانت تتعلق بطهارة الأبدان عند المسلمين ، ولذا كانت الحمامات هى أقل المنشآت الاسلامية تعرضا للتخريب والتدمير (٤) .

---

(١) Chronicle, p. 166.

(٢) عبد العزيز سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ص ٦١ ، سالم ، العمارة المدنية ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٣) سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٦١ .

(٤) سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٢ ، عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٩٥ .

ولم يتبق بمدينة بلنسية من حماماتها العديدة سوى بقايا حمام يقع قرب الكاتدرائية ويسمى اليوم بحمام الميرانتى Almirante أى الأميرَ ، وقد تهدمت منه ردهة المدخل وبقيت عدة قاعات منها البيت الوسطانى ، وتعلو الفراغ المركزى بهذا البيت قبة مثمنة تقوم على جوفات مقوسة ، وحول هذا الفراغ أربعة ممرات تطل على وسط القاعة بعقود على شكل حدوة الفرس قائمة على أعمدة ـ من الرخام الوردى بتيجانها الملساء ، وتعلو الممرات قبوات نصف أسطوانية تتخللها ، كما تتخللَ القبة الوسطى مضاوٍ نجمية الشكل لانفاذ الضوء[1] .

٣ ـ الشوارع والرحبات :

تتميز بلنسية شأنها شأن سائر مدن الأندلس بشبكة معقدة من الشوارع والدروب الضيقة التى تكثر فيها الانكسارات والتعرجات بحيث يصعب على المرء أن يتوصل الى هدفه ما لم يكن عارفا بكل غوامضها ، وقد ساعدت مثل هذه الشبكات الداخلية من الطرق على ايجاد نوع من التضامن بين سكان الدرب الواحد ، كما أنه سهل على سكانه مهمة الدفاع عنه فى حالة تعرض المدينة لأى هجوم [2] . وقد اقتضت الضرورة نوعا من الحراسة على هذه الحارات والدروب أثناء الليل ، فوجد ما يعرف بنظام الدرابين الذين يقابلون أصحاب الأرباع فى المشرق الاسلامى ويلتزمون بالسهر أثناء الليل لحماية الدور من أعمال السطو والسرقة [3] .

ولقد أتاح موقع بلنسية وسط اقليم سهلى يتمتع بانتعاش اقتصادى لا مثيل له

---

(١) سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٣ .

(٢) من الملاحظ أنه اذا كان السور يقوم بمهمة الدفاع الخارجى عن المدينة ضد العدو البعيد ، فإن تلك الشوارع والأزقة والدروب بكثرة تعرجاتها وانكساراتها وانغلاق بعضها وانفتاح البعض الآخر كانت ضرورية للدفاع الداخلى ضد عدو مهاجم ، لأنها كانت بمثابة كمائن أمام تحركاته داخل المدينة . أنظر (سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٩ ، بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٩ ، وأيضا :

Torres Balbas, Ciudades hispano - nusulmanas, t. I. pp. 281 - 285.

(٣) سالم ، نفسه ، ص ٥٩ ، بروفنسال ، نفسه ، ص ٩٩ .

وعلى مقربة من مرفأ بحرى يكتظ بالصادر والوارد ، وفى عهد يتسم بالتقدم الحضارى رغم حالة التفتت السياسى التى طرأت على الأندلس ، وفى ظروف سياسية مشجعة لاجتذاب مزيد من السكان ازدحمت بهم المدينة وضاقت أسوارها عن الاتساع لاعداداهم الكبيرة ، أتاح هذا الموقع الجغرافى الفريد من نوعه بالتضافر مع الظروف السياسية المواتية المجال فى بلنسية لدعم النشاط الزراعى والتجارى والصناعى فى المدينة ، فالحركة التجارية داخل الأسواق والقيسارية لا تنقطع ، وسيل التجار الدافق لا يتوقف قط ، وحركة الفندقة دوما مستمرة بنزول الوافدين على المدينة من النواحى القريبة وبعيدة ، والشوارع والدروب والطرقات تموج بالبشر . وكان من الطبيعى أن تترك هذه الحركة التجارية النشيطة بصماتها واضحة على شوارع المدينة فيتخلف عنها أزبال وأوحال ، وهذه الأقذار اذا تركت فى مواضعها تسببت فى نشر الأوبئة ، وكان الأمر يستلزم نوعا من التشدد فى تنظيفها وازالة ما تراكم فيها من مخلفات وقاذورات ، لاسيما وأن شوارع المدينة ترابية [1] ، وكنف القوم ظاهرة على سطح الأرض لا يحفر لها تحت التراب [2] ، وكان ذلك من العوامل التى دعت المحتسب فى بلنسية الى ابداء مزيد من الاهتمام بها فيأمر بنظافتها والعناية بها وحمايتها من الأقذار [3] .

وقد استطعنا التوصل إلى أسماء بعض شوارع هامة من بلنسية بفضل وثائق (اعادة توزيع بلنسية) من ذلك شارع هام كان يعرف باسم الشريعة ما زال يطلق عليه اليوم نفس الاسم (Calle de Exearea) [4] ومنها أسماء شوارع تنسب الى

---

(١) امتازت شوارع بلنسية بأنها ترابية لأن أرضها ـ كما ذكرنا آنفا ـ تكونت من رواسب نهرية ، ولذا سميت بمدينة التراب . أنظر (العذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ١٧) .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٧٣١ ـ ٧٣٢ ، وأنظر

Huici Miranda, Hist., Mus, de Valenoia, t. I. p . 65.

(٣) أنظر : ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ، نشر ليفى بروفنسال ، مطبوعات المعهد الثقافى الفرنسى ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٣٧ ، ١١٠ ـ ١١١ .

(٤) Torres Balbas, op. cit. t. I. p. 338.

وجدير بالذكر أن المقصود بإعادة توزيع بلنسية التقسيم الذى حدث للمدينة عقب استيلاء خايمى الأول ملك أرغون عليها سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م .

بيوتات مشهورة أو أفراد يتمتعون بمركز اجتماعي مرموق ومنها شارع بني واجب ، وكان يقع خارج أسوار المدينة (في القرن ٧ هـ / ١٣ م) ويطل على باب بيطالة ، ويطلق عليه اليوم اسم شارع القديس بيثنتي (San Vicente) ، ومنها أيضا شارع ابن جحاف ، وكان لبني جحاف منازل عديدة بهذا الشارع ولذا سمي باسمهم ، واستمر حتى بعد غزو خايمي الأول للمدنية (سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) . كذلك عرفنا من وثائق اعادة التوزيع أسماء شوارع تحمل نوع الحرفة أو الصنعة التي تقوم فيها مثل شارع العطارين ببلنسية [١] .

وعرفت بلنسية الدروب الضيقة المعروفة بالأزقة والزنقات [٢] ، وقد ظل الأسبان يستخدمون اسم الزنقة حتى نهاية القرن ١٤ م / ٨ هـ ، بينما احتفظ الزقاق باسمه مع بعض التحريف في اسبانيا المسيحية حيث أطلق عليه اسم (Asuoach) [٣] .

وكانت تتخلل هذه الشبكة المعقدة من الدروب المتعرجة والأزقة الضيقة والزنقات رحبات متسعة نسبيا تساعد على كشف مواطن الجمال الكامن في الدور المطلة عليها [٤] . أما الرحبات الفسيحة فقلما تتوفر في بلنسية وأكثرها يقع حول المسجد الجامع والمساجد الأخرى ، وفي هذه الرحبات تقام الأسواق ولذلك كانوا يطلقون على الرحبة أحيانا اسم « سوق » [٥] . وقد وجدت في بلنسية عدة رحبات

---

(١) T. Balbas, Ibid, p. 327. & M. Pidal, op. cit. V. I. p. 428 .

(٢) ورد ذكر احدى الزنقات بمدينة بلنسية ، فيذكر أحد علماء المدينة أنه كان يسكن بزنقة بها مسجد كان يصلي فيه خلف امامها الراتب . أنظر (أبو العباس الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض ، الطبعة الأولى ، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٨٨ ، ترجمة رقم ٨٩) .

(٣) Torres Balbas, op. cit. t. I. p. 328.

وتجدر الاشارة إلى أن بلنسية ما زالت تحتفظ للآن بأثر أندلسي إسلامي خاصة في بعض دروبها وأزقتها القديمة الضيقة المظلمة بعض الشيء والتي تساعد على التخفيف من حرارة الصيف ، وقد لمست هذا بوضوح أثناء زيارتي للمدنية .

(٤) أنظر : سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٥) T. Balbas, Ibid, p. 295.

ورد ذكرها فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) منها رحبة القاضى وتقع بالقرب من مركز المدينة ورد ذكرها أيضا فى وثائق اعادة تقسيم بلنسية (El Repartimiento) تحت اسم (Rabat alcadi) وكان يقوم فيها مسجد تحول الى كنيسة كما سبقت الاشارة . ولدينا اشارة أيضا الى رحبة كانت تعرف برحبة الشريعة (Axarea) نرجح وجودها قرب الباب المسمى بنفس الاسم [1] .

٤ ـ القنطرة والجسر والرملة (جسر معان المعروف بالجسر والقنطرة الخشبية) :

ورد فى الذخيرة لابن بسام أن قنطرة بلنسية التى تطل على الوادى الأبيض والتى يعبر عليها فى عهد مبارك ومظفر من قصر الامارة الى خارج البلدة على الضفة اليسرى من الوادى كانت من الخشب [2] ، وهى نفس القنطرة التى أشار اليها العذرى فى قوله أن باب الوراق الى الشرق من باب القنطرة يفضى منه الى الربض القائم هنالك (فى الشمال الشرقى) عن طريق قنطرة خشب يعبر عليها الوادى [3] ، والربض المشار إليه فى نص العذرى هو ربض منية ابن عبد العزيز .

أما القنطرة الأخرى التى ذكر العذرى أن المنصور عبد العزيز بن أبى عامر قد صنعها وأنه ليس فى الأندلس أتقن منها وتؤدى الى طليطلة وسرقسطة وطرطوشة فكانت تقع الى الشمال الغربى من بلنسية [4] ، واعتقد أنها الجسر الذى فاقت به بلنسية غيرها من القواعد الأندلسية واشتهرت به ، وعرف بجسر معان [5] والظاهر أنه

---

(١) Balbas, Ibid, p. 300.

(٢) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٤ ظ ، الاحاطة ، المجلد الثالث ص ٢٩٣ .

(٣) العذرى ، نفسه ، ص ١٨ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٥) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ .

وقد ذكر الشاعر أبو عبد الله بن غالب الرصافى فى هذا البيت :

بجسر معان والرصافة أنه ... على القطر أن يسقى الرصافة والجسرا

أنظر (ابن الخطيب ، الاحاطة ، المجلد الثانى ، ص ٥٠٧) .

كان مقاما من الحجارة على نفس نظام قنطرة قرطبة . أما الرملة فهى أرض فضاء كانت تمتد بين السور الشمالى لبلنسية وضفة الوادى الأبيض ، وقد ورد ذكر الرملة معلما من معالم بلنسية فى رسالة أوردها الحميرى لأبى المطرف بن عميرة الى ابن الأبار ضمنها بعض مواضع من بلنسية من بينها الجسر والرصافة وهما معلمان من متلازمان [1] ، ثم الحلة والسهلة والجرف والرملة والكنيسة [2] ، ويضيف اليها الشاعر ابن غالب الرصافى اسم البحيرة [3] ، وقد تكرر ذكرها فى قصيدة لابن الأبار [4] . واستمرت تسمية الرملة فى بلنسية بعد سقوطها فى أيدى الأرغونيين ، وظل اسم الرملة شائعا حتى يومنا هذا ، فأصبح يطلق عليها اسم La Rambla .

وكان يقوم على جسر بلنسية برج على غرار برج الأسد المقام على قنطرة قرطبة أو البرج القائم على مدخل قنطرة نهر تاجة بطليطلة ، وقد تعرض برج قنطرة بلنسية للتدمير على أثر سيل عنيف حدث فى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م [5] .

٥ ـ المنيات والمتنزهات :

أ) الرصافة :

عرف عن خلفاء بنى أمية فى المشرق ولعهم بحياة البادية ، وميلهم الى انتجاع قصورهم الخلوية التى أقاموها فى البادية بعيدة عن صخب الحياة فى الحاضرة ولتذوق الحياة الهادئة فى منأى من عيون الرقباء من رجال الخاصة والفقهاء ، وأهم هذه القصور ، قصر المشتى وقصر القسطل وقصير عمره وقصر الحير وقصر الرصافة ،

---

(١) يتلازم هذا الاسمان فى أقوال الأدباء والشعراء ، ويعلل للباحث الياس تيريس ذلك بأنه جاء تقليدا لرصافة بغداد وجسرها ، اللذين يقول فيهما الشاعر على بن الجهم :

عيون المهابين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

أنظر : Elias Teres, Textos Poeticos arabes, pp. 296 - 298.

(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، مادة بلنسية ، ص ٤٩ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٤) ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣١١ .

(٥) ابن الكرديوس ، نفسه ، ص ٩٩ .

ويهمنا من هذه القصور قصر الرصافة الذى أقامه هشام بن عبد الملك فى بادية الشام سنة ١١٠ هـ ، وكان نواة لمركز عمرانى هام تحول الى مدينة تحمل هذا الاسم ، وقد حذا الأمير عبد الرحمن بن معاوية مؤسس دولة بنى أمية فى الأندلس حذو جده هشام فأقام منية الرصافة الى الشمال الغربى من قرطبة دحا فيها جنانا ، وغرس فيها الأشجار الباسقات والنخيل ، وتعتبر رصافة قرطبة أول منية أو استراحة أميرية بالأندلس (١) .

وعلى نمط رصافة قرطبة أنشأ الأمير عبد الله المعروف بالبلنسى ابن الأمير عبد الرحمن الداخل منية أو رصافة أخرى بمدينة بلنسية تقع فى الجنوب الشرقى منها ما زال موضعها يحمل نفس الاسم (La Ruzafa) ، ويعتبر من أقدم خطط المدينة كما يذكر أهلها (٢) .

وعلى الرغم من عدم وقوعنا فى المصادر العربية على نص واحد يشير الى الظروف التى أحاطت بانشاء رصافة بلنسية فإن كل الظروف التاريخية تجعلنا نميل الى نسبة ذلك الى الأمير عبد الله البلنسى ، كما تجعلنا نستبعد فى نفس الوقت التفكير فى مؤسس آخر لها ، ذلك لأنه لا يوجد من أمراء بنى أمية من أقام ببلنسية سواه (٣) .

وأصبحت رصافة بلنسية (٤) بفضل هذه المنية من أبدع متفرجاتها ومنازهها

---

(١) عن رصافة قرطبة أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الثانى ، ص ٧٨٦ المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٤ ، سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٤٩ ـ ٥٢ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١١٣ .

(٢) أنظر : سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١١٣ ، عنان ، الآثار الأندلسية ، ٩٣ ـ ٩٤ ، الياس تيريس (Elías Teres) مدائح بلنسية ومراثيها ، تقرير معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ١٥ .

(٣) Huici Miranda, op. cit. t. I. p. 125.

(٤) ورد ذكر رصافة بلنسية كثيرا بالمصادر العربية . أنظر : ابن سعيد ، رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق غرسيه غومس (G. Gomez) مدريد ، ١٩٤٢ ، ص ٨٤ ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ ، ابن الآبار ، الحلة ، جـ ٢ ، ص ٢٦٤ ، ياقوت ، معجم ، المجلد الأول ، ص ٧٣١ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٨ ، المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٦٩ ، ص ٢٣٩ .

وامتد العمران اليها بحيث أصبحت ربضا قائما بذاته من أرباض بلنسية تتخلله الروضات اليانعة وتلفه البساتين النضرة ويتوسطها قصر كان يقيم فيه الأمير عبد الله ، غير أن هذا القصر الأميرى لم يلبث أن هجر بعد وفاته ، فخلا من أهله وولده الذين آثروا الحياة بقرطبة ، ومع ذلك فقد ظلت بساتين الرصافة تحتفظ بحسنها وجمالها ، وكثيرا ما تغنى بها شعراء بلنسية فى أشعارهم (١) ، كما رثاها بعض كتاب بلنسية خاصة بعد سقوط المدينة نهائيا فى زيدى الأرغونيين سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م ، ومن ذلك قول ابن الأبار البلنسى : « أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها ، أين حلى رصافتها وجسرها (٢) » .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الرصافة اتخذت فى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ربضا ينزله المعاهدة أو المستعربون (Los Mozarabes) ، أقيمت به كنيسة تعرف بسان فاليريو Can Valerio وفيه عسكر القائد القشتالى البرهانس (Alvar Hañez) عندما أقبل مع القادر ليساعده فى الاستيلاء على بلنسية . والظاهر أن الرصافة لم يعد لها بعد استيلاء القنبيطور على المدينة نفس الأهمية القديمة ، فالقنبيطور كان يفضل الاقامة عادة بمنية ابن عبد العزيز فى شمال بلنسية . ولم يبق من ربض الرصافة اليوم سوى البقعة التى كانت تقوم عليها والاسم الذى تحمله (٣) .

---

(١) من ذلك قول ابن الأبار فى وصف بستان الرصافة :

أبستانَ الرصافة لا ... هويتُ سواكَ بستانا
تخالُ الدوحَ مجتمعا ... بهِ شيباً وشبّانا
وقد لبستْ مفارقهُ ... من الأنداء تيجانَا
تجولُ بهِ جداولهُ ... وتغشى النهرَ أزمانا
فتحسبُها افا انسابتْ ... أراقمَ زرْنَ ثعبانا

أنظر (ابن سعيد ، اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى ، تحقيق ابراهيم الابيارى القاهرة ١٩٥٩ ص ٩٣ ترجمة رقم ٥٨ ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣١٢) .

(٢) الحميرى ، نفسه ، ص ٥٢ ، المقرى ، نفح ، جـ ٦ ، ص ٢٤٥ ، وأنظر :
Elias Teres, Textos Poéticos, p. 299 & Balbas, op. cit. t. I. p. 151.

(٣) Pidal, op. cit. V. I. p. 428. & Miranda , op. cit. t. I. pp. 125 - 126.

ب ـ منية ابن عبد العزيز :

وكانت تعرف أيضا باسم منية المنصور ومنية ابن أبى عامر ، وكانت من أجل أعمال المنصور عبد العزيز أنشأها شمالى المدينة بربض ابن عبد العزيز (المعروف فى المصادر المسيحية باسم ربض بيانوبيا (Villanueva) ، واتخذها مقرا لراحته ونزهته ولهوه ، واحتفل بالفراغ من انشائها احتفالا مشهودا حضره كبار رجال الدولة والأدباء والشعراء [1] .

وكانت تلك المنية تشتمل على بساتين فيحاء وجنات ورياض ، تناسب فيها الجداول انسياب الأرقم والثعبان ، ودارت عليها السواقى والدواليب ، وطرزت ضفافها بالأدواح والأشجار ، وتوشحت بالورود والأزهار . وكان يتوسط المنية قصر خلوى اتخذه المنصور مقرا ، ولم تلبث هذه المنية أن اجتذب القاصدين وطلاب المتعة ، وامتد العمران اليها وأصبحت ربضا يفوق ربض الرصافة ذكرا ، وللأسف ضاعف معالم هذا الربض ودرست آثاره ، ولم يبق من اثاره سوى أشعار نظمت فى حسنه [2] ونصوص صيغت فى وصفه ، من ذلك وصف ابن خاقان لاحدى مجالس قصر هذه المنيـة : « دعيت يوما الى منية المنصور بن أبى عامر ببلنسية ، وهى منتهى الجمال ، ومزدهى الصبا والشمال ، وهى على وهى بنائها ، وسكنى الحوادث برهة بفنائها ، فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه ، والحسن قد شرح بها عويص ، وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبواب ، وتوشحت بالأزر الذهبية أثوابه ، يخترقه جدول كالحسام المسلول ، ويناسب فيها انساب الأيم فى الطلول ، وضفاته بالأدواح محفوفة ، والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة [3] » .

---

(١) عن منية المنصور أنظر : المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ ، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٣١ ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٦٨ ، وأيضا :

T. Balbas, op. cit. t. I. p. 150. & Miranda, op. cit. t. I. p. 21 & 169.

(٢) Balbas, Idem.

(٣) قلائد العقيان ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ . ويقول الشاعر البلنسى على بن أحمد فى مجلس أنس أقيم بمنية المنصور : =

وقد أصبحت هذه المنية مقرا أثيرا للسيد القنبيطور ، وفيها أقيم حفل زواج أميرين من مملكة أرعون ونبرة بابنتي السيد [1] . ثم دثرت المنية وعفت آثارها بعد أن دخلتها جيوش المرابطين ، والظاهر أنها تخربت على أيدى قوات القنبيطور قبل انسحابهم من بلنسية ، ولم يعد لهذه المنية ذكر فى عصرى المرابطين والموحدين [2] .

جـ ـ منية الوزير أبى بكر :

تنسب الى الوزير أبى بكر بن عبد العزيز ، الذى استبد بحكم بلنسية فى الفترة من سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م الى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، ونستنتج من وصف ابن خاقان لهذه المنية أنها كانت تقع خارج باب الحنش [3] ، وكانت تطل على الوادى الأبيض ، وفى وصفها يقول الفتح بن خاقان : « وهى من أبدع منازل الدنيا ، وقد مدت أدواحها الأفياء ، وأهوت اليها أزهارها العرف والرياء ، والنهر قد غص بمائه ، والروض قد خص بمثل أنجم سمائه [4] » .

ويعتبر ابن خاقان روضة الوزير أبى بكر من أبدع متنزهات بلنسية ، فقد كانت ملتقى المحبين والعشاق ، وفيها كانت تعقد مجالس الأنس والطرب والشعر والأدب ، يختلط فيها غريد الطير والبلابل ونواح النواعير والسواقى بآلات الطرب والغناء فى إطار

=

قم فاسقنى والرياضُ لابسةٌ	وشياً من النَّور حاكهُ القطرْ
فى مجلسٍ كالسماء لاحَ بـه	من وجه من قـد هويته بدرْ
والشمس قد عصفرت غلائلها	والأرض تندى ثيابها الخضرْ
والنهـرُ مثل المَجرّ حفَّ بـه	من النَّدامى كواكـبٌ زهرْ

أنظر (القلائد ، ص ٦٨ ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ رقم ٥٥٥ . نفح ، جـ ٢ ، ص ١٨٠) .

(١) H. Miranda, op. cit. t. pp. 171 - 172.

(٢) Miranda, Ibid, p. 172.

(٣) القلائد ، ص ٦٤ ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ .

(٤) مطمح الأنفس ، ص ٩٦ .

طبيعي ، فمن مياه تناسب كالحية من جداول تجرى بين رياض نضرة تحف بها أدواح مخضرة وتطرز ضفافيها أزهار وورود [1] .

د ـ ولجة بلنسية :

يقصد بالولجة [2] عامة ـ الوادى المتسع أو الرحبة التى تستعمل للنزهة وقد استخدم ابن الأبار هذا اللفظ عدة مرات ، منها قوله : « واحتفر للقاضى (ابن جحاف) حفرة وذلك بولجة بلنسية [3] » وهذا يدل على أن كلمة ولجة كانت جارية فى استعمال الأندلسيين ، وقد وجدت ولجات أخرى قرب بعض المدن مثل مرسية ، غير أن ولجة بلنسية لا تزال غير واضحة لنا تماما [4] .

---

(١) القلائد ، ص ٦٤ ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ .

وقد أشار ابن خاقان الى أنه تقابل مع الوزير الأديب ابن طاهر بتلك المنية أو الروضة ، وكان معهما أيضا الشاعر المتنبى الجزيرى الذى أنشد قائلا :

معشرَ الناسِ بباب الحنشِ ... بدرتِم طالـعٌ فـى غبشِ

علّقَ القرطَ على مَسْمَعه ... من عليه آفة العينِ خشِ

أنظر (القلائد ، ص ٦٤ ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٩٠) .

-يقول الأديب الشاعر محمد بن عائشة يصف دوحة بتلك المنية :

ودوحة قد علَتْ سماءً ... تطلّع أزهارَهـا نجـوما

هفا نسيمُ الصّبَا عليها ... فأرسلـت فوقنا رجـوما

أنظر (مطمح الأنفس ، ص ٩٧) .

(٢) الولجة فى اللغة ولاج ، وولاج الوادى معاطفه وتجمع على الولج ، ومن ذلك قول الشاعر :

أنت ابن مسلنطح البطاح ولم ... تعطف عليك الحنى والولج

وقد أشار ياقوت الى أن المقصود بالولج ما اتسع من الأدوية . أنظر (معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٦٦٠ ، أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ حاشية رقم ١ ، ص ٨٥) أما البكرى فيذكر أن الولج مكان يسمى بهذا الاسم والولجة من الأرض مكان يدخل فى غيره مأخوذ من الولوج . أنظر (معجم ما استعجم ، جـ ١ ، طبعة ويستفلد (Wustenfeld) ، ليدن بدون تاريخ ، ص ٧٣) .

(٣) الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، ترجمة رقم ١٣٠ .

(٤) نفس المصدر السابق ، حاشية رقم ١ ، ص ١٢٦ .

ويحتمل أن يكون المقصود بالولجة الفراغ الفسيح الواقع في منحنى النهر [١] ويذكر المستشرق دوزى (Dozy) أن أودية مرسية الخصبة تسمى بساتين (Huerta) بينما عرفت بساتين بلنسية بالولجة [٢] (Huelga) ، ولكن هذا التفسير في رأيى قاصر لأن ولجة بلنسية لا يمكن أن تطلق على جميع بساتين بلنسية وانما على موضع متسع له سمات وخصائص معينة ، وأغلب الظن أنه أرض فضاء أو عرصة من العرصات أو رحبة تقصد للنزهة وليست بستانا كما فسرها دوزى بدليل أن ابن الأبار استخدم اسم الولجة كموضع أحرق فيه ابن حجاب [٣] ، ولا يمكن أن ينطبق هذا الموضع على بستان ، والأرجح أن هذا الحادث وقع بمكان واسع خارج المدينة . ويستخدم ابن الأبار اسم الولجة استخداما آخر فيذكر أن ضفاف الساقية التى تمر على الولجة كان بجانبها رحى لأبى جعفر الرقشى ، وقد هدمها جند ابن مردنيش [٤] ، وكان هؤلاء الجند قد قدموا من الجنوب ، وعلى هذا الأساس كان اتجاههم الى ذلك المكان السهل (المنبسط) الواقع بين باب بيطالة والرصافة ، وهى منطقة تكونت نتيجة جفاف أحد روافد النهر [٥] . كذلك يذكر ابن الأبار أن والى بلنسية عبد الله [٦] أرسل أسرته سنة ٥٣٨ هـ الى شاطبة ، وأنهم خرجوا من باب بيطالة ، بينما انتظر هو خارج المدينة بالولجة [٧] . وأخيرا يذكر أن أمير بلنسية تقابل بالولجة مع جاقم

---

(١) Miranda, op. cit. p. 41 .

(٢) Dozy supplement, t. II. p. 846. & E. Teres, op. cit. pp. 302 - 304.

(٣) الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

(٤) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠ ، ترجمة رقم ١٥٢ ، وابن مردنيش المذكور بالمتن هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامى بن مردنيش وجده هو المعروف بذلك ، وكان من كبار الثوار الذين ظهروا فى شرق الأندلس فى الفترة من زوال أمر المرابطين الى دخول الموحدين الأندلس . أنظر (الحلة ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، ترجمة ١٤٦) .

(٥) H. Miranda, op. cit. p. 42.

(٦) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن على بن يوسف المسوفى بن غانية ، تولى أمر بلنسية أيام المرابطين . أنظر (الحلة ، جـ ٢ ، ص ٢١٨ ، ترجمة رقم ١٤٥) .

(٧) الحلة ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ ، ترجمة ١٤٥ .

البرشلوني (خايمي الأول) وذلك عندما كان هذا الأخير يعسكر بقواته في الرصافة قبيل استيلائه على المدينة [1] . ونستنتج من كل ما سبق أن الولجة منطقة سهلية فسيحة كانت تمتد ما بين باب بيطالة والرصافة [2] ، وتسمى اليوم رحبة السوق (Plaza del Mercado) وتعتبر من أوسع رحبات المدينة ، وكانت تقام فيها الاحتفالات ، وتنصب فيها حشث الجناة ، وفيها أحرق القاضي ابن جحاف حيا كما سبقت الاشارة [3] .

٦ ـ المقابر :

كانت المقابر الإسلامية في مدن الأندلس تقع عادة خارج الأبواب فيما وراء الأسوار على مقربة من الطرق الرئيسية المؤدية الى المدن المجاورة ، ومع ذلك فقد كانت هناك حالة استثنائية يصعب فيها دفن الموتى بالجبانات الواقعة خارج الأسوار كالشأن في تعرض المدينة لحصار طويل أو قيام ثورة بها [4] ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما حاصر القنبيطور بلنسية اضطر الأهالي الى دفن موتاهم في مقبرة داخل المدينة ، كذلك كان قيام أهل بلنسية بالثورة سنة ٥٤٧ هـ سببا في أن يدفن بعض الأفراد في مقبرة داخل المدينة [5] ، وهناك حالات أخرى تدعو الى دفن الموتى داخل نطاق السور كما يحدث عادة عند دفن أحد الشيوخ البارزين أو في حالات خاصة مثل حادثة احراق القاضي ابن جحاف ، وتشير وثائق تقسيم بلنسية الى موضع في داخلها يعرف بمقبرة ابن

---

(١) هو أبو جميل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش الجذامي ، كان يتولى امارة بلنسية قبيل سقوطها النهائي في يد ملك أرغون خايمي الأول سنة ٦٣٦ هـ ـ ١٢٣٨ م .

(٢) Huici Miranda, op, cit. t. p. 42.

(٣) أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ .

(٤) أنظر ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٩٩ ، سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ١٢٩ .

(٥) من البلنسيين الذين دفنوا داخل السور عاصم بن خلف التجيبي الذى توفي ببلنسية في سنة ٥٤٧ هـ أثناء نشوب ثورة داخلية بها . أنظر (المراكشي الذيل والتكملة ، السفر الخامس ـ القسم الأول ، تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، ترجمة رقم ١٨٣) .

جحاف ، ويحملنا هذا الاسم الى الاعتقاد بأنه كان ضريحا دفن فيه ابن جحاف الذى أحرقه القنبيطور سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م (١) .

ومن أهم مقابر بلنسية ما يلى :

١ ـ مقبرة باب الحنش : وتقع خارج باب الحنش وتنسب اليه (٢) ، وقد دفن بها أعداد كبيرة من أهل بلنسية وأعيانها وشيوخها وعلمائها نذكر منهم على سبيل المثال محمد بن يوسف بن مفرج (ت سنة ٥٩٣ هـ) (٣) .

٢ ـ مقبرة باب بيطالة : وتقع خارج باب بيطالة وبالقرب من الرصافة (٤) ، ومن بين الشخصيات التى دفن فيها الفقيه خلف بن يوسف الأنصارى (ت سنة ٥١٩ هـ) (٥) .

٣ ـ مقبرة المصلى : وتقع خارج السور الشرقى للمدينة قرب باب الشريعة (٦) (المصلى) ودفن فيها محمد بن على بن هذيل (ت سنة ٦١٤ هـ) (٧) .

٤ ـ مقبرة الجنان : والظاهر أنها كانت داخل نطاق السور ، وفيها دفن أحمد ابن على بن يحى الأنصارى (ت سنة ٦٠٩ هـ) (٨) .

ويضيف الأستاذ توريس بالباس اسم مقبرة تسمى الخيام يقال أن الخيام امتدت الى موضعها (٩) ، فقد ذكر ابن الأبار أن أحد فقهاء بلنسية ويدعى عبد الله بن

---

(١) Torres Balbas, op. cit. t. I. p. 238.

(٢) Balbas, Ibid, p. 266.

(٣) ابن الأبار ، التكملة ، جـ ٢ ، ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣ ، ترجمة رقم ١٤٩٥ .

(٤) Balbas, Ibid, p. 266.

(٥) التكملة ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ ، ترجمة ٨٢١ .

(٦) Balbas, Ibid, p. 267.

(٧) التكملة ، جـ ٢ ، ص ٦١٠ ، ترجمة ١٥٨٥ .

(٨) المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الأول ـ القسم الأول ، تحقيق محمد ابن شريفة ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٤ ، ترجمة رقم ٤٣١ .

(٩) T. Balbas, op. cit. p. 239.

أحمد المكتب دفن خارج باب بيطالة وبمقربة من الخيام [١] .

ويذكر توريس بالباس أنه لم يصل الينا أى شاهد قبر نستدل منه على تحديد مواقع المقابر ، لأن معظمها اندثر فى القرن ٨ هـ / ١٤ م نتيجة للتوسع العمرانى لبلنسية ، فتحولت المقابر الى أحياء سكنية جديدة دخلت فى نطاق السرور الذى أقامه الملك بدرو الرابع (Pedro IV) فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى [٢] .

(١) التكملة ، جـ ٢ ، (طبعة كوديرا) ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣ ، ترجمة رقم ١٤٢٦ .

(٢) Balbas, Ibid, pp. 241 - 242.

ويذكر ليفى بروفنسال بأنه قد عثر على بقايا قبور فى مدينة بلنسية ، ومن ذلك شاهد قبر يحمل نقشا كتابيا محيت حروفه بفعل الزمن ، وظلت باقية هذه الكلمات المنقوة فى خمسة أسطر : « .. رحمه الله توفى فى يوم الثلاثة شهر شوال سنة واحد وأربع ميئة رحمه الله . » وباقيا قبر آخر نقش عليه « بسم الله الرحمن حيم هاذا قبر .. ابن .. توفى يوم .. فى شهر .. الذى من سنة أربعة وعشرين وأربع مائة رحمه الله » أنظر :

Levi - Provencal, Inscripitions arabes d'Espagne, Vol, I. paris, 1931, p. 90.

(٤) المركز الاقتصادى

ويتمثل فى القيسارية والأسواق والفنادق ومواضع الفخارين الذين شاعت شهرتهم فى صناعة التحف الخزفية فى نفس بلنسية وفى بعض نواحيها فى بطرنة ومنيشه .

أ ـ القيسارية والأسواق :

ويقصد بالقيسارية فى مدن الأندلس السوق المشيدة بالبناء التى كانت تقام بالقرب من المساجد الجامعة [(١)] لتجارة المنسوجات الحريرية والموشاة والديباج وصنوف الثياب الفاخرة ، وتتوزع فيها حوانيت صغيرة المساحة على جوانب الدروب التى تشق القيسارية على نحو ما نشهده اليوم فى قيسارية غرناطة .

ونستدل من وجود باب فى بلنسية يعرف بباب القيسارية على وجود هذا النوع من السوق القيصرية أعنى القيسارية على مقربة من الباب المذكور وينفتح فى السور الغربى من بلنسية [(٢)] ، ويغلب على الظن أن هذه القيسارية اختصت ببيع التحف النفسية من انتاج صناع بلنسية وفنانيها ، ومعظمها يتعلق بالأطباق والكؤوس والأوانى الخزفية التى بلغت الغاية فى الأناقة والدقة والأحكام فى الصناعة وذاعت شهرتها فى العالم أجمع ، بالإضافة الى المنسوجات الرفيعة التى كان لها سوق نافقة فى المشرق الاسلامى ، كذلك وجد بالقيسارية حوانيت لبيع الكتب [(٣)] .

أما السوق (بالإسبانية Zoco) فموضع أو حارة خصصت فى مدن الأندلس لبيع نوع معين من السلع ، ويشتمل على عدد من الحوانيت المخصصة لنوع السلعة التى تسمى بها السوق ، كسوق الصاغة وسوق العطارين وسوق الكتبية أو الوراقين ، وسوق النحاسين أو الصفارين .

---

(١) أنظر : سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٥ ، والملاحظ أن كلمة قيسارية تحريف للكلمة اليونانية اللاتينية (Kaisareie) وتعنى السوق القيصرى التابع للدولة .

(٢) العذرى ، نفسه ، ص ١٨ .

(٣) كان لابن متيال الوراق (ت ٦١١ هـ) دكان بالقيسارية يبيع فيه الكتب . أنظر (التكملة ، جـ ٢ ، (طبعة كوديرا) ص ٥٠٦ ، ترجمة ١٤٣٤) .

وكانت الحوانيت الاسلامية بالأندلس ـ بصفة عامة ـ عبارة عن أماكن ضيقة قليلة الارتفاع ، وعلى هذا كان البائع لا يحتاج لأن يتحرك من مكانه كي يحضر السلع عن مواضعها (١) ، وكانت للحانوت باب واحد يفتح مباشرة على الشارع ، أما أبواب الحوانيت فكانت تغلق بألواح متحركة تربطها مزاليج محكمة ، وكان يعلوها مظلة مائلة من الخشب أو الحصير تقى البائع وعملائه حرارة الشمس والمطر (٢) .

وتشير المصادر العربية الى شهرة بلنسية الاسلامية فى مجال التجارة ، كما تجمع على أنها كانت عامرة بالأسواق (٣) المقامة سواء فى داخل المدينة على مقربة من المسجد الجامع أو فى الأرباض . كذلك تشير وثائق تقسيم بالنسبة الى موضع يسمى سويقة Suece (تصغير سوق) عبارة عن رحبة ضيقة أقيم بها سوق ، وكان اسم هذه السويقة شائعا فى بلنسية (٤) . وقد ذكر الباحث توريس بالباس أنه كان يوجد ببلنسية شارع يسمى العطارين ، يبدو أنه كانت تباع فيه مختلف أنواع العطارة ، ورد ذكره فى سنة ١٢٢٧ م (٦٢٥ هـ) (٥) .

ب ـ الفنادق :

الفندق بناء أقيم فى مدن الأندلس لنزول التجار الغرباء وبيع أنواع معينة من السلع بالجملة لكبار التجار ، ومن هذا المنطلق شغل الفندق كمنشأة اقتصادية فى مدن الأندلس مكانة هامة بين مراكزها العمرانية . وكانت الفنادق تقام ـ عادة ـ بجوار المساجد الجامعة حيث يكثر الرحالة والمسافرون (٦) .

---

(١) أنظر ، سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٧ .

(٢) سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٧ ، وأنظر :

H. Miranda, Hist., Mus., de Valencia, t. I. p. 65.

(٣) المقرى ، نفسه ، ص ١٨ ، الادريسى ، نفسه ، ص ١٩١ ، ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ ، الحميرى ، نفسه ، ص ٤٧ .

(٤) Torres Balbas, op. cit. t. I. pp. 303 - 305.

(٥) Balbas, Ibid, p. 307.

(٦) سالم ، العمارة المدنية ، ص ١٤٣ ، وأنظر

Balbas, op. cit. p. 311.

وكان الفندق فى أغلب الأحيان بناء متواضعا للغاية ، يضم عددا كبيرا من الغرف العارية من الأثاث ، لا يجد فيه المسافر سوى غطاء يتدثر به وحصيرا ينام عليه ، أما الخيول والدواب فكانت تربط فى صحن الفندق [1] .

وقد ورد فى وثائق تقسيم بلنسية اشارة الى أنه كان يوجد فندق قرب باب القنطرة ، كان يبيت فيه التجار ويستخدم مخزنا للسلع فى نفس الوقت [2] .

ولا يزال اسم فندق يطلق اليوم على أحد شوارع بلنسية الحديثة [3] ، الأمر الذى يؤكد أن ذلك الشارع كان يقوم فيه فندق فى العصر الاسلامى .

(١) سالم ، نفسه ، ص ١٤٣ .

(٢) H. Miranda, op. cit. p. 34.

(٣) سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٧ .

الفصل الثانى

« الحياة الاجتماعية فى بلنسية الاسلامية »

١ـ عناصر السكان .

٢ ـ طبقات المجتمع فى بلنسية فى العصر الأموى دويلات الطوائف .

٣ ـ أهم مظاهر الحياة الاجتماعية فى مدينة بلنسية .

(١) عناصر السكان

أ ـ العـرب :

نزلت بلنسية منذ الفتح الاسلامى بطون من القبائل العربية لسهولة أراضيها وخصوبة تربتها ودفء مناخها فى فصل الشتاء ، وكان العنصر العربى يمثل الطبقة العليا فى المجتمع البلنسى [١] ، ومن أهم قبائل العرب اليمنية التى استقرت فى بلنسية قبيلة معافر اليمنية التى استوطنت بلنسية نفسها ، ومنهم بنو جحاف الذين تمتعوا بنفوذ كبير بهذه المدينة ، واستأثروا بخطة القضاء [٢] ، كما سكن بلنسية بطون من القيسية أبرزهم بنو واجب ، وكانوا من ذوى الرأى والمشورة بها [٣] ، كذلك كان يوجد ببلنسية بعض العناصر العربية من هوازن المضرية ، فيقول ابن غالب : « ولهم منزل بجوف بلنسية ثلاثة أميال منها [٤] » وبنو عبد الله البلنسى من أعقاب هشام بن عبد الملك الذين يرتفع نسبهم الى أمية بن عبد شمس القرشيين [٥] .

وقد نعم عرب بلنسية بحياة مترفة ، إذ كانوا يعتبرون أنفسهم سادة الكورة ورؤساءها ، واستغلوا سهولة الأرض وخصوبة التربة فاشتغلوا بفلاحة البساتين والجنات ، كما استغلوا موقعها البحرى وكثرة مالها من « أسواق وحطٍّ وإقلاع [٦] » فعملوا بالتجارة ، وفاضت عليهم الثروات وعمت عليهم المكاسب والخيرات ، وانعكست آثار ذلك على نفوسهم ، فلأهلها على حد قول الحميرى « كرم طباع ،

---

(١) Huici Miranda, Hist., mus., de Valencia, t. I. p. 71.

(٢) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٤١٩ ، ابن بشكوال ، الصلة ، القسم الثانى ، ص ٣٤٠ ترجمة ٧٢٧ . ابن الأبار ، التكملة ، جـ ٢ ، ص ٨٣٤ ترجمة ٢٠٣٠ .

(٣) ابن بشكوال ، نفسه ، القسم الثانى ، ص ٤٠٣ ترجمة رقم ٨٦٧ .

(٤) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٢١ .

(٥) ابن حزم ، نفسه ، ص ٩٥ .

(٦) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ .

والغالب عليهم طيبُ النفوسِ والميلُ الى الراحات [1] ، وترتب على ذلك أن استغرق عرب بلنسية فى حياة اللهو والراحة والترف ، فأقبلوا على الاستمتاع بحياتهم باقامة العمارات والقصور وغرس البساتين والجنان واقتناء الجوارى والقيان والعكوف على مجالس الأنس والطرب والألحان .

أما جزيرة شقر فقد سكنها جماعة ينتسبون الى بنى مخزوم بن يقظة بن مرة ومنهم بنو ميمون [2] ، فى حين نزلت أندة بطون من قضاعة ، وكانت أندة على حدة قول ابن الأبار دار القضاعيين بالأندلس [3] .

ب ـ البربر :

وكانوا يمثلون جمهور السكان أو العدد الأعظم من أهل بلنسية ، وكان معظمهم يعملون بالزراعة لصالح رؤساء العرب ، على الرغم من العداء المتأصل بين الطائفتين الأندلسية والبربرية منذ بدء قيام الفتنة وحتى دخول المرابطين على مسرح الأحداث ، اذا كانت بلاد شرق الأندلس بمنأى عن الفتنة القرطبية ولهذا السبب نعمت بفترة من الهدوء والاستقرار ولم تنضم الى أى من الطائفتين المتصارعين [4] .

وقد تركز بربر بلنسية فى أعمال الكورة لا سيما فى شاطبة التى سكنتها بنو عميرة وهم من الهاصة (ينسبون الى نفرة) [5] وسكن بنو قاسم (من كتامة) البونت وتولوا حكمها [6] ، واستقر فى مصلاته جماعات من البربر من هوارة [7] .

---

(1) نفسه ، ص ٤٧ .

(2) التكملة ، جـ ٢ ، ص ٨١٢ . ترجمة ١٩٨٥ .

(3) التكملة ، جـ ٢ ، ص ٨١٢ . ترجمة ١٩٨٥ .

(4) H. Miranda, op. cit . I. I. p. 72.

(5) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩ .

(6) ابن حزم ، نفسه ، ص ٥٠١ .

(7) انظر مقالة : خايمى أوليفر آسين (J. Oliver Asin) ، ملاحظات حول أسماء المواضع فى اقليم بلنسية ، تقرير معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ديسمبر ١٩٦٠ ، ص ٥ـ ٦ .

وما زالت كورة بلنسية تحمل أسماء مواضع لها أصول بربرية ، مما يبعث على الظن بأن معظم سكانها كانوا من البربر كالشأن فى Alumusafes الواقعة على مقربة من شقر ، ويبدو كما يذكر الباحث آسين أنه مشتق من لفظ مسوفه [١] ، وهى قبيلة بربرية دخلت الى الأندلس مع قبائل صنهاجة الأخرى واستقرت بشرق الأندلس واليها ينتمى المرابطون ، كما نزل بنو رزين بالسهلة واليهم تنسب بلدة (Albarracin) المشتقة من بنى رزين النفزيين [٢] .

وعلى اية حال فالبربر لم يستقروا فى جماعات كبيرة بالمدن الكبرى ، وإنما كانوا ينتشرون فى المناطق الزراعية ويعملون فى فلاحة الأرض ، ولهذا السبب تركوا بصماتهم فى تسمية قراهم بأسماء قبائلهم [٣] .

جـ ـ المولدون والمستعربون والصقالبة :

الى جانب العنصرين العربى والبربرى سكنت اقليم بلنسية أخلاط غير منتظمة من السكان من أصول إسبانية مولدة ومسالمة ومعاهدة ، يدين المولدون والمسالمة بالاسلام فى حين احتفظ المعاهدة بالمسيحية وعرفوا بالمستعربة [٤] (Los Mozaabes) ، بالاضافة الى العنصر الصقلبى الذين ظهر فى عصر الامارة ولعب دورا سياسيا هاما فى حوادث شرق الأندلس منذ قيام الفتنة البربرية وحتى دخول المرابطين الأندلس ، وهم

---

(١) خايمى اوليفر آسين ، نفسه ، ص ٥ ـ ٦ .

(٢) انظر . لطفى عبد البديع ، الاسلام فى اسبانيا ، ص ٣٢ .

(٣) آسين ، نفسه ، ص ٥ ـ ٦ . ومن الجدير بالملاحظة أن بعض الباحثين الغربيين يذكرون أن العرب اختصوا أنفسهم بأغنى وأخصب أراضى الأندلس ، وتركوا للبربر النواحى الجبلية القاحلة ، غير أن د. حسين مؤنس يشير الى أن هذا الرأى غير صحيح على الاطلاق لأن العرب تركوا لغيرهم مناطق سهلية كثيرة مثل أحواض نهر تاجه ونهر شقورة بمرسية ونهر شقر والوادى الأبيض ببلنسية وغيرها . انظر (فجر الأندلس ، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٢٢) .

(٤) سالم ، نفسه ، ص ١٣٠ . لطفى عبد البديع ، نفسه ، ص ٢٧ . العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٦٧ . صلاح خالص ، إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٣١ .

الرقيق الذين جلبوا صغارا من الأمم المسيحية ، وتربوا بالأندلس تربية اسلامية ثم تقلدوا وظائف هامة بعد ذلك [١] . ومن المرجح أنه سكن بلنسية أيضا أقلية من اليهود [٢] اشتغلوا بالصياغة والصناعات وتحكموا كالشأن دائما فى يهود الأندلس فى الشئون المتعلقة بالاقتصاد والمال [٣] .

ولقد عاش المستعربة ببلنسية فى هدوء وسلام ، وتمتعوا بحرية فى العقيدة وتسامح شامل من جانب المسلمين ، وكانت لهم أسقفية ترعى مصالحهم وتنظم شئونهم ، وان كانت هناك رواية ذات طابع أسطورى تشير الى أن المستعربين ببلنسية قد تعرضوا للاضطهاد من جانب الأمير عبد الرحمن الداخل ، وأنهم اضطروا ذلك الى الهرب الى الامارات النصرانية ، غير أن هذه الرواية تتسم بالخيال وليس لها أى سند تاريخى كما يذكر المستشرقون أنفسهم ، وقد سبق أن فندناها [٤] .

وهناك أمران تجدر الاشارة اليهما فيما يتعلق بسكان بلاد شرق الأندلس :

أولا : أن عناصر السكان لم تختلط فيما بينها ، فالبربر لم يمتزجوا بالعرب أو بالمولدين والصقالبة ، على عكس ما حدث بقرطبة وغرناطة واشبيلية وفى وسط الأندلس ، وان كان هذا لم يمنع أهل شرق الأندلس من طلب المساعدة من المرابطين وهم بربر تحت ضغط وتهديد السيد القنبيطور وجنده النصارى [٥] .

ثانيا : أن حالة الاستقرار والأمن التى نعمت بها بلاد شرق الأندلس إبان الفتنة القرطبية وفى عصر الطوائف كان لها أثرها فى ازدياد عدد السكان بتلك المنطقة بشكل واضح ، إذ وفد اليها العديد من التجار والصناع والحرفيين هربا من الفتنة والحروب الأهلية التى شملت منطقة جنوب الأندلس ، كما ساعدت حالة الاستقرار أهل شرق

---

(١) مختار العبادى ، الصقالبة فى إسبانيا ، ص ٨ ـ ١٠ . صلاح خالص ، نفسه ، ص ٣٢ .

(٢) سبقت الاشارة الى وجود حى لليهود ببلنسية كان يقع الى الجنوب من باب الشريعة .

(٣) انظر . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٣٣ . لطفى عبد البديع ، نفسه ، ص ٣٣ – ٣٤ .

(٤) H. Miranda, op. cit. t. I. pp. 76 - 77.

(٥) H. Miranda, op. cit. p. 73.

الأندلس على التفرغ لأعمالهم الزراعية والتجارية والصناعية ، مما كان له أثره فى ازدهار تلك المنطقة وانتعاشها ، كما ساعد ذلك أيضا على تعايش قائم بن العرب والمولدين ، وينعكس ذلك فى ظاهرة الازدواج اللغوى : العجمية أو الاسبانية القديمة (الرومانسية) والعربية ، ونتيجة لذلك التعايش وجدت كلمات كثيرة فى اللغة الاسبانية القديمة من أصول عربية [1] .

(٢) طبقات المجتمع فى بلنسية فى العصر الأموى وعصر دويلات الطوائف

أ ـ طبعة الأعيان :

وتتكون تلك الطبقة من العناصر العربية والبيوتات الكبيرة من المولدين ، وهى الطبقة الخاصة فى المجتمع التى تحظى بالرئاسة والشرف وتقتنى الضياع الواسعة والأراضى الخصبة والثروات الوفيرة أو تتوفر لديها الثقافة الرفيعة والمعرفة التى تؤهلها لتولى المناصب العليا ، وهى لذلك كانت تعتبر الطبقة المؤسرة : ففى وسعها الظفر بالرئاسة وتسيير دفة الأمور ، ويدخل فيها القضاة وكبار الكتاب والفقهاء والعلماء والموسرون من التجار وكبار الملاك ، وقد تمتعت هذه الطبقة بدخل مرتفع وبوضع اقتصادى واجتماعى متميز مرموق خاصة منذ قيام دويلات الطوائف ، التى لم تكن فى حقيقة الأمر سوى حركة انتزاء للعصبيات المحلية فى مختلف مدن الأندلس وشعورها بقدرتها على الاستئثار بالنفوذ السياسى فى مناطقها واستغلالها لمصالحها الخاصة ، كما فعل بنو طاهر بمرسية وبنو عبد العزيز •بنو جحاف ببلنسية [2] .

---

(١) العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧٢ . لطفى عبد البديع ، نفسه ، ص ١١٢ ـ ١١٦ . وانظر :

H. Miranda, op. cit. p. 77.

(٢) صلاح خالص ، نفسه ، ص ٣٩ ـ ٤٠ . وانظر

H. Miranda, Ibid, pp. 74 - 75.

ويؤكد ابن بسام أنه ظهر ببلنسية أثناء فترة حكم مبارك ومظفر طبقة خاصة ثرية تشكلت من الوزراء والفتيان الصقالبة (العامريين) الذين نعموا في عهدهما برخاء وترف اجتماعي واقتصادي لا مثيل لهما [1] ، بالاضافة الى القضاة وكبار العلماء الذين آلت اليهم الرئاسة في أوقات المحن كالشأن في القاضي ابن جحاف وفي بعض فقهاء بني واجب .

ب ـ الطبقة الوسطى :

وتتكون من التجار وكبار المزارعين وأصحاب الحرف ، وكانوا يعيشون في مستوى اجتماعي متوسط ، وإن كان هذا المستوى يختلف ارتفاعا وانخفاضا باختلاف الأشخاص وأعمالهم [2] .

ومن الجدير بالملاحظة أن معظم الملاك الزراعيين كانوا من المستعربين الذين تمرسوا في أعمال الزراعية ، واشتهرت أراضيهم بوفرة انتاجها [3] ، كما تكونت ببلنسية في بداية عصر الطوائف طبقة من كبار التجار والصناع وهم الوافدين الذين انتجعوها فرارا من الفتنة القرطبية ، وتمكنوا من تكوين ثروات ضخمة في بلد يتمتع بنشاط تجار وصناعي مثل بلنسية [4] .

جـ ـ طبقة الزراع :

وهي أكثر الطبقات فقرا في المجتمع ، ورغم أنهم كانوا يمثلون السواد الأعظم من السكان فانهم كانوا يعانون كثيرا من الظلم والعسف ، فكانوا يتحملون وزر سوء الأوضاع والاضطرابات فضلا عن جور الملاك وجباة الضرائب ، كما كانوا دائما أول ضحايا القحط والمجاعات ، وكثيرا ما تعرضت أراضيهم ومحاصيلهم للنهب والتخريب في أوقات المعارك والحروب [5] ، ففي عهد مبارك ومظفر عاني زراع بلنسية

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٢ ظ .

(٢) صلاح خالص : نفسه ، ص ٣٩ .

(٣) Huici Miranda, op. cit. p. 75.

(٤) ابن بسام ، نفسه ، لوحة ٣ ظ .

(٥) انظر . صلاح خالص ، نفسه ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

من فداحة الضرائب حتى اضطر العديد منهم الى ترك أراضيهم ، فاستولى عليها هذان الصقلبيان [1] ، كذلك تعرضت الأراضى الزراعية ببلنسية للنهب والتخريب أثناء حصار السيد القنبيطور للمدينة ، مما كان له أثره أيضا فى ازدياد حالة البؤس والشقاء التى عانى منها زراع بلنسية بصفة خاصة [2] .

د ـ العبيـد :

ازداد الاقبال فى بلنسية بحكم وقوعها على البحر واتصالها بممالك النصرانية فى قطالونية وافرنجة على اقتناء العبيد والاستكثار منهم للعمل فى فلاحة الأراض أو فى الخدمة العامة أوفى أشق الأعمال ، ولقد كون العبيد طبقة هامة فى المجتمع الأندلسى، كان لها دورها الخطير فى مساندة سلطة الارستقراطية وتمكين نفوذها ، وأرقى هؤلاء العبيد الفتيان العامرية الذين كانوا فى الأصل رقيقاً ثم وصلوا الى أرقى المناصب فى المجتمع ، وتمكنوا من الاستقلال بمنطقة شرق الأندلس عند نشوب الفتنة ، فكونوا بها دويلات طائفية صغيرة امتازت بغلبة العنصر الصقلبى عليها ، ففى عهد مبارك ومظفر « انفتح ببلاد الأندلس باب شديد فى أباقة العبيد ، اذ نزع اليهم كل شريد طريد ، وكان عاق مشاق ، وزهدوا فى الأحرار وأبنائهم [3] » .

هـ ـ المرتزقة النصارى :

استعان بعض أمراء بلنسية بالجند المرتزقة ، فكان المنصور عبد العزيز بن أبى عامر يستخدم فى جيشه قوات مرتزقة من النصارى ، كان يزوده بها بعض الحكام النصارى فى الشمال الاسبانى نظر لصلة القربى التى ربطهم به ، كذلك استعان القادر بن ذى النون عند استيلائه على بلنسية بفرقة من الجند النصارى بقيادة البرهانس (Alvar Hañez) ، وظلوا ببلنسية فترة لحماية القادر وعرشه [4] .

---

(1) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٤و .

(2) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٢ . وانظر .

(3) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٤ ظ . صلاح خالص ، نفسه ، ص ٧٠ – ٧٢ .

(4) البيان المغرب ، جـ٣ ، ص ٣٠٤ .

(٣) أهم مظاهر الحياة الاجتماعيّة فى بلنسية

أ ـ السمات الغالبة على أهل بلنسية :

لم تزودنا المصادر العربية بأخبار كافية لتسليط بعض الأضواء على الحياة الاجتماعية فى بلنسية فى العصر موضوع الدراسة ، ولهذا السبب يعانى الباحث فى هذا المجال فقرا شديدا فى المادة التاريخية ، فكل ما زودتنا به هذه المصادر لا يعدوا اشارات مبتشرة ولكن فى الامكان أن نستنبط منها مادة حية يمكن الى حد كبير الافادة منها فى رسم صورة واضحة المعالم عن هذا المجتمع ، وأهم هذه الاشارات ما أورده العذرى بقوله « وقد اطبعت مدينة بلنسية بقلة الهم ، لا تكاد ترى فيهم أحدا من جميع الطبقات إلا وهو قليل الهم مليئا كان أو فقيرا ، قد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحات والفرج [١] » .

وفى امكاننا أن نحدد من هذا النص بعض ملامح الحياة الاجتماعية ببلنسية فى عصر الطوائف وقبيل هجوم القنبيطور عليها ، وأهم هذه الملامح أن حياة أهل بلنسية كانت تتميز بالسهولة واليسر ، فلم يكن أهلها يقاسون أية مشكلة اقتصادية سواء بالنسبة للفقراء أو الأغنياء . والظاهر أن اطلال بلنسية على البحر وانبساط أرضها واتساع بساتينها وجناتها قد ساعد على تفتح أهلها وانبساط نفسيتهم ، فطالما أثرت البيئة على الأفراد والطبيعة الجغرافية على طباع الانسان ، وليس أدل على صحة هذا القول من الاطلاع على شعر الروضيات [٢] الذى ينسب الى شعراء بلنسية وعلى رأسهم ابن خفاجة وابن الزقاق وابن غالب الرصافى ، وهى أشعار تتسم بالرقة المتناهية التى تعبر

---

(١) نصوص الأندلس ، ص ١٨ .

(٢) راجع ديوان ابن خفاجة ، ص ٨٠ . وقد أورد ابن سعيد الكثير من شعر الروضيات لهؤلاء الشعراء ، انظر . المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ ترجمة ٥٦٧ ، ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ ترجمة ٥٦٩ ، ص ٣٧١ ترجمة ٥٨٠ . وأيضا ابن الأبار ، المقتضب بن كتاب تحفة القادم ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، القاهرة ١٩٥٧ م . ص ٥٣ .

عن سحر الطبيعة وجمالها الأخاذ ، والشعر فى حد ذاته مرآة صادقة تعكس صورة أى مجتمع من المجتمعات . ولاشك أن اتساع بساتين بلنسية ووفرة مياهها ورياضها كان حافزا على مجالس الطرب والأنس التى اشتهرت بها بلنسية فى عصر دويلات الطوائف على وجه الخصوص .

وكان تجار بلنسية ينعمون بترف اجتماعى لا مثيل له ، ساعدهم عليه ذلك النشاط التجارى الكبير الذى اتسمت به المدينة بحكم صلاتها التجارية بالدويلات الاسلامية فى المغرب والأندلس أو بالممالك المسيحية المجاورة أو بالأقطار الاسلامية المطلة على الحوض الشرقى من البحر المتوسط (١) .

ويؤكد الحميرى ما ذكره العذرى ، اذ يشير الى أن أهل بلنسية كانوا يمتازون بكرم الطباع ، وطيب النفوس ، والميل الى الراحات (٢) ، ومع ذلك فلم يوثر اقبال أهل بلنسية على الترف فى فضائلهم ، فالشقندى يشيد بفضائل أهل بلنسية فى قوله : « وأهلها أصلح الناس مذهبا ، وأمتنهم دينا ، وأحسنهم صحبة ، وأرفقهم للغريب (٣) » ، وكذلك يمدحهم ياقوت ويسميهم عرب الأندلس (٤) .

ب ـ الأسـرة :

كان أهل الأندلس يقدسون الحياة الأسرية ، فقلما كانت المرأة تبرح دارها ، وكانت تقضى جل وقتها فى فنائه ، ولهذا كان صحن الدار دائما يتوسط التخطيط العام للدار الأندلسية ، حتى تستشعر قدراً من الحرية داخل نطاق البيت ، وكثيرا ما كان يعلو الدار مصارى لها منافذ بارزة عن جدران الدار تتيح للمرأة أن ترى من خلالها ما يجرى فى الخارج دون أن يراها أحد ، وكانت دور بلنسية الاسلامية من هذا النوع ولهذا السبب أمر القنبيطور عندما استولى على بلنسية جنده بتغطية نوافذ الأبراج المطلة

---

(١) H. Miranda, op. cit. p. 62.

(٢) صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ .

(٣) نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧.

(٤) معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٧٣١ .

على المدينة على الفور حتى لا يقدم أحد من الجند النصارى ، على كشف عورات البيوت والاطلاع على ما يجرى داخل بيوت المسلمين [1] .

وعلى هذا النحو كانت المرأة لا تتمتع إلا بحرية ضيقة داخل نطاق المجتمع الأسرى ، وكانت هذه الحرية تتسع فى المجتمع الحضرى حيث تشارك المرأة فى بعض الأحيان فى الاحتفالات الاجتماعية ومجالس الأدب والطرب أو تحطم أغلالهما وقيودها بين الحين والحين للتنزهة فى صحبة أبنائها وبناتها وأفراد أسرتها الى المناطق الخلوية والمتنزهات والجنان أو تبرح دارها الى الحمامات العامة المخصصة للنساء أو لزيارة المقابر [2] .

ولم يكن فى استطاعة الرجل الزواج بأكثر من واحدة خاصة بالنسبة للطبقات الفقيرة والمتوسطة ، أما الأغنياء فقد كان ثراؤهم يساعدهم على الزواج بأكثر من واحدة [3] ، خاصة وأن الاسلام يبيح الزواج بأربع بشرط العدل بينهن .

وكان ولع أهل بلنسية بالغناء مدعاة لاقتنائهم المغنيات ، وفى ذلك يقول العذرى : « ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شىء من دنياه الا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك [4] » .

جـ ـ الأعياد والمواكب :

كانت الأعياد بالأندلس كثيرة ومتنوعة ، فهناك أعياد دينية شاركت فيها الأندلس العالم الاسلامى كدولة اسلامية مثل عيدى الفطر والأضحى وعيد المولد النبوى وغير ذلك من الأعياد . غير أن هناك أعيادا لها طابع ذاتى مستقل انفردت بها الأندلسى بحكم البيئة المحلية والموقع الجغرافى الأوربى الذى تميزت به ، وأول ما

---

(1) Prim., Crón., gen., t. II. p. 588. Chronicle, p. 175. Pidal, op. cit. V. I. p. 485. & Miranda, op. cit. t. I. p. 63.

(2) Huici Miranda, op. cit. t. I. p. 64 - 65.

(3)

(4) نصوص عن الأندلس ، ص ١٨ .

نلاحظه فى هذا الصدد هو أن يوم الأحد كان عطلة رسمية عند الأندلسيين [1] ، كذلك شاركت الأندلسيون اخوانهم المسيحيين فى أعيادهم ، فهناك اشارة الى احتفال النصارى ببلنسية بعيد القديس سان خوان (San Juan) الذى يسميه العرب عيد العنصرة ، ويحتفل به فى ٢٤ يونيو من كل عام [2] .

وعلى الرغم من أهل المشرق الاسلامى كانوا لا يترددون فى اظهار مودتهم لاخوانهم المسيحيين فيشاركونهم أعيادهم كالشأن فى عيد القيامه المعروف فى مصر بعيد الفصح وعيد الميلاد المجيد وأعياد اخرى أو لمجرد المجاملة على أساس نظرة الاحترام التى يكنها المسلمون للسيد المسيح الا أن هذه المشاركة لم تبلغ مستوى المشاركة الروحية الجماعية التى كانت سائدة فى الأندلس والتى ترجع أساسا الى التعايش المثالى القائم بين المسلمين والمسيحيين [3] .

ومن الأعياد التى كان يحتفل بها أهل شرق لا سيما فى بلنسية ونواحيها عيد العصير (Alacir) ، وكان يقام عند جنى محصول العنب وعصره ، وهو المحصول الرئيسى فى بعض المناطق ، فكان الأهالى يغادرون بيوتهم الى حقول الكروم حيث يقيمون أياما يجمعون خلالها محصول الكروم ثم يحتفلون بذلك فى جو يسوده المرح والغناء والرقص ، ومن الغريب أن هذه العادة ما زالت قائمة فى إسبانيا حتى يومنا هذا [4] .

وجرت العادة أن يحتفل أهل الأندلس عامة بأعيادهم ومواسمهم وانتصاراتهم وزواج واعذار أبنائهم بوسائل مختلفة أهمها : الغناء والموسيقى وألعاب الفروسية وسباق الخيل ومصارعة الوحوش والاحتفالات الدينية التى تقام فى المساجد والزوايا والبيوت ،

---

(١) أحمد مختار العبادى ، الاسلام فى أرض الأندلس ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر العدد الثانى ، الكويت ١٩٧٩ ، ١٠٦ .

(٢) العبادى ، نفسه ، ص ١٠٧ . وأنظر :

Chronicle, p. 174 . & Dozy, Rech., Tome Second, p. LXIX.

(٣) العبادى ، الاسلام فى أرض الأندلس ، ص ١٠٧ .

(٤) العبادى ، نفسه ، ص ١٠٧ .

حيث كانت تتلى آيات من الذكر الحكيم ، وينشد الشعراء القصائد المناسبة للمقام ، الى جانب الأناشيد والموشحات الدينية وحلقات الذكر التى كان يصحبها العزف على الأعواد والنفخ فى المزامير ، ثم تقدم فى آخر الليل الأطعمة والحلوى [(١)] .

ونلحظ أن نساء غرناطة كن يخرجن مع الرجال للتفرج فى أيام الأعياد والاحتفالات ويذهبن الى ساحة الشريعة أو المصلى (خارج باب الشريعة) حيث يقمن الخيام للتفرج لا للصلاة [(٢)] .

ومن بين الاحتفالات التى كانت تجرى فى بلنسيةزمن الطوائف ، الاحتفال بخروج موكب الأمير الى المسجد الجامع لصلاة الجمعة ، يحيط به الحرس والحاشية والغلمان ، فقد ذكر ابن بسام أن مباركا ومظفرا كانا يخرجان لصلاة الجمعة فى المسجد الجامع ببلنسية فى موكب ضخم يشبه فى فخامته موكب مولاهما الحاجب المظفر عبد الملك بن أبى عامر ، وكانا يلبسان أفخر الثياب ، ومن حولهما الأعوان والخدم [(٣)] ، كما يشير ابن عذارى الى أن القاضى ابن جحاف عند خروجه فى موكب كان يتقدمه العبيد ويتأخر عنه الجند وتستقبله المصانعة بالدعاء والثناء [(٤)] .

د ـ فن الغناء والموسيقى ببلنسية :

نقل العرب المشارقة معهم الى الأندلس ما ورثوه عن أهل الشام والحجاز فى العصر الأموى من فنون الطرب الذى غرسه فى مدارسهم بالمدينة ومكة ودمشق أشهر المغنين والمغنيات ، ولم يكن يقبل على هذا الفن فى عصر الولاة الذى سبق قيام الدولة الأموية إلا أشراف العرب اليمنية والقيسية الذين كانوا يعكفون فى أوقات فراغهم وراحتهم على السماع الى أن كانت دولة عبد الرحمن الداخل ، فأخذت الأندلس

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) العبادى ، نفسه ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ . ومن المرجح أن هذا القول يمكن تطبيقه على بلنسية الاسلامية خاصة وأنه كان يوجد بها مصلى (شريعة) للاحتفالات العامة والصلاة فى الأعياد .

(٣) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٤و .

(٤) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

تفتح ذراعيها للفنون المشرقية وعلى الأخص الشامية منها ، وأقبل عبد الرحمن على اقتناء الجوارى المدنيات ، وأسست لهن دار فى قرطبة ، واستمرت المدينة معينا لجوارى الأندلس لا ينضب الى أن أخذت التأثيرات العراقية البغدادية تتسلسل الى قرطبة فى بداية عهد عبد الرحمن الأوسط .

ولقد بدأ فن الغناء والموسيقى الأندلسية يتطوران فى الأندلس بوصول زرياب الى قرطبة فى بداية عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، والى زرياب يرجع الفضل فى رسوخ هذا الفن فى حواضر الأندلس وقواعدها بعد ذلك ، ويؤكد ابن خلدون ذلك فى قوله أن زرياب قد أورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه حتى عصر الطوائف [1] . فمن قرطبة انتقلت فنون الطرب التى تطورت على يدى زرياب وتلاميذه ، وتعددت فى الأندلس مراكز الغناء والموسيقى ، وساعد على تألقها ابتكار فن التوشيح الذى تتفق صياغته مع تقطيع الأصوات والألحان .

وكانت مدينة بلنسية فى عصر الطوائف من أهم مراكز الغناء والموسيقى فى الأندلس ، فقد عرف أهلها بمرحهم واقبالهم على الملاهى والغناء ، وفى ذلك يقول العذرى : « ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شىء من دنياه إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك ، وانما يتفاخر أهلها بكثرة الأغانى ، فيقولون : عند فلان عودان [2] وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك ، وقد أخبرت أن مغنية بلغت فى بلنسية أكثر من ألف مثقال طيبة ، وأما دون الألف فكثيرات [3] » .

---

(١) انظر . مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٢٨ . عبد الرحمن الحجى ، تاريخ الموسيقى الأندلسية ، الطبعة الأولى ، نشر دار الارشاد ، بيروت ١٩٦٩ م ، ص ٢٩ _ ٣٠ .

(٢) العود من آلات الطرب ، وهو يعتبر من الآلات الوترية ويسمى فى الاسبانية Alaud ، ومن آلات الطرب الأخرى الكريج (Carrizo) وهى آلة مستديرة الشكل مزودة بأوتار مشددة ، ومنها أيضا القتار (Cuitarra) والرباب (Rabel) راجع (السيد عبد العزيز سالم ، الغناء والموسيقى بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، العدد ٦١ سنة ١٩٥٩ ، ص ١٠٤ . الحجى ، نفسه ، ص ٣٤ _ ٣٦ . فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣٥٥ _ ٣٩٩) .

(٣) نصوص عن الأندلس ، ص ١٨ .

هـ ـ وسائل اللهو والتسلية:

١ ـ مجالس الطرب :

لعل طبيعية بلنسية الساحرة التى طالما ألهمت شعراءها وفجرت ملكاتهم فى الروضيات والزهريات وما اشتهرت به من كثرة البساتين والجنان الممتدة على ضفتى نهرها الأبيض ووفرة مياهها التى تشق المتنزهات وتخترق الجنات كالحيات الأراقم كان له أعظم الأثر فى تقدم فن الغناء والنغم ، ففى هذه البساتين والرياض والمنيات كانت تعقد الندوات ومجالس الأدب والطرب فى عصر الدولة العامرية وفى عصر الطوائف ، حيث يتجمع الاخوان والأصدقاء بين الأدواح والخمائل الخضرة لسماع نغمات المثانى والمثالث [١] . وكان الحاضرون عادة يفترشون الوسائد ويأكلون ويشربون ويطربون ، وقد يرقصون على ايقاع الدفوف والمزامير [٢] ، ويصف الشاعر ابن خفاجة مجلسا من تلك المجالس فى بلده بلنسية فيقول :

فكم يـوم لهوٍ قـد أدَرْنـا بأُفْقـه ... نجـومَ كـؤسٍ بين أقمـارِ ندمَـانِ
ولِقُضْبِ والأطيار ملهىً يجرعه ... فما شئتَ من رقصٍ على رَجْعِ ألحانِ [٣]

ومن الجدير بالذكر أن مجالس الأنس والشراب تعددت على وجه الخصوص فى عهد الأمير المنصور عبد العزيز الذى كان يقيمها غالبا فى منيته المعروفة باسم منية المنصور أو منية ابن أبى عامر .

٢ ـ الاقبال على الصيد بالبزاة والجوارح :

كان الأمراء هواة الصيد بالبزاة يدربون صقورهم وجوارحهم على الصيد فى نواحى أشبونة وجبال شرق الأندلس وجزر البليار ، وقد زخرت كتب الأدب الأندلس بعديد من الأمثلة التى تشير الى ولع بعض الأمراء بهواية الصيد ، فنجد أن ابن طاهر

---

(١) سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٢) سالم ، صور من المجتمع الأندلسى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد المجلد ١٩ سنة ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨ ، ص ٦٤ .

(٣) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

أمير مرسية يبعث الى صاحب بلنسية المنصور عبد العزيز شواذا نقات ليستخدمها فى رحلات صيده فى غابات وجبال بلنسية التى تكثر فى نواحيها الشمالية [1] . ومن بين الجوارح التى كان يستخدمها القوم فى ذلك الشواهين (نوع من الصقور البيضاء) والبزاة والصقور والعقبان وغيرها ، وكانت تصيد طيور المائى والحمائم والكراكى ، أما الكلاب والفهود فتصيد الأرانب والثعالب والغزلان والظباء والبقر الوحشى [2] .

٣ ـ الخروج للتريض والنزهة :

اعتاد أهل بلنسية تحطيم أغلال الحياة المدنية والتخلص من قيود متاعبها بالخروج الى ظواهرها ونواحيها الخلوية طلبا للراحة وللنزهة والاستمتاع بالحياة بعيدا عن صخب الحياة داخل النطاق العمرانى [3] ، وفى هذه النواحى تكثر البساتين والمتنزهات والمنيات ، وتتوفر المياه والأشجار ، فيقضون سحابة يومهم بين ظلال وارفه ومياه جارية وخضرة متصلة بينما تطربهم تغريد الطيور على الأشجار ويشجيهم نواح النواعير على الجداول والأنهار ويسعدهم تبسم الورود والرياحين والأزهار ، ولدينا حصيلة غنية من نظم شعراء بلنسية فى الزهريات والثمريات والروضيات تصور لنا جانبا هاما من الحياة الاجتماعية فى بلنسية الاسلامية [4] .

---

(١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٦٣ .

(٢) سالم ، صور من المجتمع الأندلسى ، ص ٧٢ ـ ٧٤ . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٤٢ .

(٣) سبقت الاشارة الى أن الفتى مباركا صاحب بلنسية فى بداية عصر الطوائف كان يخرج الى ظاهر المدينة للتريض والنزهة . انظر (الذخيرة ق ٣ المخطوط لوحة ٤ ظ . الاحاطة ، المجلد الثالث ، ص ٢٩٣) .

(٤) من ذلك قول ابن سعد الخير البلنسى :

لله دولابٌ يفيض بسلسلٍ ... فى دوحة قد أنعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها ... فتجيبه وترجّع الألحانا

وقول ابن الزقاق :

وأغيدٍ طاف بالكئوس ضحيً ... وحثّها والصباحُ قد وضحا
والروضُ أهدى لنا شقائقه ... وآسه العنبرىُّ قد نفحا

و ـ الاهتمام بالتعمير والبنيات والتشييد :

شغف أمراء بنى أمية بالحياة فى أحضان الطبيعة بعيدا عن أنظار الرعية وطلبا للمتعة والبهجة والسرور وترويحا عن النفس ، فأقاموا لذلك المنيات والجنات ، من ذلك منية الرصافة التى أقامها الأمير عبد الله البلنسى فى الجنوب الشرقى من بلنسية وذاعت شهرتها بحيث أصبحت تؤلف ربضا هاما من أرباض المدينة [1] ، وقد ازداد الاقبال على فن البناء والتعمير بوجه خاص فى عصر الطوائف ، وليس أدل على ذلك من الاشارة الى الاهتمام الكبير الذى أبداه مبارك ومظفر بالعمارة تقليدا للملوك بالتناهى فى عليات الأمور ، وقد قلدهما فى هذا الاتجاه أصحابهما ووزراؤهما وكتابهما ، فاقتدوا بهما فى تفخيم البناء واقامة المتنزهات والجنان ، وأنفقوا فى ذلك أموالا طائلة حتى أن بعضهم كان ينفق على داره مائه ألف دينار وأقل منها وفوقها ، وكانوا يستخدمون فى عملية البناء أجود أنواع الأخشاب ورفيع العمد ونفيس المرمر مجلوبا من مناطقة المشهورة بذلك [2] ، ويذكر ابن بسام أن دار أحد أصحابهما ويدعى مؤملا القشتيلى كانت تفوق فى سرورها واكتمال النعمة فيها قصر الامارة بقرطبة [3] ، مما يدل بوضوح على مدى الترف الاجتماعى الذى بلغته بلنسية فى تلك الفترة من عصر الطوائف .

= وقول ابن خفاجة :

سقانى وقد لاح الهلالُ عشيةً　　　كما اعوجَّ فى درعِ الكميِّ سنانُ
ونمَّت بأسرارِ الرياضِ خميلةٌ　　　لها الزهر ثغر والنسيم لسانُ

انظر . (ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ ، ٣٢٤ ، ٣٧١) .

(١) انظر . ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ٢٩٨ . القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ . المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٦٨ . سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٢١ . وايضا .
H. Miranda, op. cit. t. I. p. 120

(٢) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٣ ظ ، ٤و .

(٣) الذخيرة ، لوحة ٤و .

ومن المنشآت المدنية التى أقيمت ببلنسية فى عهد الأمير المنصور عبد العزيز منيته المعروف باسمه ، وتقع الى شمال المدينة على للضفة اليسرى من الوادى الأبيض [1] ، كما كان للوزير أبى بكر بن عبد العزيز منية أخرى تقع على الأرجح قرب باب الحنش [2] .

---

(١) المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ . المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ١٧٩ .

(٢) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٩٦ . المقرى ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

الفصـــل الثالـــث

« الحياة الاقتصادية فى بلنسية الاسلامية »

١ ـ الزراعة .

٢ ـ الفنون والصناعة .

٣ ـ التجارة الداخلية والخارجية .

٤ ـ النظام المالى .

(١) الزراعـــــة

أ ـ مقومات الزراعة بكورة بلنسية :

الفلاحة هي أساس التحضر والعمران ، وتعتبر من أقدم الصنائع لأنها تؤدى الى الحصول على القوت الضرورى لحياة الانسان ، ويعرفها ابن خلدون بقوله : « هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب ، بالقيام على اثارة الأرض لها وازراعها وعلاج نباتها وتعهده بالسقى والتنمية الى بلوغ غايته ، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه واحكام الأعمال لذلك وتحصيل أسبابه ودواعيه » [(١)] .

وقد حثت كتب الحسبة اجمالا على الاهتمام بالحرس والزراعة ، وما ذلك قول ابن عبدون [(٢)] : « ويأمر الرئيس بالحرث وبالمحافظة عليه وبالرفق بأهله والحماية لهم فى أعمالهم .. ومنها (يقصد الفلاحة) العيش كله والصلاح جله ، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال ، وبها تملك المدائن والرجال ، وببطالتها تفسد الأحوال وينحل كل نظام » [(٣)] .

ولقد كانت بلنسية بانسباط أراضيها وخصوبة تربتها ووفرة مياهها بلادا غنية بمحاصيلها الزراعية ، ففيها نشطت الزراعة على نحو فاقت فيه غيرها من كور الأندلس ، فكانت بستان الأندلس ومدينة التراب على حد قول مؤرخى العرب ، وقد قامت الزراعة فى أراضى بلنسية للاعتبارات التالية :

١ ـ توافر الميـــاه :

تتوفر ببلنسية مياه الرى التى تعتبر من أهم المقومات لقيام الزراعة وازدهارها عن طريقين الأول مياه الوادى الأبيض والثانى مياه الأمطار ، فمدينة بلنسية تقع على نهر

---

(١) انظر . مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٠٦ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبدون التجيبى ، من كتاب الحسبة فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) .

(٣) انظر . ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ، نشر ليفى بروفنسال ، ص ٥ .

جار (الوادى الأبيض) الذى ينتفع منه في رى البساتين والمزارع [1] ، وبالاضافة الى ذلك تتعرض بلنسية بحكم وقوعها على الساحل الشرقى للأندلس للأمطار التى تسقط فى فصل الشتاء ، وأما المناطق الداخلية للكورة التى تقل فيها مياه الأمطار فتعتمد أساسا فى الرى على مياه الوادى الأبيض ووديان أخرى أهمها نهر شقر (Jucar) وميخارس (Mijares) وسيربس (Serpis) [2] .

ولقد كان طبيعيا أن يعتمد اقليم بلنسية الذى يتميز بتربته الخصبة وأرضه المتبسطة ومياهه الوفيرة ومناخه المعتدل على نظم متقدمة للسقاية والرى لزراعة المناطق التى قد لا تصلها مياه الأمطار ؛ فاستلزم الأمر شق القنوات واقامة الجسور ونصب الدواليب وغير ذلك من الوسائل التى يعمد اليها أهل البلاد الزراعية لرعاية محاصيلهم وتعهدها بالعناية .

ويذكر مؤرخو العرب أنه وجدت ببلنسية سواق ونواعير للرى وكان لها مشرفون لرعايتها ، ومنهم الفتيان مبارك ومظفر اللذان توليا بادىء الأمر وكالة الساقية بها [3] ، وكذلك كان يوجد بها دواليب [4] تدور على حافة الوادى لرفع المياه من بين تجاويفها ، ويذكر العذرى أن شاطبة كان « يخترق بطاحها واد قد اتخذ عليه النواعر [5] » .

---

(١) الادريسى ، صفة المغرب والأندلس ، ص ١٩١ . ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٧٣٠ ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ . الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ .

(٢) انظر . محمد سامى عسل ، أوربا دراسة فى جغرافية القارة ، ص ٢٢٢ . وأيضا :
Jose Ibañez Martin, Geo grafía de España, p. 71.

(٣) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط ، لوحة ٣و . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٥٨ .

(٤) قلائد العقيان ، ص ٦٤ . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ . وتجدر الاشارة هنا الى أنه قد ورد ذكر الدولاب فى أشعار البلنسيين ، ومن ذلك قول ابن الأبار البلنسى فى وصف الدولاب :

تقتادنا أقدامنا وجيادنا ... لجنابه وهو النضير المعجب
كلفا بدولاب يدور كأنه ... فلك ولكن ما ارتقاه كوكب
نصبته فوق النهر أيد قدرت ... ترويحه الأرواح ساعة ينصب

انظر . (ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ ترجمة رقم ٧دد) .

(٥) نصوص عن الأندلس ، ص ١٨ .

ومن الجدير بالملاحظة أن كثيرا من المؤرخين أثنوا على نظام الرى الذى أتبعته بلنسية لا سيما نظام المصارف والقنوات الذى استخدم لرى البساتين والحدائق وتزويد السكان بمياه الشرب (١) .

ويذكر المستشرق ليفي بروفنسال أن مسلمى إسبانيا عامة استخدموا وسائل الرى المختلفة ونظموها ، وعرفوا بعض الطرق لقياس منسوب المياه أو ما يعرف حاليا بهندسة الرى ، كذلك استخدموا السواقى النهرية التى كان لهم الفضل الأكبر فى ابتكارها ، كما استلمت أيضا فى الشرق الاسلامى (٢) .

والواقع أن النظام الاسلامى الذى وضعه المسلمون للرى والسقاية وهندسة المياه لا يزال باقيا حتى الآن باسبانيا ، يستخدمونه على نحو عملى فى مروج شرق الأندلس ، ولاشك أنهم عرفوه عن طريق العرب الفاتحين (٣) . فمن حيث تنظيم عملية السقاية تجدر الاشارة الى أنه يوجد ببلنسية حاليا قضاء يعرف بقضاء المياه أو محكمة المياه (ديوان المياه) ، ولعله من الآثار الباقية من العهود الاسلامية ، وينعقد مجلس القضاء المذكور كل يوم خميس عند الظهر أمام باب الكاتدرائية ، ويتألف أعضاء هذا المجلس من الفلاحين ، ومهمته تنظيم أعمال الرى ، وكل من لا يخضع لأحكامه يحرم من رى أراضيه وهو بذلك يشبه الى حد كبير وكالة الساقية التى وجدت ببلنسية فى عصر الطوائف (٤) .

---

(١) H. Miranda, Hist., mus., de Valencia, t. I. p. 155.

(٢) Levi - Provencal , Histoire de l' Espange musulmana, t. III. p. 280 & H. Miranda, op. cit. t. I. p. 155.

(٣) H. Miranda, Ibid, pp. 155 - 157.

ونلاحظ أن بعض الباحثين الغربيين يميلون الى انكار فضل المسلمين فى اسبانيا على وسائل الرى والسقاية ، ويجحدون ما قدموه فى هذا المجال من نظم ، ويعتبرون هذه النظم فى الأصل اسبانية وأنها كانت مطبقة ومعروفة قبل الفتح الاسلامى . وواضح فى هذا الرأى تحامل على المسلمين ، فقد درج كثير من المستشرقين على انكار فضل العرب على الحضارة الانسانية . انظر :

(Miranda, Ibid, p. 157.

(٤) انظر . شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢١٣ . آدم متز ، الحضارة الاسلامية فى=

والملاحظ أن التشريع الخاص بتنظيم الرى كان متشعباً ، ويشتمل على مجموعة من القوانين الدقيقة المعقدة ، ولكنها جميعا تتفق فى قاعدة شرعية واحدة وهى أن الماء لا يجوز أن يباع أو يشترى ، وعلى هذا الأساس لا يجوز للدولة أو الأفراد أن يجعلوا مسألة الرى سبيلا للتكسب أو التجارة [1] .

ومن حيث المنشآت المائية اهتم حكام بلنسية بشق القنوات والسواقى تسهيلا لرى الأراضى الزراعية البعيدة عن الوادى كما أقاموا المخازن والأبراج لخزن ما يلزمهم من حبوب ، كذلك حرصوا على ربط المدينة بظاهرها تيسيرا على المزارعين فعقدوا القناطر على الوادى [2] .

وعلى هذا النحو كانت بساتين بلنسية التى تحف بها وتطوق نواحيها تستمد مياهها من الوادى الأبيض عن طريق قنوات متعددة أجريت لهذا الغرض ، فمن جهة الشمال أقيمت قناة تعرف اليوم بساقية مونكادة (Acequiade Moncada) كما أقيمت فى نفس هذه الناحية قناة طور موس (Tormos) ومستالة (Mastalla) ورسكانة (Rascana) ، أما من جهة الجنوب فزقيمت قنوات كورات (Cuart) ومسلاته (Mislata) وفبارة (Favara) وروبلة (Rovella) ، وكل هذه القنوات كانت تتشعب الى جدوال عديدة تؤلف شبكة متصلة من القنوات المائية لا يميز بداياتها ونهاياتها الا أصحاب البساتين والمزارعون ، وقد تم تنفيذ هذه الشبكة المائية الدقيقة منذ أيام المسلمين رغم أن قلة من المتحاملين على الحضارة الاسلامية يعزون أصلها الى الرومان [3] .

= القرن الرابع الهجرى ، ترجمة د . عبد الهادى أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤١ ، ص ٢٨٢ . مؤنس ، رحلة الأندلس ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ . وأيضا .

J. B. Trend, The Civilization of Spain, London, 1944, p. 36.

(١) آدم متز ، نفسه ، ص ٢٨١ .

(٢) عن قنطرة بلنسية انظر . العذرى ، نفسه ، ص ١٨ . ابن بسام ، نفسه ، ق ٣ لوحة ٤ ظ . ابن الكردبوس ، نفسه ، ص ٩٩ .

(٣) أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

٢ ـ جودة التربة وخصوبتها :

امتازت بلنسية بخصوبة التربة التى تكونت بفعل الرواسب النهرية ، ولهذا السبب عرفت بلنسية بمدينة التراب [١] ، وكانت أراضيها منبسطة سهلية [٢] تصلح للزراعة ، وكانت أكثر أراضيها المزروعة تمتد على ضفاف جداولها وقنواتها ونهرها الأبيض ، كما قامت الزراعة على ضفاف البحيرة التى تقع جنوبها [٣] ، وكذلك على ضفاف نهر شقر [٤] . وقد توصل المزارعون لزيادة خصوبة التربة بروث الحيوانات والفضلات الانسانية ، يؤكد ذلك قول ياقوت : وكانت « كنفهم ظاهرة على وجه الأرض لا يحفرون له تحت التراب ، وهو عندهم عزيز لأجل البساتين [٥] » .

---

(١) انظر . العذرى ، نفسه ، ص ١٧ . ابن غالب ، قطعة من فرحة الأنفس ، ص ٢٨٥ . ياقوت ، نفسه ، المجلد الأول ، ص ٧٣٠ . وأيضا :

H. Miranda, op. cit. t. I. p. 20.

(٢) الادريسى ، نفسه ، ص ١٩١ . الحميرى ، نفسه ، ص ٤٧ . وأيضا .

Levi - provencal, La description d l' Esp., p. 41.

(٣) عن بحيرة بلنسية انظر : ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ . المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ . ويذكر شكيب أرسلان أن هذه البحيرة بقية من البحر المتوسط انفصلت عنه بلسان من الأرض ، وتحولت مياهها الى العذوبة بمرور الزمن . انظر . (الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٢١٢ ، ٢١٦) .

(٤) الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٢ . ابن سعيد ، نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ . الحميرى ، نفسه ، ص ١٠٢ . وفى وصف جزيرة شقر يقول ابن سعيد : « عروس الأندلس المقلدة من نهرها بسلك ، المتلفعة من جنانها بسندس ، روض بسام ، ونهر كالحسام ، وبلبل وحمام ومنظر يحث على حشو المدام » ويقول فيها أيضا شاعرها ابن خفاجة :

سقياً لها من بطاح أنسٍ ودوحِ حُسْنٍ بها مُطِلِّ
فما ترى غير وجهِ نهرٍ أطلّ فيه عذارُ ظلِّ

انظر (المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣) .

(٥) معجم البلدان ، المجلد الأول ، مادة بلنسية ص ٧٣٢ . وأنظر :

Elías Teres, Textos poéticos arabes, p. 301.

٣ ـ اعتدال المناخ :

كانت بلنسية تقع وفق التقسيم الجغرافي داخل الاقليم الرابع المطل على البحر المتوسط ، وهى لذلك السبب كانت تتمتع بمناخ معتدل نوه به الجغرافيون العرب وذكروه فى كتاباتهم ، وفى ذلك يقول ابن سعيد : « وجوها صقيل أبدا .. وهؤاؤها حسن لتمكنها من الاقليم الرابع »[1] ، فالبرد القارس وسقوط الثلج لا يساعدان على زراعة المحاصيل الأساسية كالقمح والقطن والأرز والفواكه وهى زراعات تتطلب مناخا أكثر حرارة ودفئا كافيا ، وقد تمثل ذلك كله فى مناخ بلنسية الذى يسوده الاعتدال معظم شهور السنة .

ولاشك أن هذا المناخ المعتدل الذى تمتعت به بلنسية خاصة ومنطقة شرق الأندلس عامة كان له أعظم الأثر فى ازدهار الزراعة ووفرة المحاصيل الزراعية بتلك المنطقة .

٤ ـ توافر الأيدى العاملة (الفلاحون) :

من أهم مقومات الزراعة توافر العناصر البشرية من الفلاحين الذين يقومون بالحرث والغرس والرى والتسميد والحصاد وكافة الأعمال المرتبطة بالفلاحة .

ومما لاشك فيه أن قيام الفتنة البربرية كان عاملا فى هجرة أعداد كبيرة من مزارعى الأندلس الى أراضى بلنسية حيث يسود الأمن والاستقرار ، وأدت الكثرة العددية فى اقليم بلنسية الى تفوقها فى مجال الزراعة ، وان كانوا قد تعرضوا أثناء محنة الحصار القشتالى الذى فرضه القنبيطور على بلنسية وجور الجباة وقباض الضرائب لضغوط كثيرة حملت بعضهم على التماس لقمة العيش فى مناطق أخرى من شرق

---

(١) المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ . وانظر أيضا : العذرى ، نفسه ، ص ١٧ . الادريسى ، نفسه ، ص ١٩١ ـ ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ . المراكشى المعجب ، ص ٤٥٤ . الحميرى ، نفسه ، ص ٤٧ .

Levi - Provencal, Hist., de l' Esp., t. III. p. 280.

الأندلس [1] . ومع ذلك فإن فترة المحنة التى تعرضوا لها كانت قصيرة لم تؤثر كثيرا فى الأوضاع الاقتصادية باقليم بلنسية ، ومن الواضح أن معظم المزارعين فى بلنسية كانوا ينزلون فى القرى والضيعات المجاورة لها ، وذلك لقربها من حقولهم وبساتينهم الواقعة على ضفاف النهر .

ب ـ أهم المحاصيل الزراعية بكورة بلنسية :

كان لخصب أراضى بلنسية واعتدال مناخها وتوافر مياهها أثره الكبير فى وفرة انتاجها الزراعى وتنوعه ، فوفرة المياه فى بلنسية ساعدت على زراعة الأرز ، وكان محصوله الوفير يفيض عن حاجة أهلها ويحمل الى جميع بلاد الأندلس [2] ، واعتدال المناخ كان مواتيا لزراعة القمح والشعير ، وقد تردد ذكرهما كثيرا فى الروايات العربية التى تشير الى ارتفاع أسعار الأطعمة أثناء فترة حصار القنبيطور للمدينة [3] ، ويذكر ابن غالب أن القمح كان يزرع أيضا فى شبرب [4] (من أعمال بلنسية) ، أما الكتان فكان يزرع ببلنسية وشبرب ، وقد أدى توافر محصوله الى شهرة بلنسية بالنسيج الكتانى [5] ووجود معاصر للزيوت بها [6] . كذلك يذكر العذرى أن أرض

---

(١) سبقت الاشارة الى أن زراع بلنسية قد تعرضوا أثناء عهد مبارك ومظفر لكثير من الظلم والعسف . انظر . (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٤و . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٢) .

(٢) العذرى ، نفسه ، ص ١٧ . والملاحظ أن بلنسية لا زالت تشتهر الى اليوم بزراعة الأرز وكذلك الزعفران الذى يضاف الى طبق الأرز المشهور المعروف البئيه (Paella) ، ويقال أنه طعام عربى الأصل اشتق اسمه من البقية ، لأنه يتشكل من بقايا أطعمة متعددة . غير أن الباحث إويثى ميراندا يذكر أن هذا الطبق ليس عربى الأصل خاصة وأن كتاب « الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين » لا يتضمن أى اشارة الى هذا الطبق . انظر (مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس (بعد الأدريسى) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد المجلد ١١ ـ ١٢ سنة ١٩٦٣ ، ص ٢١٢ . إويثى ميراندا ، بلنسية الاسلامية ، (تقرير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٦٥ ، ص١١) .

(٣) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٨ .

(٤) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٥) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٦) J. Oliver Asin, Las dos Almuzaras, al - Andalus, Fas. I. Maorid, 1962, p. 182.

بلنسية يزرع أكثرها بالزعفران وتجود زراعته بها [١] ، ومن الملاحظ أن نبات الزعفران له فائده كبيرة فى الصباغة [٢] وكذلك نبات القرمز الذى اشتهرت بلنسية بزراعته [٣] . ومن فواكه بلنسية المعروفة القراسيا ، وكان « لا يخلوا منه سهل ولا جبل [٤] ، والكروم [٥] والزيتون الذى زرع ايضا بمربيطر [٦] وكذلك التين الذى تعددت أنواعه فيها [٧] . وأكثر فواكه بلنسية شهرة البرتقال الذى يعتبر اليوم من أهم مقومات ثروتها الزراعية وان كان ذلك لم يرد ذكره فى المصادر العربية ، ومن المعروف أن العرب هم الذين أدخلوا زراعته فى إسبانيا [٨] . كذلك زرع بها الكمثرى ، وكانت تسمى الأرزة ، وكانت أحجامها فى حجم حبات العنب وتجمع بين حلاوة الطعم وذكاء الرائحة [٩] . والى جانب هذه المحاصيل الزراعية اشتهرت بلنسية بأنواع

---

(١) نصوص عن الأندلس ، ص ١٧ . ياقوت ، نفسه ، المجلد الأول ، ص ٧٣٠ . نفح جـ ١ ، ص ١٦٨ . وانظر :

Levi - Provencal, La description de l'Esp. p. 71.

(٢) المعروف أن نبات الزعفران كان يستخدم فى الصباغة باللون الأصفر ، أما القرمز فكان يستخدم فى صبغ الصوف باللون الأحمر . انظر (متز ، الحضارة الاسلامية ، ص ٢٦٥) .

(٣) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، تحقيق د . عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٢٧ .

(٤) ياقوت ، نفسه ، المجلد الأول ، ص ٧٣٠ .

(٥)ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٦) الادريسى ، نفسه ، ص ١٩١ . ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ . الحميرى ، نفسه ، ص ٤٤ ، ١٨٠ .

(٧) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ . وانظر . أحمد بن زنبل ، تحفة الملوك والرغايب لما فى البر والبحر من العجايب والرغايب ، ورقة ٣٣٧ (نسخة مخطوطة بمكتبة البلدية بالاسكندرية تحت رقم ٣٦١٧ ج) .

(٨) انظر . إوينى ميراندا ، بلنسية الاسلامية (تقرير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد) ص ١١ . ابراهيم شريف ، أوربا دراسة اقليمية ، ص ٣١١ . وانظر :

J. B. Trend, The Civilization of Spain, p. 73.

(٩) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٦٨ . وتجدر الاشارة اليأن بلنسية ما تزال تشتهر بزراعة الكمثرى ، =

مختلفة من الرياحين والزهور مثل الياسمين والنرجس والآس وغيرها ، ولم يكن ذلك أمرا غريبا على مدينة أطلق عليها مؤرخو العرب اسم مطيب الأندلس [1] .

(٢) الفنــون الصناعيــة

أ ـ عوامل ازدهار الصناعة :

اشتهرت بلنسية الى جانب انتاجها الزراعى الوفير بصناعتها المتنوعة التى ذاعت شهرة بعضها فى العالم أجمع حتى يومنا هذا كصناعة الخزف والنسيج ، ويرجع قيام الصناعة فى بلنسية الى العوامل التالية :

١ ـ وفرة المواد الأولية :

توفرت ببلنسية المواد الخام اللازمة لقيام الصناعة ، وأهمها معدن الحديد الذى اشتهرت به أندة [2] ، والأشجار التى كانت تقطع من غاباتها واستخدمت فى أعمال النجارة والآثاث وفى صناعة السفن وفى البناء والتشييد ، والكتان الذى استخدم فى صناعة الثياب واستخراج الزيوت [3] ، والتراب الجيد لصناعة الخزف الذى اشتهرت به بطرنة ومنيشة ومدينة بلنسية نفسها .

٢ ـ الأســواق :

وهى تعتبر من أهم عوامل قيام الصناعة ، اذ لابد من توافرها لتصريف المنتجات

= وتسمى فى الاسبانية Perás de Sanjuan ولكنها ليست فى حجم حبة العنب وانما فى حجم البيضة الكبيرة . انظر مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون (بعد الادريسى) ص ٢١٢ . وايضا .
Bernhard and Ellen, Arabic Spain, London, 1912, p. 377) .

(١) المراكشى ، المعجب ، ص ٤٥٤ . المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ . انظر :
Bernhard and Ellen, op. cit. p. 12.

(٢) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٣) عن الكتان ببلنسية انظر . ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٥ . ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٨ . ابن زنبل ، تحفة الملوك ، ورقة ٣٣٧ .

الصناعة المختلفة ، كما أن الحرف والصناعات غالبا كانت تقام في اسواق المدينة . وقد كانت كورة بلنسية عامرة بالأسواق وأشهرها القيسارية [1] ، وتقع على الأرجح في قلب المدينة على مقربة من مسجدها الجامع ، كما وجدت أسواق في الأرباض ، وفي شقر[2] وبعض القرى والحصون المجاورة مثل حصن بكيران الذى كان له سوق مشهودة[3] .

٣ ـ الأيدى العاملة الماهرة :

من مقومات الصناعة توافر الأيدى العاملة الماهرة في بلنسية ، وقد ساعد على ذلك التعايش القائم بين العناصر السكانية المختلفة وامتزاج الثقافات ، وهي عوامل ساعدت على التفاعل والتواصل ، وولدت المهارات وفجرت الطاقات في كل مناحي الحياة أدبية ومادية .

ولا ننسى أن الفتنة البربرية كانت عاملا رئيسيا في هجرة الحرفيين من أهل قرطبة ووسط الأندلس الذى طحنته نوائبها الى شرق الأندلس وعلى الأخص الى بلنسية حيث يسود الاستقرار والهدوء ، مما كان له أثره في ازدهار الصناعة بها [4] .

٤ ـ سهولة المواصلات البرية والنهرية والبحرية :

امتازت بلنسية بمواصلاتها السهلة ، فهي مدينة برية بحرية تتوسط سواحل شرق الأندلس وتكثر بها المراسي [5] ، الأمر الذى يسر اتصالها بمدن البحر المتوسط المختلفة وعلى الأخص بالجزر الشرقية وبلاد المغرب الرسلامي وسواحل افرنجة ، كذلك ساعدت أنهارها على ربطها بمختلف المدن الداخلية التابعة لكورتها .

---

(١) كان يوجد ببلنسية باب يسمى القيسارية مما يشير الى وجود قيسارية بها ، انظر (العذرى ، نفسه ، ص ١٨) .

(٢) الحميرى ، نفسه ، ص ١٠٢ .

(٣) الادريسي ، نفسه ، ص ١٩٢ .

(٤) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٣ ظ .

(٥) الادريسي ، نفسه ، ص ١٩١ . ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٧٣٠ . الحميرى ، نفسه ، ص ٤٧ .

ب ـ أهم الصناعات :

اشتهرت بلنسية بعدد من الصناعات التى تعتمد على انتاجها الزراعى كالنسيج الكتانى والصباغة بالقرمز والزعفران وصناعة الورق من قشور الأرز ، وعلى توافر المواد الأوليـة فى أراضيها واللازمة لصناعة التحف الخشبية والحزفية والصناعات المعدنية المختلفة [١] . وفيما يلى عرض لأهم الصناعات التى اختصت بها بلنسية :

١ ـ صناعة المنسوجات وصباغاتها :

كانت المنسوجات تصنع فى دور الطراز ، ويقصد بها المناسج الحكومية التى كانت تؤسسها الدولة أو تشرف عليها لكى ينسج فيها ما تحتاج اليه من أقمشة وما يحتاج اليه السلطان وحاشيته [٢] .

وذاعت شهرة بلنسية فى صناعة نوع معين من النسيج اختصت به عرف بالنسيج البلنسى ، الذى كان يصدر أقطار المغرب [٣] ، كما اشتهرت بنسج الثياب الغالية من الكتان [٤] ، ويذكر الادريسى أن حصن بكيران من أعمال بلنسية اختص بصناعة ثياب بيض غالية الثمن ، يعمر الثوب منها سنين عديدة ، وعرفت بأنها أبدع الثياب عتاقة ورقة [٥] .

وتجدر الاشارة بهذه المناسبة الى أن توفر مواد الصباغة ببلنسية كان له أثره فى ازدهار صناعة النسيج بها ، فكان نبات الزعفران يستخدم فى صبغ النسيج باللون الأصفر ، كذلك استخدمت حشيشة القرمز فى الصباغة باللون الأحمر [٦] .

---

(١) سالم ، الفنون والصناعات بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، العدد ٦٤ ، ١٩٥٩ ، ص ١٧٨ .

(٢) انظر . مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ . محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٣ .

(٣) المقرى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٤) ابن سعيد ، الجغرافية ، ص ٢٠٥ . ابن زنبل ، نفسه ، ورقة ٣٣٧ .

(٥) صفة المغرب والأندلس ، ص ١٩٢ .

(٦) فى هذا الصدد يقول ابن حوقل : « ولهم (أى لأهل الأندلس) من الصوف والأصباغ فيه وفيما يعانون من صبغة بلقع بحشائش تختص بالأندلس » انظر (صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ص ١٠٩) .

٢ ـ صناعة الأوانى الفخارية والخزفية :

الفخار هو ما يصنع من الطين فقط دون تزجيج ، وقد سبق فى صناعته الأوانى الخزفية التى تصنع أيضا من الطين ولكنها تكسى بطبقة زجاجية [١] .

أولا ـ صناعة الفخار :

اشتهرت بطرنة من أعمال بلنسية بصناعة الأوانى الفخارية [٢] ، وقد أسفرت الحفائر الأثرية التى أجريت فى بلنسية نفسها عن كشف كميات كبيرة من قطع الفخار الإسلامى ، ثم العثور عليها فى أواخر الثلاثينيات ، فقد عثر فى سنة ١٩٣٨ م أثناء الحفائر التى أجريت فى ميدان المويانا La Plaza de Almoyana ويقع على مقربة من أحد أبواب الكاتدرائية (المسجد الجامع قديما) على بعض قطع الفخار على عمق مترين من مستوى سطح الأرض ، كما عثر أيضا على بقايا أوان من الفخار وقنديل بدون بروز وأوان نقشت عليها كلمات عربية [٣] .

كذلك أجريت حفائر فى موضع آخر بالميدان ، وتم اكتشاف قطع عديدة من الفخار الإسلامى تتميز بقاعها الأبيض وزخارفها ذات اللون الأخضر ، كما عثر على قطع من القصعات مصنوعة فى بلنسية ، يرجع تاريخ صناعتها الى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى [٤]) . وبالإضافة الى ذلك اكتشف أيضا كميات كبيرة من قطع من الفخار الاسلامى فى منطقة السوق المركزية ببلنسية ، منهما قطع من جرة منقوش عليها كتابات عربية بالخط الكوفى بين زخارف نباتية ، ومن الجدير بالذكر أن عجينة معظم القطع الفخارية التى عثر عليها كانت من الطمى الأبيض

---

(١) مرزوق ، نفسه ، ص ١٠٠ .

(٢) يوجد العديد من نماذج فخار بطرنة الإسلامى المعروف فى الإسبانية باسم (Al Fareras de Pater-na) فى أرشيف الفن البلنسى (Archivo de Art Valenciano) أنظر :

(Felipe Mateu, Hallazgss Cerámicos en Valencia, p. 165) .

(٣) Felipe Mateu, Idem.

(٤) Felipe Mateu, Hallazgos Cerámicos en Valencia, p. 166.

وتزدان بزخارف خطيــة سوداء بدون تزجيج ، كمـا تتميز بأنها قطع خشنة غير مصقولة . هذا وقد عثر الأثريون حديثا فى بلنسية على جرة كاملة وجزء كبير من ابريق له شكل مميز [١] .

ثانيا ـ صناعة الخزف :

ازدهرت صناعة الخزف فى الأندلس بوجه عام وبلنسية بصفة خاصة ، وقد ذاعت شهرة خزف بلنسية فى العصر الإسلامى بل وبعد سقوطها فى أيدى الأرغونيين ، وازدهرت هذه الصناعة ازدهارا عظيما أيدته المصادر التاديخية والحفائر الأثرية ، فقد أشار الباحث الفرنسى ميجون (Migeon) فى كتابه (Manuel d'art musulman) إلى أنه ورد فى سجلات أحد ملوك فرنسا أن قصره كان يزدان بعدد من التحف الخزفية من صناعة بلنسية ، مما يدل على مدى ما كان يتمتع به خزف هذه المنطقة من مكانة سامية حتى بعد خروج المسلمين منها . ومن ناحية أخرى يذكر أحد الباحثين الأسبان أن خـايمى (الأول ملك أرغـون أصـدر قـانونا فى سنة ١٢٤٨ م (القـرن السـابع الهجرى) بعد استيلائه على بلنسية يمنع فيه صناع الخزف من المسلمين فى مدينة شاطبة حق الاستمرار فى مزاولة أعمالهم ، الأمر الذى يدل على أهمية تلك الصناعة مما دفع بهذا الملك الى رعايتهـا ، كمـا أن ذلك يشير بوضـوح الى تلك الصناعة وازدهارها ببلنسية فى ظل الحكم الإسلامى [٢] .

كذلك كانت لبلنسية شهرة عالمية فى انتاج القراميد الخزفية (الزليج) وكان الزليج يستخدم فى تزيين جدران الحمامات والقصور ، وقد اختصت بلنسية بهذا النوع من القراميـد الخزفيـة المعروف بالزليـج ، ويكفـى للدلالـة على ذلك أن فرنســا كانت تستعين بخزافين من بلنسية للعمل فى بلادهـا ، ففى مدينـة بواتيـه بنـاء أثرى يزدان بقراميد خزفية من صنع خزاف بلنسى يدعى جيهان البلنسى (Jehan de Valence) [٣] .

---

(١) Felipe Mateu, Ibid, p. 166.

(٢) عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٣) مرزوق ، نفسه ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

وتؤيد هذه الشواهد التاريخية أدلة أثرية أسفرت عنها الحفائر التى أجراها الأثريون فى بطرنة وكشفت عن روائع من التحف الخزفية التى يفخر بحيازتها اليوم متحف برشلونة . كذلك اشتهرت مدينة منيشه (أو أنيشة) بانتاج الغضار المذهب ، ويبدو أنها قد استلهمت فى صناعته خزف مالقة التى كان لها شأن كبير فى صناعته ، وازدهرت صناعة هذا الغضار المذهب فى منيشة حتى بعد خروج المسلمين من بلنسية [1] .

وتجدر الملاحظة بأنه توجد صلة وثيقة بين زخارف خزف بلنسية (لا سيما خزف بطرنة) والخزف الأندلسى فى عصر الخلافة الأموية بقرطبة الذى كشفت عنه الحفائر الأثرية فى مدينة الزهراء والمرية ، حتى ليعتقد الانسان أن خزف بلنسية ما هو إلا استمرار للخزف السابق ، فالزخارف الهندسية والحيوانية والنباتية تؤكد هذه الصلة [2] .

ولقد كان الاقبال على خزف بلنسية عظيما فى العصور الوسطى ، الأمر الذى يؤكده العثور على قطع كثيرة منه فى مواضع متعددة من أوربا والشرق وصلت اليها عن طريق التجارة أو الإهداء ، فقد كشفت الحفائر الأثرية فى الفسطاط وكوم الدكة بالاسكندرية عن قطع كثيرة من هذا الخزف ، كما وجدت أمثلة منه فى فرنسا وايطاليا والجزائر ، ولعل من أحسن أمثلة خزف هذه المقاطعة صحن يحتفظ به متحف اللوفر مصنوع فى بطرنة يزدان برسم سيدتين واقفتين بينهما شجرة لعلها شجرة الحياة يحرسها من الجانبين ثعبانان قد امتد جسم كل منهما على طول الشجرة ، ويتجلى فى هذه الزخرفة اجتماع أثر الشرق والغرب معا [3] .

---

(١) انظر . مرزوق ، نفسه ، ص ١٠٨ . ومن صناعة الخزف ببلنسية راجع أيضا : م . س . ديماند ، الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٧ .

(٢) مرزوق ، نفسه ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ . سعيد عاشور ، المدينة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٨٩ .

(٣) مرزوق ، نفسه ، ص ١١١ .

٣ ـ صناعة التحف المعدنية :

اكتشفت فى مواضع متعددة من كورة بلنسية بعض التحف المعدنية ، منها تمثال أسد برنزى عثر عليه فى مدينة مونثون دى كامبوس (Monzón de Campos) من اقليم بلنسية يمثل فوارة ، محفوظ اليوم فى متحف اللوفر بباريس ، وذيل هذ الأسد على شكل ساق نباتيه تنتهى بورقتين أحداهما ملتفة الى أسفل والأخرى متجهة الى أعلى ، وجسم الأسد مغطى كله بالتوريقات . وهذه التماثيل تذكرنا بالاتجاه التجريدى الذى ذهب اليه الفن الإسلامى ، ويستهدف تحوير الصور والتماثيل وتجريدها من معانى الحياة [1] . كذلك عثر فى اقليم بلنسية على مهراس كبير محظوظ بمتحف فيلانويبا (Villanueva) وهذا المهراس مزود بحلقتين ونتؤات مثلثة على شكل مناقير طيور تدور ببدنه وتزينه زخارف محفورة من التوريقات والأسود والطواويس ونقش كتابى يتضمن كلمة « لصاحبه » ويمكن ارجاعه الى عصر الخلافة [2] .

وفى متحف بلنسية (Museo de Valencia) كرة سمارية من النحاس ، قاعدتها تحمل نقشا كوفيا نقرأ فيه : « صنع هذه الكرة ذات الكرسى لذى الوزارتين القائد الأعلى أبو عيسى بن لبون أدام الله عزه وتأييده عبده ابراهيم بن سعيد السهلى الوزان فى بلنسية مع ابنه محمد فوضع الكواكب الثابته فيها على حسب اعظامها وأقطارها فتمت فى أول صفر عام « تعج » لهجرة النبى صلى الله عليه وسلم تسليما . ويؤخذ من هذا النقش أن الأبناء كانوا يعلمون ـ فى الغالب ـ فى نفس مهنة الآباء فهنا نجد أن محمدا قد ساهم مع والده ابراهيم بن السهلى فى عمل هذه الكرة السماوية التى ترجع الى سنة ثلاث وسبعين واربعمائة بعد الهجرى (١٠٨٠ م) ، ويحتفظ نفس المتحف بأسطر لاب من صناعة ابراهيم بن السهلى ايضا صنعه فى بلنسية فى آخر سنة « تعجه » أى فى أواخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

---

(١) سالم ، الفنون والصناعات ، ص ١٨٦ .

(٢) سالم ، نفسه ، ص ١٨٧ . وانظر . جومث مورينو ، الفن الإسلامى فى اسبانيا ، ترجمة لطفى عبد البديع والسيد عبد العزيز سالم ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٣٩٩ .

(١٠٨٥ م) ، وهذه النقوش الكتابية تؤكد أن بلنسية اشتهرت بصناعة هذه الآلات الفلكية [١] .

٤ ـ صناعة الورق :

كانت صناعة الورق ثورة فى تاريخ الحضارة الانسانية لأنها مهدت لفن الطباعة الحديثة ويسرت على العلوم الانتشار والتقدم ، والفضل فى هذه الصناعة يرجع الى الصينيين الذين ثبت أنهم أول من صنع الورق من شرانق الحرير ثم للعرب الذين استبدلوا الورق بالحرير ونشروا استعماله فى الشرق والغرب [٢] .

أما فى الأندلس فقد ذاعت شهرة شاطبة من أعمال بلنسية فى صناعة الكاغد ، وكان كاغدها لا نظير له بمعمور الأرض ، وكان على حد قول الادريسى ـ يعم المشارق والمغارب [٣] ، وينوه المقرى بتفوق شاطبة فى تلك الصناعة فيقول : « ويعمل بها الورق الذى لا نظير له [٤] » .

وكان لقيام تلك الصناعة آثاره الهامه على فن الكتاب والوراقة ، ونقصد بالكتاب التصنيف فى مختلف العلوم وما يرتبط من انتشار الأفكار وترويجها وارتفاع مستوى الثقافة وما يترتب على ذلك من نتائج ، ونقصد بالوراقة ما يتصل بالخط الذى يكتب به على الكتب والمصاحف ، والزخارف التى تزين صفحاتها وكذلك جلودها [٥] .

وفى كتب التراجم ما يشير الى اشتغال بعض أهالى بلنسية بالوراقة وفنونها من تأليف وتصنيف وخط وتذهيب ، ومن أمثلة ذلك أحمد بن عبد العزيز الأنصارى الوراق (ولد قبل سنة ٥٠٠ هـ) وكان أنيق الوراقة ، وتوفى باشبيلية سنة ٥٠٢ هـ [٦]

---

(١) مرزوق ، نفسه ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٢) عاشور ، المدينة الإسلامية ، ص ١٨٥ ـ ١٨٧ .

(٣) الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٢ .

(٤) المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ١٥٦ . وانظر .

Bernhard and Ellen, Arabic Spain, p. 12.

(٥) مرزوق ، نفسه ، ص ٢١٣ .

(٦) ابن الآبار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٧٨ ترجمة رقم ٢٠٧ .

وكذلك منهم ابراهيم بن محمد بن مفرج الوراق ، وكان حسن الخط ، مخترفها للوراقة ، عاكفا عليها ، ذا اتقان وضبط (١) ، وأيضا الذهبي البلنسي ، وكان مولعا بالكتابة المذهبة والتصوير بالذهب ، وهذا يفسر تسميته بالذهبي (٢) .

ولعل باب الوراق (٣) من أبواب مدينة بلنسية ، يؤكد شيوع فن الوراقة ببلنسية في العصر الإسلامي بحيث حمل اسم واحد من المشتغلين بفن الوراقة ، كان يسكن على مقربة من هذه الناحية .

٥ ـ صناعة السفن :

لعل من نتائج الغارات التى شنها النور منديون على السواحل الغربية والجنوبية للأندلس فى عصر الامارة والخلافة الأموية اهتمام أمراء بنى أمية وخلفائهم بشئون البحرية وانشاء دور لصناعة السفن تمهيدا لاصطناع سياسة بحرية تستهدف حماية الأندلس من الأخطار الخارجية وتنشيط حركة الجهاد البحرى وغزو سواحل افرنجة ، وليس أدل على ذلك من قيام الأمير عبد الرحمن الأوسط بحشد أساطيله على طول الساحل الشرقى الأندلسى لا سيما فى طرطوشة وبلنسية ، وشن غارات منتظمة ضد الكارولنجيين (٤) . ولم يمض على هذه الغزوة النور مندية سنوات حتى أنشئت دور أخرى للصناعة فى لقنت وبلنسية (٥) فى عهد عبد الرحمن الناصر .

ولاشك أن توافر المواد الأولية لصناعة السفن على الأخص فى شرق الأندلس كأخشاب الصنوبر والحديد والقطران ساعد على قيام تلك الصناعة ، فاستغلت تلك

---

(١) ابن الآبار ، نفسه ، جـ ١ ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، ترجمة رقك ٣٩١ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٢١ ترجمة ٥٦٤ .

(٣) العذرى ، نفسه ، ص ١٨ .

(٤) انظر . ارشيباك لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٩٦٠ ، ص ٢٢٩ . العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٨ .

(٥) انظر . حسين مؤنس ، غارات النورمانيين على الأندلس ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى ، العدد الأول ، مايو ١٩٤٩ م ، ص ٤٢ .

الأخشاب ـ التي امتازت بمتانتها وجودتها وبمناعتها ضد التسوس ـ في صناعة السفن ، واشتهر حصن قلصة (قرب قونكة) بأشجار الصنوبر الكثيرة التي كانت تقطع وتلقى في الماء ، وتحمل الى بلنسية ودانية في البحر [1] .

٦ ـ صناعة العطور والطيوب :

كان لكثرة بساتين ورياضها وما كان يزرع فيها من ورد وأزهار ورياحين كالآس والنرجس والياسمين وتوافر نبات الزعفران أعظم الأثر في قيام صناعة ترتبط أساسا بالكيمياء هي صناعة العطور التي كان يشتغل بها الصيادلة وتباع في اسواق العطارة [2] . وكانت المواضع التي تصنع فيها العطور أقرب ما تكون الى المعامل في العصر الحاضر ، وكانت تقام داخل الدور ويغلب عليها الطابع الأسرى [3] .

٣ ـ التجارة الداخلية والخارجية :

يذكر ابن خلدون أن التجارة هي « محاولة الكسب بتنمية المال أي بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيا كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش ، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً [4] » .

وكان لموقع بلنسية على منتصف الساحل الشرقي للأندلس ، وفي أرض بلنسية أعظم الأثر في تألقها كمركز تجارى رئيسي في شرق الأندلس ، واشتغال أهلها بالتجارة في الداخل والخارج على السواء ، فقد هيأ لها هذا الموقع الفريد الارتباط مع كور الأندلس الأخرى في يسر ، كما هيأ وقوعها على النهر سبل الاتصال النهرى مع المناطق البعيدة ، وعلى ساحل البحر الارتباط بالثغور البحرية المغربية والقطلانية بالإضافة الى جزر البليار . وهكذا نشطت الحركة التجارية في بلنسية بحيث أصبحت سوقا من أهم الأسواق التجارية العالمية .

---

(١) الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٥ .

(٢) Pedro Chalmet, El Señor del zoco en España, Madrid, 1973, p. 193.

(٣) H. Miranda, Hist., mus., de Valencia, t. I. p. 67.

(٤) انظر . المقدمة ، ص ٣٩٤ .

أ ـ التجارة الداخلية :

ولقد تركزت الحركة التجارية في بلنسية غالبا داخل الأسواق المحيطة بالجامع وفي القيسارية [1] . وكانت تلك القيسارية تقع قريبا من المسجد الجامع أى فى وسط المدينة كما سبقت الاشارة . ويغلب على الظن أنه كانت توجد بالإضافة إلى قيسارية بلنسية أسواق [2] أخرى كانت تقام بالقرب من أبواب بلنسية منها سوق باب بيطالة [3] وسوق ربض الكدية وأسواق أخرى كانت قائمة فى الأرباض بدليل أنه بعد أن استسلمت المدينة للسيد القنبيطور وفتحت أبوابها كان الأغنياء يذهبون بأنفسهم لشراء احتياجاتهم من أسواق الأرباض [4] .

كذلك اشتهرت أعمال بلنسية بأسواقها التجارية مثل شقر [5] ، وشاطبة التى كانت تعد محطة يتجهز فيها التجار بالأمتعة الى غانة [6] وبلاد السودان وجميع بلاد المغرب [7] .

---

(١) العذرى ، نفسه ، ص ١٨ .

(٢) الحميرى ، نفسه ، ص ٤٧ .

(٣) A. P. Idárs, Valencia arabe, p. 90. No. 2.

ويرى البعض أن كلمة بيطالة أصلها لاتينى وتعنى السوق . انظر (بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ص ٦١) .

(٤) Chronicle of The Cid, p. 174

(٥) الحميرى ، نفسه ، ص ١٠٢ .

(٦) كانت مملكة غانة تحكم بلاد السودان المغربى ، وتعتبر أقدم دولة فى غرب افريقيا ، وقد رجح المؤرخون أن تاريخ نشأتها يرجع الى القرن الثالث الميلادى ، وأنها كانت تسمى بامبراطورية باقور ثم أطلق عليها بعد ذلك اسم غانا وهو اللقب الذى كان يحمله ملوكها . انظر . (العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٥) وذكر صاحب كتاب الاستبصار أن مدينة غانة مدينتان ، أحداهما يسكنها الملك والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة . انظر . (الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر د . سعد زغلول ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠) .

(٧) العذرى ، نفسه ، ص ١٨ .

وتزخر كتب التراجم الأندلسية بأسماء عدد كبير من رجال الحسبة أو أصحاب ولاية السوق . والحسبة عمل يلحق بالقضاء مهمة صاحبه مراقبة الأسواق ومنع أنواع الغش والتدليس والكشف عن صحة الموازين والمكاييل الى آخر ذلك (١) . ومن بين أسماء أصحاب ولاية السوق ببلنسية عبد الرحمن بن محمد الرعيني المعروف بابن المشاط (ت سنة ٣٩٧ هـ) وقد ولاه الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر قضاء بلنسية وأحكام الحسبة المسماة وقتذاك ولاية السوق (٢) ، ومنهم فى عصر الطوائف أبو الحسين بن سابق الذى ترقى الي ولاية السوق ببلنسية وأظهر نبوغا فى عمله (٣) ، وفى عصر المرابطين تولى الحسبة بها محمد بن سفيان الواعظ (٤) ، وأحمد بن محمد الصنهاجي (٥) وغيره .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن كلمة المحتسب العربية ظلت متداولة فى اللغة الاسبانية القديمة بعد حركة الاسترداد المسيحى ، فكانوا يطلقون عليه اسم Almotacen (٦) .

والى جانب الأسواق وجدت ببلنسية منشآ أخرى ذات طابع اقتصادى تجارى وأعنى بها الفنادق ، وكانت تقوم بتخزين السلع قبل توزيعها على تجار التجزئة وكذلك ايواء التجار للغرباء (٧) ، كما وجدت مخازن للغلال وخاصة الحنطة ، فقد سبقت

---

(١) انظر . يحى ابن عمر ، أحكام السوق ، نشر د . مكي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٤ عدد ١ ـ ٢ سنة ١٩٥٦ ، ص ١٠٣ . ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، ص ٢٠ . المقرى ، نفح ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٢) ابن بشكوال ، الصلة ، القسم الأول ، ص ٣٠٧ ، ترجمة رقم ٦٧٨ . القاضى عياض ، ترتيب المدارك ، المجلد الثانى ، ص ٦٧٩ .

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣١٣ ، ترجمة ٥٥٨ .

(٤) ابن الأبار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٤١٤ ترجمة ١١٧٤ .

(٥) ابن الأبار ، المعجم فى أصحاب ابى على الصدفى ، نشر دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٥ ترجمة رقم ١٤ .

(٦) Pedro Chalmeta, El Señor del zoco, p. 397.

(٧) سالم ، التخطيط ومظاهر العمران ، ص ٥٧ . وانظر

R. Dozy, Supplement, t. II. p. 440.

الاشارة الى أن القنبيطور كانت له مؤن وأطعمة يختزنها فى بلنسية أثناء فترة حكم القادر بن ذى النون بها [1] .

وكانت أسواق بلنسية عامرة وأسعار سلعها راخية [2] ، ويرجع السبب فى هذا الرخاء الى توفر منتجات بلنسية الزراعية منها والصناعية على السواء ، وكانت أسواقها تموج بالحرفيين والتجار والباعة المتجولين وأهمهم الفخارون والنساجون والعطارون والكتانيون وباعة الحنطة والقطن والعسل والزيت وغيرهم [3] .

ويبدو أنه كانت لأصحاب الحرف ذات المنفعة العامة نقابات تجمعهم للدفاع عن مصالحهم [4] ، وربما كان يوجد هناك تنظيم معروف فى ترتيب الحرفيين والصناع ، وهو ما يشير اليه ابن بسام بقوله : « ولحق بهم (يقصد بمبارك ومظفر حكام بلنسية) عريف ورئيس كل صناعة معروف [5] » .

ويمكن القول أن بلنسية قد تمتعت بازدهار تجارى كبير فى عصر دويلات الطوائف ، اذ توفر فيها الأمن والاستقرار ، كما تجنبت الحروب والفتن التى شملت جنوب الأندلس وقتذاك وكان لهذا أثره فى ازدياد ثروات التجار وتمتعهم بالترف [6] ، غير أن هذا النشاط التجارى لم يستمر طويلا اذ ما لبثت المدينة أن تعرضت لعدوان القنبيطور ، الذى كان له أثره فى تدهور الحالة التجارية ، فاختل ميزان الأمن « وصار أهل تلك الجهات فى أضيق من العزق » كما يذكر ابن عذارى [7] .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣١ .

(٢) الحميرى ، نفسه ، ص ٤٧ .

(٣) اشارت وثائق التقسيم الى وجود تلك الحرف ببلنسية ، والغالب أنها كانت موجودة ، أيضا بالمدينة أثناء الحكم الإسلامى . انظر :

(Pedro Chalmeta, op. Cit. pp. 155 & 189) .

(٤) ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، ص ٩٢ .

(٥) الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٣ ظ .

(٦) انظر . العذرى ، نفسه ، ص ١٨ .

(٧) صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ .

هذا وقد استخدمت لنقل السلع فى الداخل الى ثغور بلنسية وسائل نقل عديدة منها : مجارى الأنهارى ، وقد ذكرنا فيما سبق أن منطقة بلنسية كانت تتميز بشبكاتها المائية الصالحة لإنتقال السفن والمراكب والزوارق ، فيذكر الحميرى أن السفن كانت تدخل نهر بلنسية ، كما كانت الزوارق تصل بين ضفتى نهر شقر [١] . ومن الطبيعى أيضا أن تلعب الدواب مثل البغال والحمير دورا هاما فى نقل التجارة بين بلنسية وأعمالها الداخلية ، كما كان للجسور والقناطر المقامة على الوادى الأبيض دور كبير فى تسهيل حركة اتصال المدينة بأرباضها الشمالية ، كذلك ساعدت أبواب بلنسية على سهولة اتصالها والمدن الأخرى المجاورة ، فكان هناك باب يؤدى الى شاطبة ودانية وشقر ، وباب آخر يؤدى الى سرقسطة وطرطوشة وطليطلة [٢] . ومن ناحية أخرى أشار ابن حوقل الى وجود طريق رئيسية للتجارة الداخلية كانت تربط قرطبة زمن الخلافة بغرناطة ومرسية وبلنسية وطرطوشة ولاردة ، الأمر الذى سهل على قواعد الأندلس الداخلية تصريف منتجاتها عن طريق ثغر بلنسية وطرطوشة [٣] .

ب ـ التجارة الخارجية :

كان لموقع بلنسية على بحر الشام (البحر المتوسط) واشتمالها على فرضة ودار صناعة لإنشاء السفن أثر كبير فى ازدهار تجارتها الخارجية مع الأقطار الغربية وثغور قطالونية وغيرها ، ويعبر الحميرى عن نشاط التجارة الخارجية فى بلنسية بقوله : « هى مدينة سهلية .. عامرة القطر ، كثيرة التجارات ، وبها أسواق وحط واقلاع [٤] » .

ونشطت حركة التجارة الخارجية ببلنسية فى مر ساها جراو (Grao) الذى تصدر عن طريقة منتجاتها الزراعية والصناعية ، فمن صادرتها الزراعية : الأرز الذى كان

---

(١) أشار شاعرها ابن خفاجة الى ذلك كثيرا . انظر حمدان حجاجى ، حياة وآثار الشاعر الأندلسى ابن خفاجة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٤ ، ص ٢٢٤ .

(٢) العذرى ، نفسه ، ص ١٨ .

(٣) صورة الأرض ، ص ١٢٧ .

(٤) انظر . صفة جزيرة الأندلس ، ص ٤٧ .

يصـدر الى كل بلاد الأندلس [1] ، وكذلك نبات الزعفران والقرمز [2] . ومن الصادرات الصناعية : النسيج البلنسى الذى اشتهرت به ، وكان يحمل الى أقطار [3] المغرب ، كذلك ورق شاطبة الذى لا نظير له ، وكان يصدر الى معظم الأقطار الإسلامية والمسيحية [4] .

ومن ناحية أخرى عرفت بلنسية بتجارة الرقيق ، ففى أثناء حصار السيد القنبيطور للمدينة كان يفد الى بلنسية عن طريق البحر كثير من تجار الرقيق لشراء أسرى المسلمين ممن يقعون فى أيدى جند القنبيطور [5] . ونلحظ أن الأندلس عامة قد اشتهرت بتجارة الرقيق ، فكانت تجلب الصقالبة الخصيان من أواسط أوربا [6] .

وترتب على حركة التصدير والاستيراد انتعاش لموارد بلنسية الاقتصادية ، اذ كان ديوانها يفرض على السلع مكوسا يتلقاها قباض متخصصون ، وقد استأثر القنبيطور فى فترة حكمة لبلنسية بهذه الموارد ، فنصب بمرسى بلنسية وعند مداخل المدينة والطرق الرئيسية رجالا ـ معظمهم من اليهود ـ كانوا يعرفون بخدام البر والبحر ، مهمتهم فرض ضرائب أو رسوم على الصادر والوارد ، ويعبر ابن عذارى عن ذلة ـ أثناء حديثه عن أحوال بلنسية فى عهد القنبيطور . فيقول : « وسلط اليهود على الإسلام فبلغوا النكال ، ومنهم الأمناء الموكلون والمتصرفون وأصحاب الرسوم وخدام البر والبحر [7] » .

---

(١) العذرى ، نفسه ، ص ١٧ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٢٧ . العذرى ، نفسه ، ص ١٧ . ياقوت ، نفسه ، م ١ ، ص ٧٣٠ .

(٣) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٤) الادريسى ، نفسه ، ص ١٩٢ .

(٥) Chronicle of the Cid, p. 167 & M. Pidal, op. cit. V. I. p. 478.

(٦) ابن حوقل ، نفسه ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ . العبادى ، الصقالبة فى اسبانيا ، ص ٨ ـ ١٠ .

(٧) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤١ .

(٤) النظام المالى

أ ـ الأسعار بين الرخاء والشدة :

عرفت بلنسية برخاء أهلها ويسرهم ، وقد كان ذلك من العوامل التى أدت الى ارتحال أعداد كبيرة من أهل الأندلس اليها فى عصر الفتنة واستقرارهم فى نواحيها واشتغال معظمهم بالتجارة والصناعة ، ومما لا شك فيه أن توفر الأقوات والسلع فى بلنسية آنذاك أدى الى هبوط أسعارها وتمكن الناس على اختلاف أقدارهم من الحياة الطيبة الأمر الذى انعكس على طباع أهل بلنسية ، فعرفوا بغلبة الهدوء وطلب الراحة [١] ، غير أن المحنة التى تعرضت لها بلنسية أثناء حصار القنبيطور لها ثم خضوعها له لفترة قصيرة كان من العوامل التى أدت إلى توقف الإنتاج الزراعى والصناعى لعدة سنوات بسبب خروج عدد من الأهالى من منازلهم بالمدينة الى المناطق التى يظللها الأمن فى مرسية ولورقة وغيرها من مدن شرق الأندلس التى كانت تنعم بحكم مستقر ، وصاحب انخفاض نسبة الإنتاج فى بلنسية ارتفاع فاحش فى أسعار السلع الغذائية بوجه خاص ، ولقد وصل الينا لحسن الحظ جدول يصور ارتفاع الأسعار فى أسواق بلنسية خلال فترة الحصار التى فرضها القنبيطور على المدينة أوردها ابن علقمة مؤرخ بلنسية ، ووفقا لما أورده هذا المؤرخ المعاصر وصل سعر رطل القمح فى شهر ربيع الأول سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) الى مثقال ونصف ، ورطل الشعير الى مثقال ، ورطل ذريعة الكتان الى ستة أثمان مثقال ، وأوقية الجبن الى ثلاثة دراهم ، وأوقية البصل الى درهم ، وبيع رطل البقل بخمسة دراهم ، وبيضة الدجاجة بثلاثة دراهم ، ورطل اللحم البغلى بستة دنانير ، ورطل القمح بثلاثة مثاقيل غير ربع ، وما سواه تابع له [٢] .

---

(١) انظر . الحميرى ، نفسه ، ص ٤٧ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٨ . ونلحظ أن ابن علقمة يذكر وجود عملة بالمدينة تسمى « المثقال » ، وقد أوضح أنستاس الكرملى أن المثقال من الفضة كان يسمى درهما ، ومن =

ومما لاشك فيه أن أسعار السلع الغذائية قبل الحصار المذكور كانت أقل بكثير مما وصلت اليه ، وكانت فى متناول جميع الطبقات ، أما فى أثناء الحصار « فكان لا يصل الى ادراك شيء من الموجود إلا أهل الجاه [١] » ، وكان من الطبيعي أن تنخفض الأسعار أثناء المفاوضات التى جرت بين القنبيطور والقاضى ابن جحاف من أجل تسليم المدينة ورفع الحصار [٢] .

ب ـ نظام السكة :

للسكة أهمية كبيرة لدراسة التاريخ الإسلامى ، فهى وثائق هامة يمكن الاعتماد عليها فى استنباط الحقائق التاريخية سواء ما يتعلق بالأسماء أو العبارات الدينية المنقوشة أو ما يتصل بتطور الحياة الاقتصادية فى الدول الإسلامية عامة . والسكة سجل للألقاب والنعوت التى تلقى الضوء على كثير من الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية ، فهى وثائق صحيحة رسمية ليس من السهل الطعن فى قيمتها [٣] .

وكانت عملات بلنسية فى عصر الدولة الأموية وقبل استقلالها فى عصر دويلات الطوائف تتبع النظام النقدى المركزى فى قرطبة [٤] ، ولم تكن لبلنسية فى

= الذهب دينارا . انظر . (النقود العربية وعلم النميات ، المطبعة العصرية ، القاهرة ١٩٣٩ م ، ص ٢٥) ، ومن ناحية أخرى أشارت المدونة العامة الأولى الى الأسعار ببلنسية أثناء الحصار وقبيل فتح أبواب المدينة للسيد وجنده ، وفيها نلحظ التفاوت الواضح بين الأسعار فى كلتا الحالتين . انظر :
Primera Cronica general, t. II. P. 583 & 587 & Chronicle, pp. 151 & 160) .

(١) ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٩ .

(٢) تجدر الاشارة الى أنه لم تكن للتسعير ـ كما فى وقتنا ـ على المواد والبضائع ضرورة فى ذلك الوقت، وذلك لأن الإسلام ضد التسعير فأحل البيع بما فيه من مساومة ، فضلا عن أنه لم يكن هناك حاجة اليه ، فقد كان التنافس المستمر لأصحاب الصنف الواحد أو الحرفة الواحدة يؤدى الى خفض الأسعار وتثبيتها . (انظر (عبد المنعم ماجد تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥٦) .

(٣) انظر . عبد الرحمن فهمى ، موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٨ .

(٤) فيما يتعلق بالسكة الأموية بالأندلس كان ينقش على الوجه فى المركز « لا إله إلا الله وحده لا =

العصر الأموى دار سكة ، فلم يضرب فيها عملات طوال عصرى الامارة والخلافة حتى فى الفترة التى خضعت فيها للأمير عبد الله البلنسى .

١ ـ العملات فى بلنسية فى عهد مبارك ومظفر :

قام ملوك الطوائف الصقالبة الذين كونوا دويلات لهم بشرق الأندلس بسك عملة لهم ، ففى بلنسية ضرب الفتيان مبارك ومظفر عملة لهما فى سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) تحمل اسم الخليفة بقرطبة آنذاك وهو الناصر بن حمود ، فى حين نقش بالهامش عبارة « بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة سبع وأربعمائة » كما نقش أيضا على أحد وجهى العملة « الامام على الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، مبارك » وعلى الوجه الآخر « بسم الله لا اله الله وحده لا شريك له ، مظفر [١] .

٢ ـ عملات بلنسية فى عهد المنصور عبد العزيز وخلفه :

بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م سكت بمدينة بلنسية عملة نقش عليها لقب المنصور (عبد العزيز بن أبى عامر) والمعتصم ، وأغلب الظن أن هذا اللقب الأخير كان لقبا لخلف المنصور ، كذلك نقش على عملات بلنسية فى هذا العصر أسماء أشخاص لعلها أسماء أصحاب دار السكة منها اسم لمن يدعى عامرا وآخر يدعى نجبة وابن نجبة ، كما عثر على دينار منقوش عليه اسم « المنصور » وعلى دراهم يرجع تاريخ سكها الى سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٣ م) أى

= شريك له » وفى الهامش « بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة كذا » والظهر ينقش عليه فى المركز « الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وفى الهامش « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » أما فى عهد الخليفة الناصر ففى الوجه بالمركز نقش « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وفى الهامش « بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة الزهراء سنة ٣٤٢ هـ » ونقش على الظهر « الامام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤنين » والهامش نقش فيه نفس ما نقش على الدرهم فى عصر الامارة . (انظر . (عبد الرحمن فهمى ، نفسه ، ص ٨٥١ ، ٨٦٠) .

(١) Prieto Y Vives, Los reyes de taifas, p. 119 & F. G. Robles, Malaga musulmana, pp. 240 - 242.

فى عهد امارة المنصور عبد العزيز ، ومعظمها من عنصر ردىء وتحمل لقبى المنصور والمعتصم ، غير أننا نلاحظ أنه منذ سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) أضيف الى نقوش العملة لقب « الناصر » وهو بلاشك ابن آخر للمنصور عبد العزيز [١] . وبالإضافة الى تلك العملة التى كانت تحمل اسم الملك الحاكم وأبنائه ، عثر على عملة ترجع الى سنة ٤٤١ هـ . ٤٤٢ هـ وهى لا تحمل أى اسم ، وعملة أخرى ترجع الى سنة ٤٤٢ هـ ، ٤٤٣ هـ تحمل اسم « طرفة بن قومس » ، وأيضا عملة ترجع الى سنة ٤٤٥ ، ٤٥٣ هـ تحمل اسم « ابن أغلب » [٢] ، والظاهر أنها أسماء من تولى دار السكة . أما عملات بلنسية فى عهد المظفر عبد الملك (٤٥٢ _ ٤٥٧ هـ / ١٠٦١ـ ١٠٦٥ م) فكانت مشابهة لعملة أبيه المنصور ، وتتميز بأنها تحمل اسم ابن أغلب الذى نرجح توليته لدار السكة ولقب الظافر ولعله لقب آخر للمظفر عبد الملك [٣] .

وتجدر الإشارة الى أنه خلال الفترة القصيرة الى مد فيها المنصور عبد العزيز نفوذه الى مرسية والمرية ، أمر بسك عملة هناك مشابهة لعملة بلنسية ، وقد عثر على قطع فضية سكت بمرسية وذهبية وفضية فى المرية تحمل أسماء المظفر وأبيه ، كما عثر فى مرسية أيضا على عملة تحمل أسماء منها اسم ابن يعلى وابن معوله ، وهى أسماء غير معروفة لدينا ، لعلها أسماء المتولين لدار السكة . أما عملة المرية فكانت أكثر وفرة ، وتتميز بجودة معدنها ودقة نقوشها ، وهى غالبا تشمل تواريخ تتراوح ما بين عامى ٤٣٠ ، ٤٣٥ هـ ، وتحمل أسماء المنصور وابنه الناصر [٤] .

وهناك دلائل تشير الى شهرة دار السكة ببلنسية فى عصر الطوائف بحيث انها قامت بسك عملات لمملكة أخرى ، من ذلك قيام الأمير القادر يحيى بن ذى النون

---

(١) Prieto Y Vives, Los reyes de taifas, p. 120.

(٢) Prieto Y Vives, Ibid, pp. 120 - 121.

(٣) P. Y Vives, Idem.

(٤) P. Y Vives, op. cit. p. 121.

بسك دراهم له بمدينة بلنسية فى سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م [١] ، وربما دانت له بلنسية بالولاء فى تلك الفترة بحيث ضرب دراهمه فيها .

جـ ـ أهم الموارد المالية :

ليس من السهل على الباحث فى تاريخ بلنسية الإسلامية تحديد مواردها المالية ، اذ أن معلوماتنا عن هذه الموارد تعتمد على اشارات عابرة لا تكفى للجزم ، ولكننا نعتمد أيضا على الاستنباط وأحيانا على الافتراضات وعلى القياس ، وفيما يلى عرض لأهم موارد بلنسية المالية :

١ ـ الزكاة :

وهى أحد أركان الإسلام الخمس ، فرضها الله عز وجل على عباده وقرن فرضها بفرض الصلاة ، ويقول ابن عبد الرؤوف فى رسالته عن آداب الحسبة « لا يمنع أحد الزكاة وهو عالم بفرضها ، وتجب الزكاة فى أموال اليتامى والمجانين لأن الزكاة تتعلق على المالك بشرطين : الاسلام والحرية سواء كان المالك الذى هو صفته صغيرا أو كبيرا ، ذكرا أو أنثى ، عاقلا أو مجنونا ، وهو قول كافة الفقهاء ، إلا أبا حنيفة فإنه قال : تجب بأربعة شرائط : الاسلام ، الحرية ، البلوغ العقل [٢] » .

وعلى أية حال فالمعروف أن الزكاة أو الصدقة كانت تؤخذ من المسلمين وتعتبر رصيدا ماليا للجماعة الإسلامية ، لتنفق فى أوجه متعددة وبخاصة على الفقراء والمساكين وفى سبيل [٣] .

٢ ـ الخراج :

وهى ضريبة الأرض الزراعية التى فى يد غير المسلمين ، وكانت هذه الضريبة تحدد بواسطة مقررين يقدرون المحصول المنتظر أثناء الزرع أو بعد الحصاد ، وهى تدفع

---

(١) M. Pidal, op. cit. V. I., p. 489.

(٢) انظر . ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ، ص ٧٨ .

(٣) ماجد ، نفسه ، ص ٣٨ .

مالا يحدد كل سنة على الأراضى ، وواجبات عينية من حنطة وعسل وزيت وغيرها من منتجات القرية [١] .

٣ ـ العشر (أو الأعشار) :

وهى ضريبة كانت تفرض على الأرض الزراعية التى فى يد المسلمين ، ولدينا اشارة تفيد بأن أحد الغلمان ممن يعلمون بالزراعة قد ذهب الى ابن سابق صاحب ولاية السوق ببلنسية يشكو له أن العمال كتبوا عليه أعشارا لا يحتملها وأن زرعه دون ما قدروا ، وقد تأثر ابن سابق لكلامه وتحملها عنه [٢] .

وكما سبقت الاشارة كان خراج بلنسية فى عهد مبارك ومظفر ضخما للغاية ، بلغ مائة وعشرين ألف دينار فى الشهر : سبعون من بلنسية وخمسون من شاطبة ، ولهذا كانت بلنسية آنذاك من أكثر دويلات الطوائف ثراء [٣] ، ويذكر المؤرخون أنهما كانا يجمعان تلك الضرائب بأشد أنواع العنف والقسوة ، وأن الزراع فى عهدها ، عانوا كثيرا من وطأة الضرائب وفداحتها مما كان له أسوأ الأثر على أحوال الرعية بصفة عامة [٤] . والغالب أن مباركا ومظفرا قد اتبعا نظام القبالة (الالتزام) فى جباية الضرائب التى كانت تعطى التزاما لمن يسمى بالمتقبل ، وكان المتقبلون ـ فى أغلب الأحيان ـ يتصفون بالجور والتعسف [٥] .

٣ ـ الجزية :

وكانت تفرض على أهل الذمة من النصارى واليهود ، ولكنها كانت تفرض على البالغين فقط من الرجال ، ويعفى منها النساء والأطفال والشيوخ [٦] .

---

(١) ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٨٢ ـ ٨٣ . ماجد ، نفسه ، ص ٣٩ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب ، جـ ٢ ، ص ٥٥٨ ترجمة رقم ٣١٣ .

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ٣ ظ .

(٤) نفس المصدر السابق ، لوحة ٣ ظ .

(٥) نفسه ، لوحة ٤و . احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسى (الطوائف والمرابطين) ، ص ٤١ .

(٦) ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٠ .

والثابت أن بلنسية سكنها كثير من المستعربين وهم الذين استمروا على ديانتهم المسيحية رغم تعريبهم لغة وثقافة ، كما سكنها بعض اليهود الذين تولوا عادة المناصب المالية ، وقد اختلط أهل الذمة بالمسلمين فى الحياة العامة ، وعوملوا بتسامح كبير .

٤ ـ المكوس :

وهى تفرض ـ بصفة خاصة على تجارة الصادر والوارد ، كما شملت أيضا المصائد والمراعى والبضائع العابرة « ما يسمى حاليا بالترانسيت » ، وكانت تلك الضرائب مصدرا دائما للظلم ، لأنها كانت أيضا التزاما ، وكان ملتزموها فى بعض الأحيان من غير المسلمين [١] ، فقد ذكر ابن عذارى أن أصحاب الرسوم وخدام البر والبحر كانوا من اليهود ، الذين سلطوا على المسلمين ببلنسية أثناء حكم القنبيطور [٢] ، وأحيانا كانت هذه الضرائب تفرض على الرعية أثناء الحملات العسكرية للجيش وذلك لمواجهة نفقاته الضخمة [٣] .

ومن الجدير بالذكر أن الضرائب غير الشرعية وأعنى بها المكوس والمغارم لم تكن تفرض إلا بقرار خاص من الأمير أو الوالى وأثناء الحملات العسكرية فحسب ، وكان تطبيقها متساويا فى كل المناطق الأندلسية ، فكل كورة ملتزمة بدفع الضرائب المقررة عليها [٤] .

د ـ أهم الموازين والمكاييل :

١ ـ **المد** : وهو كيل معين ، ويبدو أن هذا الاصطلاح مشتق من الكلمة اللاتينية (Modius) ، وقد بقيت التسمية العربية فى اللغة الأسبانية القديمة بهذا الشكل Almud . وكان مد الرسول صلعم قدره رطل ونصف تقريبا ، ويكون الكيل

---

(١) انظر . ليفى بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة ، ص ٨٢ . ماجد ، نفسه ، ص ٤١ .

(٢) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٤١ .

(٣) H. Miranda, Hist., mus., de Valencia, t. I. m. 50.

(٤) Miranda, Idem.

عادة بالأمداد (جمع مد) [1] ، وقد ورد بالمصادر العربية ما يشير الى استعمال هذا الكيل ببلنسية ، فيذكر ابن بسام أن الوزير ابن شهيد تولى أمر مرسية وبلنسية في عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر وأن نفقته رأس كل شهر سبعون مديا من القمح [2] .

٢ ـ الرطل : كان الرطل في الأندلس يساوى ست عشرة أوقية أى نحو ٥٠٤ جرام ، وقد حافظت اللغة الأسبانية على هذه التسمية حتى اليوم (Arrate) [3] ، وكان الرطل في بلنسية يستخدم لوزن القمح والشعير والبقول واللحوم وغيرها [4] .

٣ ـ الأوقية : وقد استخدمت أيضا ببلنسية في وزن الجبن والبصل [5] .

(١) انظر . يحيى بن عمر ، أحكام السوق ، نشر د . محمود مكى ، ص ١٠٣ حاشية ٢ .
(٢) الذخيرة ، القسم الأول . المجلد الأول ، ص ١٦٧ .
(٣) أحكام السوق ، نشر د . مكى ، ص ١٠٣ حاشية ٤ .
(٤) البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٣٨ .
(٥) نفس المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٨ .

الفصل الرابع

« الحركة العلمية والأدبية فى بلنسية الإسلامية »

١ ـ الاتصال العلمى بين بلنسية والمدن الإسلامية .

٢ ـ أشهر الأسرات المعروفة بالعلم .

٣ ـ ازدهار العلوم والآداب .

أ ـ العلوم الدينية .

ب ـ الدراسات الأدبية واللغوية .

جـ علم التاريخ .

د ـ العلوم العقلية .

(١) الإتصال العلمي بين بلنسية والمدن الإسلامية

إذا كانت الأندلس قد نجحت سياسيا فى الانسلاخ عن المشرق الإسلامى فى العصر العباسى ، فإنها لم تستطع أن تتخلص من التبعية له فى المجال العلمى والثقافى ، فكانت على بعدها عنه قطعة منه قبل أن تكون قطعة من أوربا ، ولم يمنعها بعدها عن قلب العالم الإسلامى من أن يتدفق عليها التراث العربى من المشرق فى شتى العصور عن طريق الدارسين من أهل الأندلس فى مراكز الثقافة الإسلامية بالمشرق أو الوافدين على الأندلس من شيوخ المشرق ويتأصل فيها ثم يؤتى أكله بعد ذلك [١] .

ومن المعروف أن الرحلة فى طلب العلم ولقاء شيوخ العصر كانت دائما من أقوى الأسباب التى أعانت على خلق البيئة الثقافية [٢] ، فبفضلها يحدث تواصل وتفاعل فى الأفكار التى ينقلها شيوخ العلم والمعرفة أينما حلوا الى المراكز العلمية التى يسعون اليها .

ولقد أمدتنا كتب التراجم الأندلسية أمثلة عديدة توضح ذلك التواصل العلمى الذى نشأ بين بلنسية ومراكز الثقافة فى الأندلس والمغرب والمشرق الإسلامى ، وبطبيعة الحال كان طلاب العلم يتلقون علومهم على شيوخ عصرهم ـ بادىء ذى بدء فى نفس المدينة التى نشأوا فيها ، فإذا انتهوا من هذه المرحلة الأولية سعوا الى التنقل الى شيوخ العصر فى حواضر الأندلس ، اشباعا لرغبتهم فى طلب العلم والاستزادة منه .

ومما لاشك فيه أن قرطبة كانت كعبة طلاب العلم من أهل بلنسية فى عصر الخلافة الأموية ، فقد كانت تنافس آنذاك بغداد وغيرها من حواضر الإسلام التى ازهرت فيه العلوم والآداب كدمشق والمدينة والبصرة والكوفة والفسطاط ، وتلى هذه المرحلة مرحلة ثالثة يسعى فيها طلاب العلم الى الرحلة خارج حدود الأندلس اذا ما تهيأت لهم الظروف لتحقيق ذلك سواء لطلب العلم أو لأداء فريضة الحج أو للتجارة .

---

(١) انظر . لطفى عبد البديع ، الاسلام فى اسبانيا ، ص ٣٩ .

(٢) لطفى عبد البديع ، نفسه ، ص ٣٩ .

ونستدل من كتب التراجم الأندلسية على أن عددا كبيرا من علماء بلنسية رحلوا فى طلب العلم الى المشرق الاسلامى ، ومن بين الأسماء الواردة ما يلى :

١ ـ أحمد بن محمد بن حمدين الأنصارى المعروف الشارقى بابن الحداد (عاش فى القرن الخامس الهجرى) الذى زار بلاد العراق وفارس ومصر ، وتلقى العلم على شيوخ العصر بالمشرق ، ثم عاد الى الأندلس ليتولى التدريس فى طليطلة الى أن سقطت فى يد ألفونسو السادس (سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) فخرج الى دانية وانضم الى المرابطين فى جهادهم ضد النصارى [١] .

٢ ـ عبد العزيز بن أحمد القيسى البلنسى ، الذى رحل الى مصر ونزلها واستوطنها ، وتلقى علوم اللغة على شيوخها ثم رحل الى بغداد حيث أفاد واستفاد ، ثم عاد الى مصر حيث توفى فى سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) وقيل سنة ٤٢٩ هـ [٢] .

٣ ـ سعد الخير بن محمد الأنصارى البلنسى (من رجال القرن السادس الهجرى) زار بغداد ، حيث تفقه على أبى حامد العزالى ، وتابع رحلته الى فارس ، وأخذ على علمائها ، وحرصا منه على تلقى العلم تابع رحلته العلمية حتى بلاد الصين ، ثم عاد الى بغداد حيث توفى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) [٣] .

ومن بين أسماء العلماء المشارقة الوافدين الى بلنسية للسماع وطلب العلم عبد العزيز بن جعفر الفارس البغدادى ، الذى سكن أندة (من أعمال بلنسية) وزار بلنسية وتلقى العلم هناك على ابن الفرض قاضيها وقتئذاك ، وتوفى فى سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) [٤] .

---

(١) ابن الأبار ، التكملة (طبعة القاهرة) جـ ١ ص ٢٣ ترجمة رقم ٥٤ . المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٥١ ـ ٤٥٢ ترجمة ٦٧١ .

(٢) السيوطى ، بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاه ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣٠٧ . المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ .

(٣) المقرى ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣٨٨ .

(٤) ابن بشكوال ، الصلة ، القسم الثانى ، ص ٣٧٥ ترجمة رقم ٨٠٤ .

ومن المعروف أن بلنسية كانت تتبوأ منذ عصر الخلافة بقرطبة مكانة ممتازة فى مجال العلم والثقافة ، فقد نبغ فيها علماء أجلاء مشهود لهم برجاحة العلم ورسوخ المعرفة أمثال الفقيه البلنسي جحاف بن يمن الذى قلده الخليفة عبد الرحمن الناصر خطة القضاء ببلنسية ، وطلب منه أن يصحبه فى غزوته المعروفة بالخندق ، وفيها استشهد القاضى جحاف سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) (١) . وظلت بلنسية تتبوأ مكانها البارز فى مجال العلوم والمعرفة حتى سقوط الخلافة الأموية وقيام الفتنة ، بل أن شهرتها العلمية دفعت كثيرا من رجال الفكر والأدب من أهل قرطبة الى انتجاعها وساعد على ذلك ما كانت تتمتع به بلنسية فى ظل مبارك ومظفر من أمن ورخاء ، ولم يتردد الصقلبيان مبارك ومظفر فى اتخاذ بعض أدباء قرطبة أمثال ابن التاكرنى وابن مهلب وابن طالوت فى مناصب الإدارة ، ورتبوهم على نفس نظام مشيخة الوزراء فى قرطبة ، وكانا يرجعان اليهم فى الرأى والمشورة والتدبير (٢) ، وفى عهدهما أيضا قصدهما ببلنسية عدد من الشعراء من أحل التكسب ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء ابن دراج القسطلى (٣) .

وفى عصر المنصور عبد العزيز (٤١١ ـ ٤٥٢ هـ / ١٠٢٠ ـ ١٠٦١ م) اشتمل على خدمته أربعة من الكتاب سماهم الناس الطبائع الأربع ، وهم ابن طالوت وابن عباس وابن عبد العزيز (ابن رويش) وابن التاكرنى كاتب رسائله الذى علت منزلته حتى تقلد الوزارة (٤) .

ويعتبر الوزير الكاتب ابن عبد العزيز (ابن رويش) من أشهر وزراء عصر الطوائف لما تمتع به من النفوذ والسلطان فى عهد المنصور عبد العزيز ، ويذكر ابن بسام أنه كان من أرجح كبار الكتاب الصالحين فى زمن الفتنه ، وذوى السداد من وزراء

---

(١) الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ١٩٠ ، ترجمة رقم ٣٦٤ .

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام (القسم الخاص بالأندلس) ص ٢٢٥ .

(٣) ابن الخطيب ، نفسه ، ص ٢٢٥ .

(٤) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ ، المخطوط لوحة ٤٩ ظ .

ملوكها [1] . ومما لاشك فيه أن بلوغ أحد الكتاب أمثال ابن رويش هذه المنزلة السياسية والاجتماعية الرفيعة انما يعبر بوضوح عن تقدير الأمراء لأهل العلم واعتمادهم عليهم فى تدبير أمور الحكم .

ومن كتاب المنصور عبد العزيز أيضا ابن مثنى الذى كان متحققا بصناعة الكتابة ، وفاق أهل زمانه فى البيان والبلاغة ، وقد خدم فى بلنسية فترة ، ثم ارتحل الى طليطلة حيث استوزره صاحبها المأمون بن ذى النون [2] .

ومن الغريب أن بعض الملوك ببلنسية زمن الطوائف قد حرصوا على تلقى العلم ، فمنهم من أخذ على شيوخ عصره وأبرزهم المظفر عبد الملك (٤٥٢ ـ ٤٥٧ هـ / ١٠٦١ ـ ١٠٦٥ م) الذى رحل فى صغره الى مدينة مرسية حيث سمع على أبى العباس أحمد بن بلال ، وكان من أجل علماء النحو واللغة والأدب [3] . واستوزر الأمير المظفر من العلماء أبا بكر بن عبد العزيز الذى يصفه ابن بسام بأنه « رجل السيوف والأقلام » وشبهه بأبى الحزم بن جهور الوزير القرطبى الذى تولى رئاسة الجماعة بقرطبة عقب سقوط الخلافة الأموية فى سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م [4] .

وكان من الطبيعى بعد أن استقل أبو بكر بن عبد العزيز ـ وكان من العلماء النابهين ـ ببلنسية ، أن يشجع العلم والعلماء باعتباره واحدا منهم ، وقد وصفه ابن الخطيب بقوله : « أحد رجال الكمال بالأندلس ، وعين بلنسية التى بها تبصر ، ولسانها التى تسهب به وتختصر [5] » .

ومن بين حكام بلنسية العلماء الفقيه القاضى جعفر بن جحاف الذى استأثر بحكم بلنسية فى سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م بعد أن بايعه أهلها [6] .

---

(١) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٨ ظ . مطمح الأنفس ، ص ١٣ . نفح ، جـ ٥ ، ص ٨٣ .

(٢) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٤٣ ظ . ابن الآبار ، اعتاب الكتاب ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ ترجمة رقم ٦٦ .

(٣) المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الأول ، ص ٢٩٢ ترجمة رقم ٥٥٦ .

(٤) الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٨ ظ ١٠ ، ٩و .

(٥) اعمال الأعلام ، ص ٢٠٢ .

(٦) الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٢٥٧ ترجمة ٦١٥ . التكملة ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ترجمة ٦٣٣ . البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ١٤٧ ـ أعمال الأعلام ، ص ٢٠٢ .

ويتضح لنا مما سبق المنزلة الرفيعة التى تمتع بها علماء بلنسية وفقهاؤها ، وما حظوا به من احترام وثقة الأمراء .

(٢) أشهر الأسرات المعروفة بالعلم فى بلنسية

لم تكن المساجد الجامعة بيوتا للصلاة فحسب بل كانت أيضا مراكز علم ومعاهد يقصدها طلاب العلم والمعرفة فى العلوم الدينية واللغوية والعقلية حيث يحلقون حول شيوخ الجامع يسمعون ويكتبون ما يملونه عليهم ، ويؤكد المقرى هذه الحقيقة بقوله : « فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرؤن جميع العلوم فى المساجد بأجرة [١] » .

وكان طالب العلم يبدأ بحفظ القرآن الكريم وما يرتبط بذلك من تعلم اللغة العربية والنحو ، حتى يتمكن من قراءة القرآن بطريقة سليمة ، كما كان الطالب يتلقى الدروس فى الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك من علوم الدين .

ولقد زخرت بلنسية بالعديد من هذه المساجد ، وأهمها المسجد الجامع ، ومن بين الفقهاء الذين تولوا التدريس فيه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البلنسى ، وكان يتولى الخطبة بهذا الجامع ، وتوفى فى سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) [٢] . وبالإضافة الى المسجد الجامع أقامت بعض الأسرات المشهورة بالعلم مساجد يتولون التدريس فيها ، ومن أمثال هذه المساجد مسجد بنى حزب الله ، وكان مؤسسو هذا المسجد أهل علم ونباهة ، وينتسب الى هذه الأسرة العديد من الفقهاء والعلماء [٣] . كذلك كان الفقيه حمدون بن محمد المعروف بابن المعلم يتولى الوعظ بمسجد رحبة القاضى سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ م) [٤] ، أما الفقيه محمد بن سفيان فكان يقوم بوعظ

---

(١) نفح ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

(٢) التكمله ، جـ ١ ، ص ٣٠ ترجمة رقم ٧٨ .

(٣) التكمله ، جـ ٢ ، ص ٧٨٥ ترجمة رقم ١٩٢٥ .

(٤) نفس المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ ترجمة ٧٧٠ . وأنظر ايضا : اخبار وتراجم أندلسية =

الناس بمسجده المعروف بمسجد الغلبة (١) .

ولدينا اشارات في بعض المصادر تفيد بأن المساجد كان ينشد فيها الشعر فيذكر ابن الأبار أن الفقيه أبا المعالى ادريس بن يحيى الواعظ كان ينشد الشعر بمسجد رحبة القاضى ، ومن ذلك قوله :

أنـا في الغربـة أبكـــى ... مـا بكتْ عينُ غـريبِ
لـم أكن يوم خروجـى ... من بـلادى بمصـيبِ
عَجَبـاً لـى ولتركـى ... وطنـا بـه حبيبـى (٢)

والى جانب المساجد اتخذت المكاتب لتعليم الصبية ، وكان يتولاها المكتبون (٣) . وتشير بعض كتب التراجم الى أن أحد المكتبين أو المعلمين ببلنسية تولى الصلاة والخطبة بجامعها هو أبو اسحاق ابراهيم بن ترحيب المكتب ، والذى كان يستخلف على الصلاة والخطبة بجامع بلنسية لصلاحه وميل الناس اليه (٤) .

وبالإضافة الى هؤلاء الوعاظ والمعلمين والمؤدبين حفلت بلنسية بأسرات تخصصت في العلوم وتوارثتها ، وكان لها أثر كبير في الحياة العلمية والأدبية والسياسية في بلنسية الإسلامية ، وأبرز هذه الأسرات :

١ ـ **بنو جحاف** : وهم أهل علم ورئاسة وينتسبون الى قبيلة معافر اليمنية ، وقد تداولوا منصب القضاء فترة طويلة ، ولمع منهم في زمن الخليفة الناصر الأموى

= مستخرجة من معجم السفر للسلفى ، تحقيق د . أحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٣ م ، ص ١٠٥ ـ ١٠٧ ترجمة رقم ٦٨ .

(١) التكمله ، جـ ١ ، ص ٤١٤ ترجمة رقم ١١٧٤ .

(٢) التكملة ، جـ ١ ، ص ١٩٥ ترجمة رقم ٥١٩ .

(٣) المكتب هو المعلم ، والمكتب (جمعها كتاتيب) هو موضع تعليم الكتاب أو الصبيان ، انظر (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٩٣) .

(٤) التكملة ، جـ ١ ، ص ١٤٨ ترجمة ٣٨٤ .

الفقيه جحاف بن يمن (ت ٣٢٧ هـ) الذى تولى قضاء بلنسية [١] ، ومنهم عبد الرحمن بن جحاف الذى قلده الخليفة الحكم المستنصر خطة القضاء ببلنسية [٢] ، كما اشتهر منهم عبد الله بن جحاف الملقب بحيدرة (ت سنة ٤١٨ هـ) وكان من العلماء الجلة ثقة فاضلا ، ويقول عنه ابن حزم أنه « أفضل قاض رأيته دينا وعلما وتصاونا مع حظه الوافر فى العلم [٣] » ، ولعل أبرز هؤلاء جميعا القاضى جعفر بن جحاف ، وكان من أبرز علماء الفقه والحديث فى الأندلس ، وكان صاحباً للأحكام [٤] فى بلنسية ثم أسندت اليه خطة القضاء ، وأخيرا تولى مملكه بلنسية عقب مقتل القادر فى سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، وظل يتولى شئون المملكة الى أن أقدم القنبيطور على احراقه سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م [٥] .

٢ ـ **بنو واجب** : وهم من أعيان بلنسية ، وينتسبون الى قبيلة قيس ، وقد برز منهم الفقيه أبو حفص عمر بن واجب الذى تولى منصب صاحب أحكام المدينة ، وكان من أهل الفضل والعلم ، وتخصص فى القراءات والحديث ، وتوفى فيما يقرب من سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) [٦] ، ومن علماء بنى واجب أبو الحسن بن واجب صاحب الأحكام أثناء فترة حكم القاضى ابن جحاف ، وكان أبو الحسن هذا موضع تقدير أهل بلده ، وقد تمتع لذلك بمكانة مرموقة ، وتوفى سنة

(١) الحميرى ، نفسه ، ص ١٩٠ ترجمة ٣٦٤ . القاضى عياض ، ترتيب المدارك ، المجلد الثانى ، ص ٤٦٣ .

(٢) البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٣) الصلة ، القسم الأول ، ص ٢٦٢ ترجمة ٥٨٣ . أرسلان ، الحلل السندسية ، جـ ٣ ، ص ٨٩ .

(٤) يبدو أن المقصود بصاحب الأحكام هنا هو المحتسب الذى كان يعرف فى الأندلس بصاحب أحكام السوق ، لأن معظم نشاطه ينحصر فى الأسواق والأماكن العامة . انظر . (موسى لقبال ، الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى ، الطبعة الأولى ، الجزائر ١٩٧١ م ، ص ٣٤) .

(٥) الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٢٥٧ ترجمة ٦١٥ . التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ترجمة ٦٣٣ .

(٦) الصلة ، القسم الثانى ، ص ٤٠٣ ، ترجمة رقم ٨٦٧ .

٥١٩ هـ (١١٢٥ م) [١] .

٣ ـ بنو حـزب الله : وهم أهل علم ونباهة في بلنسية ، واليهم ينسب المسجد الذى أقاموه بداخل بلنسية [٢] ، وقد نبغ منهم المحدث الفقيه عبد الله بن محمد بن حزب الله [٣] ، والفقيه محمد بن عبد الله بن حزب الله الذى تفقه في الفقه المالكي وتولى الافتاء ببلنسية ، وتوفى بعد سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) وقيل سنة ٤٤٠ هـ [٤] ، ومن بنى حزب الله أيضا الفقيه ابو الحسن احمد بن حزب الله الذى تولى الافتاء بلده ، وكان عالما بالشروط ، وتوفى في سنة ٤٥٩ هـ (أواخر ١٠٦٦ م) [٥] .

٤ ـ بنو ميمون : ينتسبون الى بنى مخزوم المتعربين ، وكانت منازلهم بجزيرة شقر ، ونبغ منهم أبو بكر أحمد بن يحيى بن ميمون ، الذى تولى قضاء شقر (ت سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م) [٦] كما نبغ الفقيه جعفر بن يحيى بن ميمون ، من أهل شقر ، وقد رحل الى بلنسية واستقر بها وشارك في تدريس الفقه والحديث بهذه المدينة ، وتوفى سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م [٧] .

(٣) ازدهار العلوم والآداب في بلنسية

أ ـ العلوم الدينية (الشرعية) :

وهى العلوم المتصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، كالقراءات والتفسير والفقه ، وقد حظيت هذه العلوم باهتمام المسلمين . ففى مجال مجال التفسير ، زخرت بلنسية بجملة من خيرة علماء الأندلس وأبرزهم ، وصنفت في التفسير وفى

---

(١) الصلة ، القسم الثانى ، ص ٥٧٤ ترجمة ١٢٦٨ .
(٢) التكملة ، جـ ٢ ، ص ٧٨٥ ترجمة ١٩٢٥ .
(٣) التكملة ، جـ ٢ ، ص ٧٨٥ ترجمة ١٩٢٥ .
(٤) الصلة ، القسم الثانى ، ص ٥٢٤ ترجمة ١١٤٧ .
(٥) الصلة ، القسم الأول ، ص ٦٠ ترجمة ١٢٥ .
(٦) التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٠ ترجمة ٤٤ .
(٧) التكملة ، جـ١ ، ص ٢٤٢ ترجمة رقم ٦٣٨ .

شرح غريب القرآن مصنفات هامة من أهمها كتاب أبى بكر بن عزيز الذى كان يقرؤ بجامع بلنسية [1] ، ومن جلة علماء بلنسية فى التفسير :

١ ـ محمد بن حسين المعروف بابن رلان (كان حيا سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م) ، وكان من أهل القرآن والحمل له والمعرفة باعرابه وغريبه [2] .

٢ ـ محمد بن على البلنسى الذى صنف تفسيرا قيما للقرآن الكريم [3] .

٣ ـ أحمد بن عبد الرحمن الأنصارى الشارقى المعروف بابن الحداد ، الذى وضع رسالة سماها « رسالة الامتحان لمن برز فى علم الشرعية والقرآن » خاطب بها القاضى بن سهل ، وطلب منه الجواب عن بعض المسائل التى وقعت بينهما المناظرة فيها ، وتوفى ابن الحداد بشرق الأندلس فيما يقرب من سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) [4] .

وفى علم القراءات نبغ فى بلنسية جلة ممتازة من المقرئين منهم :

١ ـ أبو داود سليمان بن أبى القاسم ، وكان عالما بالقراءات ورواياتها وطرقها ، حسن الضبط لها ، كما امتاز بالثقة فيما يرويه ، وصدرت له عدة تواليف فى معانى القرآن ، توفى ببلنسية فى سنة ٤٩٦ هـ / أواخر ١١٠٢ م [5] .

٢ ـ أبو بكر جعفر بن الحسين ، وكان من أهل أنده ، أخذ القراءات عن ابن ناسه ، وولى الصلاة والخطبة ببلده ثم استقضى به وأقرأ القرآن ، وتوفى فى سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م [6] .

---

(١) نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ، ترجمة ٦٤٨ .

(٢) نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٩٤ ترجمة ١١٠٤ .

(٣) السيوطى ، بغية الوعاه ، ص ٨١ .

(٤) الصلة ، القسم الأول ، ص ٧٣ ترجمة ١٥٩ . المراكشى ، الذيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٥١ ترجمة رقم ٦٧١ .

(٥) الصلة ، القسم الأول ، ص ٢٠٣ ترجمة ٤٥٨ . ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٣٨ .

(٦) التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٤١ ترجمة ٦٣٦ .

٣ ـ ابن أبي البقا ، من ساكني شقر ، وكان حافظا للمسائل قارئا للقرآن ، ويذكر ابن الفرضي أنه كان يختم القرآن في كل أربع ليال [١] .

وفي مجال الحديث والسنة ـ وهما المصدر الثاني للتشريع ـ ظهرت من علماء بلنسية شخصيات ذاعت شهرتها منهم على سبيل المثال القاضي جحاف بن يمن (ت سنة ٣٢٧ هـ) وكان محدثا مذكورا بالفقه [٢] ، وابن الفرضي (ت سنة ٤٠٣ هـ) الذي تولى قضاء بلنسية فترة وكان « فقيها عالما عارفا بعلم الحديث ورجاله [٣] » ، ومن علماء بلنسية في الفقه الذين رحلوا الى المشرق الفقيه أحمد بن محمد الأنصاري ، الذي زار المشرق وأدى فريضة الحج وسمع من كريمة المروزية كتاب البخاري ، وتتلمذ على علماء العراق وفارس ومصر ، وتوفي فيما يقرب من سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) [٤] . والفقيه البلنسي محمد بن جعفر الذي رحل الى القيروان فسمع من مشايخها ، وتفقه عندهم ، ثم قفل الى بلده ليتولى التدريس فيها ، ويذكر القاضي عياض أنه « كان عالما فقيها نبيها نبيلا ، وقد توفي سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) [٥] .

وتجدر الإشارة بهذه المناسبة الى أن جمهور كبير من فقهاء قرطبة لاذوا ببلنسية بعد نشوب الفتنة القرطبية ، وشارك هؤلاء الفقهاء في الحركة العلمية ببلنسية ، وكان لهم دور كبير في ازدهار علوم الحديث والفقه بها ، ومن هؤلاء الفقهاء : محمد بن عمر المعروف بابن الفخار ، وكان أحد أئمة المالكية بقرطبة ، فر منها عند استيلاء البربر عليها ، واستقر ببلنسية الى أن توفي حوالي سنة ٤١٩ هـ

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣٢١ ترجمة ٨٣٢ .

(٢) الحميدى ، نفسه ، ص ١٩٠ ترجمة ٣٦٤ . القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، مجلد ٢ ، ص ٤٦٣ .

(٣) نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٩ .

(٤) الصلة ، القسم الأول ، ص ٧٣ ترجمة ١٥٩ . التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٦ ترجمة ٦٤ .

(٥) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، المجلد الثاني ، ص ٤٦٢ .

(١٠٢٨ م) [١] ، ومنهم أيضا الفقيه أبو عمر بن عبد البر شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها فى وقته ، وكان قد رحل عن قرطبة فى الفتنة واستقر بشرق الأندلس [٢] .

وقد ترتب على ذلك تقدم واضح المعالم فى العلوم الدينية ببلنسية فنشطت فيها حركة التأليف فى الحديث والفقه ، ومن أشهر المصنفين فى هذا المجال الفقيه أبو القاسم خلف المعروف بالبربلى (ت سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) ، وكان فقيها حافظا للمسائل ، وله مختصر للمدونة جمع فيه أقوال اصحاب الامام مالك عمت فائدته ، وكان الفقيه أبو الوليد الوقشى يقول : « من أراد أن يكون فقيها من ليلته فعليه بكتاب البربلى » [٣] ، ومنهم الفقيه أبو زكريا يحيى بن شراحيل (ت سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م) وكان حافظا للمسائل على مذهب مالك ، وله كتاب فى توجيه حديث الموطأ [٤] ، والفقيه المحدث ابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م) الذى صنف فى جملة مولفاته كتاب « تاريخ علماء الأندلس » ومعظمه ترجم لعلماء الحديث والفقه بالأندلس ، ومن مؤلفاته الكتاب الموسوم بالمؤتلف والمختلف [٥] ، ومنهم الفقيه أحمد بن محمد الأنصارى ، وقد ألف كتابا فى أحكام الصلاة ، وتوفى فى حدود سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) [٦] ، والفقيه أحمد بن محمد المعروف بابن نماره (كان حيا سنة ٥٠٣ هـ) وله مجموع صغير فى الفقه [٧] ، ومنهم أيضا الفقيه محمد بن يحيى بن الحذاء التميمى (ت سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م) وينسب اليه

---

(١) القاضى عياض ، نفسه ، المجلد الثانى ، ص ٧٢٤ . ابن فرحون ، الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، طبعة مصر ١٣٥١ هـ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(٢) عياض ، نفسه ، المجلد الثانى ، ص ٨٠٨ .

(٣) الصلة ، القسم الأول ، ص ١٦٩ ترجمة رقم ٣٨٣ . ترتيب المدارك ، مجلد ٢ ، ص ٨٢٩ .

(٤) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ١٩٠ ترجمة رقم ١٥٩٨ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، المجلد الثالث ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ترجمة ٣٥١ . المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(٦) التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٦ ترجمة رقم ٦٤ .

(٧) التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٦ ترجمة رقم ٦٧ .

شرح فى الموطأ سماه كتاب « الاستنباط لمعانى السنن والأحكام من أحاديث الموطأ » يتألف من ثمانين جزأ [1] ، والفقيه على بن خلف بن بطال البكرى المعروف بابن النجام (ت سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م) وأصله من قرطبة ، خرج الى بلنسية أثناء الفتنه ، وألف شرحا لكتاب البخارى عمت فائدته ، وكان فقيها أصوليا من أهل النظر والاحتجاج لمذهب مالك » [2] ، ومن أشهر فقهاء بلنسية ابن عبد البر كبير محدثى الأندلسي فى زمنه ، استقر ببلنسية أثناء الفتنة ، ومن أهم مؤلفاته كتاب « التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد » فى عشرين مجلدا ، لم يضع أحد مثله فى طريقته وكتاب « الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار » وكتاب « التقصى لحديث الموطأ » وكذلك « جامع بيان العلم » وكتاب « الكافى فى الفقه فى الاختلاف وأقوال مالك وأصحابه » وغيرها كثير ، وقد توفى ابن عبد البر بشاطبة سنة ٤٦٣ هـ (أواخر ١٠٧٠ م) [3] .

ب ـ علوم الأدب واللغة :

١ ـ الشعر :

كان لطبيعة بلنسية الساحرة وكثرة بساتينها وجمال مناظرها أعظم الأثر فى شحذ القرائح ، وتوجيه الشعراء الى النظم فى الروضيات ، وترقيق نتاجهم الشعرى ، فجاءت أشعارهم دررا تروق للنفس وتثير النشوة والبهجة ، وقد غلب على شعراء بلنسية الشعر الوصفى ، فاستلهموا الطبيعة بقصائد غاية فى الرقة ، وصفوا فيها الجنان والخمائل بأشجارها وأدواحها وزوهورها ، وأبرز من نظم فى هذا المجال « ابن خفاجة » [4]

---

(١) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٢) الصلة ، ق ١ ، ص ١٧٠! ترجمة ٣٨٨ . ترتيب المدارك ، م ٢ ، ص ٨٢٧ . الديباج ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٣) ترتيب المدارك ، م ٢ ، ص ٨٠٨ . ابن العماد الحنبلى ، شذارت الذهب فى أخبار من ذهب ، المجلد الثانى ، طبعة بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣١٤ ـ ٣١٦ .

(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن أبى الفتح بن خفاجة الهوارى ، ولد بشقر سنة ٤٥٠ هـ وقيل سنة ٤٥١هـ ، وكان عالما فى الآداب ، صدرا فى البلغاء ، وتوفى سنة ٥٣٣ هـ . عن ابن خفاجة =

أحد فحول شعراء الأندلس في بداية عصر المرابطين .

وقد برع ابن خفاجة في جميع فنون الشعر ، وخاصة الوصف [1] والغزل [2] والزهد [3] والرثاء [4] والمدح [5] .

= راجع : (ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ لوحة ٩٦ ظ . الصلة ق ١ ، ص ٩٩ ترجمة ٢٢٥ . التكملة ، جـ ١ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ . ترجمة ٣٧٣ . المغرب في حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ ترجمة ٥٨٠ . احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ص ٢٠٤ - ٢١٥ . حمدان حجاجي ، حياة وآثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة ، ص ٤٠ - ٤٤ . مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٧٥ م ، ص ٢٦٧ - ٢٦٩ . مقدمة ديوان ابن خفاجة للدكتور مصطفى غازي) .

(١) مثال ذلك قوله يصف مجلس أنس ببلنسية :

ونديٍّ أنسي هــزني ... هزّ الشراب من الشباب
والليلِ وضاح الجبين ... قصير أذيال الثياب
فتنصبت منـه حمامةٌ ... بيضاء تنسخ من غراب
والنور مبتســم وخدٌ ... الورد مخطوط النقاب
يندى بأخلاق الصحاب ... هناك لا يندى السحاب

انظر (ديوان ابن خفاجة ، ص ٨٠) .

(٢) وفي الغزل قوله في أمة له صغيرة تسمى عفراء :

وأبلغ قطين الدار أنّ أحبهم ... على النأي حباً لو جزوني به جمّا
وأقريء عفراء السلام وقل لها ... الاهل أرى ذاك السهى قمرا تمّا

انظر (الديوان ، ص ٨١) .

(٣) وفي الزهد يقول :

لا المطايا ولا الرزايا بواقٍ ... كلُّ شيء الى بلىً ودثور

(الديوان ، ص ١٥٧) .

(٤) وفي رثاء أحد اصدقاء شبابه :

يا مطلع الأنوار إن بمقلتي ... أسفاً عليك لمطلع الأنوار
وكفى أسى ألاّ سفير بيننا ... يمشي ولا موعد للقاء

(الديوان ، ص ١٧٨) .

(٥) وفي مدح الأمير المرابطي مزدلي عندما استرجع بلنسية من أيدي النصارى سنة ٤٩٥ هـ :

ومن خصائص شعراء بلنسية تفاعلهم مع حوادث عصرهم ، بحيث جاء شعرهم صورة صادقة لهذه الحوادث التى حفلت بها المدينة ، وهو ما نسميه بالشعر السياسى ، وأشهر من أبدع فى هذا المجال ابن خفاجة البلنسى نفسه ، وقصيدته التى يرثى فيها بلنسية بعد أن عاث القنبيطور بساحتها ويأسف على ما أصابها من عيث وتخريب تعد من روائع الشعر العربى عامة (١) ، ومنهم الشاعر الطرسونى البلنسى الذى يصور لنا خروج أهل بلده للقاء العدو فى غير ملابس الحرب وهزيمتهم أمام العدو القشتالى فى وقعة بطرنة سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) (٢) ، كما تعرض الشاعر الوزير ابن طاهر لحادثة مقتل القادر بايدا، من القاضى ابن جحاف (٣) (سنة ٤٨٥ هـ /

= الآن سحّ غمامُ النصرِ فانهملا ... وقام صَفْوُ عمودِ الدينِ فاعتدلا

ولاح للسعد نجم قد خوى فهوى ... وكر للنصر عصر قد مضى فخلا

وفى نهاية قصيدته يقول :

وأقْشَعَ الكفرُ قسرا عن بلنسيةٍ ... فانجاب عنها حجابٌ كان منسدلا

انظر (الديوان ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

(١) يقول ابن خفاجة يصف ما أصاب بلده من الدمار على أيدى النصارى :

عاثت بساحتك العدا يا دار ... ومحا محاسنك البلى والنار

واذا تردد فى جنابك ناظر ... طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها ... وتمخضت بخرابها الأقدار

انظر (الديوان ، ص ٣٥٤ ، الشكعة ، نفسه ، ص ٥٢٢ . احسان عباس ، نفسه و ص ١٨٧) .

(٢) يقول الشاعر ابو اسحاق بن يعلى الطرسوني في وقعة بطرنة :

لبسوا الحديدَ الى الوغى ولبِستم ... حلل الحرير عليكمُ ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها ... لو لم يكن ببطرنةٍ ما كانا

انظر (نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٧٠) .

(٣) وفى مقتل القادر يقول ابن طاهر :

أيها الأخيفُ مهْلاً ... فلقد جئتَ عويصاً

إذ قتلت الملْكَ يحيى ... وتقمصتَ القميصا

رب يوم فيه تجزى ... لم تجد عنه محيصا

انظر (الذخيرة ، ق ٣ لوحة ١٩و . الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ترجمة ١٣٠) .

١٠٩٢ م) . ومن شعراء بلنسية العظام أحمد بن عبد الولي البتي ، وينسب الى قرية بتة (من أعمال بلنسية) ويذكر ابن دحية أنه كان « كثير التصرف مليح التظرف إلا أنه كان خبيث اللسان ، ما كف هجوه عن انسان ما برح مدة حياته ، ومات حرقاً على يد القنبيطور في سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م [١] . والشاعر أحمد بن محمد المعروف بابن الأخ (ت سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م) وكان لـه حظ من قرض الشعر ، ومن ذلك قوله لصديقه أبي داود المقرىء :

أبـا داودُ قـد أزِفَ الإيابُ   الى من ليس يُستَرُّ عنه باب [٢]

وأحمد بن الدودين (كان حيا سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م) ومن شعره قوله

علّـمني فـي الهوى عليٌّ   كيف التصابي على وقاري
أطلَـعَ لي من دجـاه بدرا   لم يـدر مـا ليلـةُ السـرار
فحاد بن عن طريق نُسْكِي   وظلْـت مسـتأهـلا لنـار [٣]

والشاعر أبو عامر محمد بن عثمان البرياني (ينسب الى بريانة من أعمال بلنسية) ، ولد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، وكان من مشاهير الأدباء والشعراء ، وتوفي سنة ٥٣٣ هـ / أواخر ١١٣٨ م [٤] . ومن شعراء الأندلس الذين استوطنوا بلنسية زمن الفتنة فرارا من مذابح البربر الوزير الشاعر ابن زيدون ، الذي زار بلنسية حوالي سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ومدح وزيرها ابن عبد العزيز (ابن رويش) [٥] .

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٢٤ ، ١٩٥ . نفح ، جـ ٥ ، ص ١٦٦ .

(٢) التكملة ، جـ ١ ، ص ٢١ ترجمة رقم ٤٥ .

(٣) انظر . المغرب في حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ترجمة رقم ٥٦٦ .

(٤) ومن شعره قوله في وصف صنم شاطبة :

بقيـةٌ من بقايـا الـروم معجبـةٌ   أبدى البنةُ بها من علمهم حكَماَ
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمَم   تباعتْ بعدُ سَمَضوع لنا صنمـا

انظر . (التكملة ، جـ ١ ، ص ٤٣٦ ترجمة ١٢٤٨ . نفح ، جـ ٥ ، ص ٢٥٣) .

(٥) ومن ذلك قوله :

بلـد حـبيبٌ أفقُــه   لفتىً يحلُّ بـه كـريمْ

والشاعر ابن دراج القسطلى الذى مدح أميريها مبارك ومظفر [1] ، والشاعر الحصرى القروى [2] الذى مدح المنصور عبد العزيز ووزيره ابن روبش [3] .

٢ ـ علـوم اللغـة :

أ ـ علم العروض : وهذا العلم يتصل بالشعر ، وقد ظهر ببلنسية بعض الذين برزوا فى هذا العلم نذكر منهم : خلف بن عمر الأخفش (ت بعد سنة ٤٦٠ هـ) [4] ، وأحمد بن الفرج التجيبى ، من أهل قونكة ، سكن بلنسية ، وكان من أهل الأدب والعلم ، وألف كتابا فى العروض سماه « المجمل » [5] .

ب ـ النحو : نبغ فى علم النحو من أهل بلنسية شخصيات عديدة منها عبد الله بن سيف الجذامى ، وكان نحويا أديبا متفننا ضابطا ، وتوفى حوالى سنة ٤٣٠ هـ (أواخر ١٠٣٨) [6] . ومحمد بن حسين المعروف بابن رلان (كان حيا سنة ٤٦٠ هـ / أواخر ١٠٦٧ م) وكان أديبا متفننا ، متسع المعرفة ، معلما بالعربية واللغة ، ومن أهل المعرفة باعراب القرآن [7] . وأحمد بن شرف ، وكان نحويا ماهرا ،

= إيـه أبـا عبـد الإلــه ... نـداءَ مغلـوبِ الغـريمْ
إن عِيلَ صبرى من فراقك ... فـالعـذاب بـه أليـمْ

انظر (ديوان ابن زيدون ، ص ١١١ . قلائد العقيان ، ص ٧٤ . نفح ، جـ ٤ ، ص ٢٥٣) .

(١) انظر . ديوان ابن دراج ، ص ٨٩ . الاحاطة ، م ٣ ، ص ٢٩٧) .

(٢) هو الأديب الشاعر أبو الحسن على بن عبد الغنى القروى المعروف بالحصرى ، دخل الأندلس ومدح حكامها ، توفى بطنجة سنة ٤٨٨ هـ . انظر (الضبى ، نفسه ، ص ٤٢٥ ترجمة ١٢٢٩) .

(٣) مثال ذلك قوله :

بلـد طيب ورب غفـور ... وابن عبد العزيز والمنصور

انظر (الصلة ، ق ٢ ، حاشية ١ ص ٤٣٢ ترجمة ٩٢٦) .

(٤) التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ ترجمة رقم ٨١١ .

(٥) نفسه ، جـ ١ ، ص ٤٩ ترجمة ١٣٧ .

(٦) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٧٩٦ ترجمة ١٩٤٥ .

(٧) نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٩٤ ترجمة ١١٠٤ .

ملما بالعربية ، وتوفى بعد سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) [١] . وخلف بن عمر الشقرى المعروف بالأخفش [٢] ، وقد برزت أسرة الأخفش فى علم النحو بصفة خاصة ، فيذكر السيوطى أن أبا القاسم خلف هذا هو ثالث الأخفشين من النحاة [٣] ، ويشير ابن الأبار الى أنه كان يعلم بالعربية والأداب وتوفى بعد سنة ٤٦٠ هـ [٤] . ومن نحاة بلنسية المعروفين ابن خلصة اللخمى « وكان أستاذا فى علم اللسان ، مقدما فى صناعة العربية والآداب » ، وتوفى حوالى سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م [٥] . وابراهيم بن أحمد الباهلى ، الذى صحب أبا بكر بن نمارة وأخذ عنه وكتب له « مقدمة ابن بابشاذ » فى النحو سنة ٥٣٣ هـ / أواخر ١١٣٨ م [٦] .

٣ ـ علم التاريخ :

شارك عدد من علماء بلنسية فى الكتابة التاريخية المتعلقة بالسير والتراجم من ذلك القاضى ابن الفرضى (ت سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م) صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس ، ويعتبر أقدم معجم لعلماء الأندلس وصل الينا ، ترجم فيه لجلة علماء الأندلس حتى عصره ، فذكر أخبارهم وآثارهم وسيرهم وبلدانهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم ، ورجع ابن الفرضى فى كتابه الى بعض المصنفين الذى سبقوه أمثال ابن الطحان الاشبيلى (٣٠٤ ـ ٣٨٣ هـ) وابن سمعان (٣٠٧ ـ ٣٨٩ هـ) [٧] . ومن أهم مؤرخى بلنسية ابن المشاط القرطبى الأصل البلنسى الموطن ،

---

(١) الذيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الأول ، ص ١٢٨ ترجمة رقم ١٩٠ .

(٢) ابن خير الاشبيلى ، فهرسة الكتب المصنفة فى ضروب العلم ، نشر كوديرا ، سرقسطة ١٨٩٣ م ، ص ٣١٣.

(٣) بغية الوعاة ، ص ٢٤٣ .

(٤) التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ ترجمة رقم ٨١١ .

(٥) التكملة ، جـ ١ ، ص ٤٢٦ ترجمة رقم ١٣١٥ . بغية الوعاة ، ص ٥٢ .

(٦) نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ترجمة ٣٧٥ .

(٧) بغية الملتمس ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ترجمة ٨٨٨ . ابن خير الاشبيلى ، نفسه ، ص ٢١٨ ، ٢٢٠ . المقرى ، نفح ، جـ ٢ ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ . جنثالث بلنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ . العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

تولى قضاء بلنسية فى عهد المنصور محمد بن أبى عامر ، وعهد اليه بتصنيف مؤلف فى التاريخ ، فجمع له كتاب « الباهر » وتوفى ابن المشاط فى سنة ٣٩٦ هـ / أواخر ١٠٠٥ م [١] . ويوسف بن عبد البر القرطبى الأصل ، الذى رحل الى بلنسية فى زمن الفتنة ، وألف فى التاريخ كتاب « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » ، وكتاب « الدرر فى اختصار المغازى والسير » وكتاب « القصد والأمم فى التعريف بأنساب العرب والعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم » وتوفى ابن عبد البر بشاطبة سنة ٤٦٣ هـ [٢] . ويعتبر محمد بن علقمة (ت ٥٠٩ هـ) عمدة مؤرخى بلنسية ، فقد اهتم بتسجيل ما عاينه من حوادثها وأخبارها فى كتاب « البيان الواضح فى الملم الفادح » [٣] وفيه يصور تاريخ بلنسية فى الفترة ما بين سنتى ٤٨٥ هـ و ٤٩٥ هـ / ١٠٩٢ ـ ١١٠٢ م ، أى منذ حصار القنبيطور للمدينة وسقوطها فى يده حتى استرداد المرابطين لها وعودتها للمسلمين مرة أخرى . ولقد سبقت الاشارة الى أن القطع المتناثرة من هذا الكتاب المفقود والتى نقلتها عنه المصادر الأخرى تعتبر من أدق ما وصل الينا عن تلك الفترة من تاريخ بلنسية ، بحكم معاصرة ابن علقمة لحوادث بلنسية ومشاهدته لها ، وقد زاد ذلك من قيمة رواياته التى تتسم بالصدق والدقة والحيدة والتفصيل ، وهى مزايا لابد من توافرها لدى المؤرخ المعاصر للحوادث ، وأشار كثير من المؤرخين الى أن كتاب ابن علقمة هذا « يبكى القارىء ويذهل العاقل [٤] » ومن أهم الذين نقلوا عنه : ابن الأبار وابن عذارى وابن الكردبوس وابن الخطيب وابن عبد الملك المراكشى [٥] ، كما نقلت عنه المدونة العامة الأولى أجزاء كبيرة منه [٦] .

---

(١) القاضى عياض ، ترتيب المدارك ، م ٢ ، ص ٦٧٩ . الصلة ، ق ١ ، ص ٣٠٧ ترجمة ٦٧٨ .

(٢) القاضى عياض ، ترتيب المدارك ، م ٢ ، ص ٨٠٨ ـ ٨٠٩ . ابن خير ، نفسه ، ص ٢١٤ . ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، م ٢ ، ص ٣١٤ ـ ٣١٦ .

(٣) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ . بلنثيا ، نفسه ، ص ١١٦ .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ١٤٨ .

(٥) احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسى (عصر الطوائف) ط ١٨٦ .

(٦) حسين مؤنس ، عود الى المراجع العربية لتاريخ السيد ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩ .

٤ ـ العلوم العقلية :

نهضت في بلنسية علوم الطب والكيمياء وهما من العلوم التجريبية التى أسهم فيها أهل بلنسية بنصيب وافر ، وممن نبغ فى هذين العلمين عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي المتوفى فى سنة ٤٥٦ هـ / أواخر ١٠٦٣ م [١] ، ومحمد بن غالب التجيبي المعروف بالبقساني ، وقد شارك فى صناعة الطب ، وتوفى حوالى سنة ٥٣٠ هـ / أواخر ١١٣٥) [٢] . كذلك حظيت علوم الهندسة والحساب باهتمام العلماء والباحثين في بلنسية ، وقد أنجبت نخبة من العلماء فى هذا المجال قدموا للانسانية خلاصة نبوغهم منهم أبو عبيدة بن مسلم البلنسي المعروف بصاحب القبلة (ت سنة ٢٩٥ هـ / أواخر ٩٠٧ م) ، وكان من المهتمين بعلم الحساب والنجوم وعالما بحركات الكواكب وأحكامها [٣] . ومحمد بن أحمد بن الليث قاضى بلدة شريون (من أعمال بلنسية) وكان متحققا بعلم الحساب والهندسة ، عارفا لعلم حركات الكواكب وأرصادها ، بصيرا بالنجوم [٤] ، وتوفى سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) . وعلى بن أحمد الصيدلانى الذى برع فى الهندسة [٥] ، وكما يبدو من اسمه أنه كان يعمل أيضا بالصيدلة والعقاقير ، وابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال ، وكان عالما بحركات النجوم وهيئات الأفلاك ، ويذكر القاضى صاعد أنه كان أبصر أهل زماننا بأرصاد الكواكب وهيئة الأفلاك وحساب حركاتها وأعلم بعلم الأزياج واستنباط الآلات النجومية [٦] .

---

(١) القاضي صاعد ، طبقات الأمم ، ص ١١١ . ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق د . نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٩٧ .

(٢) التكملة ، جـ ١ ، ص ٤٣١ ترجمة رقم ١٢٣١ .

(٣) القاضي صاعد ، نفسه ، ص ٨٦ .

(٤) القاضي صاعد ، طبقات الأمم ، ص ٩٧ .

(٥) صاعد ، نفسه ، ص ١٠٠ .

(٦) نفسه ، ص ١٠٠ . وأيضا . احسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف) ص ٦٠ ـ ٦١ .

الخاتمــة

ونصل فى نهاية البحث الى عدد من الحقائق أسفرت عنها دراستى الطويلة للتاريخ السياسى والحضارى لمدينة بلنسية الإسلامية منذ الفتح حتى سقوطها فى أيدى المرابطين :

فقد أبرزت الدور السياسى الخطير الذى لعبته تلك المدينة منذ أن أنتثر عقد الخلافة الأموية وقامت دويلات الطوائف الى أن دخلت فى فلك دولة المرابطين ، بينما كان دورها فى المرحلة التاريخيه السابقة محدودا ، وذلك لأن هذه المرحلة الأولى من تاريخ بلنسية الإسلامية ـ وتبدأ من الفتح وتنتهى بانهيار الخلافة الأموية .. كانت تتسم إلى حد كبير بالغموض ، ولعل ذلك يرجع الى أن بلنسية كانت خلال هذه الفترة التاريخية مجرد كوره تابعه للحكومة المركزية باستثناء الفترة القصيرة التى استقلت فيها عن قرطبة فى عهد الحكم الربضى عندما انفرد عبد الله البلنسى بامارتها طوال البقية من عمره ، ومع ذلك فقد أمكننى بفضل النصوص الجديدة التى تم نشرها من المقتبس لابن حيان أن أتوصل الى رسم صورة أقرب ما تكون الى الوضوح عن تاريخ بلنسية فى تلك المرحلة الأولى ، وقد تبين من خلال ما عرضته أنها كانت مركزا من مراكز الثورة والعصيان ، وتسببت بالتالى فى ازعاج حكومة قرطبة ، وبالإضافة الى ذلك تمكنت من تتبع سلسلة ولاة بلنسية حتى بداية عصر الطوائف .

وبسقوط الخلافة الأموية فى قرطبة تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ بلنسية تتلاحق فيها الحوادث ، وتشهد بلنسية ذروة ازدهارها السياسى والحضارى على السواء كقاعدة لمملكة لهـا أهميتها بين دويـلات الطوائف . ففى عهـد الصقلبيين مـبارك ومظفـر (٤٠٠ ـ ٤٠٨ هـ / ١٠٠٩ ـ ١٠١٧ م) نعمت بلنسية بالأمن اوالأستقرار لوقوعها بعيدا عن دائرة الدمار الذى تسببت فيها الفتنة الربرية وشمل مناطق متعددة من الأندلس ، فكانت بلنسية بلاد الهاربين من ضرار الفتنة وبؤرة الأمان لمن طعنتهم بأهوالها ، فتحت أبوابها لكل خائف واحتمى فيها كل شريد طريد ، فقصدها العلماء والأدباء وانتجعها أرباب الفنون والصناعات ، وقد شارك الوافدون اليها فى كافة مجالات الحياة ، وأسهموا فى نهضتها وفى توسعها العمرانى الى مصاف قواعد الأندلس الكبرى . وبلغت مملكة بلنسية فى عصر المنصور عبد العزيز (٤١٢ ـ ٤٥٢ هـ / ١٠٢١ ـ ١٠٦١ م) قمة عظمتها وازدهارها ، كما وصلت الى أقصى

اتساع لها بفضل السياسة الحكمية التى انتهجها عظمتها وازدهارها ، كما وصلت الى أقصى اتساع لها بفضل السياسة الحكمية التى انتهجها المنصور ،فامتد نفوذها الى مدن شاطبة والمرية ومرسية ، وظلت تحتفظ بهذا السلطان فترة قصيرة ، فقدت بعدها هذا النفوذ . ومن الواضح أن هذا الازدهار الذى شهدته بلنسية فى عصر المنصور عبد العزيز ساعده على تنفيذ بعض المشروعات العمرانية الهامة وأهمها المنية التى أنشأها شمالى المدينة وعرفت باسمه ثم أوضحت مدى الضعف الذى أصاب مملكة بالنسبة فى عهد ابنه المظفر عبد الملك (٤٥٢ _ ٤٥٧ هـ / ١٠٦١ _ ١٠٦٥ م) وكان قليل الخبرة بشئون السياسة والحكم ، ففلت الزمام من بين يديه ، وشغل عن أمور دولته بالعكوف على اللهو والملذات ، وقد ترتب على ذلك سيطرة وزيره ابن رويش ثم ابنه أبى بكر بن عبد العزيز على أمور الحكم ، ومنذ ذلك الحين بدأ نجم بلنسية فى الأفول ، فلما استولى المأمون صاحب طليطلة على بلنسية فى سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م أناب عنه فيها وزيره أبا بن عبد العزيز الذى لم يلبث أن استقل بها فى سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م ويعتبر أبو بكر من أقوى الولاة الذين تولوا حكم المدينة فى عصر الطوائف ، وهو ما شهد به ألفونسو السادس ملك قشتاله . ففى عهده نعمت بلنسية بالأمن والرخاء بفضل سياسته الخارجية التى تقوم على الدهاء والمكر مع دويلات الطوائف المجاورة مثل مملكة سرقسطة ، فوثق صلاته ببنى هود أصحاب سرقسطه بالمصاهرة ، كما تمكن من الإيقاع بين عدوه اللدود ابن عمار صاحب مرسية والمعتمد بن عباد صاحب اشبيليه ، وانتهى الأمر بالقبض على ابن عمار وقتله بيد المعتمد ، ولم يفتنى أن أعرض للصلات القائمة بين هذا الوزير الداهية والمغامر القشتالى القنبيطور معتمدا فى ذلك بوجه خاص على ما ورد بالمراجع الأسبانية التى تنقل عن مصادر قشتالة ، فى الوقت الذى تصمت فيه المصادر العربية عن الإشارة الى هذه العلاقات ، فأشرت الى تفاصيل الصدام العسكرى الذى وقع بين الطرفين على الحدود وانتصار القنبيطور فى معركة تسميها الرواية المسيحية باسم كامبال (Campal) ، ثم أوضحت كيف بدأت بلنسية تفقد بعد وفاة هذا الوزير الكفء (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) قوتها وازدهارها وتسير سيرا حثيثا نحو الضعف والتدهور لا سيما فى عهد ابنه القاضى أبى عمرو عثمان ثم فى عهد القادر يحيى بن ذى النون الذى تسبب فى سقوط

امارته طليطلة في أيدى النصارى ، الأمر الذى ضاعف من نفوذهم في منطقة شمال وشرق الأندلس .

وقد توصلت من خلال عرضى لأحوال بلنسية فى عهد القادر الى حقيقة تاريخيه ثابتة هى أن بلنسية شهدت فى عهده أسوأ فترة حكم عرفتها خلال عصر الطوائف ، فقد مارس القادر الظلم واصطنع الطغيان فى حكم المدينة ، واستعان بحماته القشتاليين يقودهم البرهانس Alvar Hañes الذى أصبحت له هو وجنده السيادة الحقيقية على المدينة ، وقد ترتب على ذلك ظهور حزب مناوىء للقادر وحلفائه النصارى تزعمه قاضى المدينة جعفر بن جحاف الذى قاد ثورة انتهت بمقتل القادر وتوليه شئون الحكم .

ثم تتبعت تطور العلاقات بين ابن جحاف وبين السيد القنبيطور ذلك المغامر القشتالى الذى تمكن من خداع هذا القاضى المسكين واستولى على بلنسية ونكب ابن جحاف ثم أمر بحرقه حيا ، وخرجت من دراستى الطويلة لهذا الموضوع بنتيجة هامة هى أن القادر وابن جحاف هما السبب الرئيسى وراء مأساة بلنسية وما حل بها من أهوال وخراب على يد القنبيطور وجنده المرتزقة ، فالواقع أن حب كل منهما للسلطة وقصر نظرهما السياسى وقلة خبرتهما بشئون الحكم ، كل ذلك أدى الى تدخل النصارى فى أمور بلنسية واستيلائهم عليها فى النهاية .

ولولا انشغال المرابطين بالصراع ضد الخطر الأساسى الذى يتمثل فى مملكة قشتاله وأرغون لاستطاعوا التصدى للقنبيطور ولأمكنهم بذل العون لأهل بلنسية للتصدى له ، وهو ما تم بالفعل بعد انتصارهم على القشتاليين فى معركة قنسوجره وقونكة ، ومنذ ذلك الوقت تفرغوا لمعركة الجهاد فى شرق الأندلس ، وتمكنوا من تحرير بلنسية من السيطرة المسيحية فى سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م .

والواقع أننا لا نستطيع بأى حال أن ننكر بطولة القنبيطور وشجاعته ودهاءه وذكاءه السياسى والحربى ، فقد تمكن هذا المغامر من اقامة امارة له ببلنسية استمرت عدة سنوات (٤٨٧ ـ ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ ـ ١١٠٢ م) بفضل شراذم من أجناده المرتزقة الذى لم يكن يهمهم فى المقام الأول إلا الغنائم والمصالح الشخصية

دون أى اعتبار للنواحى الدينية التى كانت تميز حروب المسلمين والنصارى فى العصور الوسطى .

وخصصت القسم الثانى لدراسة بعض مظاهر الحضارة فى اقليم بلنسية فى العصر موضوع الدراسة مركزا على المدينة ذاتها ، واستطعت أن أعرض لتخطيطها وعمرانها صورة تكاد تكون واضحة المعالم عليالرغم من ندرة المعلومات المتصلة بهذا الموضوع وغلبة الطابع الحديث على المدينة ، فأوضحت أهم شوارعها مثل شارع ابن جحاف وابن واجب والشريعة ، ومعظمها كان يتفرغ من ساحة المسجد الجامع ويتجه نحو أبواب المدينة ، كما أشرت الى الحومات الداخلية الواقعة داخل النطاق العمرانى للمدينة كحومة ابن جحاف وحومة اليهود وحومة الشريعة وحومة باب الحنش ، وما كان يتخلل شوارع المدينة من رحبات مثل رحبة القاضى الواقعة قرب مركز المدينة ورحبة الشريعة ، ولم يفتنى أن أحدد مواضع الأرباض الخارجية مستعينا فى ذلك بالمصادر الإسلامية والمسيحية (الأسبانية) ، وأهم هذه الأرباض الخارجية مستعينا فى ذلك بالمصادر الإسلامية والمسيحية (الأسبانية) ، وأهم هذه الأرباض ربض الكدية وربض الرصافة والمصلى وربض منية المنصور المعروف فى المصادر المسيحية بربض بيانوبيا ثم ربض ربوسا ، كذلك تعرضت لخطط أخرى بالمدينة ورد ذكرها فى كتب الأدب والجغرافية مثل الجسر والقنطرة والرملة وحددت موقع كل منها من المدينة ، كما أوضحت المقصود بولجة بلنسية وتمكنت من تحديد مكانها فى المنطقة السهلية الواسعة بين باب بيطالة والرصافة وتسمى اليوم بميدان السوق (Plaza del Mercado) وكانت أوسع ساحات المدينة ، ورجحت أن تكون الموضع الذى أحرق فيه ابن جحاف .

ثم تعرضت لأبرز معالم المدينة وأهمها المسجد الجامع الذى كان يتوسطها ، وهو نفس الموقع الذى تقوم عليه الكاتدرائية الحالية التى حلت محل المسجد الجامع بعد سيطرة النصارى على المدينة ، واتضح لى ذلك بمقارنة الخريطة الحديثة بالبؤرة العمرانية القديمة للمدينة فى العصر الإسلامى وأيضا من خلال مشاهدتى للمدينة وموقع الكاتدرائية منها ثم تحدثت عن قصر الامارة الذى يقع لصق الجامع ورجحت أن يكون هذا القصر من بنيان مبارك ومظفر ، أما القصر القديم فقد أشرت الى أنه كان يقوم بربض الرصافة ، وهو الربض الذى سكنه الأمير عبد الله البلنسى ويقع فى جنوب

شرقى بلنسية . وتحدثت عن حمامات بلنسية العديدة التى دثرت ولم يبق منها سوى بقايا حمام يقع الآن قرب الكاتدرائية يسمى اليوم بحمام الميرانتى (Almirante) وتتمثل فى قاعته المسماه بالبيت الوسطانى وبقايا قاعات أخرى . ثم أشرت الى أهم المقابر والمتنزهات (المنيات) المحيطة بالمدينة ، وأوضحت أن المنية التى أنشأها الأمير عبد الله البلنسى فى الرصافى لا تزال تحمل نفس الإسم حتى الآن (La Ruzafa) وهى فى نفس موضعها القديم وتعتبر من أقدم خطط المدينة على حد قول سكانها .

وقد عالجت فى الفصل الثانى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلنسية ، ومن خلال دراستى لعناصر السكان بمنطقة شرق الأندلس عامة أمكنتى أن أخرج بنتيجتين هامتين أولاهما : أن سكان شرقى الأندلس حافظوا قدر امكانهم على دمائهم ، ولم يختلطوا بالبربر على عكس ما حدث فى قرطبة وغرناطة وغيرها من مناطق جنوب الأندلس القريبة نسبيا من المغرب مركز البربر . وثانيتهما : أن حالة الاستقرار والأمن والرخاء التى تمتعت بها منطقة شرق الأندلس خلال الفتنة القرطبية كان لها أثرها فى ازدياد عدد السكان بشكل واضح اذ وفد اليها العديد من التجار والصناع والعلماء هربا من الفتنة التى شملت جنوب الأندلس .

ولم يفتنى أن أعرض لأهم طبقات مجتمع الخاصة ببلنسية ، وكان يتمتع بمكانة اقتصادية واجتماعية ممتازة ، وقوامه بعض الاسرات العربية العريقة وأفراد من الفتيان الصقالبة خاصة فى عهد مبارك ومظفر ، ثم أشرت الى طبقة أخرى متوسطة يمثلها التجار والملاك الزراعيون وأصحاب الحرف الذين كانوا يعيشون فى مستوى جتماعى واقتصادى متوسط وأخيرا الطبقة المعدمة الفقيرة التى تضم الزراع والعبيد . ثم تحدثت عن الأسرة مركزا على المرأة ومركزها الاجتماعى ، ثم انتقلت الى الحديث ن الأعياد والاحتفالات والمواكب واستطعت رغم ندرة ما لدينا من معلومات أن أصور ض مظاهر الحياة الاجتماعية فى بلنسية وأن أوضح أن الحياة ببلنسية كانت تمتاز لسهولة ورغد العيش ، وأن بعض التجار نعموا بالثراء الفاحش والترف ، وساعدهم لى ذلك الانتعاش الاقتصادى لبلنسية فى هذا العصر .

وفى الفصل الثالث تحدثت عن الزراعة ، وأوضحت أن خصوبة أراضى بلنسية اعدت على قيام زراعة مزدهرة بها ، وذكرت أهم المحاصيل الزراعية التى اشتهرت بها

المنطقة مثل الأرز والقمح والشعير والكروم والزيتون وغيرها ، كذلك ألحت الى وسائل الرى والاشراف عليها وهو كما كان يسمى آنذاك بوكالة الساقية . كما أشرت الى الصناعة وتوفر مقوماتها ببلنسية مثل المعادن والأيدى العاملة الماهرة وتوفر الأسواق لتصريف المنتجات ، وذكرت أهم الفنون الصناعية كالنسيج والخزف والفخار والتحف المعدنية والورق وصناعة السفن والعطور وغيرها . ثم عرضت للتجارة الداخلية والخارجية ، وتوصلت من خلال دراستى لهذا الموضوع الى أن بلنسية فى فترة الطوائف تمتعت بازدهار تجارى كبير ، اذ كان لعامل الاستقرار وتجنب الفتن والحروب الداخلية أثره الكبير فى رخاء المدينة اقتصاديا وبالذات قبل تدخل القنبيطور فى شئون شرق الأندلس ، وختمت دراستى للجانب الاقتصادى بعرض سريع لنظم المالية فتحدثت عن الأسعار والسكة وأهم الموارد المالية ثم ألحت الى المكاييل والموازين .

وأفردت الفصل الرابع والأخير لدراسة الحركة العلمية والأدبية ، وتبين لى وجود اتصال علمى كبير بين بلنسية والمدن الإسلامية الأخرى في المشرق والمغرب ، كما خرجت بنتيجة وهى أن العلماء ببلنسية ومدن الأندلس الأخرى حظو بمركز اجتماعى مرموق وبثقة واحترام الأمراء مما أدى الى اقبال الناس على مجالس العلم ، وأشرت الى مشاركة علماء بلنسية اخوانهم الأندلسيين فى الرحلة الى مراكز الثقافة الإسلامية فى المشرق .

وفى هذا النحو أمكننى أن أعرض صورة متكاملة لمدينة بلنسية الاسلامية سياسيا وحضاريا منذ أن افتتحها المسلمون الى أن دخلتها قوات المرابطين فى سنة ٤٩٥ هـ وحررتها من السيطرة القشتالية .

ملحق رقم (١)

التعريف بالسيد القنبيطور (El Cid Camperdor)

ولد رود ريجودياث (Rodrigo Diaz) الملقب بالسيد [١] القنبيطور [٢] بقرية بيبار (Vivar) قرب مدينة برغش (Burgos) حاضرة مملكة قشتالة ، فيما يقرب

(١) يذكر البعض أن لقب السيد El Cid انما هو تحريف لكلمة السيد العربية ، وقد أطلقت عليه منذ أن التحق بخدمة بني هود أصحاب سرقسطة ، فأمروه على جيشهم ، فكان أفراده ينادونه بسيدى ، وقلدهم في ذلك جنده من النصارى ، فصاروا يخاطبونه بـ Miocid أى يا سيدى ، فلزمته هذه التسمية منذ ذلك الحين ، واشتهر بها في التاريخ . أنظر (حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ص ٧١) ويرى د . الطاهر مكى أن هذا اللقب أطلق عليه في سن فتية ، وأن كلمة سيد من الكلمات التي ترتبط بالسن فيما هو مرعى من التقاليد العربية فلا تقال إلا لمن بلغ مبلغ الرجال ، ومع ذلك فلم يرد لهذا اللقب ذكر في المصادر العربية ، واقتصرت المصادر على ذكر لقبه الشائع وأعنى به القنبيطور ، ويضيف أن كلمه السيد التى أطلقت على رودريجودياث ليست تطورا صوتيا لكلمة سيد ، وإنما هي كلمة أصلية وقديمة لم يدخل عليها أى تحوير وتعني الذئب أو الأسد في بعض الإشارات . أنظر : (الطاهر مكى ، ملحمة السيد ، ص ٢٧٥) .

(٢) يعرف El Cid Campeador في الرواية العربية بالقنبيطور بالقاف (ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ١٤٧ ، ابن الكرديوس ، نفسه ص ٩٨) وأحيانا بالكاف « الكنبيطور » (أعمال الإعلام ص ٢٠٣ ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ ترجمة ١٣٠) بينما يسميه ابن بسام رذريق الكنبيطور وهو أقرب الأسماء الى اللهجة القشتالية (الذخيرة ، ق ٣ المخطوط لوحة ١٩ و ويضيف مؤرخو العربي الى اسمه أحيانا لقب الطاغية (ابن عذارى ، نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣١) فيسميه الطاغية لذريق الملقب بالكنبيطور ، وأنظر المقرى الذى يسميه لذريق الطاغية والقنبيطور (نفح ، جـ ١ ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩) في حين يكتفى ابن خلدون بتلقيبه بالطاغية (العبر المجلد السادس ص ٣٨٣) ، ومن المعروف أنه لقب القنبيطور أو الكمبيطور فلأنه كان مبارزا قديرا تغلب على خصومه ، وتلقب به منذ انتصاره على فارس نبرى في مبارزة عنيفه ، واللقب معرب من اللفظة الأسبانية (Campeador) التى يفسرها دوزى بمعنى البطل (Campion) والأرجح أن هذا اللقب حسبما يفسره ابن عذارى يعنى صاحب الفحص (البيان المغرب جـ ٤ ص ١٤٧) وواضح في هذا التفسير أنه يجعل اللقب مشتقا من كلمة Campus التى تعنى الفحص وتقابل Campeador في اللاتينية (Campidoctus) وتعنى قائد الغارات في بلاد الأعداء أو الخبير بالغزوات =

من سنة ١٠٤٥ م (٤٣٧) [١] .

وكان أبوه دييجو (دياث) لاينيث Diegolaninez من نبلاء قشتالة ينحدر من سلالة القاضي لاين كلفو (Laincalvo) [٢] .

وبدأت مخايل النبوغ الحربي تظهر على السيد منذ أواخر أيام الملك فرناندو الأول (Fernando I) وذلك عندما اشترك مع قوات قشتالة للمساندة للمقتدر ابن هود صاحب سرقسطة ضد راميرو (Ramiro) ملك أرغون في سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) ، وقد أبدى السيد في المعارك التي دارت بين الجانبين شجاعة نادرة مكنت قوات المقتدر من احراز النصر ، وعرفت الموقعة باسم جراوس (Graus) [٣] .

ولم يلبث السيد القنبيطور أن انضم بعد وفاة فرناند وتقسيم مملكته بين أولاده الثلاثة : سانشو والفونسو وغرسيه ، الى الابن الأكبر سانشو ، فاشترك معه في الحرب التي دارت بينه وبين أخيه الفونسو ، وانتهت بهزيمة الأخير في معركة جلبخيرة Golpejera (سنة ١٠٧١ م / ٤٦٤ هـ) ، وكان للسيد دور رئيسي في احراز النصر ، مما كان سببا في حقد الفونسو عليه وكراهيته له [٤] .

وشاءت الظروف أن يدخل القنبيطور في خدمة ألفونسو السادس ، وذلك بعد أن استدعى نبلاء قشتالة ومن بينهم القنبيطور الفونسو السادس لتولي العرش بعد مصرع أخيه سانشو في سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) ، ولم تتم مراسم التتويج إلا بعد أن أقسم

= في أرض الأعداء . أنظر (بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ص ١٧٦ ، الطاهر مكي ، نفسه ، ص ١٧٥ ـ ١٨٢) .

(١) بروفنسال ، نفسه ، ص ١٧٤ ، مؤنس ، نفسه ، ص ٤٣ ، الطاهر مكي ، نفسه ، ص ٩٨ .

(٢) Chronile, P. 10 & Rafael Altamira, Manualde historiade España, Madrid , 1934, p. 184.

(٣) بروفنسال ، نفسه ، ص ١٧٥ ، مؤنس ، نفسه ، ص ٤٣ . أنظر :

Afif. Turk, El reino de zaragoza, pp. 82 - 83.

وتقع جراوس الى الشمال الشرقي من بربشتر في أقصى شمال أرغون .

(٤) بروفنسال ، نفسه ، ص ١٧٦ ، مؤنس ، نفسه ، ص ٤٣ .

الفونسو أمام السيد على أنه برىء من دم أخيه سانشو ، وقد ضاعف اختيار القنبيطور لهذه المهمة الأخيرة من عوامل حقد الفونسو عليه [1] . ومع ذلك فقد لازم القنبيطور سيده الفونسو واختص بخدمته والتزم بحمايته والدفاع عنه ، فزوجه الملك سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م من إحدى قريباته وهى السيدة خيمينا (Doña Jimen a) ابنة دييجو رود ريجيث قمط مدينة أبيط (Oviedo) [2] .

غير أن العلاقات بين الملك الفونسو السادس وتابعه القنبيطور لم تلبث أن غشيتها سحابة من التكدير والتوتر بسبب سعاية خصومه فى البلاط وعلى رأسهم غرسيه أوردونييث (García ordoñez) خصم السيد وعدوه اللدود ، بالإضافة الى عوامل أخرى أدت الى ازدياد حقد الملك على السيد لعل أهمها ـ وفقا لما ترويه بعض الروايات ـ أن السيد احتفظ لنفسه ببعض الهدايا والأموال التى كانت مرسلة كجزية الى سيده الفونسو ، ومنها اقدامه على محاربة جماعة من عسكر طليطلة المسلمين عند حصن غرماج على نهر دويرة دون أن يأذن له سيده ومولاه [3] ، هذا بالإضافة الى أن الملك لم يكن قد نسى القسم المهين الذى أرغم عليه بين يدى السيد ليتبرأ من قتل أخيه سانشو .

وكيفما كان الأمر فقد استبد الغضب بألفونسو السادس على تابعه القنبيطور فأصدر أمره بنفيه من مملكته ، واضطر السيد الى الخروج على هذا النحو شريدا فى ثلة من أتباعه فى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ، وراح وهو هائم على وجهه يبحث عن قوته معتمدا فى ذلك على سيفه وقائم ذراعه ، وأخذ يعرض خدماته هنا وهناك ملتمسا فى الأوضاع المضطربة فى اسبانيا الإسلامية والمسيحية مجالا لتحقيق مآربه ، فاتجه بادىء ذى بدء الى امارة برشلونة النصرانية وعرض خدماته على أميرها رامون

---

(١) مؤنس ، نفسه ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ، وأنظر :
Chornicle, pp. 77 - 78 .

(٢) بروفنسال ، نفسه ، ص ١٧٩ ، مؤنس ، نفسه ، ص ٤٦ .

(٣) بروفنسال ، نفسه ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ ، مؤنس ، نفسه ، ص ٤٩ ـ ٥٠ وأيضا
Chronicle , pp. 81 - 82.

بيرنجير (Ramon Berenguer) ولكن هذا الأمير لم يلبث أن صده وأعرض عنه ، وهكذا سيرته الأقدار الى ديار الإسلام ، عساه يلقى في معسكرات المسلمين ما لم يجده في معسكرات المسيحيين ، فاتجه بعد ذلك الى مملكة سرقسطة والتحق بخدمة بنى هود [1] . ومنذ ذلك الحين تبدأ صفحة جديدة فى حياة ذلك المغامر القشتالى الذى أصبح اسمه يتردد فى شعر الملاحم بطلا مغامرا وصعلوكا قديرا ومحاربا أسطوريا لا نظير له .

ولم يلبث المقتدر بن هود أن توفى فى نفس العام الذى اصطنع فيه السيد ، وكان قد قسم مملكته بين ولديه ، فخص المؤتمن بسرقسطة وأعمالها ، فى حين خصص للمنذر دانية وطرطوشة ولاردة . وسرعان ما نشب الحرب بين الأخوين فانضم القنبيطور الى المؤتمن الابن الأكبر وساعده فى محاربة أخيه المنذر ، الذى استعان بدوره بسانشيو راميرز Sancho Ramirez (تسمية الرواية العربية ابن ردمير) ملك أرغون وبرامون بيرنجير الثالث أمير برشلونة [2] .

وهكذا نجد السيد يستخدم سلاحه لمحاربة اخوانه النصارى من أرغون وبرشلونة لحساب صاحب سرقسطة المسلم ، وهو أمرطبيعى من محارب مرتزقة مغامر لأهم له إلا ملء يديه من الغنائم والحرص على مصالحه الذاتية دون اعتبار لأى عوامل دينية وسياسية . وعلى الرغم من التفوق العددى لقوات أرغون وبرشلونه فقد وفق المسلمون بفضل براعة القنبيطور فى القتال وضربات سيفه التى لا تخيب الى احراز النصر ، وارتفعت بذلك مكانة القنبيطور فى بلاد المؤتمن صاحب سرقسطة فأدناه اليه ووثق فى قدرته واتخذه قائدا لجيشه ، ثم التحق القنبيطور بخدمة المستعين بن هود بعد وفاة أبيه المؤتمن فى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، واستمر يحظى بنفوذه الكبير ومكانته المرموقة فى بلاط بنى هود بسرقسطة [3] .

---

(١) بروفنسال ، نفسه ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ، مؤنس ، نفسه ، ص ٥٠ ، وأنظر التفاصيل فى :
Chroicle, pp. 92 - 103.

(٢) بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ص ١٨٣ ، مؤنس ، الثغر الأعلى الأندلسى ، ص ١٠٢ .

(٣) بروفنسال ، نفسه ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ . وانظر :
Chronicle, pp, 103 - 106 - & M. Pidal, La Espana del cid; V. I. pp. 374 - 375.

ويحمل ابن بسام على استخدام بني هود للقنبيطور فيقول : « ولما أحس أحمد بن يوسف بن هود المنتزى الى وقتنا هذا على ثغر سرقسطة بعساكر أمير المسلمين تنسل من حدب ، وتطلع على أطرافه من كل مرقب ، آسد كلبا من أكلب الجلالقة يسمى بلذريق (أو رذريق) ويدعى بالكنبيطور ، وكان عقالا وداء عضالا ، له في الجزيرة وقائع ، وعلى طوائفها بضروب المكاره اطلاعات ومطالع ، وكان بنو هود قديماً هم الذين أخرجوه من الخمول مستظهرين به على بغيهم الطويل ، وسلطوه على أقطار الجزيرة يضع قدمه على صفحات أنجادها ، ويركز علمه في أفلاذ أكبادها ، حتى غلظ أمره ، وعم أقاصيها ودانيها شره [1] .

(١) الذخيرة ، ق ٣ ، المخطوط ، لوحة ١٨ ظ ، ١٩ و .

ملحق رقم (٢)

جدول حكام بلنسية والمنتزين بها حتى سقوطها في زيدى المرابطين

العصر	اسم الحاكم
أولا : عصر الولاة (٩٥ _ ١٣٨ هـ)	١ _ أبو قائم الهذلى . (ت ١١١ هـ / تولى الحكم حوالى سنة ٩٥ هـ فى عهد عبد العزيز بن موسى .
	٢ _ محمد بن بكر (١٠٢ _ ١٠٧ هـ فى عهد عبد العزيز بن موسى .
ثانيا : عصر الدولة الأموية (١٣٨ _ ٣٩٩ هـ)	١ _ موسى بن حديرة . ت ١٧٢ هـ فى عهد عبد الصمد الداخل وبداية عهد هشام .
	٢ _ أبو عثمان عبيد الله بن عثمان . تولى الحكم فى عهد هشام الرضا .
	٣ _ عبد الله البلنسى بن عبد الرحمن الداخل ت ٢٠٨ هـ .
	٤ _ ابن ميمون (فى عهد عد الصمد الأوسط ٢٠٦ هـ _ ٢٣٨ هـ)
	٥ _ عامر بن أبي جوشن بن ذى النون . استقل ببلنسية فى عهد الأمر عبد الله وبداية عهد عبد الصمد الناصر .
	٦_ عبد الله بن محمد بن عقيل تولى سنة ٣١٧ هـ .
	٧ _ محمد بن اسحاق . عزل سنة ٣٢٣ هـ .
	٨ _ يحيى بن محمد بن إلياس عزل سنة ٣٢٤ هـ .
	٩ _ موسى بن محمد . تولى سنة ٣٢٤ هـ .

١٠ ـ هشام بن محمد بن عثمان المصحفي . تولى بلنسية في عهد الحكم المستفيد ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ .

١١ ـ عبد الملك بن أحمد بن شهيد ت ٣٩٣ هـ تولى في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر

ثالثا : عصر الطوائف (٤٠٠ ـ ٤٩٥ هـ)

١ ـ مجاهد العامري ٤٠٠ ـ ٤٠١ هـ .

٢ ـ مظفر ومبارك . ٤٠١ ـ ٤٠٨ هـ .

٣ ـ لبيب ٤٠٨ ـ ٤١١ هـ .

٤ ـ المنصور عبد العزيز بن أبي عامر ٤١٢ ـ ٤٥٢ هـ .

٥ ـ المظفر عبد الملك بن عبد العزيز ٤٥٢ ـ ٤٥٧ ابن أبي عامر .

٦ ـ أبو بكر بن عبد العزيز نيابة عن ٤٥٧ ـ ٤٦٧ هـ المأمون صاحب طليطلة .

٧ ـ استقلال أبو بكر بحكم بلنسية ٤٦٧ هـ ـ٤٨٧ هـ .

٨ ـ أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن عبد العزيز سنة ٤٧٨ تولى لمدة شهور .

٩ ـ القادر يحيى بن ذى النون ٤٧٨ ـ ٤٨٥ هـ .

١٠ ـ القاضي ابن جحاف ٤٨٥ ـ ٤٨٧ هـ .

١١ ـ السيد القنبيطور . ٤٨٧ ـ ٤٩٢ هـ .

١٢ ـ دونيا خيمينا زوجة القنبيطور ٤٩٢ هـ ـ ٤٩٥ هـ .

استيلاء الأمير مزدلي المرابطي على المدينة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصـــادر العربيـــة

ـ ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى البلنسى) ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

اعتاب الكتاب ، تحقيق د . صالح الأشتر ، المطبعة الهامشية ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .

ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة ، نشر السيد عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م ، طبعة كوديرا ، مدريد ، ١٨٨٦ م .

ابن الأبار الحلة السيراء ، تحقيق د . حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

ابن الأبار المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

ـ ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم الخزرجى) ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م .

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق د . نزار رضا ، بروت ، ١٩٦٥ .

ـ ابن الأثير (أبو الحسن على بن أحمد بن أبى الكرم) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م

الكامل فى التاريخ ، صححه الشيخ عبد الوهاب النجار ، دار الطباعة المنيرة ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .

ـ الإدريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م

صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) نشره دى غويه ودوزى ، ليدن ، ١٨٩٤ م .

- ابن بسام (أبو الحسن على الشنتريني) ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م .
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول - المجلد الأول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٩ . القسم الثالث المخطوط نسخه رقم ٦٣ م عن نسخة جايتجوس . القسم الرابع - المجلد الأول ، تحقيق عبد الوهاب عزام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، ادارة احياء التراث ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

- البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م
جغرافيه الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق د . عبد الرحمن الحجى ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

- البكرى معجم ما استعجم . جـ ١ ، طبعة ويستنفلد ، ليدن ، بدون تاريخ .

- ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م .
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

- ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، تحقيق د . احسان عباس ، مكتبة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد ، بدون تاريخ .

- ابن حزم ، طوق الحمامة في الإلفه والإلاف ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

- ابن حزم ، نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق د . شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ م .

- الحميدى (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح) ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م
جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت أواخر القرن التاسع الهجرى .
صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على) ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م
صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٩ م
المقتبس فى أخبار بلد الأندلس . قطعة خاصة بالسنين الأخيرة من عصر عبد الرحمن الأوسط ، نشرها د . محمود مكى ، طبعة بيروت ١٩٧٣ م ، قطعة خاصة بعصر الحكم المستنصر ، نشرها د . عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥ م ، قطعة خاصة بعصر عبد الرحمن الناصر نشرها بدرو وشالميتا ، مدريد ١٩٧٩ م .
- ابن خاقان (أبو النصر الفتح بن محمد) ت ٥٣٥ هـ / ١١٣٤ م
قلائد العقيان ، تصحيح محمد الصباغ ، القاهرة ١٢٨٣ هـ .
- ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٥ هـ .
- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م
أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام (القسم الخاص بتاريخ الأندلس) تحقيق ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٦ م .
- ابن الخطيب الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، المجلد الأول ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٥ م . المجلد الثالث ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٧٣ م .

- ابن خفاجه (أبو اسحاق ابراهيم بن أبي الفتح) ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م
الديوان ، تحقيق د . السيد مصطفى غازى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٦٠ م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المقدمة ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، بدون تاريخ ، وبقية الأجزاء ، طبعة بيروت ١٩٦٨ .
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م
وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، تحقيق د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- ابن خير الاشبيلى (أبو بكر محمد) ت ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م
فهرسة الكتب المصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف ، نشر كوديرا ، سرقسطة ، ١٨٩٣ م .
- ابن دحيه (أبو الخطاب عمر بن حسن) ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م
المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ودكتور حامد عبد المجيد ، ودكتور أحمد بدوى ، بيروت ١٩٥٥ م .
- ابن دراج القسطلى (أبو عمر أحمد بن محمد) ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م
الديوان ، تحقيق د . محمود على مكى ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٣٨٩ هـ .
- ابن ابى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى) ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م
الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نسخة حجرية ، طبعة فاس ، ١٣٠٥ هـ .

ـ ابن الزقاق البلنسي (أبو الحسن على بن عطية) ت حوالى ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م
الديوان ، تحقيق عفيفة ديراني ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ م .
ـ الزيرى (الأمير عبد الله بن بلقين)
مذكرات الأمير عبد الله المسماه بكتاب التبيان ، نشره ليفي بروفنسال القاهرة ، ١٩٥٥ م .
ـ ابن سعيد المغربي (أبو الحسن على بن موسى) ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م
اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى ، تحقيق ابراهيم الابيارى القاهرة ١٩٥٩ .
ـ ابن سعيد المغربي بسط الأرض في الطول والعرض المعروف بكتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، المكتب التجارى ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ ابن سعيد المغربي رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق غرسيه غومث ، مدريد ١٩٤٢ . المغرب في حلى المغرب ، جزءان ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ م .
ـ السلاوى (أحمد بن خالد الناصرى) ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، جـ ١ ، القاهرة ١٣١٢ هـ .
ـ السلفى (أحمد بن محمد) ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م
أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفى ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٣ م .
ـ السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
ـ صاعد (أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسى) ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م .
طبقات الأمم ، المكتبة المحمودية التجارية ، القاهزة ، بدون تاريخ .

- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد) ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م .
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، نشر ادارة احياء التراث القاهرة ١٩٦٧ م .
- ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي) رسالة في القضاء والحسبة ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة ، نشر ليفي بروفنسال ، مطبوعات المعهد الثقافي الفرمسي ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد) كان حيا سنة ٧١٢ هـ .
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ ٢ ، تحقيق ليفي بروفنسال وكولان بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٣ تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٤ (قطعة خاصة بعصر المرابطين) تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ١٩٦٧ م .
- العذرى (أحمد بن عمر بن أنسى) ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م
نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق د . عبد العزيز الأهوانى ، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٦٥ م .
- ابن عمر (يحيى) ت ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م
أحكام السوق ، تحقيق د . محمود على مكى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد مجلد ٤ عدد ١ - ٢ ، سنة ١٩٥٦ م .
- ابن غالب (الحافظ محمد بن أيوب) عاش فى القرن ٦ هـ / ١٢ م
فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس ، قطعة نشرها د . لطفى عبد البديع مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ م .
- عياض (أبو الفضل عياض بن موسى السبتى) ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م .
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، بيروت ، بدون تاريخ .

ـ ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بن على) ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م
الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م .

ـ ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م .
تاريخ علماء الأندلس ، طبعة السيد عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٤ م .

ـ أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م .
تقويم البلدان ، طبعة رينود ، دى سلان ، باريس ١٨٤٠ م .

ـ القزينى (زكريا بن محمد) ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م .
اثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ م

ـ ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد الكتامى) ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م .
نظم الجمان فى أخبار الزمان ، نشر وتحقيق د. محمود مكى ، طبعة الرباط ، ١٩٦٤ م .

ـ القلقشندى (أبو العباس أحمد) ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .
صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، جـ ٥ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٣١ هـ .

ـ ابن الكردبوس (وابن الشباط) عاش فى القرن ٦ هـ / ١٢ م .
تاريخ الأندلس ووصفه ، نصان جديدان ، تحقيق د . أحمد مختار العبادى ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٧١ م .

ـ المراكشى (عبد الواحد بن على) ت ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م .
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، لجنة احياء التراث الإسلامى ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

- المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك) ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م .
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الأول - القسم الأول ، تحقيق محمد بن شريفه ، بيروت ، بدون تاريخ ، بقية السفر الرابع تحقيق د . احسان عباس ومحمد بن شريفه ، بيروت ١٩٦٤ م . السفر الخامس - القسم الأول ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ م .
- المقرى (أحمد بن محمد) ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩ م .
- مؤلف مجهول (عاش فى القرن ٤ هـ) .
أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، نشره دون لافونتى القنطرا ، طبعة بغداد مصورة عن طبعة مدريد ١٨٦٧ م .
- مؤلف مجهول (من كتاب القرن ٦ هـ) .
الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق د . سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ م .
- مؤلف مجهول مدونة تاريخية من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ، نشرها ليفى بروفنسال وغرسيه غومث تحت عنوان :
Une Cronica anonima de Abd Al - Rahman III (Al - Nasir)
Por: Levi - Provencal, G. Gomez, Madrid, 1950.
- النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد) ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م .
نهاية الارب فى فنون الأدب ، الجزء ٢٢ ، نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية تحت رقم ٢٢ عن نسخة دار الكتب المصرية .
- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى) ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م .
معجم البلدان ليبزج ، ١٨٦٦ - ١٨٧٠ م .

ثانيا : المصادر المسيحية القشتالية

- Alfonso el Sabio, Primera Crónica general de Españ, t. II Publicdo por R. Menendez pidal, Madrid, 1955.

- Chronicle of the Cid from spanish by Robert Southey, London, 1883.

ثالثا : المراجع العربية الحديثة والمعربة

ـ أرسلان (الأمير شكيب)

تاريخ غزوات العرب ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٢ هـ .

ـ أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، جـ ٣ ، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .

ـ أشباخ (يوسف)

تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨ م .

ـ بلنثيا (آنجل جنثالث)

تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة د . حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

ـ بروفنسال (ليفى)

الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة د . السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، راجعه د . لطفى عبد البديع ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٦ م .

ـ بروفنسال سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة محمد عبد الهادى ، شعيرة ، مطبوعات كلية الآداب بجامعة فاروق ، القاهرة ١٩٥١ م .

ـ بلبع (د . محمد توفيق)

المسجد فى الإسلام ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثانى ، الكويت ، ١٩٧٩ م .

- تشركوا (كليليا سارنللى)

مجاهد العامرى قائد الأسطول العربى فى غرب البحر المتوسط فى القرن الخامس الهجرى ، الطبعة الأولى ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦١ م .

- حجاجى (حمدان)

حياة وآثار الشاعر الأندلسى ابن خفاجة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٤ م .

- الحجى (د . عبد الرحمن)

تاريخ الموسيقى الأندلسية ، الطبعة الأولى ، دار الارشاد ، بيروت ١٩٦٩ م .

- حسنين (د . جودة)

جغرافية أوربا الاقليمية ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ م .

- خالص (د . صلاح)

اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .

- دوزى (رينهارت)

تاريخ مسلمى اسبانيا ، جـ ١ (الحروب الأهلية) ترجمة د . حسن حبشى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .

- الركابى (د . جودت)

فى الأدب الأندلسى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ م .

- سالم (د . السيد عبد العزيز)
تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، الطبعة ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز) تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، بيروت ١٩٦٦ م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز) تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس ، دار المعارف ، بيروت ١٩٦٢ م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز) التاريخ والمؤرخون العرب ، دار الكاتب العربى ، الاسكندرية ١٩٦٧ م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز)
تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها فى العصر الإسلامى ، دار المعارف لبنان ١٩٦٤ م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، طبعة بيروت ، ١٩٧١م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز) المغرب الكبير ، جـ ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ١٩٦٦ م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز) القصور الإسلامية فى الأندلس ، مجلة المجلة ، العدد ١٠ ، القاهرة اكتوبر ١٩٥٧ م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز) التخطيط ومظاهر العمران فى العصور الإسلامية الوسطى ، مجلة المجلة ، العدد ٩ سبتمبر ١٩٥٧ م .
- سالم (د . السيد عبد العزيز) مقالات فى كتب الشعب : بلنسية (دائرة معارف الشعب ، العدد ٦١ ، القاهرة ١٩٥٩ م .
العمارة المدنية فى الأندلس - الفنون والصناعات فى الأندلس .
العمارة الحربية فى الأندلس (دائرة معارف الشعب ، العدد ٦٤ القاهرة ١٩٥٩ م) .

ـ شريف (د . ابراهيم)

أوربا دراسة اقليمية لدول أشباه الجزر الجنوبية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٠ م .

ـ الشكعة (د . مصطفى)

الأدب الأندلسي ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٥ م .

ـ عاشور (د . سعيد عبد الفتاح)

المدينة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣ م .

ـ العبادى (د . أحمد مختار)

دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ١٩٦٨ م .

ـ العبادى (د . أحمد مختار) الصقالبة فى اسبانيا ، نشر المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٥٣ م .

ـ العبادى (د . أحمد مختار) فى تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، بدون تاريخ .

ـ العبادى (د . أحمد مختار) الإسلام فى أرض الأندلس ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد ٢ ، الكويت ١٩٧٩ م .

ـ العبادى (د . أحمد مختار) الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، العدد الحادى والعشرين ، مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ م .

ـ العبادى (عبد الحميد)

المجمل فى تاريخ الأندلس ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨ م .

ـ عباس (د . إحسان)

تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) الطبعة الثالثة دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٤ م .

ـ عبد البديع (د . لطفي)

الإسلام في اسبانيا ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ م .

ـ عنان (محمد عبد الله)

الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

ـ عنان (محمد عبد الله) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، الطبعة الأولى ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ م .

الفاسي (محمد)

تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البينة ، السنة الأولى ـ العدد الثالث ، الرباط ١٣٨٢ هـ / يوليو ١٩٦٢ م .

ـ الكرملي (انستاس ماري)

النقود العربية وعلم النميات ، المطبعة العصرية ، القاهرة ١٩٣٩ م .

ـ مؤنس (د . حسين)

تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، الطبعة الأولى ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٧ م .

ـ مؤنس (د . حسين) فجر الأندلس ، الطبعة الأولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ م .

ـ مؤنس (د . حسين) السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، مايو ١٩٥٠ م .

ـ مؤنس (د . حسين) غارات النورمانيين على الأندلس ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى العدد الأول ، مايو ١٩٤٩ م .

ـ مؤنس (د . حسين) الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة فؤاد الأول ، المجلد ١١ جـ ٢ ديسمبر ١٩٤٩ م .

ـ مؤنس (د . حسين) عود الى المراجع العربية لتاريخ السيد ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثانى ، العدد ١ ـ ٢ سنة ١٩٥٤ م .

ـ ماجد (د . عبد المنعم)

تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ـ متز (آدم)

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤١ م .

ـ محمود (د . حسن أحمد)

قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ م .

ـ مرزوق (د. محمد عبد العزيز)

الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت ، بدون تاريخ .

ـ مكى (د . محمود على)

وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مجلد ٧ ـ ٨ ، مدريد ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ م .

ـ مكى (د . الطاهر أحمد)

ملحمة السيد ، ترجمة وتقديم د . الطاهر مكى ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠ م .

- مورينو (مانويل جومث)

الفن الإسلامى فى اسبانيا ، ترجمة د . لطفى عبد البديع ، د. السيد عبد العزيز سالم ، راجعه د . جمال محرز ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ١٩٦٨ م .

- لويس (أرشيبالد)

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة الأستاذ أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

رابعا : المراجع الأجنبية الحديثة

- Albornoz (sanchez), La Espa ña musulmana, cuarta edicion, t. I, Madrid, 1974 .

- Altamira (Rafael), Manual de historia de España, Madrid, 1934.

- Bernhard and Ellen, Arabicspain, Side lights on her history and art, London, 1912.

- Chalmeta (Pedro), El Señor del Zoco en España, intituto Hispano - Arabe de Cultura, Madrid, 1973 .

- Dozy (R.), Recherches sur l'histoire de la litterature de l'Espagne pendant le moyen age, Leyde, 1881.

- Dozy (R.), Supplement aux diccionnaires arabes, Beyrouth, 1968.

- Dozy (R.),Histoire des musulmans de Espagne, Leyde, 1932 .

- Enciclopedia de la Cultura Española, T.v. Madid, 1963.

Gaspar remiro (Mariano), Historia de Murcia musulmana, Zaragoza, 1905.

- Huici Miranda (Ambosio), Historia musulmana de Valencia Y su region, region, 3 tomos, Valencia, 1969 - 1970.

- Huici Miranda (Ambosio), Las luchas del Cid Campeador Con los Almoravides, Hesperis, Vol. VI, 1965 .

- Huici Miranda (Ambosio), La invasion de los Almoravides Y la batalla de zalaca, Hesperis, t. XI, paris, 1953.

- Ibárs (A. Piles), Valencia arabe, V. I. Valencia, 1901.

- Levi provencal (E) , Histoire de l'Espagne musulmana, 3 tomes. Paris, 1967.

- Levi - provencal, inscriptions arabes d'Espagne, 2, Vols, Paris, 1931.

Razi An- - Levi - Provencal, La description de l'Espagne d'Ahmed al - dalus, Vol. XVII , Fasc. I, Madrid, 1953.

- Menendez Pidal (Ramon) . La España del Cid. Cuarta edicion, 2 Vol, Madrid, 1947.

- Mateu Y llopis, Hallazgos Ceramicos en Valencia musulmana, al - Andalus, Vol, XVI, Fasc I, Madrid, 1951.

- Monés (Hussain), Essai sur la chûte du Califat umayyade en 1009 , le Caire, 1948.

- Oliver Asín (Jaime), Las dos Almuzaos, Al - Andatus, Fasc, I. Madrid, 1962.

- Prieto Y Vives (Antonio), Los reyes de taifas,Madrid, 1962.

- Robles (F. Guillen),Malaga musulmana, Malaga, 1957.

- Salem (Dr. El - Sayed Abdel Aziz), Algunos aspectos del Florecimiento economico de Almeria islamica, institut. Egipcio de estudios islamicos, Madrid, 1979.

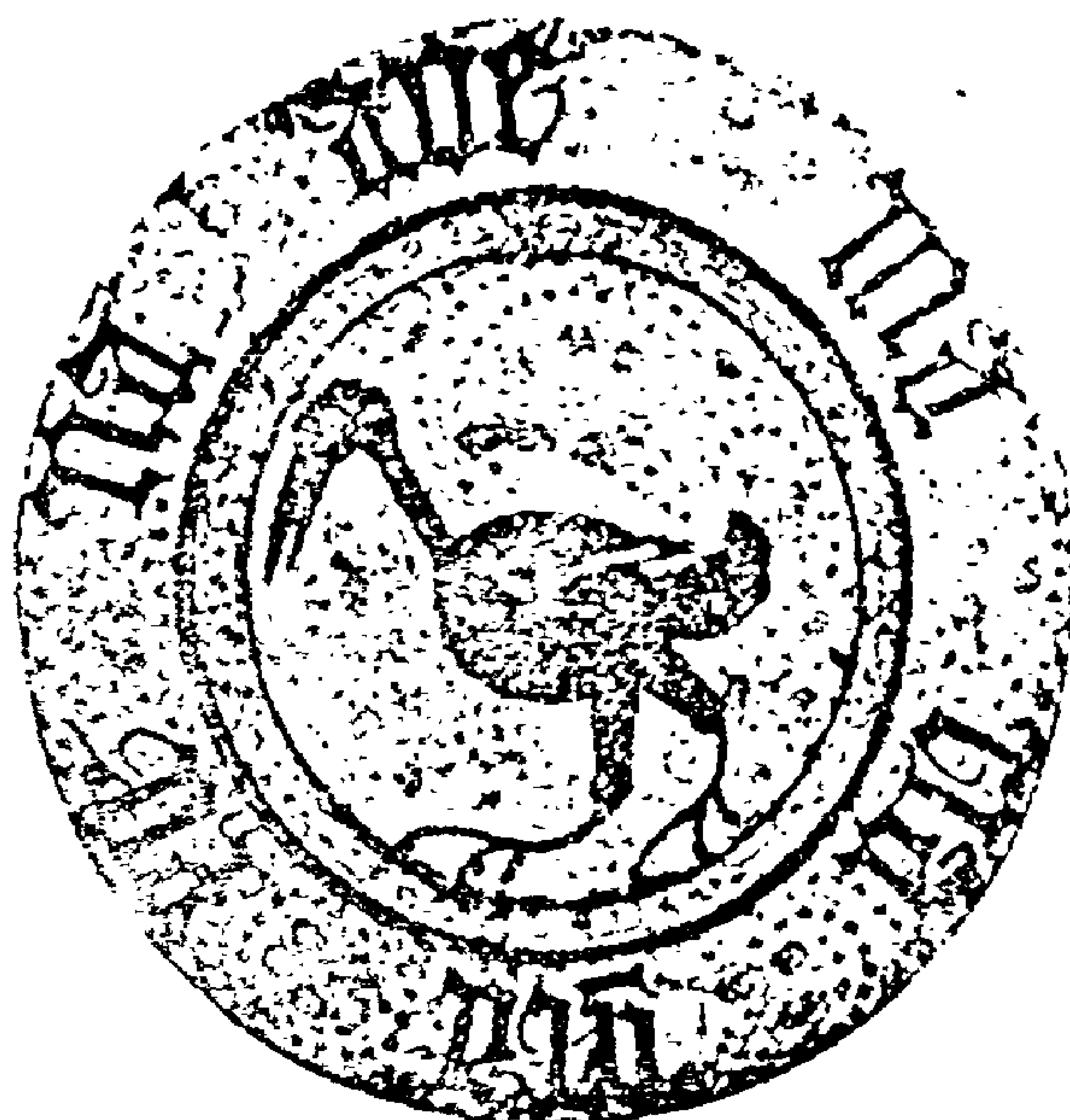
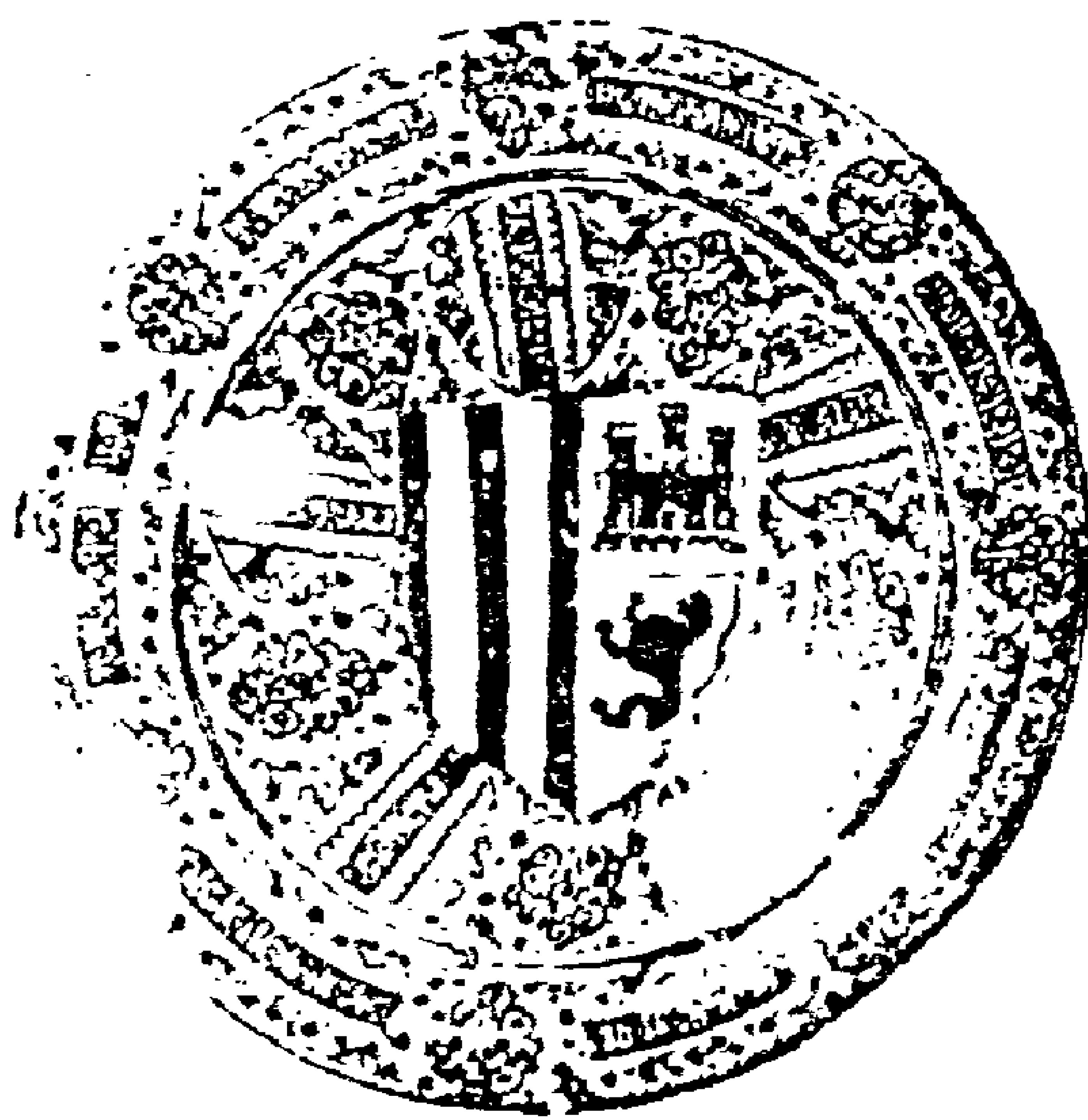
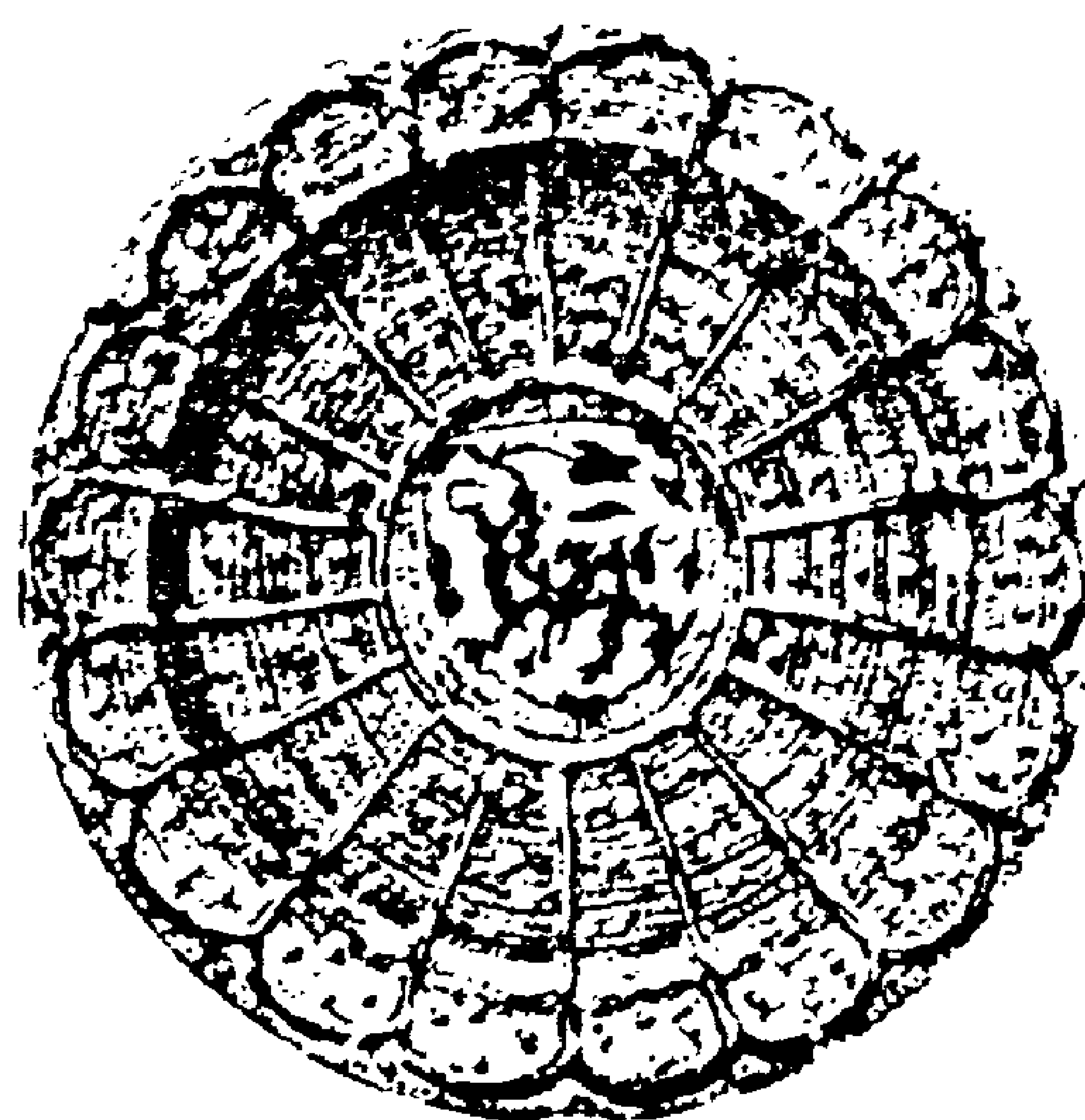
- Torres Balbas (Leopoldo), Ciudades hispano - muslmanus publicad por : institut. hispano - arabe de cultura, madrid.

- Teres (Elías), textos poéticos arabes sobre Valencia, al - Andalus, Vol, XXX, Fasc. 2 Madrid, 1965.

- The encyclopaedia of islam, Vol, I. Leiden - London, 1960.

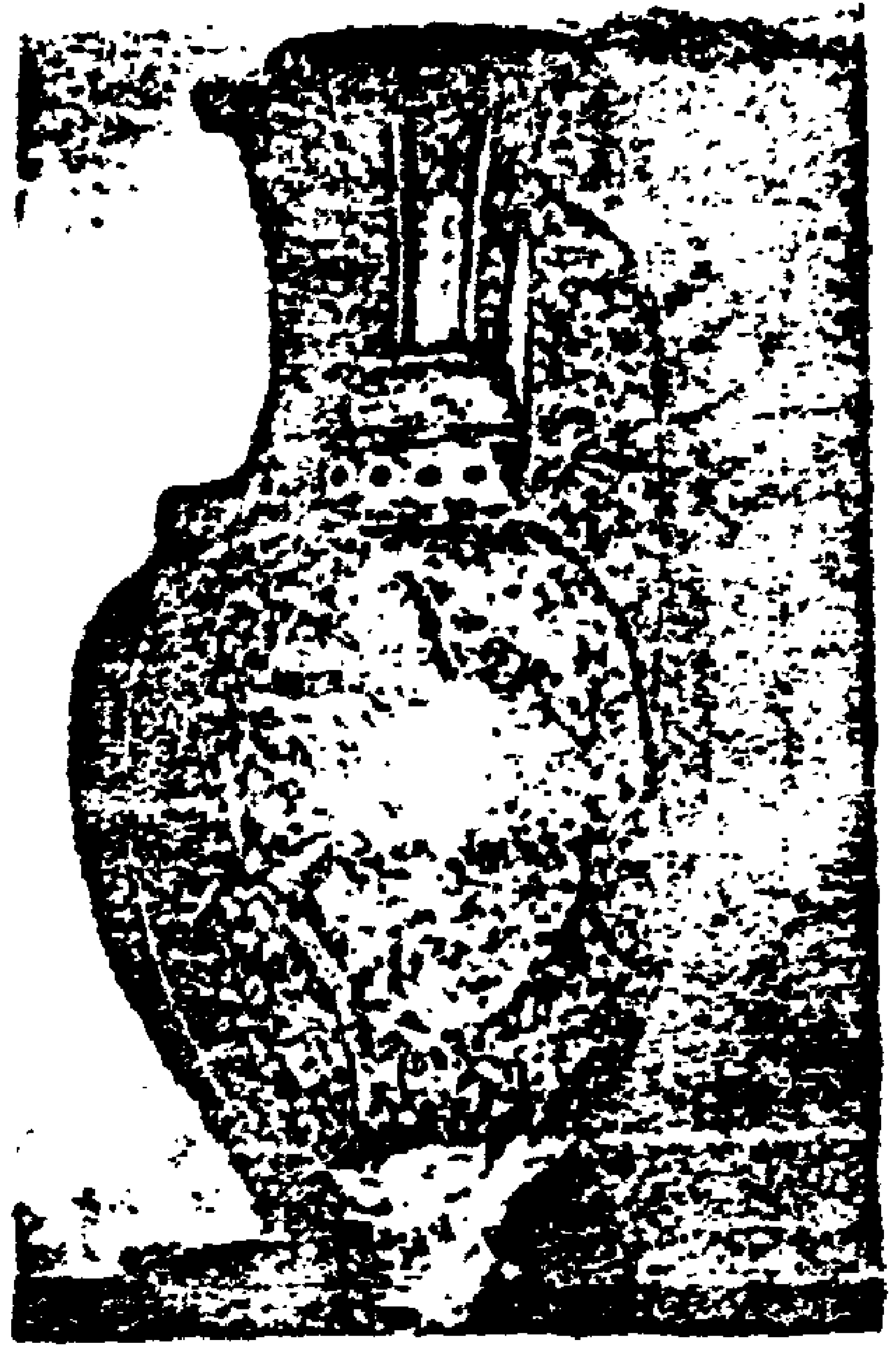
- Turk (Dr. Afif) .El reino de zaragoza en elsiglo XI de Cristo (V Hegira) Madrid, 1978.

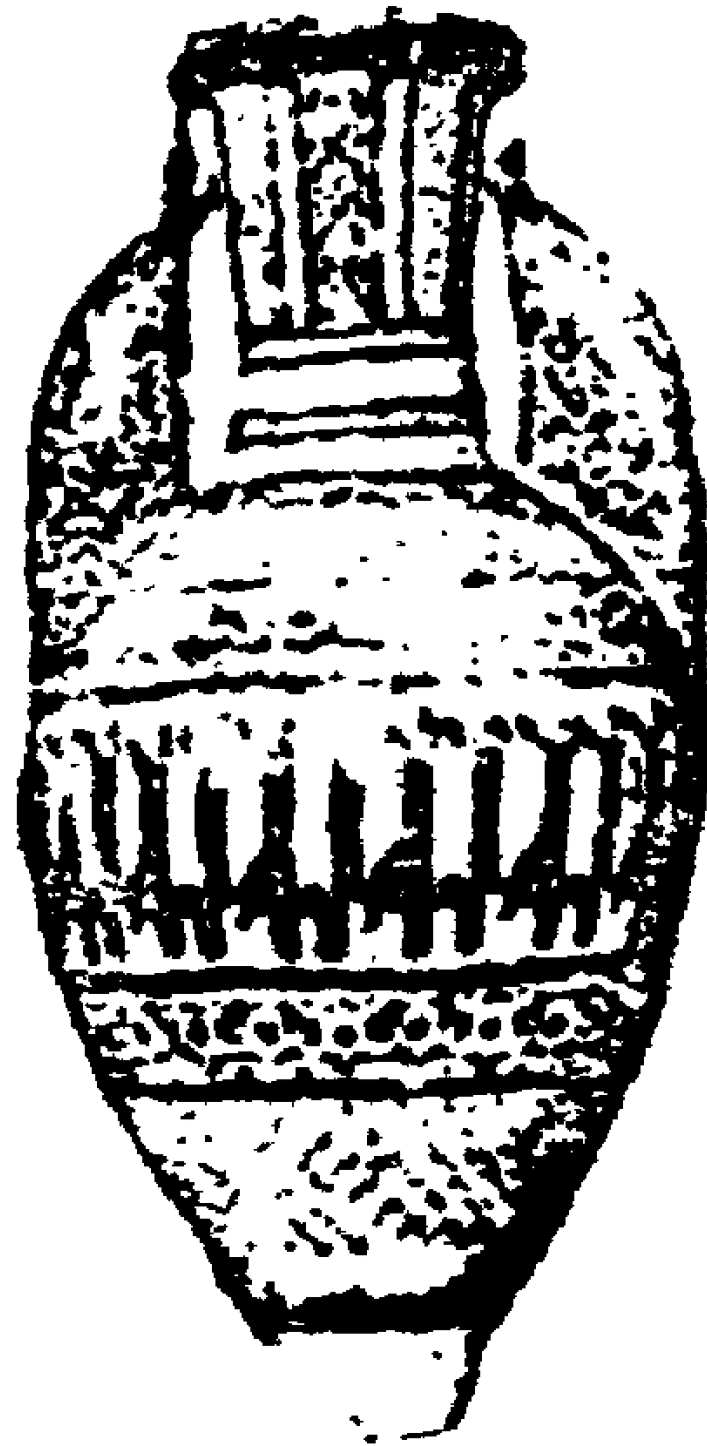
- Vallve (Joaquuin), El reino de Murcia en la epoca musulmans, revista del instituto egipcio de estudios inlmicos, Vol. 20, Madrid, 1979 - 1980.

نماذج لبعض الصناعات الخزفية فى إقليم بلنسية فى العصر الإسلامى







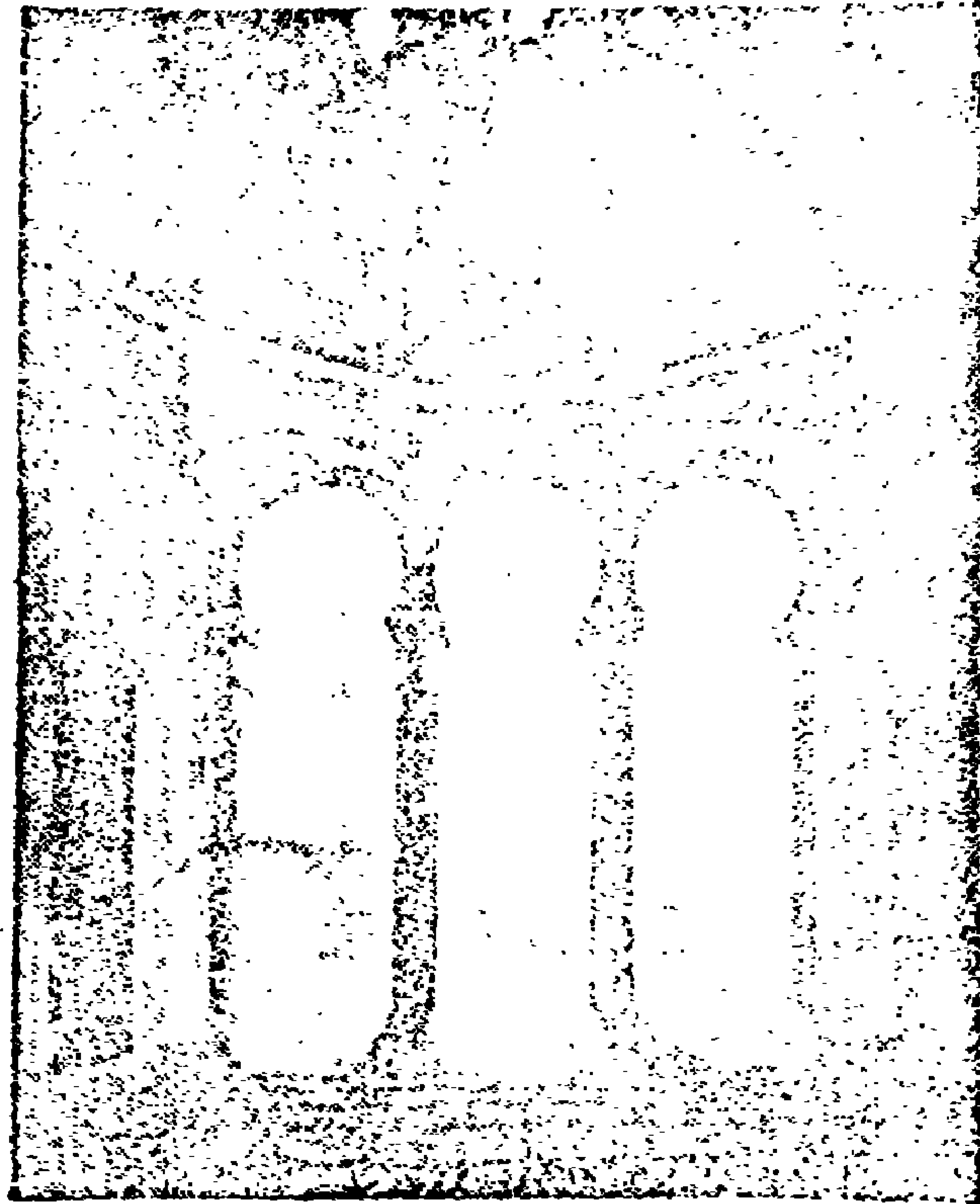




نماذج لبعض الصناعات الخزفية في إقليم بلنسية في العصر الإسلامي



جرة ماء ترجع إلى عصر الطوائف محفوظة الآن بمتحف الفخار بمدينة بلنسية



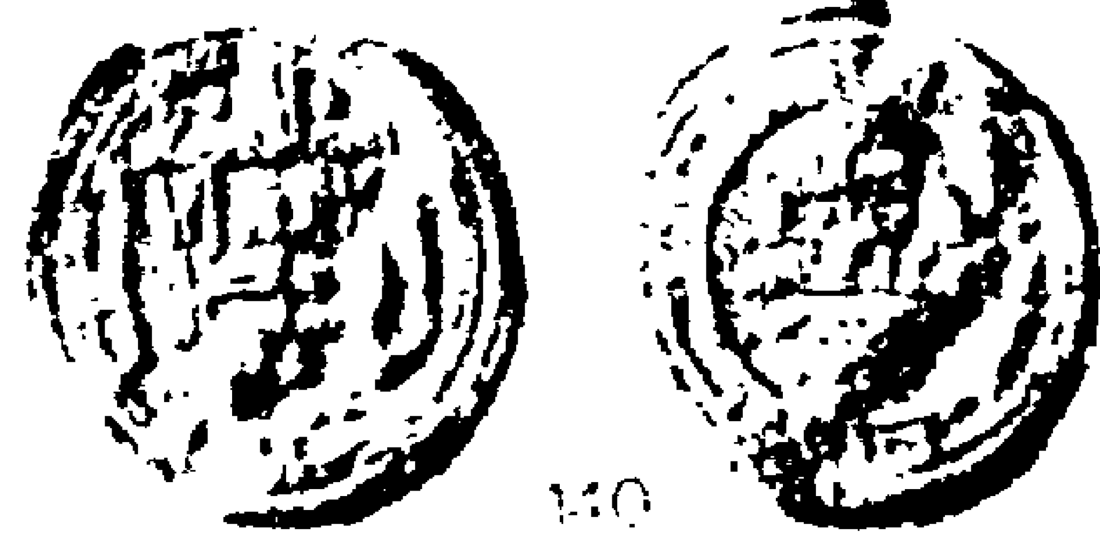
حمام اسلامي بمدينة بلنسية عن دائرة معارف الشعب



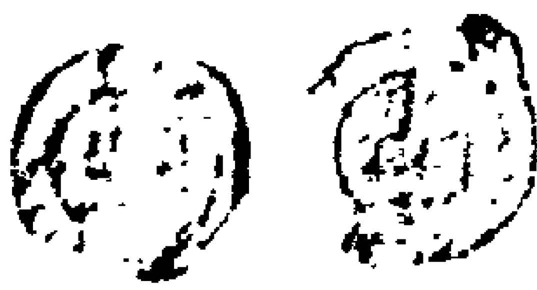
131 a   136



138



140



144 a



148



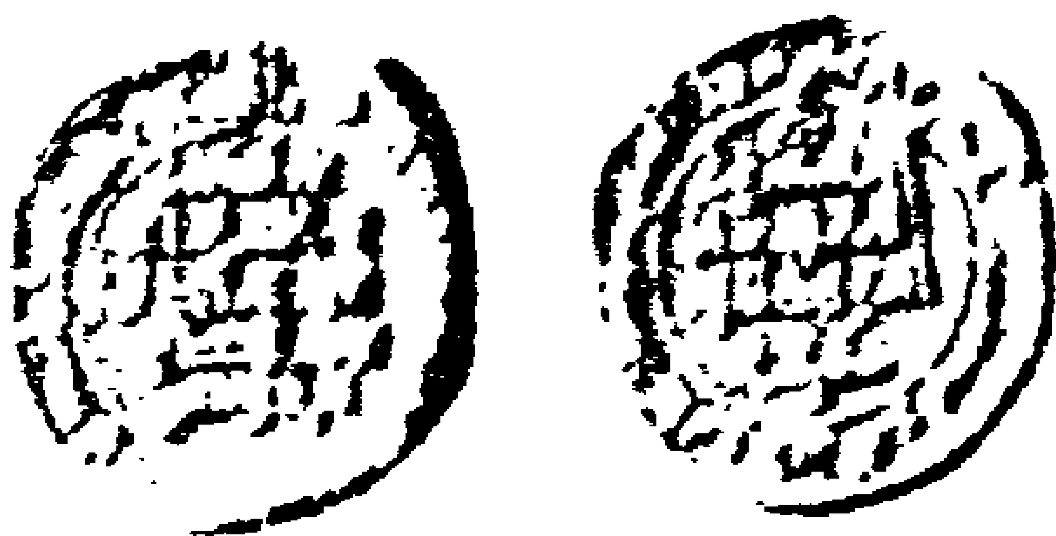
151 a



149



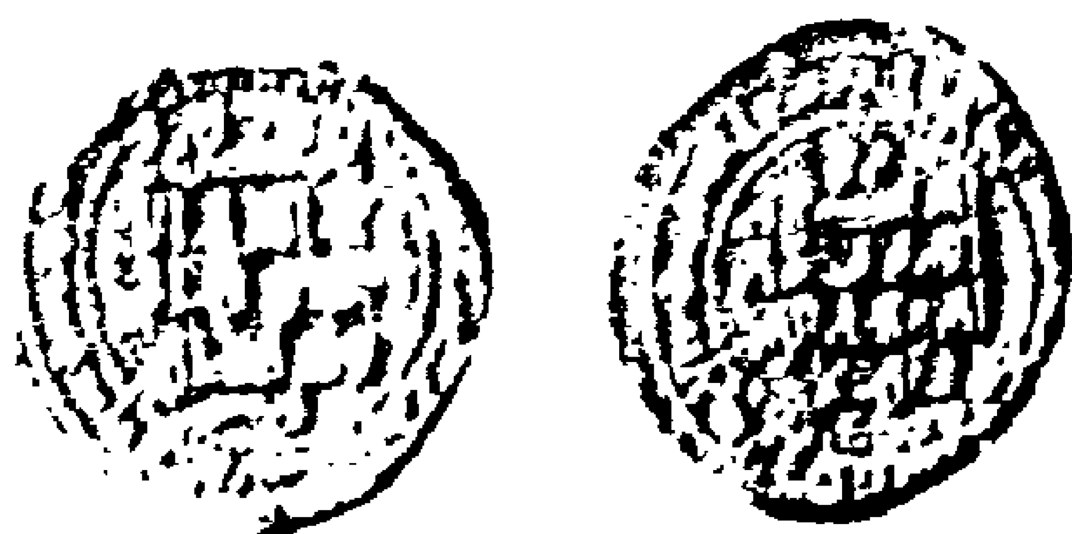
153 c



155 b



160

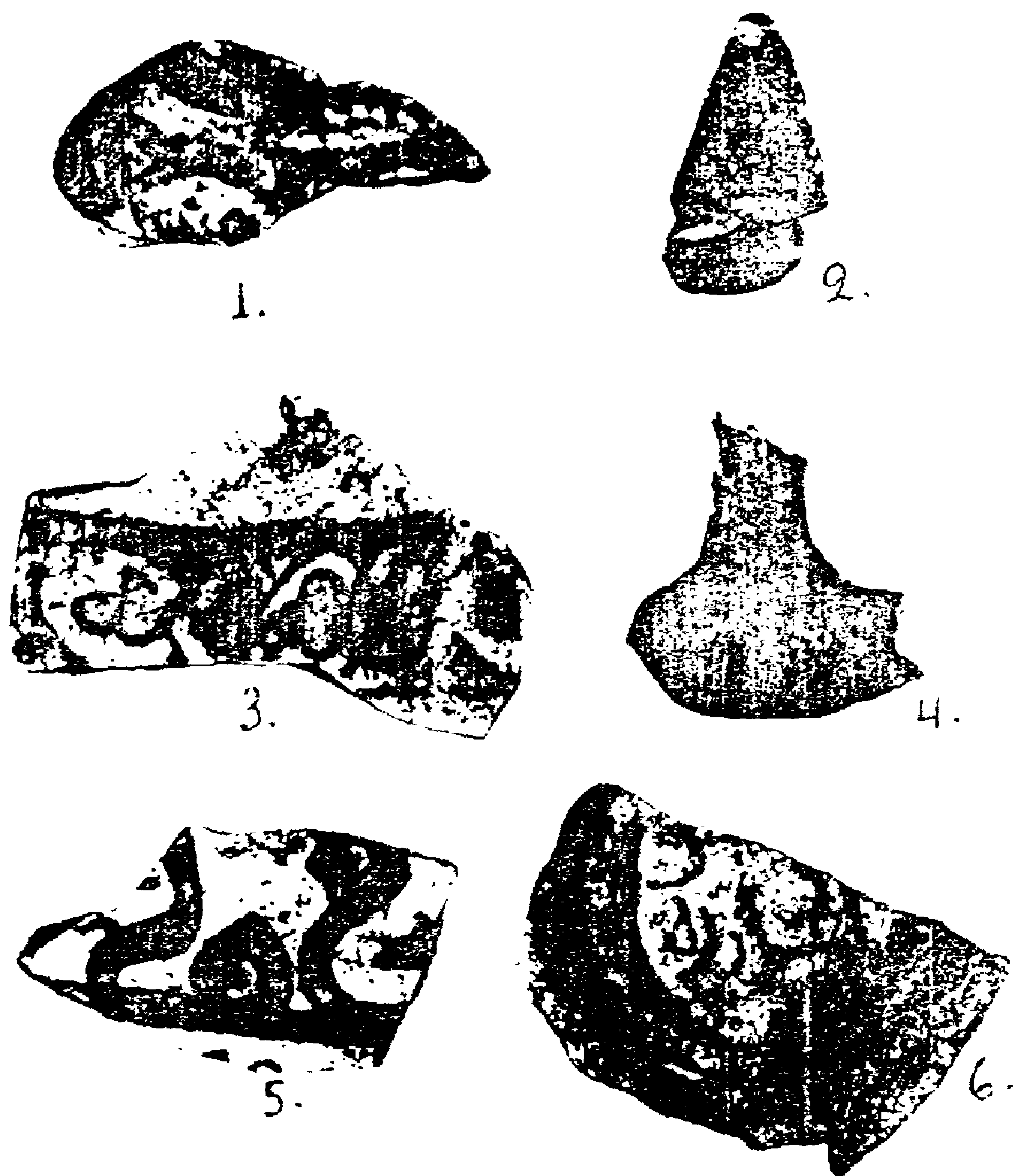


161 b



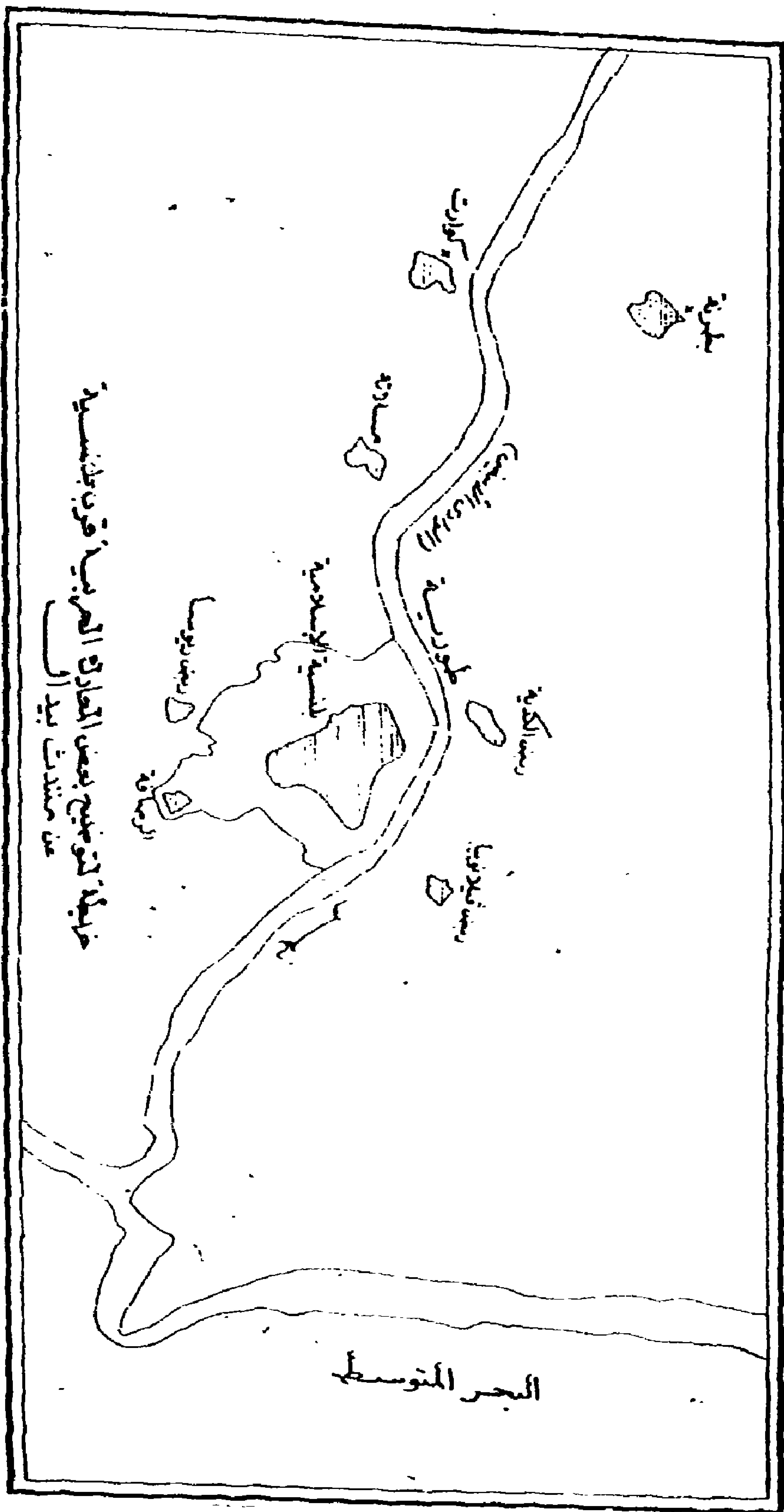
164 a

نماذج لعملة بلنسية فى عصر الطوائف



Fragmentos cerámicos hallados en el subsuelo de Valencia

قطع من الفخار عثر عليها بلنسية

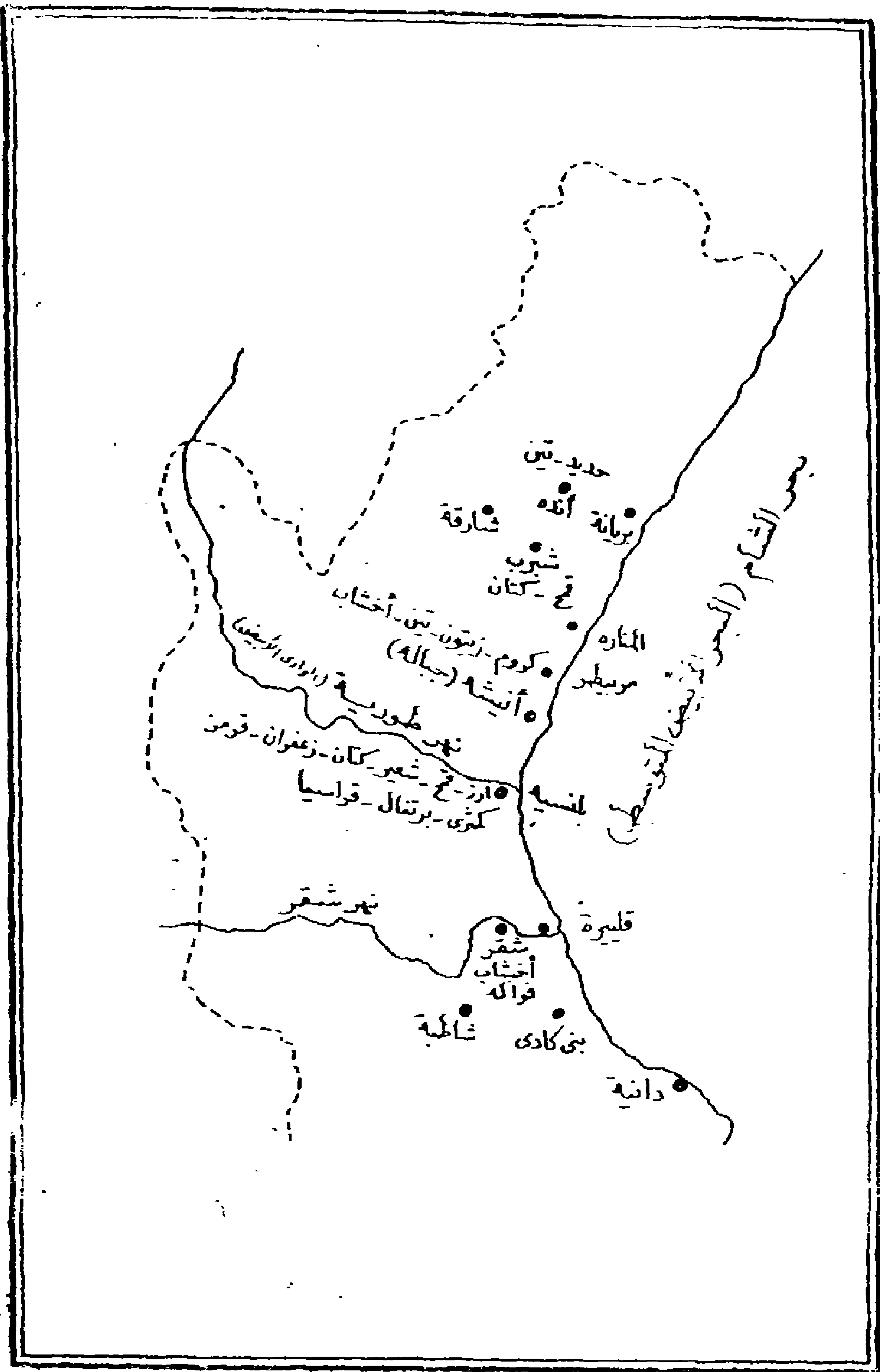


خريطة لتوضيح بعض المعارك الحربية قرب بلنسية

عن منندث بيدال

مملكة بلنسية فى أقصى توسع لها

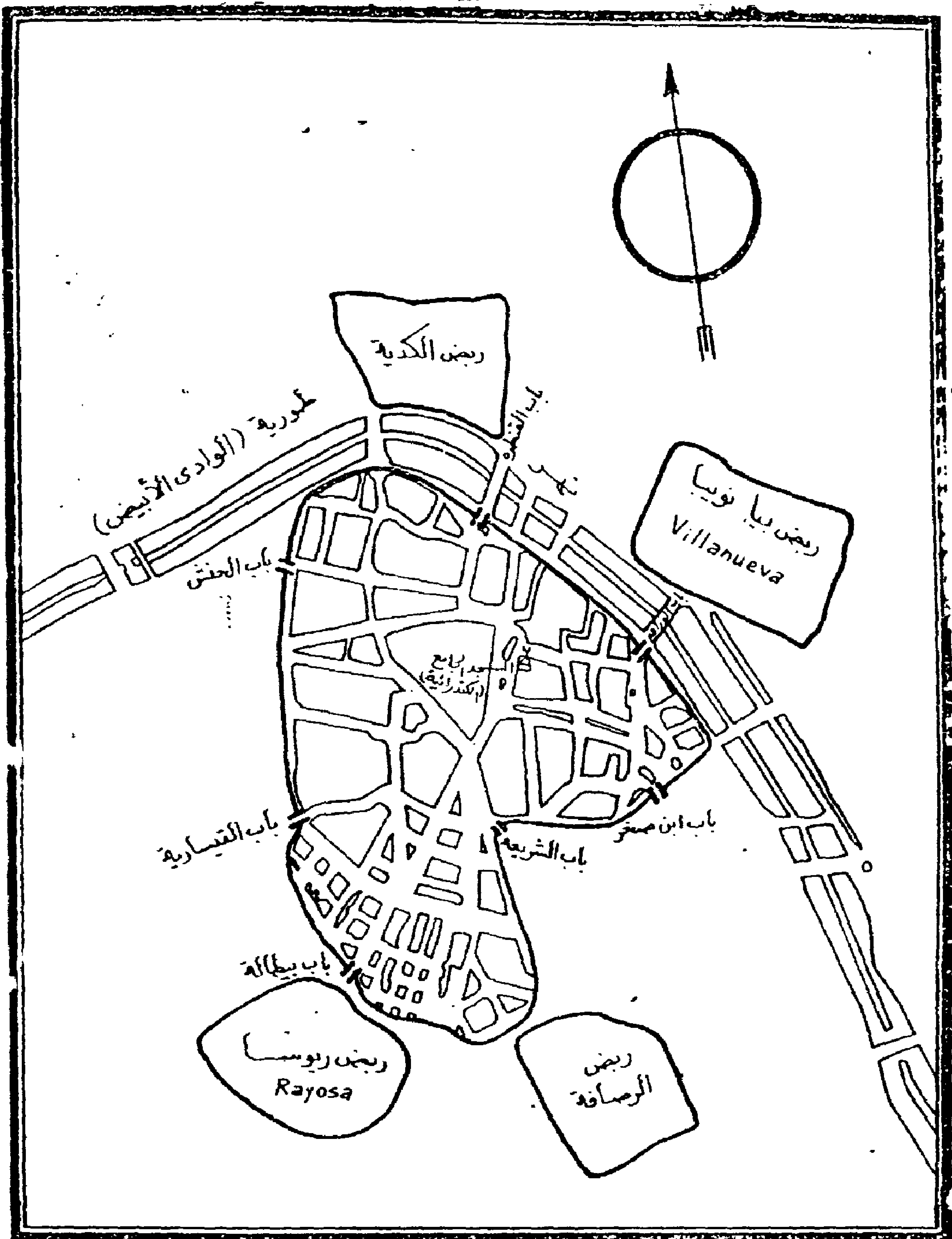
خلال عصر الأمير عبد العزيز المنصور بن أبى عامر



مصادر الثروة الاقتصادية فى مملكة بلنسية فى القرن ٥ هـ / ١١ م

خريطة بلنسية في القرن ٥ هـ / ١١ م

عن إويثى ميراندا



تخطيط مدينة بلنسية وامتداد عمرانها فى العصر الإسلامى

من واقع تخطيطها الحديث الوارد فى خريطة

Plano de la ciudad de Valencia.

الفهـــــرس

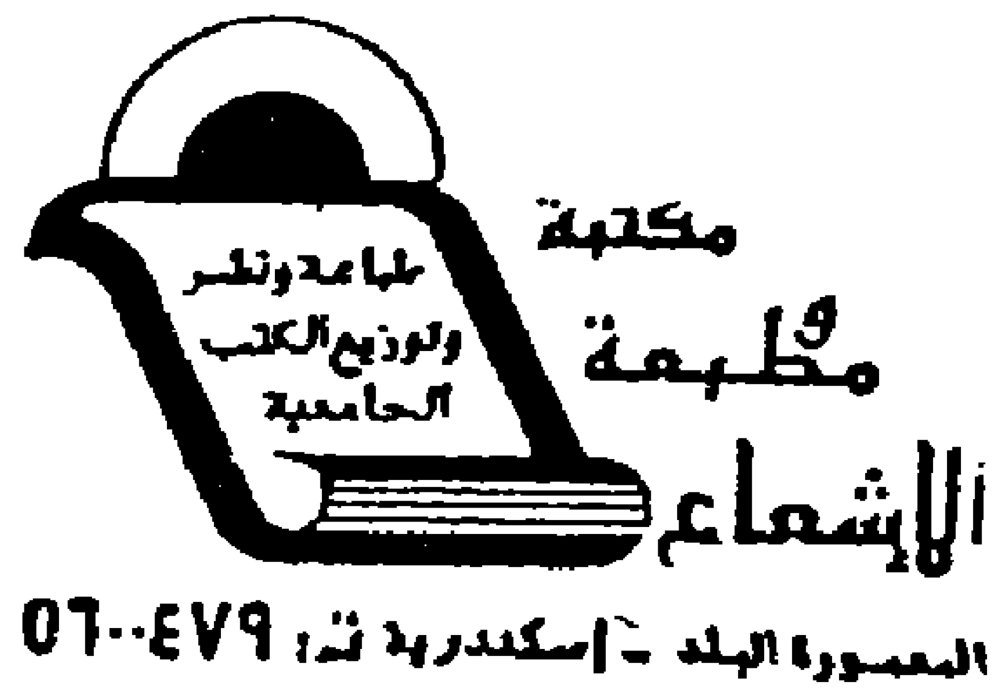
الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

صفحة

الموضوع

طبع بمطابع


مكتبة
ومطبعة
الإشعاع
طباعة ونشر
وتوزيع الكتب
الجامعية
المعمورة البلد - إسكندرية ت: ٥٦٠٠٤٧٩

